

# التكملة

في علوم القرآن

محمد مادي معرفة

الجزء الثالث





Princeton University Library



32101 055469850

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date  
stamped below. Please return or renew  
by this date.*



التمهيد

في علوم القرآن

تأليفه رحمه الله

أمة - ربه تعالى

٨٦٦٤



حقوق الطبع محفوظة

مطبعة مهر - قم

۵ ۱۳۹۸

# التمهيد

دراسات بنطية عن مختلف شؤون القرآن الكريم عرفت باسم  
«علوم القرآن»

تأليف

محمد هادي معرفتي

(RECAP)

BP130

.M38

3 ' 3

شكرا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين

«...»

«...»

سفال

...





# الحكماء وأهل التفسير في القرآن

- ١- التعريف بالمتشابه
- ٢- القرآن والتشابه !
- ٣- حقيقة التأويل
- ٤- هل يعلم التأويل الا الله ؟



# التعريف بالمتشابه

- \* - حقيقة الاءحكام والتشابه
- \* - ما بين المتشابه والمبهم من نسبة
- \* - ما بين عوامل التشابه والابهام من فرق



## الاحكام والتشابه

الاحكام هو الاتقان ، يوصف به الكلام ، اذا كان ذا دلالة واضحة ، بحيث لا يحتمل وجوهاً من المعانى . مأخوذ من الحكم - بالفتح - بمعنى المنع والسد . ومنه حكمة اللجام - بفتح الحاء - : ما احاط بحنكى الفرس ، سميت بذلك لانها تمنعه من الجرى الشديد . قاله ابن فارس . فاحكام الكلام : اتقانه تعبيراً واداء بالمقصود . وهذا كالكثير آيات التشريع والمواعظ والآداب .

والتشابه مأخوذ من تشابه الوجوه ، اى تماثل بعضها مع البعض ، بحيث يحتمل وجوهاً من المعانى ، ومن ثم كان خفاء فى وجه المقصود . ومنه قوله تعالى : « ان البقر تشابه علينا » . قال الراغب : المحكم مالا تعرض فيه شبهة ، لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى ، والمتشابه ما لا ينبىء ظاهره عن المراد . هذا هو تعريف المتشابه بوجه عام ، ومن ثم قد يتحد مع المبهم الذى يكشفه التفسير ، فى حين ان المتشابه بحاجة الى التأويل ، كالكثير آيات الخلق والتقدير

والصفات والافعال . متساوية في القوة والقدرة والقدرة والقدرة .  
وعليه فالمتشابه - حسب المصطلح القرآني - هو اللفظ المحتمل لوجوه  
من المعاني ، وكان موضع ريب وشبهة ، ومن ثم فهو كما يصلح للتأويل الى  
وجه صحيح ، يصلح للتأويل الى وجه فاسد ، ولاجل هذا الاحتمال وقع مطمع  
اهل الزيغ والفساد ، ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله الى ما يتوافق واهدافهم الضالة .

\* \* \*

ولا يخفى الفرق بين المتشابه والمبهم ، بعد ان كانت النسبة بينهما - حسب  
مصطلح الفن - هي العموم من وجه ، فان المتشابه قد يكون مبهما - ايضاً - كقوله  
تعالى : « فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد ان يضله يجعل  
صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء - الانعام : ١٢٥ » انها من المتشابهات  
وقد علتها طبقة من الابهام ايضاً : اما التشابه فمن جهة نسبة الاضلال اليه سبحانه ،  
واما الابهام فمن جهة كيفية حصول ذلك الانشراح والضيق ، وكيف وجه التشبيه  
بمحاولة الصعود الى السماء . وستأتي الاجابة على هذه الأسئلة بتفصيل .

وقد لا يكون المتشابه مبهما في ظاهر لفظه ، وانما التشابه جاءه من قبل سمو  
معناه ، وعلو مستواه بالذات ، ومن ثم قد تزعم العامة وضوح دلالتها ، في حين  
توغلها في الابهام المعنوي بالنسبة الى اولئك العوام ، كقوله تعالى : « الرحمن  
على العرش استوى - طه : ٥ » . فتفهم منها العامة ان لله كرسيّاً وهو جالس عليه ،  
ولا تتوقف في مدلولها الظاهري شيئاً . وكقوله تعالى : « يوم يكشف عن ساق  
و يدعون الى السجود فلا يستطيعون - القلم : ٤٢ » . فتفهم منها ان الرب تعالى  
يكشف عن ساقه ويدعو الكفار الى السجود امامه ، كما هو ظاهرها اللفظي .

وقد لا تكون الآية المبهمة من المتشابهات ، فهي الى التفسير احوج منها الى  
التأويل . كقوله تعالى : « و علم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال  
أنبؤني باسماء هؤلاء - البقرة : ٣١ - » . فالآية بأمرس حاجة الى تفسير يوجب على

عدة اسئلة يبعثها ابهام فى ظاهر الآية ، اولا كيف تحقق هذا التعليم الذى باهى الله به ملائكته ؟ ثانياً ماهى الاسماء التى يعود عليها ضمير التأنيث تارة ، وضمير الجمع المذكر اخرى ؟ وثالثاً كيف استسلمت الملائكة هذه المباهاة ، واعترفت بعجزها وقصورها مع الأبد ؟ وسيوافيك تفصيل الجواب .

اذن لا تلازم بين الابهام والتشابه كلياً ، وعليه فتفترق موارد الحاجة الى التفسير عن موارد الاحتياج الى التأويل . فالتفسير هو كشف القناع عن اللفظ المشكل اى المبهم ، سواء أكان متشابهاً ام لم يكن . والتأويل هو ارجاع الكلام الى احد احتمالاته العقلانية ، ولو كان - فى ظاهره - واضح المدلول .

\* \* \*

ولتوضيح ما بين المتشابه والمبهم من فرق نذكر من عوامل التشابه التى تختلف تماماً عن عوامل الابهام :

يعود الفرق بين تشابه الآية وابهامها ، الى ما بين عوامل الأمرين من اختلاف ، حيث من اهم عوامل التشابه هو دقة المعنى وسمو مستواه عن المستوى العام ، مضافاً الى رقة التعبير وجزالة الاداء ، كما فى قوله تعالى : «ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى - الانفال : ١٧» اذ لا يخفى لطف هذا التعبير الرقيق ، عن مفهوم هو من ادق المفاهيم الاسلامية فى الامر بين الأمرين «لا جبر ولا تفويض» . ومن ثم خفى على غالبية الناس ادراك حقيقته الاصيلية ، من عدا اولئك الراسخين فى العلم ، الذين استسهلوا الصعاب بفضل جهودهم فى سبيل اكتساب المعالى .

ومن هذا القبيل - ايضاً - قوله تعالى : «الله نور السماوات والارض - النور : ٣٥» . فقد وقع فيها تشبيه ذاته المقدسة بالنور . وهو ادق تعبير فى تقريب ذاته المقدسة الى افهام العامة ، اذ لو قيل للجمهور : ان لاماهية له تعالى ولا هو جسم ولا فيه خواص الجسم ، لم يقتنعوا فى الجواب عن موجود وقع الاعتراف به ، كيف لاماهية له ولا هو جسم ؟ فاذا قيل لهم : انه نور ، اقتنعوا ، فى حين ان نفس الاجابة صحيحة



يعرفها الراسخون في العلم ، اذ كما ان النور - في المحسوس - غير قابل للدراك ذاتاً، وانما يحس به من قبل انارته للاشياء، كذلك وجوده تعالى - في غير المحسوس - لا يدرك هو ، وانما يدرك بافاضته للوجود على الموجودات ، فالله تبارك وتعالى يتجلى من خلال كل موجود ، وليس يدرك ذاتاً، كالنور سبب لادراك الاشياء وتعجز الابصار عن ادراكه بالذات <sup>١</sup> .

واما عوامل الابهام المحوجة الى التفسير ، فتعود الى جهات آخر ، منها : غرابة الكلمة عن المؤلف العام ، نظراً لاختصاص استعمالها ببعض القبائل دون بعض ، فجاء القرآن ليوحد اللغة باستعمال جميع لغات العرب ، من ذلك «صلداً» بمعنى «نقياً» في لغة هذيل . و«الاملاق» بمعنى «الجوع» في لغة لخم . و«المنسأة» بمعنى «العصا» في لغة حضرموت . و«الودق» بمعنى «المطر» في لغة جهرم . و«بست» بمعنى «تفتت» في لغة كندة . وهلم جراً ، الامر الذي دونت لاجله كتب غريب القرآن ، وهي كثيرة . ومنها : اشارات عابرة جاءت في عرض الكلام ، بحيث يحتاج فهمها الى درس عادات ومراجعة تاريخ ، كالنسيء في سورة براءة : ٣٧ . والنهي عن اتيان البيوت من ظهورها في سورة البقرة : ١٨٩ . او تعابير اجمالية يحتاج الوقوف على تفاصيلها الى مراجعة السنة واقوال السلف ، كقوله تعالى «اقموا الصلاة» و«آتوا الزكاة» و«لله على الناس حج البيت» وامثال ذلك .

ومنها : تعابير عامة صالحة لمعاني لا يعرف المقصود منها الا بمراجعة ذوى الاختصاص ، كالداية في سورة النمل : «اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم - ٨٢» والبرهان في سورة يوسف : «لولا ان رأى برهان ربه - ٢٤» . والكوثر في «انا اعطيناك الكوثر» . والروح في «يوم يقوم الروح والملائكة - النبأ : ٣٨» وامثال ذلك .

١- راجع : ابن رشد في الكشف عن مناهج الادلة ص ٩٢-٩٣ .

ومنها : استعارات بعيدة الاغوار ، يحتاج البلوغ اليها الى سبر وتمقق كثير ، كقوله تعالى : « اولم يروا انا اتى الارض ننقصها من اطرافها - الرعد : ٤١ » وقوله : « اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ابديهم وتشهد ارجلهم - يس : ٦٥ » ونحو ذلك .

ومن ثم قال الراغب : التفسير امان يستعمل في غريب الالفاظ ، نحو البحيرة والسائبة والوصيلة . او في وجيز كلام مبين بشرح ، نحو اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واما في كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره الا بمعرفتها ، كقوله تعالى : انما النسيء زيادة في الكفر . وقوله : ليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها .<sup>١</sup> واما هذه نماذج من عوامل الابهام المحوجة الى تفسير كاشف ، وقد تبين انها تختلف تماماً عن عوامل التشابه المستدعية لتأويل مقبول . وعليه فلا يشبهه مورد احدهما بالآخر ، وان كانا يشتركان في خفاء المراد بالنظر الى ذات اللفظ .

١- قوله تعالى : « اولم يروا انا اتى الارض ننقصها من اطرافها » في قوله « انا » اي « انا الله » . وقوله « اولم يروا » اي « اولم يروا ان الله اتى الارض » . وقوله « اتى الارض » اي « اتى الارض من فوقها » . وقوله « ننقصها من اطرافها » اي « ننقصها من اطرافها » . وقوله « اولم يروا » اي « اولم يروا ان الله اتى الارض » . وقوله « اتى الارض » اي « اتى الارض من فوقها » . وقوله « ننقصها من اطرافها » اي « ننقصها من اطرافها » .

٢- قوله تعالى : « اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ابديهم وتشهد ارجلهم » في قوله « اليوم » اي « اليوم الذي نزل فيه القرآن » . وقوله « نختم على افواههم » اي « نختم على افواههم » . وقوله « تكلمنا ابديهم » اي « تكلمنا ابديهم » . وقوله « تشهد ارجلهم » اي « تشهد ارجلهم » .

١- بنقل الاتقان ج ٢ ص ١٧٣ ط ١٩٧٣ من نسخة مؤسسة الرسالة - بيروت .

؟ دلشته ن آقا رساله

# القتل والتبئما

قبالة قين...  
بالتلا...  
منه قيس... ٧٠

هين... ان آقا...  
منه...  
٧٠

\* - هل في القرآن متشابه ؟

\* - لماذا في القرآن متشابه ؟

\* - آراء ثمينة في بيان هذا السر .

هذا...  
٧٠  
٧٠  
٧٠  
٧٠



## هل فى القرآن متشابه ؟

لا شك ان القرآن كما هو مشتمل على آيات محكمات - فى اكثرية غالبية - مشتمل على آيات متشابهات - فى عدد قليل - قال تعالى: «هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب ، وأخر متشابهات - آل عمران : ٧» ونسبة عدد المتشابهات الى المحكمات نسبة هابطة جداً، فلو اعتبرنا من مجموع آى القرآن الحكيم ما يربو على ستة آلاف آية، فان المتشابهات لا تبلغ المئتين لو أخذنا بالتدقيق وحذف المكررات حسب ما يوافقك نماذج منها. وعليه فالمجال أمام مراجعة الكتاب العزيز، والارتواء من مناهله العذبة ، واسع جداً .

وقد حاول البعض انكار وجود آى متشابهة بالذات فى القرآن ، بحجة انه كتاب هداية عامة «هذا بيان للناس - آل عمران : ٧» وقد قال تعالى: «كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير - هود : ٢» . ومن ثم فالتعبير بالتشابه فى آى القرآن انما يعنى التشابه بالنسبة الى اولئك الزائغين الذين يحاولون تحريف الكلم عن مواضعه .



غير ان الانكار لا يصلح علاجاً لواقعية لامحيص عنها ، نعم لا يصطدم وجود المتشابه في القرآن مع كونه هداية عموم ، اولا : ضلالة جانب المتشابه ، بحيث كان الطريق امام المستهدين يهدى القرآن الكريم فسيحاً جداً. ثانياً : هداية الكتاب تعنى كونه المصدر الاول للتشريع وتنظيم الحياة العامة، وهذا لا يعنى امكان مراجعة الافراد - بالذات - للقرآن في جميع احكامه وتشريعاته ، اذ لمثل ذلك اختصاصيون يعرفون من الكتاب ما لاتعرفه العامة . وهم يشكلون قيادة الامة على هدى الكتاب . وبذلك اصبح القرآن مصباحاً ينير درب الحياة على ركب الانسانية بشكل عام .

اما الاحكام في سورة هود . فيعنى الاتقان والساد ، حيث القرآن ذو اساس مكين لا يتضعع ، وذو مشعل وضاء لا ينطفئ مع الأبدية ، قال تعالى : «انا نحن نزلنا الذكرواناله لحافظون - الحجر : ٩» .

وسنعرض فيما يأتى ان الآى المتشابهة متشابهة بالذات ، وانما يعرف الراسخون في العلم تأويلها الصحيح ، بفضل جهودهم وتعمقهم في أغوار هذا الدين ، ليستنبطوا من كنوزه المستورة لثالى وهاجة تبهر العقول .

\* \* \*

وحاول بعضهم فى اتجاه معاكس ، زاعماً ان جميع آى القرآن متشابهة، ومن ثم لا يجوز مسها الا بدلالة نص معصوم . وبذلك اسقط ظواهر الكتاب عن صلاحية الاستدلال بها أو الاستنباط منها لحكم شرعى . نظراً لقوله تعالى : « الله الذى نزل احسن الحديث كتاباً متشابهاً - الزمر : ٢٣ » وبما ورد : « انما يعرف القرآن من خوطب به » .<sup>١</sup>

وهذا قصور و جفاء ، حيث يقول تعالى : « افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها - محمد : ٢٤ » . وقال رسول الله - ﷺ - : « فاذا التبتست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن » كيف الرجوع الى القرآن لوضح

١- تفسير البرهان للمحدث البحرانى ج ١ ص ١٨

الملتبسات اذا كان هو ملتبساً ؟ وقد قال الامام الصادق - عليه السلام - : « ان هذا القرآن فيه منار الهدى ومصابيح الدجى ، فليجل جلال بصره ويفتح للضياء نظره ، فان التفكير حياة قلب البصير ، كما يمشى المستبصر في الظلمات بالنور » . وقد ورد - ايضاً - « ان القرآن فيه تفصيل و بيان وتحصيل » و « هو الفصل ليس بالهزل » . « ظاهره انيق وباطنه عميق » . « ظاهره حكم و باطنه علم » . على ما تقدم بيانه .

اما آية الزمر فتعني تناسق آى القرآن فى الاجادة والوفاء وقوة التعبير ، « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً - النساء : ٨٢ » .

لما ذا فى القرآن متشابه ؟

قال الامام الرازى : من الملاحظة من طعن فى القرآن ، لاجل اشتماله على المتشابهات ، اذ كيف يكون القرآن مرجع الناس فى جميع العصور ، مع وفرة دواعى الاختلاف فيه ، حيث يجد صاحب كل مذهب مأربه فى القرآن ، بسبب اختلاف آياته فى الدلالة والرد . الامر الذى لا يلىق بالحكيم تعالى ان يجعل كتابه المبين معرضاً للجدل وتضارب الآراء ، فلو كان جعله نقياً من المتشابهات المثيرة للشبهات ، كان اقرب الى حصول الغرض والمقصود من الهداية العامة .

وقد عالج ابن رشد الاندلسى - الفيلسوف العظيم - هذه الناحية بمعالجة دقيقة ، صنف فيها الناس الى ثلاثة اصناف : صنف العلماء ، وعنى بهم من فى طبقته من ارباب الحكمة العالية . وصنف الجمهور ، وهم عامة الناس ممن لم يحظوا

1 - الاحاديث مستخرجة من الكافى الشريف - الاصول - ج ٢ ص ٥٩٩ - ٦٠٠

٢ - التفسير الكبير ج ٧ ص ١٧١

بحلى العلم شيئاً . وصنف بين بين، لاهم فى مستوى العلماء ولا مع العامة . وعنى بهم ارباب المذاهب الكلامية من الاشاعرة واصحاب الاعتزال .

قال : وهذا الصنف الاخير ، هم الذين يوجد فى حقهم التشابه فى الشرع ، وهم الذين ذمهم الله تعالى . واما عند العلماء فليس فى الشرع تشابه ، لانهم يعرفون من كل آية وجه تخريجها الصحيح الذى قصده الشرع ، والجمهور لا يشعرون بالشكوك العارضة ، بعد ان كانوا اخذوا بالظواهر واستراحوا اليها من غير ترديد .

قال : ان التعليم الشرعى هو كالغذاء النافع لاكثر الابدان ، نافع للاكثر وربما ضرباً اقل ، ولهذا جاءت الاشارة بقوله تعالى : « وما يضل بها الا الفاسقين - البقرة : ٢٦ » . وهذا انما يعرض فى الاقل من الآيات لا قلة الناس ، وهى الآيات التى تضمنت الاعلام عن الاشياء المتغيبية عن الحس ، ليس لها مثال فى المحسوس ، فجاء التعبير عنها بالشاهد الذى هو اقرب الموجودات الى تلك الغائبات ، واكثرها شبيهاً بها . فربما عرض لبعض الناس ان يأخذ بالمثال ذاته لتلزمه الحيرة والشك .

وهذا هو الذى سمي فى الشرع متشابهاً . الامر الذى لا يعرض للعلماء ولا للجمهور ، لان هؤلاء هم الاصحاء الذين يلائمهم الغذاء النافع الذى يوافق ابدان الاصحاء . اما غير هذين الصنفين فمرضى ، والمرضى هم الاقل فى الناس ، ولذلك قال تعالى : « فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله - آل عمران : ٧ » . وهؤلاء هم اهل الجدل والمذاهب الكلامية .

قال : وقد سلك الشرع فى تعاليمه وبرامجه الناجحة ، مسلكاً ينتفع به الجمهور ويخضع له العلماء ، ومن ثم جاء بتعايير يفهما كل من الصنفين : الجمهور يأخذون بظاهر المثال ، فيتصورون عن الممثل له ما يشاكل الممثل به ، ويقتنعون بذلك .



والعلماء يعرفون الحقيقة التي جاءت في طي المثال .

مثلاً : لما كان ارفع الموجودات في الحس هو النور ضرب به المثال ، وبهذا النحو من التصور امكن للجمهور ان يفهموا من الموجودات فيما وراء الحس ، مما مثل لهم بامور متخيلة محسوسة . فمتى اخذ الشرع في اوصاف الله تعالى على ظاهرها ، لم تعرض للجمهور شك في ذلك . فاذا قيل : الله نور . وان له حجاباً من نور وان المؤمنين يرونه في الآخرة كالشمس في رابعة النهار . لم تعرض للجمهور شبهة في حقيقة هذه التعابير . وكذلك العلماء لا تعرض لهم شبهة في ذلك ، حيث قد تبرهن عندهم ان تلك الحالة هي مزيد علم و يقين . لكن اذا ما صرح بذلك للجمهور بطلت عندهم الشريعة كلها وربما كفروا بما صرح لهم . لان الجمهور يرون من كل موجود هو المتخيل المحسوس ، وان ما ليس بمتخيل ولا محسوس فهو عدم عندهم .

فاذا قيل : ان هناك موجوداً ليس بجسم ولا فيه شيء مما يرونه لازم الجسمية ارتفع عنهم التخيل ، وصار عندهم من قبيل المعدوم . ولا سيما اذا قيل لهم : انه لا خارج العالم ولا داخله ، ولا فوق ولا اسفل . ومن ثم لم يصرح الشرع بانه ليس بجسم ، وانما اكتفى بقوله : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير - الشورى : ١١ » . وقوله : « لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير - الانعام : ١٠٣ » .

قال : وانت اذا تأملت الشرع وجدته - مع انه قد ضرب للجمهور في هذه المعاني المثالات التي لم يمكنهم تصورها الا بذلك - قد نبه العلماء على تلك المعاني بحقائقها . فيجب ان يوقف عند حد الشرع في نهج التعليم الذي خص به صنفاً صنفاً من الناس ، وان لا يخلط التعليمان فتفسد الحكمة الشرعية النبوية . ولذلك قال عنه : « انما معشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ، وان نخاطبهم على قدر عقولهم »<sup>١</sup> .  
وقد انتهج الامام الرازي نفس المنهج ، قال : والسبب الأقوى في هذا

١- الكشف عن مناهج الادلة ، لابن رشد ص ٨٩ و ٩٦ و ٩٧ و ١٠٧ .

الباب : ان القرآن كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام جميعاً . و طبائع العوام تنبو - فى اكثر الامر - عن ادراك الحقائق، فمن سمع من العوام - فى اول الامر - اثبات موجود ليس بجسم ولا بمتحيز ولا مشاراليه ، ظن ان هذا عدم ونفى فوقع التعطيل . فكان الاصلح ان يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما يناسب مايتوهمونه ويتخيلونه ، ويكون ذلك مخلوطاً بمايدل على الحق الصريح . فالقسم الاول - وهو الذى يخاطبون به فى اول الامر - يكون من باب المتشابهات . والقسم الثانى - وهو الذى يكشف لهم فى آخر الأمر - هى المحكمات<sup>١</sup> .

\* \* \*

وهذا المنهج الذى انتهجه الفيلسوفان ، فى توجيه وجود المتشابه فى القرآن ، معالجة للقضية فى بعض جوانبها ، وهى الآيات المتشابهة المرتبطة مع مسألة المبدأ والمعاد ، وليس علاجاً حاسماً للمادة من جذورها ، اذ تبقى آيات الخلق والتقدير ، والقضاء والقدر ، والجبر والاختيار ، والعدل والعصمة ، وماشاكل ، خارجة عن اطار هذا العلاج .

اما العلاج الحاسم لمادة الاشكال فى كل جوانب المسألة ، فهو : ان وقوع التشابه فى مثل القرآن - الكتاب السماوى الخالد - شىء كان لا محيص عنه ، مادام كان يجرى فى تعابيره الرقيقة مع اساليب القوم ، فى حين سمو فحواه عن مستواهم الهابط .

القرآن جاء بمفاهيم حديثة كانت غريبة عن طبيعة المجتمع البشرى آنذاك ، ولا سيما جزيرة العرب القاحلة عن انحاء الثقافات ، فى حين التزامه - فى تعبيراته الكلامية - نفس الاساليب التى كانت دارجة ذلك العهد . الامر الذى ضاق بتلك الالفاظ ، وهى موضوعة لمعان مبتدلة وهابطة الى مستوى سحيق ، من ان تحيط

١- التفسير الكبير ج ٧ ص ١٧٢ وهو خامس وجوه ذكرها بهذا الصدد



بمفاهيم هي في درجة راقية وبعيدة الآفاق . كانت الالفاظ والكلمات - التي كانت العرب تستعملها في تعبيراتها - محدودة في نطاق ضيق حسبما كانت العرب تألفه من معان محسوسة أو قريبة من الحسن ومبتذلة الى حدما . فجاء استعمالها من قبل القرآن - الكتاب الذي جاء للبشرية على مختلف مستوياتهم مع الأبدية - غريباً عن المؤلف العام .

ومن ثم قصرت افهامهم عن ادراك حقائقها ما عدى ظواهر اللفظ والتعبير . اذ كانت الالفاظ تقصر بالذات عن اداء مفاهيم لم تكن تطابقها ، ومن ثم كان اللجوء الى صنوف المجاز وانواع الاستعارات ، أو الايفاء بالكناية و دقائق الاشارات ، الامر الذي قرب من المفاهيم القرآنية الى مستوى افهام العامة من جهة ، وبعدها من جهة اخرى ، قربها من جهة اخضاعها لقوالب لفظية كانت مألوفة لدى العرب . وبعدها حيث سمو المعنى كان يأبى الخضوع لقوالب لم تكن موضوعاً لمثله ، كما كان يأبى النزول مع المستوى الهابط مهما بولغ في اخضاعه . اذ اللفظ يقصر عن اداء مفهوم لا يكون قابلاً له ولا يتطابقه تماماً . هذا هو السبب الاقوى لوقوع التشابه في تعبيرات القرآن بالذات ، كما مر من مسألة الامر بين الامرين ، وغيرها من مسائل كلامية غامضة تبحث عن شؤون المبدأ تعالى والمعاد . ومسائل شؤون الخليفة وما انطوت عليه من اسرار وغوامض خافية على غالبية الناس .

مثلاً قوله تعالى: «واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة - البقرة: ٣٠» تعبير رمزي عن شأن الانسان - بصورة عامة - في الارض ، انه ذلك الموجود العجيب ، الذي يملك في ذاته قدرة جبارة يضيق عنها الفضاء ، وتخضع لها قوى الارض والسماء «وسخر لكم ما في السماوات وما في الارض جميعاً - الجاثية: ١٣» . كل ذلك بفضل نبوغه واستعداده الخارق الذي يمنحه القدرة على الخلق والابداع ، على اثر تفكيره وجهاده في الوصول الى درجة الكمال . وليرتبط مظهره بتعالى ، فهو الموجود النموذجي لمظهرية ذي الجلال والاکرام ، ومن ثم كان خليفته في الارض يومذاك

ليصبح خليفته فى عالم الوجود اطلاقاً .

لم تكن العرب تستطيع ادراك هكذا تصور عن الانسان ، ولا كان يخطر ببالها ان لهذا الانسان شأن فى عالم الوجود ، سوى انه الموجود الضعيف الذى تتألب عليه الضواري ، ولايقتات الاعلى لحوم بنى جلده سلباً ونهباً وارقة للدماء والفساد فى الارض .

ومن ثم لما جاء التعبير عن شأن آدم بهكذا تعبير - مماينم عن عظمة واكبار - حسبوه « المتصرف فى الارض » عن جانب الله القابح فى زاوية السماء . اوفسروه - كما فى عصر متأخر - بأنه الخلف عن مخلوق كان قبل آدم ، الجن اوالنساس . وهكذا الانجذاب بالآية يمنة ويسرة مادام لم يعرفوا من حقيقة الانسان ، ولا دركوا من شأنه الخطير .

\* \* \*

وهكذا جاء التعبير المجازى فى آيتين لانتخلفان من حيث الاداء والتعبير ، غير ان احدهما لما كانت تعبر عن معنى هو فوق مستوى العامة ، حصل فيها التشابه ، اما الاخرى فكانت تعبيراً عن معنى محسوس ومن ثم لم يقع فيها اشكال . فقوله تعالى : «الى ربها ناظرة - القيامة : ٢٣» فيها مجاز الحذف ، الى رحمة ربها . كما فى آية اخرى نظيرتها : « واسأل القرية - يوسف : ٨٢ » اى اهل القرية . غير ان الاولى صارت متشابهة ، لقصور افهام العامة عن ادراك مقام الألوهية ، فحسبوا منها جواز رؤيته تعالى . اما الآية الثانية فلم تتوقف فى فهم حقيقتها ، لانها فى معنى محسوس .

ونظير ذلك قوله تعالى : «يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود - القلم : ٤٢» دعى جهل العامة بصفاته تعالى الى فهم ساق له سبحانه ، فى حين ان استعارة الساق للشدة عند العرب كان امرأارجاً ، قال شاعرهم : وقامت الحرب على ساق<sup>١</sup>

١- البرهان للزركشى ج ٢ ص ٨٤

أى أخذت فى شدتها ، فهم عندما يستمعون الى هذا الشعر لا يترددون فى فهم الحقيقة اذ يعلمون ان لارجل للحرب ولاساق. اما فى الآية الكريمة فيذهب وهمهم الى وجود رجل له تعالى وساق ، ومن ثم ذهب بعضهم الى عقيدة التجسيم ، تعالى الله عن ذلك .

\* \* \*

وقد ذهب سيدنا الطباطبائى - دام ظله - ايضاً الى هذا الرأى ، وذكر : ان سبب وقوع التشابه فى القرآن يعود الى خضوع القرآن - فى إلقاء معارفه العالية - لالفاظ واساليب دارجة ، هى لم تكن موضوعة لسوى معانى محسوسة او قريبة منها ، ومن ثم لم تكن تفى بتمام المقصود ، فوقع التشابه فيها وخفى وجه المطلوب . نعم ، الاعلى اولئك الذين نفذت بصيرتهم وكانوا على مستوى رفيع . قال تعالى : « انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ، فاحتمل السيل زبداً رابياً - الى قوله - كذلك يضرب الله الحق والباطل . فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض ، كذلك يضرب الله الامثال - الرعد : ١٧ » وهكذا القرآن تحتمله الافهام على قدر استعداداتها ، وفيه من المتشابهات ما تزول بتعميق النظر واجادة التفكير ، فيبقى القرآن كله محكماً مع الأبد بسلام <sup>١</sup> .

وهكذا قال الشيخ محمد عبده : ان الانبياء بعثوا الى جميع اصناف الناس من دان وشريف وعالم وجاهل وذكى وبليد . وكان من المعانى ما لا يمكن التعبير عنه بعبارة يفهمها كل أحد ، ففيها من المعانى العالية والحكم الدقيقة ما يفهمه الخاصة ، ولو بطريق الكناية والتعريض ، ويؤمر العامة بتفويض الامر فيه الى الله ، والوقوف عند حد المحكم ، فيكون لكل نصيبه على قدر استعداده <sup>٢</sup> .

١- تفسير الميزان ج ٣ ص ٥٨- ٦٢ بتلخيص واختزال

٢- تفسير المنار ج ٣ ص ١٧٠ . وهو ثالث وجوه ذكرها بهذا الصدد .



وهناك عامل آخر فى ايجاد التشابه فى غالبية الآيات الكريمة، اذ لم تكن متشابهة من ذى قبل ، وانما حدث التشابه فيها على اثر ظهور مذاهب جدلية ، بعد انقضاء القرن الاول الذى مضى بسلام ، اذ كانت العرب اول عهدها بنزول القرآن تستذوقه بمذاويقها البدائية الساذجة، حلواً بديعاً سهلاً بليغاً. اما بعدما احتبكت وشائج الجدل بين ارباب المذاهب الكلامية ، منذ مطلع القرن الثانى ، فقد راج التشبث بطواهر آيات تحريفاً بمواضع الكلم، ومن ثم غمها نوع من الابهام والغموض الاصطناعيين، واخذت كل طائفة تعطف بما يروقها من آيات لغرض تأويلها الى الوجه الذى يؤيد مذهبها .

ولاريب أن القرآن حمال ذو وجوه - كما قال امير المؤمنين عليه السلام <sup>١</sup> - لانه كما ذكرنا معتمد فى اكثر تعابيره البلاغية على انواع من المجاز والاستعارة والتشبيه ، فاكسبه ذلك خاصية قبول الانعطاف فى غالبية آياته الكريمة، ومن ثم نهى الامام عليه السلام عن الاحتجاج بالقرآن تجاه اهل البدع والأهواء، لانهم يعمدون الى تأويله بلا هوادة قال عليه السلام لابن عباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج: «لانخاصمهم بالقرآن، فان القرآن حمال ذو وجوه ، تقول ويقولون . ولكن حاججهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محيصاً» .

انظر الى هذه الآية الكريمة: «وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة - القيامة: ٢٣» ربما لم تكن العرب تخطر ببالها ارادة الرؤية بالعين ، كما قال الزمخشري : سمعت مستجدية بمكة، بعدما غلق الناس ابوابهم من حر الظهيرة، تقول: عينتى نويظرة الى الله واليكم<sup>٢</sup> ولم يخلج ببال أحد انها تقصد النظر بالتحديق الى الله سبحانه ، وانما كان قصدها الانقطاع وتوقع فضله ورحمته تعالى . وهكذا فى الآية الكريمة نظراً الى موقعية

١- نهج البلاغة ج ٢ ص ١٣٦ من الكتب والوصايا رقم : ٧٠ .

٢- راجع :الكشاف ذيل الاية ، واساس البلاغة مادة نظر .

الحصر فيها. لكن الاشاعرة واذنابهم من مشبهة ومجسمة جمدوا على ظاهر الآية البدائي وأصروا على انه النظر اليه تعالى بهاتين العينين اللتين في الوجه<sup>١</sup>.

وهكذا لما سمعت العرب قوله تعالى: «ثم استوى على العرش يدبر الامر- يونس: ٣» ربما لم تفهم منه سوى استقلاله تعالى بملكوت السماوات والارض وتدبيره لشؤون هذا العالم، نظير قول شاعرهم :

ثم استوى بشر على العراق  
وقال آخر :

فلما علونا واستوينا عليهم  
تر كناهم صرعى لنسرو كاسر

لكن الاشاعرة ومن ورائهم سائر اهل التشبيه أبوا الاتفسيره بالاستقرار على العرش جلوساً متربعاً فوق السماوات العلى، وقد ينزل الى السماء الدنيا ليطلع على شؤون خلقه فيغفر لهم ويوجب دعاءهم، اذ لا يمكنه ذلك وهو متربع على كرسيه فوق السماوات<sup>٢</sup>. وعلى هذا السبيل، لما نزلت الآية: «وقالت اليهود يدالله مغلولة، غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا، بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء - المائدة: ٦٤» لانظن أن العرب فهمت منها الجوارح والاعضاء، نظير قوله تعالى: «ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط - الاسراء: ٢٩» لا يعنى الجارحة المخصوصة كما زعمته المشبهة من اصحاب الحشو، وانما عنى يد القدرة ونفى العجز عن التصرف فيما يشاء تعالى. اما الاشعري ومن حذا حذوه فانهم قد انحرفوا في فهم هذا المعنى الظاهر، فأولوه الى الجارحة، وقالوا ان الله يداً ورجلاً وعيناً ووجهاً وما الى ذلك وقوفاً مع ظاهر الكلمة في القرآن<sup>٣</sup>.

١- راجع: الابانة لابي الحسن الاشعري ص ١١ طحيدرآباد الدكن

٢- راجع: الابانة ص ٣٥ فما بعد. ورسالة الرد على الجهمية للدارمي ص ١٣

فما بعد.

٣- راجع: الابانة ص ٣٩ فما بعد. وغيرها من كتب القوم وهي كثيرة.



والشواهد على هذا التحريف بظواهر القرآن كثيرة ، سنعرض نماذج منها  
في فصل : « عرض الآى المتشابهة » . ونذكر مدى تأثير تلكم المذاهب المبتدعة في  
تشويه ظاهر القرآن الكريم ، من جراء تناول ايديهم الاثيمة نحو هذا الكتاب الالهى  
المقدس تلويثاً لجانب قداسته الناصعة ، لكن « ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره  
الكافرون - التوبة : ٣٢ » .

وسياتى هذا الجانب من البحث بتوضيح اكثر .



# حَقِيقَةُ التَّأْوِيلِ

- \*- ما بين التأويل والتفسير من فرق .
- \*- المعانى الاربعة للتأويل .
- \*- آراء غريبة فى حقيقة التأويل .

التأويل يستعمل بمعنى توجيه المتشابه ، وهو تفعيل من الأول بمعنى الرجوع لان المؤول عندما يخرج للمتشابه وجهاً معقولاً ، هو آخذ بزمام اللفظ ليعطفه الى الجهة التي يحاول التخريج اليها ، ومن ثم يستعمل فى تبرير العمل المتشابه ايضاً كما فى قصة الخضر عليه السلام قال لصاحبه : «سأنبؤك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً - الكهف ٧٨» اى سأطلعك على السر المبرر لاعمال اثاره شكوكك ودعتك الى الاعتراض . اذن فكل لفظ او عمل متشابه - اى مثير للريب - اذا كان له توجيه صحيح ، فهذا التوجيه تأويله لامحالة . وعليه فالفرق بين التفسير والتأويل ، هو : ان الاول توضيح الجانب اللفظ من ابهام ، والثانى توجيه مافيه من مثار الريب ، وقد سبق ما بين عوامل الابهام والتشابه من فرق .

هذا ، وقد اصطلمحوا - ايضاً - على استعمال التأويل فى معنى ثانوى للآية ، فيما لم تكن بحسب ذاتها ظاهرة فيه ، وانما يتوصل اليه بدليل خارج ، ومن ثم يعبر عنه بالبطن ، كما يعبر عن تفسيرها الاولى بالظهر ، فيقال : تفسير كل آية ظهرها ، وتأويلها بطنها . والتأويل بهذا المعنى الأخير ، عام لجميع آى القرآن ، كما فى الأثر : «ما فى القرآن آية الا ولها ظهر وبتن» . وقد سئل الامام محمد بن على الباقر - عليه السلام - عن ذلك فقال : « ظهره تنزيله ، وبتنه تأويله ، منه ما قد مضى ومنه



مالم يكن، يجرى كما يجرى الشمس والقمر<sup>١</sup>». وقال عليه السلام أيضاً: «ظهر القرآن الذين نزل فيهم، وبطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم<sup>٢</sup>» فقد جاء التنزيل - في كلامه عليه السلام - بمعنى التفسير ، أي ان للآية مورد نزول يكشف عن مدلولها الأولى المنصرم ، ويعبر عنه بسبب النزول ، ولا غنى للمفسر عن معرفة اسباب النزول في كشف ابهام الآية ، كما في آية النسبيء - التوبة : ٣٧ - و آية نفى الجناح عن السعى بين الصفا والمروة - البقرة : ١٥٨ - و آية النهي عن دخول البيوت من ظهورها - البقرة : ١٨٩ - ونحوها كثير .

نعم هناك عموم ثابت ابدى تنطوي عليه الآية ، وبذلك تشمل عامة المكلفين مع الأبدية ، وهو بطنها و تأويلها الذي يعرفه الراسخون في العلم ، ولولا ذلك لبطلت الآية . قال الامام الباقر - عليه السلام - : « ولو ان الآية اذا نزلت في قوم ثم مات اولئك القوم ماتت الآية ، لما بقى من القرآن شيء . ولكن القرآن يجرى اوله على آخره مادامت السماوات و الارض . ولكل قوم آية يتلونها هم منها من خير أو شر<sup>٣</sup> » وقد صح عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قال : « ان فيكم من يقاتل على تأويل القرآن ، كما قاتلت على تنزيله ، وهو على بن ابي طالب<sup>٤</sup> » فقد قاتل رسول الله - ص - على تطبيق القرآن الخاص حسب مورد نزوله ، وقاتل على - ع - على تطبيقه العام على مشابه القوم .

فقوله تعالى : « وليس البربان تأتوا البيوت من ظهورها ، ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من ابوابها ، واتقوا الله لعلكم تفلحون - البقرة : ١٨٩ » نزلت

١- بصائر الدرجات ص ١٩٥ . والبحار ج ٩٢ ص ٩٧ رقم : ٦٤ .

٢- تفسير العياشي ج ١ ص ١١ . والبحار ج ٩٢ ص ٩٤ رقم : ٤٦ .

٣- تفسير العياشي ج ١ ص ١٠ رقم : ٧ . والصابي ج ١ ص ١٤ .

٤- تفسير العياشي ج ١ ص ١٥-١٦ رقم ٦ .

رادعة لعادة جاهلية ، كان الرجل اذا احرم نقب في مؤخر بيته نقباً منه يدخل ومنه يخرج . وهذه العادة اصبحت لاجود لها بعد ان باد اهلها . غير أن الآية لم تمت بذلك وانما بقى عموم ردعها عن اتیان الامور من غير وجوها بصورة عامة <sup>١</sup> فهذا تأويلها المنطوى عليه الآية ، يعمل بهامع الأبد .

وقوله تعالى : « قل أرأيتم ان اصبح ماءؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين - الملك ٣٠ » . تفسيرها : ان الله هو الذى « انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً الوانه - الزمر : ٢١ » . وهذا معنى ظاهرى يدل عليه ظاهر اللفظ . وجاء فى تأويلها : اذا فقدتم حجة من حجج الله الذين كنتم ترتوون من عذب نميرهم ، فمن الذى يأتيكم بحجة اخرى يواصل هديكم فى ركب الحياة <sup>٢</sup> . وهذا المعنى يعبر عنه بالبطن ، لايجرأ احد على بيانه الابنص معصوم . واستعارة ينبوع الماء لمصدر الهداية الربانية شىء متناسب ، فكما ان الماء هو أصل الحياة المادية ، كذلك الهداية الالهية هى أصل الحياة العليا السعيدة .

\* \* \*

ويتلخص الكلام فى حقيقة التأويل : انه يستعمل فى موردين :  
الاول - فى توجيه المتشابه ، سواء أكان كلاماً متشابهاً ، ام عملاً مثيراً للرب  
والتأويل بهذا المعنى خاص بالآى المتشابهة فحسب .  
الثانى - فى المعنى الثانوى للكلام ، المعبر عنه بالبطن ، تجاه المعنى الاولى المعبر عنه بالظهر . والتأويل بهذا المعنى عام لجميع آى القرآن ، فان للقرآن ظهراً وبطناً ، وربما الى سبعة بطون .

وقد تبين ان التأويل - بكلا الاصطلاحين - هو من قبيل المعنى والمفهوم الخافى

١ - راجع : تفسير شبر ص ٦٧ طبعة الكشميرى .

٢ - راجع : تفسير الصافى ج ٢ ص ٧٢٧ .

عن ظاهر الكلام ، وبحاجة الى دلالة صريحة من خارج ذات اللفظ .

وقد شد ابن تيمية فيما زعم ان معرفة تأويل الشيء انما هو بمعرفة وجوده العيني قال : فان للشيء وجوداً في الأعيان ووجوداً في الأذهان ، والكلام لفظ له معنى في القلب ويكتب بالخط ، فاذا عرف الكلام وتصور معناه في القلب وعبر عنه باللسان فهذا غير الحقيقة الموجودة في الخارج ، مثال ذلك : ان اهل الكتاب يعلمون ما في كتبهم من صفة محمد ﷺ وخبره ونعته ، وهذا هو معرفة الكلام ومعناه وتفسيره . وتأويل ذلك هو نفس محمد ﷺ المبعوث ، فالمعرفة بعينه معرفة تأويل ذلك الكلام . وكذلك اذا عرف الانسان الحج والمشاعر وفهم معنى ذلك . ولا يعرف الامكنة حتى يشاهدها فتكون تأويل ما عرفه اولاً .

وهكذا ذهب سيدنا العلامة الطباطبائي - دام ظله - الى ان التأويل ليس من مداليل الالفاظ ، وانما هو عين خارجية ، وهي الواقعة التي جاء الكلام اللفظي تعبيراً عنها . قال : الحق في تفسير التأويل : انه الحقيقة الواقعة التي تستند اليها البيانات القرآنية ، من تشريع وموعظة وحكمة ، وانه موجود لجميع آي القرآن ، وليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالالفاظ ، بل هي من الامور العينية المتعالية من ان تحيط بها شبكات الالفاظ . وان وراء ما نقرؤه ونتعقله من القرآن ، أمراً هو من القرآن بمنزلة الروح من الجسد والممثل من المثل وليس من سنخ الالفاظ ولا المعاني : وهو المعبر عنه بالكتاب الحكيم ، وهذا بعينه هو التأويل ، ومن ثم لا يمس الا المطهرون ، قال تعالى : « انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون - الواقعة : ٧٩ » . وقال : « بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ - البروج : ٢٢ » . وقال : « انا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون وانه في ام الكتاب لدينا لعلى حكيم - الزخرف : ٤ » . فهذه الايات تدل على ان القرآن النازل كان عند الله أمراً اعلى واحكم من ان تناله

١- في تفسير سورة التوحيد : بنقل رشيد رضا في تفسير المنار ج ٣ ص ١٩٥



العقول او يعرضه التقطع والتفصيل ، لكنه تعالى عناية بعباده جعله كتاباً مقروءاً أو البسه لباس العربية لعلهم يعقلون ما لم يكن لهم سبيل الى تعقله ومعرفة مادام فى ام الكتاب قال تعالى: «كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير - هود : ١» فالاحكام هو كونه عند الله لائمه فيه ولا تفصيل ، والتفصيل هو جعله فصلاً فصلاً وآية آية وتنزله على النبي ﷺ .

\* \* \*

ولعل ما زعمه ابن تيمية ناجم عن خلط أمر المصداق بأمر التأويل ، اذ لم يعهد اطلاق اسم «التأويل» على الوجود العيني ، وانما يطلق عليه اسم «المصداق» حسب مصطلح الفن . فان كل لفظه لها مفهوم هو ما يتصوره الذهن من دلالة ذلك اللفظ . ولها مصداق هو ما ينطبق عليه ذلك المفهوم خارجاً ، كالتفاحة لها مفهوم هو وجودها التصورى الذهنى . ولها مصداق هو وجودها العيني الخارجى ، ذو الآثار والخواص الطبيعية ، ولم يعهد اطلاق اسم التأويل على هذا الوجود العيني للتفاحة اصلاً .

ومنشأ الاشتباه أخذ التأويل من اصل اشتقاقه اللغوى بمعنى «مآل الامر» اى مايؤول اليه امر الشيء كما فى قوله تعالى : «هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله ، يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء - الاحزاب : ٥٣» . اى ينتظر هؤلاء لينظروا الى م يؤول امر هذا الدين .. ويوشك ان يأتى اليوم الذى ينتظرونه ، غير ان الفرصة قد فاتتهم ولات الساعة ساعة مندم .

وأما تأويل الرؤيا فمأخوذ من المعنى الثانى المتقدم ، لانه معنى خفى باطن لا يعرفه سوى الذين اتوا العلم . وقد استعمل فى تعبير الرؤيا فى القرآن فى ثمانى مواضع من سورة يوسف : ١٦ و ٢١ و ٣٦ و ٣٧ و ٤٤ و ٤٥ و ١٠٠ و ١٠١ .

واستعمل بمعنى «مآل الامر» فى خمسة مواضع : سورة النساء : ٥٩ . وسورة

١- راجع : الميزان ج ٥ صفحات : ٢٥ و ٤٥ و ٤٩ و ٥٤ و ٥٥



الاسراء : ٣٥ . وسورة الاعراف : ٣٥ مكررة . وسورة يونس : ٣٩ .

وبمعنى «توجيه المتشابه» في اربعة مواضع : سورة آل عمران : ٧ مكررة .  
وسورة الكهف : ٧٨ و٨٢ . اما استعماله بمعنى «البطن» فقد جاء في الآثار - حسبما  
تقدم - وقد أخذ منه تعبير الرؤيا كما نبهنا .  
فهذه اربعة معان للتأويل استعملت في سبعة عشر موضعاً من القرآن ، ولم يكن  
واحد منها بمعنى العين الخارجية اطلاقاً .

\* \* \*

امارى سيدنا الطباطبائي فلا يعدو توجيهها لطيفا للمزعومة المتقدمة ، وتبدو  
عليه مسحة عرفانية غير مستندة ، ومن ثم فهي غريبة شذت عنه - دام ظله - وقبل ان نتكلم  
في وجه تنفيذها يجب ان نعرف ان ليس اللوح المحفوظ شيئاً ذا وجود بذاته ، كوعاء  
او لوحة او مكان خاص ، مادياً او معنوياً ، كلا ، وانما هو كناية عن علمه تعالى الازلى  
الذى لا يتغير ولا يتبدل وهو المعبر عنه بالكتاب المكنون وام الكتاب ايضاً ، وغيرهما من  
تعايير لاتمنى سوى علمه تعالى المكنون الذى لا يطلع عليه أحد اطلاقاً .  
وبعد فقوله تعالى : «وانه فى ام الكتاب لدينا لعلى حكيم - الزخرف : ٤»  
لايعنى ان للقرآن وجوداً آخر فى وعاء «ام الكتاب» ، وانما جاءت هذه الاستفادة  
الخاطئة من توهم المكان من قوله : «لدينا» . بل المقصود : ان لهذا القرآن شأناً  
عظيماً عند الله فى سابق علمه الازلى . والتعبير بام الكتاب كان بمناسبة ان علمه تعالى  
هو مصدر الكتاب وأصله المتفرع منه .

وقوله تعالى : «انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون -  
الواقعة : ٧٩» يعنى نفس هذا القرآن الذى بأيدى الناس ، فهو فى كتاب مكنون  
اى قدر له البقاء فى علمه تعالى الازلى ، وجاء هذا المعنى - صريحاً - بتعبير آخر :  
«اننا نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون - الحجر : ٩» . وقوله : «لا يمسه الا المطهرون»  
يعنى : لا يدرك كنه معناه ولا يبلغ الاهتداء به على الحقيقة ، الا الذين طهروا نفوسهم

عن الزبيغ والانحراف «ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين».  
وقوله تعالى : « بل هو قرآن مجيد - اى عظيم شأنه - فى لوح محفوظ -  
البروج : ٢٢ » اى قدر فى علمه تعالى انه يبقئ محفوظاً عن كيد الخائنين وتحريف  
المبطلين ، لايمسوه بسوء ابدأ .  
هذا . . . ولعلنا او جزنا الكلام عن آيات تمسكوا بها فى المقام ، لانا اجلنا  
البحث عن دلائلها الى مجال التفسير ان شاء الله .

\* \* \*

ثم لنفرض ان وراء هذا القرآن الذى بأيدينا قرآناً آخر ، ذا وجود مستقل  
فماهى الفائدة المتوخاة من ذلك ، وهو هناك من يعمل به؟ او انه مذخور ليوم آخر ،  
كالطعام يدخر لأيام الجذب ، او المال يكتنز ليوم الحاجة والافتقار . ! وأخيراً ، فما  
الذى دعا هؤلاء الى تسمية ذلك القرآن المذخور - فرضاً - تأويلاً ووجوداً عينياً  
لهذا القرآن الحاضر؟ وهل يصح - اذا كان للشئ وجودان ، وجود مبدول ووجود  
محموظ - ان يطلق على وجوده الآخر عنوان التأويل لهذا الوجود؟!  
ان هذا الكلام شعري ، مقترح عن ذوق عرفانى صوفى ، بعيد عن مجالات  
الجدل والاستدلال ، نعم سوى استحسان عقلاى مجرد!

# هيأة العمل القليل الأيدي

- \* - توجيه السؤال بصورة عامة .
- \* - ماذا يستفاد من الآية بصورة خاصة .
- \* - شكوك واعتراضات .
- \* - مزعومة المنكرين .
- \* - من هم الراسخون في العلم ؟

هنا سؤال ذوجانين احدهما عام : هل يستطيع احد الوقوف على تأويل المتشابهات ، بل وعلى تأويل آى القرآن كله؟. والثانى خاص : ماذا استفاد من الآية - « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم ، يقولون آمنا به كل من عند ربنا - آل عمران : ٧ » - بالذات ، هل الواو للتشريك او الاستيناف ؟

وللاجابة على الجانب الاول للسؤال نقول : لاشك ان القرآن كما هو مشتمل على آيات محكمات ، مشتمل على آيات متشابهات . ولا محالة يقصده اهل الاهواء والاطماع الفاسدة ، سعيأ وراء المتشابهات ابتغاء تأويلها وانحرافها الى ما يلبثهم واهدافهم الباطلة ، وقد جاء التصريح بذلك فى نفس الآية : « فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » فلولا وجود علماء ربانيين فى كل عصر ومصر ينفون عنه تأويل المبطلين - كما فى الحديث الشريف ' - لاصبح القرآن معرضاً خصباً للشغب والفساد فى الدين . فيجب - بقاعدة اللطف - وجود علماء عارفين بتأويل المتشابهات على وجهها الصحيح ، ليقفوا سداً منيعاً فى وجه اهل الزيغ والباطل ، دفاعاً عن الدين وعن تشويه آى الذكر الحكيم .

---

١- راجع : سفينة البحار ج ١ ص ٥٥



وايضاً - لو كانت الآى المتشابهة مما لا يعرف تأويلها الا الله ، لأصبح قسط كبير من آى القرآن لافائدة فى تنزيلها سوى ترداد قراءتها ، وقد قال رسول الله ﷺ : ويل لمن لا كها بين لحبيه ثم لم يتدبرها . وقال تعالى : « كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الباب - ص ٢٩٠ » .

ولنفرض ان الامة - عند ما وقفت على آية متشابهة - راجعت علمائها فى فهم تلك الآية ، فابدوا عاجزهم عن معرفتها ، فذهبوا والعلماء معهم الى أحد الائمة خلفاء الرسول ﷺ فكان الجواب : اختصاص علمها بالله تعالى ، لكنهم لم يقتنعوا بهذا الجواب فهبوا جميعاً الى حضرة الرسول ﷺ ضارعين سائلين : ما تفسير آية انزلها الله اليك لتدبرها؟ فاذا النبى ﷺ لا يفترق عن آحاد امته فى الجهل بكتاب الله العزيز الحميد !

او ليست الامم تسخر من أمة عمها و علمائها و ائمتها و نبيها - ! - الجهل بكتابها الذى هو أساس دينها مع الخلود ؟!

اللهم ان هذا الازعم فاسد و حط من كرامة هذه الامة المفضلة على سائر الامم بنبيها العظيم و كتابها الكريم .

او ليس النبى ﷺ هو الذى ارجع امته الى القرآن اذا ما التبست عليهم الامور كقطع الليل المظلم ، فيما ذا يرجعون اذا التبس عليهم القرآن ذاته ؟!

وأخيراً فانا لم نجد من علماء الامة - منذ العهد الاول فالى الآن - من توقف فى تفسير آية قرآنية بحجة انها من المتشابهات لا يعلم تأويلها الا الله . وهذه كتب التفسير القديمة والحديثة طافحة باقوال المفسرين فى جميع آى القرآن بصورة عامة ، سوى ان اهل الظاهر يأخذون بظاهر المتشابه ، اما اهل التمحيص والنظر فيتعمقون فيه ويستخرجون تأويله الصحيح ، حسبما يوافقه العقل والنقل الصريح .

قال الشيخ ابو على الطبرسى : « وما يؤيد هذا القول - اى ان الراسخين يعلمون

التأويل - ان الصحابة والتابعين اجمعوا على تفسير جميع آى القرآن ، ولم نرهم توقفوا على شىء منه لم يفسروه بأن قالوا : هذا متشابه لا يعلمه الا الله<sup>١</sup> .  
 وقال الامام بدر الدين الزركشى : «ان الله لم ينزل شيئاً من القرآن الا لينتفع به عباده ، وليدل به على معنى اراده . ولا يسوغ لاحد ان يقول : ان رسول الله ﷺ لم يعلم المتشابه . فاذا جاز ان يعرفه الرسول ﷺ مع قوله : «وما يعلم تأويله الا الله» جاز ان يعرفه الربانيون من صحابته ، والمفسرون من امته. الا ترى ان ابن عباس كان يقول : انامن الراسخين فى العلم .ولو لم يكن للراسخين فى العلم حظ من المتشابه الا ان يقولوا : «آمنا» لم يكن لهم فضل على الجاهل ، لان الكل قائلون ذلك . قال : ونحن لم نر المفسرين الى هذه الغاية توقفوا عن شىء من القرآن ، فقالوا : هذا متشابه لا يعلم تأويله الا الله . بل أمروه على التفسير حتى فسروا الحروف المقطعة»<sup>٢</sup> .

\* \* \*

اما بالنظر الى ذات الآية، فلعل دلالتها على التشريك واضحة : اذ من الضرورى رعاية المناسبة القريبة بين عنوان المسند اليه وفحوى مدلول المسند . وذلك فيما اذا تعنون المسند اليه بوصف خاص ، فانه يجب - حينذاك - من مراعاة ما بين هذه الصفة ، والحكم المترتب عليها من علاقة سببية او شبهها ، وهى التى لاحظها علماء الفن فيما اثر منهم : «مناسبة الحكم والموضوع» . وهذا كقولنا : «العلماء باقون مابقى الدهر» حيث كانت صفة العلم وآثاره البناءة هى التى تستدعى الخلود للعلماء.

ومن ثم قد يستشم نوعية الخير من نفس عنوان الموضوع ، قبل ان ينطق بالمخبر به ، كما فى قول الشاعر .

ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه اعز وارفع

١- مجمع البيان ج ٢ ص ٤١٠ ص ١٨

٢- البرهان فى علوم القرآن ج ٢ ص ٧٢-٧٣

فقد لمسنا عظمة المخبر به ورفعة شأنه من عنوان « سامك السماء » الذى جاء فى الموضوع .

وعليه فعنوان «الراسخون فى العلم» بنفسه يستدعى ان يكون المنسوب اليهم من جنس ما يتناسب والمعرفة الكاملة ، اما الايمان الأعمى فلان مناسبة بينه وبين الرسوخ فى العلم .

وعليه فرعاية هذه المناسبة هى التى تستدعى وجوب التشريك ، ليكون الراسخون فى العلم - ايضاً - عالمين بتأويل المتشابهات .

واعترض بأن مقتضى التشريك هو تساوى العلماء مع الله ولو فى هذه الجهة الخاصة ، وقد قال تعالى : « ليس كمثله شئ » .

واجيب بان شرف العلم هو الذى رفعهم الى هذه المنزلة المنيعة ، كما فى آية اخرى : « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط - آل عمران : ١٧ » .

واعترض آخر : ماذا تكون موقعية قوله : « يقولون آمنابه ... » اذا ما اعتبرنا «الراسخون» عطفاً على «الاله» ؟

والجواب : انها جملة حالية موضعها النصب حالاً توضيحياً من الراسخين . قال الزمخشري : «ويقولون ، كلام مستأنف موضح لحال الراسخين»<sup>١</sup> . ومقصوده من الاستيناف نفى رابطة الاسناد الخبرى بينه وبين الراسخين . وهكذا صرح ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن ص ٧٢ . و ابو البقاء العكبرى فى املاء ما من به الرحمان ج ١ ص ١٢٤ . والشريف المرتضى فى اماليه ج ١ ص ٤٣١ - ٤٤٢ المجلس : ٣٣ . والزر كشى فى البرهان ج ٢ ص ٧٣ . والعلامة الطبرسى فى مجمع البيان ج ٢ ص ٤١٠ . والشيخ محمد عبده فى تفسير المنارج ص ١٦٧ . وغيرهم من اقطاب العلم والادب

١- الكشاف ج ١ ص ٣٣٨ ط بيروت



وللاية نظائر كثيرة فى القرآن وفى الشعر القديم ، جاء فى سورة الحشر - فى بيان مصرف الغنائم - . قوله تعالى : ما افاء الله على رسوله . . . الى قوله : للفقراء المهاجرين . . . الى قوله : والذين تبؤوا الدار والايمان . . . الى قوله : والذين جاءوا من بعدهم ، يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان . . . ٧٠ - ١٠ . فجملة « يقولون . . . » كلام مستأنف حال من « والذين جاؤوا . . . » المعطوف على ما قبله ، للتشريك معهم فى استحقاق غنائم دار الحرب .

وكذلك قوله تعالى : « وجاء ربك والملك صفاً صفاً - الفجر : ٢٢ . فالمنصوب حال من « الملك » المعطوف على « ربك » .

وقال يزيد بن المفرغ الحميرى - يهجو عباد بن زياد - :

أصرمت جبلك فى أمانة      من بعد أيام برامة  
فالريح تبكى شجوها      والبرق يلمع فى غمامة<sup>١</sup>

قوله « والبرق » عطف على « فالريح » للتشريك معه فى البكاء . و« يلمع » حال من المعطوف . اى ويبكى البرق - ايضاً - فى حال كونه لامعاً .  
اذن فلا غرو ان تكون « يقولون آمنابه . . . » جملة حالية موضحة لحال الراسخين وسندكر فائدة هذه الحال هنا .

واعترض ثالث - هو اقوى حجة اعتمدها الامام الرازى - قال : « ان الله مدح الراسخين فى العلم بأنهم يقولون : آمنابه . وقال فى اول سورة البقرة : « فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم - ٢٦ . فهؤلاء الراسخون لو كانوا عالمين بتأويل

١- الاغانى لامى الفرج ج ١٧ ص ١١٢ ط بيروت وص ٥٥ ط الساسى . وابن خلكان

ج ٦ ص ٣٤٦ رقم : ٨٢١ . وغرد الفوائد للشريف المرتضى ج ١ ص ٤٤٠



ذلك المتشابه على التفصيل ، لما كان لهم في الايمان به مدح ، لان كل من عرف شيئاً على سبيل التفصيل ، فانه لا بد ان يؤمن به ، انما الراسخون في العلم هم الذين علموا بالدلائل القطعية ان الله تعالى عالم بالمعلومات التي لانهاية لها ، وعلموا ان القرآن كلام الله تعالى ، وعلموا انه لا يتكلم بالباطل والعبث . فاذا سمعوا آية ودلت الدلائل القطعية على انه لا يجوز ان يكون ظاهرها مراداً لله تعالى ، بل مراده منه غير ذلك الظاهر ، ثم فوضوا تعيين ذلك المراد الى علمه ، وقطعوا بأن ذلك المعنى - أى شىء كان - فهو الحق والصواب . فهؤلاء هم الراسخون في العلم بالله ، حيث لم يزعزعهم قطعهم بترك الظاهر ، ولا علمهم بالمراد على التعيين ، عن الايمان بالله والجزم بصحة القرآن»<sup>١</sup> .

قلت : ليس كل من عرف الحق اعترف به واذن له ، قال تعالى : «يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون - النحل : ٨٣» . هذا ، والمدح على الايمان عن بصيرة اولى من المدح على ايمان اعمى . قال الامام البيضاوى : «مدح الراسخين في العلم بجودة الذهن وحسن النظر ، واشارة الى ما استعدوا للابهتاء الى تأويله ، وهو تجرد العقل عن غواشى الحس»<sup>٢</sup> .

والتقييد بالجملة الحالية - هنا - جاء للاشارة الى نكتة دقيقة ، هى : ان المتشابه متشابه على كل من العالم والجاهل جميعاً ، سوى ان العالم بفضل علمه بمقام حكمته تعالى ، يجعل من المتشابه موضع تأمله ودقيق نظره ، وبذلك يتوصل الى معرفة تأويله الصحيح فى نهاية المطاف .

توضيح ذلك : ان الناس تجاه المتشابه ثلاث فرق . فرقة تستريح الى ظاهره ، وهم غالبية العامة ممن لا معرفة له باصول معارف الاسلام الجليلة . وفرقة تعتمد الى

١ - التفسير الكبير ج ٧ ص ١٧٧

٢ - انوار التنزيل ج ٢ ص ٥

المتشابه عن قصد التمويه ، لغرض تأويله الى اهداف باطلة ، ذريعة الى تشويه الحقيقة ، وهم اهل الزيغ والانحراف ممن يبغى الفساد بين العباد . وفرقة ثالثة - هم الراسخون في العلم المؤمنون حقاً - يقفون عند المتشابه يتأملونه بدقيق النظر ، ولسان حالهم : ان هذا المتشابه - كأخيه المحكم - صادر عن مقام الحكمة تعالى ، وتقديس ، فلا بد ان وراء ظاهره المتشابه حقيقة راهنة تكون هي المقصودة بالذات . وهذه الفكرة عن المتشابه هي التي تدعو المؤمنين حقاً الراسخين في العلم الى البحث والتحقيق عن تخريجه الصحيح .

والباحث الصادق - امام المتشابه - لا يضطرب اضطراب الجاهل الذي وضع ايمانه على حرف «فان اصابه خير اطمأن به ، وان اصابته فتنة انقلب على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة - الحجج : ١١» . ولا يتروغ مراوغة المعاند الغاشم ، ليجعل من المتشابه ذريعة للعبث والفساد في الارض «اما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله - آل عمران : ٧» . وانما يقف عنده وقفة المتأمل الفاحص عن جلي الأمر . ولا شك انه سوف يحتضن مطلوبه بفضل استقامته وثباته على ايمانه الصادق . وقد جرت سنة الله في خلقه : ان من جد وجد ومن ليج وليج . قال تعالى : «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين - العنكبوت : ٦٩» .

والخلاصة : ان الراسخين في العلم ، بفضل ثباتهم على العقيدة الصادقة ، سوف يهتدون الى معرفة تأويل المتشابه كما اراده الله . ويكون قولهم : «آمنا به كل من عند ربنا» تمهيداً لطلب الحقيقة ، ونقطة باعثة الى البحث عن طرق التحقيق والفحص .

وهكذا قال الشيخ محمد عبده : واما دلالة قولهم : «آمنا به كل من عند ربنا» على التسليم المحض ، فهو لا ينافي العلم ، فانهم انما سلموا بالمتشابه في ظاهره

او بالنسبة الى غيرهم ، لعلمهم باتفاقه مع المحكم ، فهم لرسوخهم فى العلم ووقوفهم على حق اليقين ، لا يضطربون ولا يتزعزعون ، بل يؤمنون بهذا وبذلك على حد سواء ، لان كلا منهما من عند الله ربنا . ولاغرو ، فالجاهل فى اضطراب دائم والراسخ فى ثبات لازم . ومن اطلع على ينبوع الحقيقة لا تشبهه عليه المجارى ، فهو يعرف الحق بذاته ، ويرجع كل قول اليه ، قائلاً : آمننا به كل من عند ربنا <sup>١</sup> .

بقى هنا شىء : وهو ان الامام الرازى - تأكيداً لاختياره الاختصاص - استمد بالادب الرفيع ! وقال : ان العطف بعيد عن ذوق الفصاحة ، ولو اريد العطف لكان الاولى ان يقال : وهم يقولون آمنابه ، او يقال : ويقولون آمنابه <sup>٢</sup> .  
ووافق على هذا الذوق الأدبى ! سيدنا العلامة الطباطبائى ، قائلاً : وظاهر الحصر كون العلم بالتأويل مقصوراً عليه تعالى . وظاهر الكلام ان الواو فى «الراسخون...» للاستيناف ، لكونه طرفاً للترديد الواقع فى صدر الآية « فاما الذين . . . » . ولو كان للعطف الدال على التشريك ، لكان من افضل الراسخين - حينذاك - هو الرسول الاعظم ، فكان من حقه ان يفرد بالذكر ، تشرifaً بمقامه كما فى قوله تعالى : « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون - البقرة : ٢٨٥ » . وقوله : « ثم انزل سكينته على رسوله وعلى المؤمنين - براءة : ٢٦ » . وقوله : « وهذا النبى والذين آمنوا - آل عمران : ٦٨ » .

قلت : ان كنا نرى لهذين العلمين منزلتهما الشامخة فى مجال الحكمة والعلوم العقلية ، فان ذلك - بنفس المرتبة - ابعدهما عن عالم الأدب اللسنى والعلوم النقلية . لاسيما وانهما لم يذكر ا سبب تلك الاستدافة الغربية ! وقد أسلفنا نقل كلام ائمة

١ - تفسير المنار ج ٣ ص ١٦٧

٢ - التفسير الكبير ج ٧ ص ١٧٧



الادب في ترجيح العطف على الاستيناف<sup>١</sup>. هذا ، وقد ذهب عن الامام الرازي ان الجملة الحالية اذا صدرت بالفعل المضارع يجب تجريدتها عن الواو البتة ، قال ابن مالك في باب الحال من الفيته في النحو :

وذات بدء بمضارع ثبت حوت ضميراً ومن الواو اخلت

كما ذهب عن سيدنا الطباطبائي ان في القرآن كثيراً من عمومات تشمل النبي الاكرم ﷺ يقيناً ولم يفرد بالذكر ، منها قوله تعالى : «شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط - آل عمران : ١٨» . وقوله : «ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة - فصلت : ٣٠» . وقوله : «ان الله يدافع عن الذين آمنوا - الحجج : ٣٨» . وقوله : «انما يخشى الله من عباده العلماء - فاطر : ٢٨» وغيرهن من آيات كثيرة جداً .

### مزعومة المنكرين

نسب جلال الدين السيوطي القول باختصاص معرفة التأويل به تعالى ، الى اكثرية السلف خصوصاً اهل السنة ، قال : « واما الاكثرون من الصحابة والتابعين واتباعهم ومن بعدهم ، خصوصاً اهل السنة ، فذهبوا الى الثاني ، اي القول بأن التأويل لا يعلمه الا الله»<sup>٢</sup> .

واظنه مبالغاً في هذه النسبة ، ولا سيما بعد مراجعتنا لاقوال السلف اتضح عدم صحة النسبة . قال ابن تيمية : «قول القائل : ان اكثر السلف على ان التأويل لا يعلمه الا الله ، قول بلا علم<sup>٣</sup> . فانه لم يثبت عن احد من الصحابة انه قال : ان الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه . بل الثابت عن الصحابة ان المتشابه يعلمه الراسخون ...» .

١- تقدم في صفحة : ٣٩

٢- الاتقان ج ٢ ص ٣ ط ١ . وص ٥ - ٦ ط ٢ .

٣- ويل لمن كفره نمرود



وقال - قبل ذلك - : «ان السلف قد قال كثير منهم: انهم يعلمون تأويله ، منهم مجاهد مع جلاله قدره ، والربيع بن انس ، ومحمد بن جعفر بن الزبير ، وابن عباس ... وقد تكلم احمد بن حنبل في تأويل كثير من آيات متشابهة ... الى ان يقول : وهذا القول اختيار كثير من اهل السنة ، منهم ابن قتيبة وابو سليمان الدمشقي ... »<sup>١</sup> .

وقال ابو جعفر الطبرى : «ان جميع ما انزل الله من آى القرآن على رسوله ﷺ فانما انزله عليه بياناً له ولأمته وهدى للعالمين ، وغير جائز ان يكون فيه ما لا حاجة بهم اليه ، ولا ان يكون فيه ما بهم اليه الحاجة ثم لا يكون لهم الى علم تأويله سبيل»<sup>٢</sup> .

وقال مجاهد : «عرضت المصحف على ابن عباس من اوله الى آخره ، أفقه عند كل آية واسأله عنها . وكان يقول : انامن الراسخين فى العلم الذين يعلمون تأويله»<sup>٣</sup> .

وقال الراغب - فى مقدمة تفسيره - : «وذهب عامة المتكلمين الى ان كل القرآن يجب ان يكون معلوماً ، والا لأدى الى ابطال فائدة الانتفاع به ، وحملوا قوله : والراسخون ، بالعطف على قوله : الا الله . وقوله : يقولون ، جملة حالية<sup>٤</sup> . وذهب ابو الحسن الاشعري - شيخ الاشاعرة - الى وجوب الوقف على «الراسخون فى العلم» لانهم يعلمون تأويل المتشابه . وقد اوضح هذا الرأى وانتصر له ابو اسحاق الشيرازى بقوله : «ليس شىء استأثر الله بعلمه ، بل وقف العلماء عليه ، لان الله تعالى أورد هذا مدحاً للعلماء ، فلو كانوا لا يعرفون معناه لشاركوا العامة»<sup>٥</sup> .

١- بنقل تفسير المنار ج ٣ ص ١٧٥-١٧٤

٢- جامع البيان للطبرى ج ٣ ص ١١٦

٣- تفسير المنار ج ٣ ص ١٨٢

٤- البرهان للزركشى ج ٢ ص ٧٤

٥- المباحث لصبحى الصالح ص ٢٨٢

وفيما نقلنا - هنا - من اقوال الأعلام كفاية في تزييف مانسبه جلال الدين الى السلف . ولعل الباحث يجد من اقوال الائمة اكثر .

والعمدة : ان منكرى العطف استندوا الى مزعومة مفضوحة ، قالوا : لان المتشابه هو مالم يكن لأحد الى علمه سبيل ، مما استأثر الله بعلمه دون خلقه ، وذلك نحو الخبر عن وقت مخرج عيسى بن مريم ووقت طلوع الشمس من مغربها وقيام الساعة وفناء الدنيا وما شبه ذلك ، فان ذلك لا يعلمه أحد<sup>١</sup> وقالوا في تفسير الآية : يعنى جل ثناؤه بذلك ، وما يعلم وقت قيام الساعة وانقضاء مدة اجل محمد وامته وما هو كائن ، الا الله ، دون من سواه من البشر ، الذين أملوا ادراك علم ذلك من قبل الحساب والتنجيم والكهانة . واما الراسخون في العلم فيقولون آمننا به كل من عند ربنا لا يعلمون ذلك ، ولكن فضل علمهم في ذلك على غيرهم العلم بأن الله هو العالم بذلك دون من سواه من خلقه<sup>٢</sup> .

ولعل هؤلاء قد غشيتهم غفلة ، فذهب عنهم أن آية آل عمران تقصد تنويع آى القرآن الى محكمات ومتشابهات ، وان المحكمات هن مراجع الأمة بالذات ، اما الآيات المتشابهات فيعمد الى تأويلها الباطل اهل الاهواء الفاسدة ولا يعلم تأويلها الصحيح سوى الله والراسخين في العلم . هذا هو فحوى الآية الكريمة ، الامر الذى لا يرتبط والامور السبعة التى استأثر الله بعلمها من نحو خروج السدجال ونزول المسيح وطلوع الشمس من المغرب . انها من اشراط الساعة ، ولا مساس لها بموضوع آية آل عمران . انها غفلة غريبة لاندرى كيف خفى عليهم ذلك ولم يتنبهوا الى هذا الفضح الواضح ! ؟

١- راجع : جامع البيان للطبرى ج ٣ ص ١١٦

٢- المصدر ص ١٢٢ . ومجمع البيان ج ٢ ص ٤١٠ . والبيضاوى ج ٢ ص ٥ .

## من هم الراسخون في العلم ؟

الراسخون في العلم هم من لمسوا من المتشابه وجه التشابه فيه اولاً ، ثم تمكنوا من الوصول الى وجه تخريجه الصحيح في نهاية الامر . لان فهم السؤال نصف الجواب كما قيل .

اذ الراسخون في العلم هم من عرفوا من قواعد الدين اسسها المكيبة، ودرسوا من واقع الشريعة اصول مبانيها الرصينة ، ومن ثم اذا ما جوبهوا بما يخالفها في ظاهر اللفظ ، عرفوا ان له تأويلاً صحيحاً ، يجب التوصل اليه في ضوء تلك المعارف الاولى ، ومن جد في طلب شيء ، وكان من اهله ، تحصله في نهاية الطاف . اما الجاهل الاعمى فلا يعرف من الدين شيئاً سوى ظواهره ، من غير ان يميز بين محكماته والمتشابهات .

والخلاصة : ان العلماء الصادقين ، بما انهم واقفون على قواعد الشريعة ، وعارفون بموازين الشرع ومقاييسه الدقيقة ، اذا ما عرضت عليهم متشابكات الامور هم قادرون على استنباط حقائقها وعلى اوجه تخريجاتها الصحيحة .

ومن ثم فانهم يعملون تأويل المتشابهات بفضل رسوخهم في فهم حقيقة الدين بعناية رب العالمين ، « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - العنكبوت : ٦٩ » . « ويزيد الله الذين اهتدوا هدى - مريم : ٧٦ » . « الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة - فصلت : ٣٠ » . وقد قال تعالى : « وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً - الجن : ١٦ » . اوليس العلم بحقائق الشريعة البيضاء من الماء الغدق ؟ انها شربة حياة العلم ، يفيضها الاله تعالى على من يشاء من عباده المؤمنين ، ويطلعهم على اسرار الملك والملكوت في العالمين .

و اول الراسخين في العلم هو رسول الله ﷺ . قال الامام محمد بن علي الباقر



عليه السلام: افضل الراسخين في العلم رسول الله ﷺ قد علم جميع ما انزل الله في القرآن من التنزيل والتأويل ، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله<sup>١</sup> ثم باب مدينة علمه امير المؤمنين عليه السلام - والاصيلاء من بعده - صلوات الله عليهم اجمعين - قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : ان الله علم نبيه التنزيل والتأويل ، فعلم رسول الله ﷺ علماً علياً عليه السلام وعلماً ، والله<sup>٢</sup> .

وهكذا استمر بين اظهر المسلمين - عبر العصور - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فثبتوا واستقاموا على الطريقة فسقاهم ربهم ماء غدقاً . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : يحمل هذا الدين في كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين<sup>٣</sup> .

وقد جاء التعبير عن علماء اهل الكتاب الربانيين بالراسخين في العلم «لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك - النساء : ١٦٢» دليلاً على ان العلماء العاملين ، الذين ساروا على منهج الدين القويم ، وكملت معرفتهم بحقايق الشريعة الطاهرة ، هم راسخون في العلم ، ويعلمون التأويل . قال الامام الصادق عليه السلام : نحن الراسخون في العلم ، فنحن نعلم تأويله<sup>٤</sup> . وعن ابن عباس - تلميذ الامام امير المؤمنين عليه السلام : ان امن يعلم تأويله<sup>٥</sup> . وفي وصية النبي ﷺ : «فما اشبه عليكم فاسألوا عنه اهل العلم يخبرونكم»<sup>٦</sup> . فلولا ان في امته علماء عارفين

١- بحار الانوار ج ٩٢ ص ٧٨

٢- مرآة الانوار ص ١٥

٣- سفينة البحار ج ١ ص ٥٥

٤- تفسير البرهان للبحراني ج ١ ص ٢٧١

٥- الدر المنثور للسيوطي ج ٢ ص ٧

٦- آلاء الرحمان للبلاغي ج ١ ص ٢٥٨

بتأويل المتشابهات. لما وصى ﷺ بمراجعتهم في حل متشابكات الأمور. «الحمد لله  
الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله» ' وصلى الله على محمد وآله  
الطاهرين .





تعرفه اجمالية الى :

# مذاهب سلفية

او جدت التشابه في وجوه الايات

رأينا من الأفضل - قبل عرض المتشابهات - ان نتعرف  
الى شىء من مذاهب سلفية كانت السبب الاول فى نشوء  
التشابه فى وجه كثير من آيات القرآن الحكيم . وكان اسبقهم  
الى ذلك «الصفاتية» ، ثم انحدرت عنها «الأشعرية» و«المشبهة»  
و «الكرامية» ، كما تشعبت منها «الحشوية» و «الجبرية»  
و«القدرية» . وكانت مذاهب اهل العدل : «العدلية» - فى  
حقيقتها - انتفاضة حقيقية وعقلانية فى وجه السلفيين الظاهريين  
المتزمتين ، واليك :

## تمهيد

تقدم ان غالبية مانعبره اليوم متشابهاً من آى القرآن ، قدحصل التشابه فيها فى عصر متأخر عن زمن نزولها ، يوم راجت البحوث الجدلية حول مسائل كلامية<sup>١</sup> عن ذاته المقدسة وصفاته الجمال والجلال<sup>٢</sup> .

كان اكثر السلف - ممن لاعهدلهم بالعلوم العقلية ، ولاوقفوا على كنه حقائق

---

١- يطلق «علم الكلام» على جملة مسائل خلافية تبحث عن الوجود وعن شؤون الواجب تعالى ، تشعباً من فلسفة اليونان ، وتطبيقاً مع العقيدة الاسلامية بالذات ، مزيداً عليها مسائل النبوة والامامة والمعاد .

٢- تطلق «صفات الجمال» على «الصفات الثبوتية» التى ينعت بهاذاته المقدسة ، ولايجوز اخلاؤه تعالى عنها ولااتصافه باضدادها ، كالحى والقادر والعالم . وتطلق «صفات الجلال» على «الصفات السلبية» التى يتنزه ذاته المقدسة عن الاتصاف بها ، كالحدوث والجسمية والرؤية ونحوها .



الاسلام ، والتي كانت دقيقة للغاية ، ماعدا ظواهر الفاظ كانوا يلوكونها من غير تعميق ، وبالتالي لم تكن لهم تلك المعرفة الدقيقة بشؤون الواجب تعالى وتفصيل صفاته الثبوتية والسلبية . ولا تميز صفات الذات عن صفات الفعل<sup>١</sup> وما الى ذلك . كانوا اذا ما وجدوا من نعوته تعالى مذكورة في الكتاب اوفى اقوال الرسول ﷺ اخذوا بظواهرها مستر يحين بأنفسهم الى ما يفهمون منها حسب ما اوتوا من افهام ساذجة بدائية ، لا يزيدون شيئاً ولا ينقصون .

لا شك انها كانت طريقة الوقف والاحتياط في الدين ، بالنسبة الى من لم يرتفع مستواه عن مستوى العامة بشيء . وبذلك قد سلموا عن كثير من شبهات اعترضت طرق الخلف ، ممن ولجوا في مسائل عقلية غامضة ، وكان قد اهوزتهم الوسيلة النافذة ، التي كانت تؤهلهم لسبر تلكم الأغوار .

هذا ابوهريرة سئل عن المبدع الاول كيف وجد ؟ فلم يحر جواباً وجعل يضطرب من مفاجئة هكذا سؤال . قال : واني لجالس ذات يوم ، اذ قال رجل من اهل العراق : يا ابا هريرة هذا «الله» خلقنا ، فمن خلق الله تبارك وتعالى ؟ قال ابوهريرة : فوضعت اصبعي في اذني وصرخت : صدق الله ورسوله ، الله الواحد الأحد الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً احد<sup>٢</sup> . اذ مسألة « وجود الواجب بالذات »<sup>٣</sup>

١- صفات الذات : صفات ثابتة قديمة لا يجوز اخلاء الذات عنها ابداً ، كالعالم والحي والقادر . وصفات الفعل ما يجوز اخلاء الذات عنها فيما لم تتعلق ارادته تعالى بالايجاد ، كالمخالق والرازق والمحيي والمميت .

٢- راجع : رسالة «الرد على الجهمية» لعثمان بن سعيد الدارمي ص ٧

٣- ينقسم الموجود الى «موجود بالذات» و«موجود بالغير» ، ونعني بالثاني ما يستمد في وجوده من خارج ذاته ، اي يوجد غير غيره . وكل «ما بالغير» لابد ان ينتهي الى «ما بالذات» لامحالة ، وهو منتهى سلسلة الموجودات . ومن ثم فالبارئ تعالى هو مبدأ هذه السلسلة ، فهو «موجود بالذات» لم يستمد في وجوده من خارج ذاته ، والالم تنته السلسلة . ويطلق عليه تعالى ←

لم تكن مما يدركها امثال ابى هريرة ذلك العهد .

وقال ابو بكر: أى ارض تقلنى وأى سماء تظلنى اذا قلت فى كلام الله ما لا اعلم .  
وسئل عبدة السلماني عن شىء من تفسير القرآن ، فقال : اتق الله وعليك بالسداد .  
وجاء رجل الى مالك بن انس - امام المالكية - فقال : يا ابا عبد الله ، «الرحمان  
على العرش استوى» كيف استوى؟ فوجد مالك من مقالته ، وعلته الرخصاء ، واطرق برأسه .  
وبعد ان سرى عنه قال : الكيف غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول ، والايان  
به واجب ، والسؤال عنه بدعة . وانى لأخاف ان تكون ضالا ، ثم أمر بالرجل  
فأخرج من المسجد <sup>٢</sup> .

وفى رواية : وزاد : من عاد الى هذا السؤال عنه اضرب عنقه .

وسئل الاوزاعى عن تفسير هذه الآية ، فقال : الرحمان على العرش استوى ،  
كما قال هزوجل ، وانى لارك ضالا .

وسئل ابن راهويه عن الاستواء : أقائم هوام قاعد؟ فقال : لا يمل عن القيام  
حتى يقعد ، ولا يمل عن القعود حتى يقوم ، وانت الى غير هذا السؤال احوج <sup>٣</sup> .

تلك كانت طريقة السلف ممن كانت تعوزهم كفاءة التجوال فى ميادين البحوث  
النظرية العريضة ، وبذلك سموا : «الصفاتية» اى الذين اخذوا بظواهر الصفات وان لم  
يدركوا حقائقها . وتشعبت منهم «المشبهة» الذين اخذوا من ظاهر الصفات دليلا على

→ «واجب الوجود» ، كما يطلق على غيره - من سائر الموجودات جميعاً - : «ممكن الوجود» .

فوجوده تعالى وجود كامل غنى بذاته لذاته ، وغيره محتاج فقير ، ومستمد منه تعالى وتقلس .

١- نفس المصدر السابق ص ٥

٢- نفس المصدر ص ٢٧ . يقال : وجد على كذا اى غضب . والرخضاء - بضم الراء

وفتح الحاء - عرق الحمى يتصبب من جبين المحموم .

٣- البرهان للزركشى ج ١ ص ٧٨

اثبات مفاهيمها المعهودة عندهم لذاته تعالى ، تشبيها بغيره من المخلوقين . ومنهم :  
 «الكرامية» اصحاب ابي عبدالله محمد بن كرام<sup>١</sup> كانوا ممن يثبتون الصفات الا انهم  
 انتهوا فيها الى التجسيم والتشبيه . اما «الاشعرية» فكانت امتداداً للصفاتية على ما سنذكر .  
 واما «المعتزلة» فكانوا انتفاضة في وجه السلف الصفاتيين ، على يد واصل بن عطاء  
 وعمر بن عبيد تلميذ الحسن البصرى ، جرى بين واصل واستاذه نقاش في مسألة  
 مرتكب الكبائر هل هو مؤمن ام هو خارج عن الايمان ، فقال واصل : لا مؤمن ولا  
 كافر ، والتزم بالمنزلة بين المنزلتين ، فطرده الحسن ، فاعتزله واصل الى ناحية  
 المسجد ، وانضم اليه عمرو .

### الصفاتية

كان اكثرية السلف يثبتون لله صفات ازلية من العلم والقدرة والحياة والارادة  
 والسمع والبصر والكلام والوجود والانعام والجلال والاکرام ، ولا يفرقون بين صفات  
 الذات وصفات الفعل ، بل يسوقون الكلام سوفاً واحداً . كما كانوا يثبتون مثل  
 اليد والرجل والوجه والعين والنزول والصعود والرؤية ، ويسمونها «صفات خبرية»  
 اى انها صفات وردت في الشريعة وجاء بها الخبر الصحيح . كانوا يعترفون بها  
 وان لم يدركوا من حقيقتها شيئاً ، وكانوا لا يشبهون ذاته المقدسة بصفات المخلوقين  
 اذ ليس كمثل شيء ، ولا كانوا يؤولونها . قالوا : عرّفنا بمقتضى العقل ان الله  
 تعالى ليس كمثل شيء ، فلا يشبه شيئاً من المخلوقات ، ولا يشبهه شيء منها ، وقطعنا  
 بذلك ، الا اننا لانعرف معنى اللفظ الوارد فيه ، مثل قوله تعالى : «الرحمان على  
 العرش استوى - طه : ٥» . ومثل قوله : «خلقت بيدي - ص : ٧٥» . ومثل قوله :

١- سنجد في آخر الكتاب فصلا عن ترجمة من يأتي ذكره في هذا الحقل من اصحاب  
 الاراء الكلامية واضرابهم ، فلانشوش على القارىء ذهنه بمراجعة عدة تراجم ربما في ذيل



«وجاء ربك - الفجر: ٢٢». الى غير ذلك . قالوا : ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها . بل التكليف قدورد بالاعتقاد بانه لاشريك له وليس كمثلته شىء، وذلك قد اثبتناه يقيناً<sup>١</sup> .

من هؤلاء : مالك بن انس ، واحمد بن حنبل ، وسفيان بن سعيد الثورى ، وداود بن على الاصفهاني ، ومحمد بن ادريس الشافعى ، وشريك بن عبدالله ، وابن ابى ليلى ، ومقاتل بن سليمان ، ومن تابعهم من اصحاب الحديث ، وسموا «الحشوية» ايضاً لانهم كانوا يحشون ملاء كتبهم بما عثروا عليه من احاديث غثه وسمينة ولا مبالاة<sup>٢</sup> . حتى انتهى الزمان الى عبدالله بن سعيد الكلابى وابى العباس القلانسى والحارث ابن اسد المحاسبى . وهؤلاء كانوا من جملة السلف ، الا أنهم باشروا علم الكلام ، وايدوا عقائد السلف بحجج كلامية ، وبراهين اصولية . وصنف بعضهم ودرس بعض ، حتى جرى بين ابى الحسن الأشعري وبين استاذه ابى على الجبائى مناظرة فى مسألة «الصلاح والاصحح<sup>٣</sup>» فتخاصما، وانحاز الأشعري الى هذه الطائفة (الصفاتية من السلف) فأيد مقالاتهم بمناهج كلامية ، وصار ذلك مذهباً لاهل السنة والجماعة وانتقلت سمة «الصفاتية» الى «الأشعرية»<sup>٤</sup> .

١- الملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ٩٢

٢- راجع: الملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ٩٣ و ١٠٤ . والمقالات والفرق لسعد

ابن عبدالله الأشعري ص ٦.

٣- تقول المعتزلة : ان الله لا يفعل الا ما فيه مصلحة، ولا يكلف الا بما فيه مصلحة، ولا يختار

الاما هو الاصلح ، وذلك بمقتضى حكمته تعالى ، وانكرت الاشاعرة ذلك ، قالوا : ان الله يفعل ما يشاء ويختار ما يريد .

٤- الملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ٩٣

## الحشوية

قال ابن المرتضى : «والحشوية لامذهب لهم منفرد ، واجمعوا على الجبر والتشبيه ، وجسموا وصوروا وقالوا بالاعضاء والجوارح للرب تعالى ، وقالوا بقدم القرآن . قال الحاكم : ومنهم احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وداود بن محمد الكرابيسي . ومن متأخريهم : محمد بن اسحاق بن خزيمة صنف كتاباً في اعضاء الرب تعالى عن ذلك <sup>١</sup> .

وقال الجرجاني : «وسميت الحشوية حشوية لانهم يحشون الاحاديث التي لاصل لها في الاحاديث المروية عن رسول الله ﷺ ، قال : وجميع الحشوية يقولون بالجبر والتشبيه ، وتوصيفه تعالى بالنفس واليد والسمع والبصر . وقالوا : ان كل حديث يأتي به الثقة من العلماء فهو حجة اياً كانت الواسطة <sup>٢</sup> .

وهذا الاسم يطلق - كما قدمنا - على جماعة السلفيين ، ممن أخذوا بظواهر الفاظ الشريعة ، فلزمهم القول بالجبر والتشبيه واثبات الجوارح والاعضاء لله ، مما هو لازم الجسمية ، تعالى الله عن ذلك . وتمسكوا في ذلك بظواهر آيات وروايات رووها عن السلف ، حسبما يبدو لك فيما ناقش الاشعري ومن هذا حذوه ، في القول بالجهة والجوارح والقول بالمعاني والاحوال الزائدة على ذاته تعالى وتقدس .

ووهم فريد وجدى فيما زعم : ان الحشوية فرقة من المعتزلة تمسكوا بظواهر القرآن ووقعوا في التجسيم ، قال : وهم منسوبون الى الحشو اى رذال الناس <sup>٣</sup> . ولعله يقصد بهم اصحاب الحديث من اصحاب الاشعري ، كانوا على مذهب الاعتزال ، فانحازوا الى الانتصار لمذهب السلف الصفتيين . وقد ذكر «الصفدي» : «ان الغالب في

١- الملل والنحل لابن المرتضى اليمنى ص ١١ - ١٢

٢- التعريفات للجرجاني ص ٣٤١ والحوالين ص ٢٠٤ . ومعرفة المذاهب ص ١٥ .

٣- دائرة معارف القرن العشرين ج ٣ ص ٤٤٧ : مادة «حشو» .

الحنفية معتزلة ، والغالب في الشافعية اشاعرة ، والغالب في المالكية قدرية (لعله يعنى جبرية) والغالب في الحنابلة حشوية<sup>١</sup> .

### الاشعرية

اصحاب ابى الحسن على بن اسماعيل الاشعري<sup>٢</sup> نسبة الى جده الثامن عبدالله ابن قيس ابى موسى الاشعري<sup>٣</sup> صاحب عمرو بن العاص في قضية التحكيم. كان ابو الحسن في بدء امره معتزلاً ، وكان يتلمذ على امام المعتزلة في عصره ابى على محمد بن عبدالوهاب الجبائي<sup>٤</sup> فخالفه في مناظرة وقعت بينه وبين استاذه<sup>٥</sup> .

وفي نهاية المناظرة قال الجبائي للاشعري : انك مجنون ، فقال لا ، بل وقف حمار الشيخ في العقبة . فرجع الاشعري عن عقيدة الاعتزال<sup>٦</sup> وقام في نصرة «الصفاتية»

---

١- الغيث المنسجم للصفدي ج ٢ ص ٤٧ . وراجع : ضحى الاسلام لاحمد امين ج ٣ ص ٧١ . ومن اشهر كتبهم كتاب التوحيد والصفات لابن خزيمة ، طبع ١٣٨٧ هـ .  
٢- توفي سنة ٣٢٤ هـ . ومن اشهر كتبه «مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين» و«الابانة عن اصول الدين» .

٣- هلك سنة ٤٤ ، كان في وقعة الجمل والياً على الكوفة ، امره امير المؤمنين -ع- عليها . فارسل امير المؤمنين يدعو اهل الكوفة لينصروه ، لكن اباموسى الاشعري أمرهم بالعودة فغزله امير المؤمنين ، وكان منعزلاً حتى ايام التحكيم بصفين فخذعه عمرو بن العاص . فارتد ابوموسى الى الكوفة ومات بها .

٤- توفي سنة ٣٠٣ هـ . له في مذهب الاعتزال مقالات مشهورة .

٥- المناظرة نقلها ابن خلكان في ترجمة الجبائي برقم : ٦٠٧ ج ٤ ص ٢٦٧-٢٦٨ .

٦- قال ابن الجوزي في المنتظم ص ٧١ : «ان الاشعري ظل على مذهب المعتزلة

زماناً طويلاً (اربعين سنة) ثم تركه واتى بمقالة خطب بها عقائد الناس» . راجع : هامش الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٧٨ .



وتاب من القول بالعدل وخلق القرآن ، فى المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة ، ورقى كرسياً ونادى باعلا صوته : من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فانا عرفه بنفسى ، انا فلان بن فلان ، كنت اقول بخلق القرآن ، وان الله لا تراه الابصار ، وان افعال الشر انا افعلها ، وانا تائب مقلع ، معتقد للرد على المعتزلة ، مخرج لفضائحهم ومعائبهم<sup>١</sup> .

واصبح ابو الحسن الاشعري - بعد ذلك - شيخ اهل السنة والجماعة<sup>٢</sup> وأخذ مذهبه ينتشر فى الناس انتشاراً بطيئاً حتى اوائل القرن الخامس ، حيث تدخلت الحكومة تدخلاً رسمياً لفض المنازعات المذهبية ، ففى عام ٤٠٨ هـ اصدر الخليفة القادر بالله العباسى كتاباً ضد المعتزلة ، فأمرهم بترك الكلام والتدريس والمناظرة فى الاعتزال ، و انذرهم - ان خالفوا امره - بحلول النكاح والعقوبة . وانتهج السلطان محمود فى غزوة نهج الخليفة فى بغداد ، فى صلب المخالفين و نفيهم و حبسهم ، وامر بلعنهم على المنابر . قال ابن جوزى : « و صار ذلك سنة فى الاسلام<sup>٣</sup> » .

---

١- راجع: ابن خلكان برقم: ٤٢٩ ج ٣ ص ٢٨٥ . وقد خص الاشعري من كتابه «مقالات الاسلاميين» فصلاً مشعباً بعرض آراء المعتزلة .

٢- هذه السمة وسمه بها ارباب التراجم واصحاب الحديث من الحشوية ، لاسيما ابن تيمية الحرانى فى كتابيه : المنهاج والموافقة . وتقدم عن الشهرستانى فى الملل والنحل ج ١ ص ٩٣ .

٣- المنتظم لابن جوزى ص ١٦٥ ب . قلت : ولعل التنكيل بامثال هؤلاء كانت سنة قبل ذلك . فهذا عثمان بن سعيد الدارمى يتهج بمقتل الجعد بن درهم على يد خالد بن عبد الله القسرى . قال خطب خالد بوسط يوم الاضحى (عام ١١٨) فقال : ايها الناس ، ارجعوا فضحوا تقبل الله منا ومنكم ، فانى مضح بالجعد بن درهم ، انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً ، وتعالى عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً . ثم نزل فذبحه . ←

و صدر فى بغداد كتاب آخرسمى « الاعتقاد القادرى » ، و ذلك فى ١٧  
 المحرم سنة ٤٠٩ هـ و قرىء فى الدواوين ، و كتب الفقهاء فيه : « ان هذا اعتقاد المسلمين  
 و من خالفه فقد فسق و كفر » جاء فى الكتاب : « و هو القادر بقدرته ، و العالم بعلم ازالى غير  
 مستفاد ، و هو السميع بسمع و المبصر ببصر ، متكلم بكلام ، لا يوصف الابما و صف  
 بها نبيه - ص - ، و كل صفة و وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله فهى صفة حقيقية  
 لامجازية ، و ان كلام الله غير مخلوق ، تكلم به تكليماً ، فهو غير مخلوق بكل حال ، متلواً  
 و محفوظاً و مكتوباً و مسموعاً ، و من قال : انه مخلوق على حال من الأحوال فهو كافر ،  
 حلال الدم بعد الاستتابة منه ... »<sup>١</sup> .

وبهذه المهزلة الحمقانية انتهت سيطرة العقل على اصول العقائد ، ليخلفها  
 تقليد مبتذل اعمى ، فلم يعد لبرهان التحقيق و النظر فى اصول العقيدة الاسلامية  
 مجال ، و اصبح الدين فى اعرق اسسه فاقداً لبرهان العقل . هكذا اطاحوا بمعالم

→ انظر : « الرد على الجهمية » للدارمى ص ٤ . و الجعد هذا كان معتزلياً ، و هو اول من  
 قاله بخلق القرآن ، و نفى الصفات عن الذات ، و كان يقول بالقدر . نعم كانت له مخاريق  
 فرجع عنها ، منها : انه جبل فى قارورة تراباً و ماء فاستحال دوداً و هوام ، فقال : اتاخلفت هذا  
 لانى كنت سبب كونه . فبلغ ذلك الامام جعفر بن محمد الصادق - ع - فقال : فليقل : كم  
 هو ، و كم الذكران منه و الاناث ، ان كان خلقه . و ليأمر الذى يسمى الى هذا ان يرجع الى  
 غيره . فبلغه ذلك فرجع . لسان الميزان لابن حجر ج ٢ ص ١٠٥ . و الكامل لابن الاثير ج ٤  
 ص ٣٣٢ - بيروت . و الاعلام للزركلى ج ٢ ص ١١٤ و الملل و النحل ج ١ ص ٨٦ ، و البداية و النهاية  
 لابن كثير ج ٩ ص ٣٥٠ .

١- المتنظم ص ١٩٥ ب- ١٩٦ أ . و الحضارة الاسلامية لادم متزج ١ ص ١٨١ - ٣٨٢  
 و البداية و النهاية لابن كثير ج ١٢ ص ٦- ٧ . و هامش تاريخ ابن الاثير ج ٧ ص ٢٩٩ - ٢٣٠  
 طبعة دار الكتاب العربى - بيروت .

الاسلام وشوهوا من سمعته المجيدة ، الى مظاهر شكلية جوفاء<sup>١</sup> .  
واليك من آراء الأشعري ما صريح لفظه :

\* \* \*

قال ابو الحسن الأشعري : « قولنا الذى نقول به وديانتنا التى ندين بها :  
التمسك بكتاب ربنا وبسنة نبينا -ص- وماروى عن الصحابة والتابعين وائمة الحديث ،  
وبما يقول به احمد بن محمد بن حنبل قائلون ، ولما خالف قوله مخالفون... »  
« وان الله مستو على عرشه ، كما قال : الرحمان على العرش استوى . وان  
له وجهها ، كما قال : ويبقى وجه ربك . وان له يدين بلا كيف ، كما قال : خلقت  
بيدى . وقال : بل يدها مبسوطتان . و ان له عينين بلا كيف ، كما قال : تجرى  
بأعيننا . وان لله علماً ، كما قال : انزله بعلمه . ونثبت له السمع والبصر ، ولانفى  
ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج . ونثبت ان لله قوة ، كما قال : هو  
اشد منهم قوة . ونقول : ان كلام الله غير مخلوق . و ان احداً لا يستطيع ان يفعل  
شيئاً قبل ان يفعله الله . وانه لاخالق الاالله . وان اعمال العبد مخلوقة لله مقدرة ، كما  
قال : خلقكم وما تعملون » .

« وان الله وفق المؤمنين لطاعته ولطف بهم ونظر اليهم واصلحهم وهداهم .  
واضل الكافرين ولم يهدهم ولم يلطف بهم بالآيات ، كما زعم اهل الزيغ والطغيان .  
ولو لطف بهم واصلحهم لكانوا صالحين ، ولو هداهم لكانوا مهتدين . وان الله يقدر  
ان يصلح الكافرين حتى يكونوا مؤمنين ، ولكنه اراد ان يكونوا كافرين كما علم ،  
ونخذلهم وطبع على قلوبهم » .

---

١- قال الدكتور احمد امين : « وفى رأى ، لوسادت تعاليم المعتزلة الى اليوم ،  
لكان للمسلمين موقف آخر فى التاريخ غير موقفهم الحالى ، وقد اعجزهم التسليم ، وشلهم  
الجبر ، وقعد بهم التواكل » معرضاً بمذهب الأشعري السائد على عامة المسلمين منذ العهد  
القادرى حتى اليوم . راجع : ضحى الاسلام ج ٣ ص ٧٠



« ونقول : ان كلام الله غير مخلوق ، وان من قال بخلق القرآن فهو كافر .  
و ندين بأن الله تعالى يرى فى الآخره بالابصار كما يرى القمر ليلة البدر ، يراه  
المؤمنون كما جاءت الروايات عن الرسول - ص - و ان الكافرين محجوبون  
عنه ، كما قال : كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . و ان موسى سأل ربه  
الرؤية فى الدنيا ، و ان الله تجلى للجبل فجعله دكاً ، فعلم بذلك موسى انه لا  
يراه فى الدنيا» .

« و ندين الله عز وجل بانه يقلب القلوب بين اصبعين من اصابعه ، وانه عز  
وجل يضع السماوات على اصبع والارضين على اصبع ، كما جاءت الرواية عن  
رسول الله - ص - » .

« و نصدق بجميع الروايات التى يشتهها اهل النقل من النزول الى السماء  
الدنيا ، و ان الرب عز وجل يقول : هل من سائل ، هل من مستغفر ، و سائر ما نقلوه  
و اثبتوه ، خلافاً لما قال اهل الزيغ والتضليل » .

« ونقول : ان الله عز وجل يجيء يوم القيامة ، كما قال : وجاء ربك  
والملك صفاً صفاً . و ان الله يقرب من عباده كيف شاء ، كما قال : و نحن اقرب  
اليه من حبل الوريد . و قال : ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو ادنى » .  
وقال : « البارئ تعالى عالم بعلم ، قادر بقدره ، حى بحياة ، مرید بارادة ،  
متكلم بكلام ، سميع بسمع ، بصير ببصر . قال : وهذه الصفات ازلية قائمة بذاته  
تعالى ، لا يقال : هى هو ، ولا : هى غيره ، ولا : لاهو ، ولا : لا غيره » .

قال : « و ارادته تعالى واحدة قديمة ازلية ، متعلقة بجميع المرادات من  
افعاله الخاصة و افعال عباده ، من حيث انها مخلوقة له ، لا من حيث انها مكتسبة

---

١- نقلنا هذه النصوص بألفاظها عن كتابه : «الابانة» ط ٢ حيدرآباد ص ٥ - ٩ . وقد

ذكرها بين القاطها ايضاً فى كتابه : «مقالات الاسلاميين» ج ١ ص ٣٢٠ - ٣٢٥ عند حكاية  
جملة قول اصحاب الحديث و اهل السنة ، فراجع .

لهم . قال : اراد الجميع ، خيرها وشرها ، ونفعها وضررها . وكما اراد و علم ، اراد من العباد ما علم ، و امر القلم حتى كتب فى اللوح المحفوظ . فذلك حكمه وقضاؤه و قدره الذى لا يتغير ولا يتبدل . وخلاف المعلوم مقدور الجنس ، محال الوقوع ' ،  
 وسند كراستدلالاته على هذه العقائد عند ما تعرض الايات .

### المشبهة

حكى الاشعري عن محمد بن عيسى انه حكى عن مضر ، وكهمس ، واحمد الهجيمى : انهم اجازوا على ربهم الملاسة والمصافحة ، وان المسلمين المخلصين يعا نقونه فى الدنيا والاخرة ، اذا بلغوا فى الرياضة والاجتهاد الى حد الاخلاص والاتحاد المحض .

وحكى الكعبى عن بعضهم : انه كان يجوز الرؤية فى دار الدنيا ، وان يزوروه و يزورهم . وحكى عن داود الجواربى انه قال : « اعفونى عن الفرج واللحية واسألونى عما وراء ذلك » وقال : « ان معبوده جسم ولحم و دم ، و له جوارح واعضاء ، من يد ورجل و رأس ولسان وعينين و اذنين ، ومع ذلك جسم لا كالأجسام ، ولحم لا كاللحوم ، و دم لا كالدماء ، وكذلك سائر الصفات وهو لا يشبه شيئاً من المخلوقات ، ولا يشبهه شيء » . وحكى عنه انه قال : « هو اجوف من اعلاه الى صدره ، مصمت ماسوى ذلك ، وان له وفرة (الشعر المتدلى على الأذنين) سوداء ، وله شعر ققط » .

وما ورد فى التنزيل من « الاستواء » و « الوجه » و « اليدين » و « الجنب » و « المجيء » و « الاتيان » و « الفوقية » وغير ذلك ، فقد اجرها على ما يفهم من ظاهرها عند الاطلاق على الاجسام .

وكذلك ماورد في الاخبار من الصورة وغيرها، في قوله -ص- « خلق الله آدم على صورته » . و قوله : « حتى يضع الجبار قدمه في النار » . وقوله : « قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمان » . و قوله : « خمر طينة آدم بيده اربعين صباحاً » . وقوله : « وضع يده أو كفه على كتفى حتى وجدت برد انامله » . الى غير ذلك ، اجرؤها على مايتعارف في صفات الاجسام .

وروا عن النبي - ص - « ان الله تعالى اشتكى عينيه فعادته الملائكة » . و « بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه » . و « ان العرش ليثبط من تحته كأطيوط الرحل الحديد » . و « انه يفضل من كل جانب اربع اصابع » .

وروا عن النبي -ص- انه قال : «لقيني ربي فصا فحني وكافحني ووضع يده بين كتفي حتى وجدت برد انامله » .

ومن المشبهة من مال الى مذهب الحلول الصوفي ، قالوا : يجوز ان يظهر الباري تعالى بصورة شخص - كما كان جبرئيل ينزل في صورة دحية الكلبي - وقد تمثل تعالى لمريم في صورة بشر سوى . وعليه حملوا قوله -ص- : « رأيت ربي في احسن صورة »<sup>١</sup> .

### الكرامية

اصحاب محمد بن كرام ، كان من سجستان ثم خرج الى نيسابور، وادعى مخاريق زعمها ظواهر الشرع ، وكانت دعوته ذات صبغة سلفية ، فنصره السلطان محمود بن سبكتكين ، فصب البلاء على اصحاب الاعتزال والشيعة بالخصوص . قال الشهرستاني : « ونبغ رجل متمس بالزهد<sup>٢</sup> من سجستان ، يقال له : ابو عبد الله

١- الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٠٥-١٠٦-١٠٨

٢- التمس : التستر بالشيء



محمد بن كرام ، قليل العلم ، قد قمش<sup>١</sup> من كل مذهب ضعفاً ، و اثبتته فى كتابه ،  
و روجه على اغتنام<sup>٢</sup> غرجة و غور و سواد بلاد خراسان ، فانتظم ناموسه ، و صار  
ذلك مذهباً<sup>٣</sup> .

قال : « و انما عدد ناه من « الصفاتية » لانه كان ممن يثبت الصفات ، الا انه  
ينتهى فيها الى التجسيم و التشبيه - قال : وهم طوائف بلغ عددهم الى اثنى عشرة  
فرقة » .

« نص ابو عبدالله محمد بن كرام ، على ان معبوده استقر على العرش  
استقراراً ، و انه بجهة فوق ذاتاً ، و اطلق عليه اسم « الجواهر » . و انه مماس للعرش  
من الصفحة العليا . و جوز الانتقال و التحول و النزول . و اطلق بعضهم عليه تعالى  
لفظ « الجسم » ، و المقاربون منهم قالوا : نعى بكونه جسماً انه قائم بذاته » .  
« و مما اجمعت عليه طوائف الكرامية من اثبات الصفات ، قولهم : البارى  
تعالى عالم بعلم ، قادر بقدره ، حى بحياة ، شاء بمشيئة ، و جميع هذه الصفات  
قديمة ازلية قائمة بذاته تعالى » . و ربما زادوا « السمع و البصر » كما اثبتته الاشعري .  
و ربما زادوا « اليدى » و « الوجه » : صفات قديمة ، قائمة بذاته تعالى . و قالوا :  
« له يد لا كاليدى ، و وجه لا كالوجه » . و اثبتوا جواز رؤيته من جهة فوق دون  
سائر الجهات<sup>٤</sup> .

---

١- اى أخذ من كل مذهب رذالته

٢- اى الهمج الرعاع

٣- يقال : ان اتباعه فى خراسان وحدها بلغوا اكثر من عشرين الفا ، و كان له مثل ذلك فى

ارض فلسطين ، راجع : الملل و النحل للشهرستانى ج ١ ص ٣١ و ١٠٨ .

٤- الملل و النحل ج ١ ص ١٠٨-١٠٩-١١٢

## الجبرية

هم القائلون بعدم قدرة العباد على فعل ما يريدون وترك ما يكرهون، الا ان يشاء الله ذلك «هو خالق كل شيء» ويضيفون القدرة على احداث افعال العباد، الى الله سبحانه فكل عمل خير او شر اذا فعله العبد فانما هو من فعله تعالى حقيقة، وان العبد تجاه ما يفعله او يتركه مسلوب الاختيار، كآلة في يد الفاعل الحقيقي، وهو الله، قال تعالى: «خلقكم وما تعملون».

والجبرية صنفان: جبرية صريحة، وهي التي لا تثبت للعبد قدرة على عمل اطلاقاً، فتحريك اليد للاخذ والاعطاء، وحركتها الارتعاشية عندهم سواء. ونسب هذا الرأي الى «الجهم بن صفوان»، قال: «الانسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة. وانما هو مجبور في افعاله، لا قدرة له ولا ارادة ولا اختيار، وانما يخلق الله تعالى الافعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وانما تنسب اليه الافعال مجازاً كما تنسب الى الجمادات، فيقال: اثمرت الشجرة، وطلعت الشمس، وتغيمت السماء، واهتزت الارض. قال: والثواب والعقاب - ايضاً - جبر «لا يسأل عما يفعله» كما ان التكليف كان جبراً، فالمؤمن انما يؤمن لاعن اختياره، والكافر انما يكفر لاعن اختياره. قال تعالى: «ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس». ونحن نشك في هذه النسبة التي جاءت من قبل خصوم كانوا لا يتورعون الكذب والافتراء في سبيل تفريق شمل المسلمين.

الثانية: جبرية ملتوية، وهي التي اثبتت لقدرة العبد اثرأ ما في الفعل على جهة الكسب لا الابداء، لان الموجد لافعال العباد كلها هو الله تعالى، فقالوا: العبد مكتسب لفعله، وليس بقادر على ايجاده، وهذا القول منسوب الى «النجارية» اصحاب «الحسين بن محمد النجار» المعتزلى. نسب اليه انه قال: «الله خالق اعمال

١ - الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٨٦ - ٨٧. والفرق بين الفرق لابن طاهر ص ١٢٨

العباد ، خيرها وشرها ، حسنها وقيبحها ، والعبد مكتسب لها» . قال الشهرستاني :  
«اثبت النجار للقدرة الحادثة - اى قدرة العبد ، تجاه قدرة الله القديمة - تأثيراً . وسمى  
ذلك كسباً ، على حسب ما يشتهه الاشعري ١» .

وهذا هو مذهب الاشعري بالذات ، اثبت للعبد اكتساباً تجاه من اثبت له الاختيار  
والقدرة المستقلة . ولم يفصح عن مذهبه هذا ما يكون حداً فاصلاً بين الجبر والاختيار ،  
ومن ثم حار اتباعه فى تفسير «الكسب» بوجه مقنع . وقد وجه القاضى عبد الجبار  
سؤاله الى القائلين بالكسب : «عقلونا معنى الكسب وخبرونا عنه . فان اشتغلوا  
بالتحديد ، قلنا : الشيء يعقل اولاً ثم يحد . ثم يقال لهم : وما هو الذى حددتم به  
الكسب ؟ فان قالوا : ما وقع بقدرة محدثة ، قلنا : ماتعون بقولكم : ما وقع بقدرة  
محدثة ؟ فان اردتم به ما حدث ، فهو الذى نقوله ، وان اردتم به ما وقع كسباً ، فعن  
الكسب سألناكم ، فكيف تفسرونه بنفسه ، وهل هذا الا احالة بالمجهول على  
المجهول؟» ٢ .

قال سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى - بصدد توضيح الكسب- : «فان قيل :  
لامعنى لكون العبد فاعلاً بالاختيار ، الا كونه موجوداً لأفعاله بالقصد والارادة ، وقد  
سبق ان الله تعالى مستقل بخلق الافعال وايجادها . ومعلوم ان المقدور الواحد لا يدخل  
تحت قدرتين مستقلتين . قلنا : لا كلام فى قوة هذا الكلام ومثانته ، الا انه لما ثبت  
بالبرهان ان الخالق هو الله تعالى ، وبالضرورة ان لقدرة العبد و ارادته مدخلا فى  
بعض الافعال كحركة البطش ، دون البعض كحركة الارتعاش ، احتجنا فى النفسى  
عن هذا المضيق الى القول بأن الله خالق ، والعبد كاسب . وتحقيقه : ان صرف العبد  
قدرته و ارادته الى الفعل كسب ، وايجاد الله تعالى الفعل عقيب ذلك خلق ، والمقدور  
الواحد داخل تحت قدرتين ، لكن بجهتين مختلفتين ، فالفعل مقدور الله تعالى بجهة

١- الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٨٩

٢- شرح الاصول الخمسة للقاضى ص ٣٦٦- ٣٦٧



الايجاد ، ومقدور العبد بجهة الكسب ، وهذا القدر من المعنى ضرورى ، وان لم  
نقدر على ازيد من ذلك فى تلخيص العبارة المفصحة عن تحقيق كون فعل العبد  
بخلق الله وايجاده ، مع ما للعبد فيه من القدرة والاختيار<sup>١</sup> .

انظر الى هذا التلوى فى التخريج ، فى حين ان مذهبهم فى الاستطاعة صراحة  
فى الجبر ، وان الله تعالى مستقل فى ارادته فى ايجاد افعال العباد ، ولم يبينوا ما اذا  
كان الله مستقلا فى ايجاد افعال العباد ، فما موضع تأثير قدرة العبد و ارادته الخاصة؟  
هذا شىء اعجزهم عن الاجابة الوافية ، وجعلهم فى مأزق مظلم لا يدرون اين وجه  
المخرج .

واليك من عبارات « الاشعري » الصريحة فى الجبر وسلب قدرة العبد على  
الاختيار .

قال : « وان الاشياء تكون بمشيئة الله عزوجل ، وان احداً لا يستطيع ان يفعل  
شيئاً قبل ان يفعله الله ، ولا يستغنى عن الله ، ولا يقدر على الخروج من علم الله عزوجل ،  
وان لخالق الاله ، وان اعمال العباد مخلوقة لله مقدره ، كما قال تعالى : « خلقكم  
وماتعملون » .

قال : « وان الله وفق المؤمنين لطاعته ولطف بهم ونظر اليهم واصلحهم وهداهم  
واضل الكافرين ولم يهدهم ولم يلفظ بهم بالآيات - كما زعم اهل الزيغ والطفيان -  
ولو لطف بهم واصلحهم لكانوا صالحين ، ولو هدامهم لكانوا مهتدين . وان الله  
يقدر ان يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ، ولكنه اراد ان يكونوا  
كافرين كما علم ، وخذلهم وطبع على قلوبهم »<sup>٢</sup> .

وقال - فى المقالات - : « وقالوا - اى اهل السنة - : انه لا يكون فى الارض من

١- شرح العقائد النسفية للتفتازانى ص ٦٥ - ٦٦ طبعة كابل - افغانستان .

٢- الابانة ص ٦-٧

خير او شر الاما شاء الله. وان الاشياء تكون بمشيئة الله ، كما قال عز وجل : وما تشاؤون الا ان يشاء الله . وكما قال المسلمون : ما شاء الله كان ، وما لا يشاء لا يكون . وقالوا : ان احداً لا يستطيع ان يفعل شيئاً قبل ان يفعله - اى الله - او يكون احد يقدر ان يخرج عن علم الله ، او ان يفعل شيئاً علم الله انه لا يفعله .  
الى ان يقول : «ولكنه اراد ان يكونوا - اى الكافرون - كافرين كما علم ، وخذلهم واطلهم وطبع على قلوبهم»<sup>١</sup>

\* \* \*

تلك مقالة الاشعري الصريحة فى الجبر ، يرى من علمه تعالى بوقوع الاشياء سبباً حتمياً للوقوع ، ويكون العبد مرغماً فى فعل ما علم الله انه يفعله . وزاد : ان العبد لا قدرة له على فعل ، الا اذا كان الله قد اراد ذلك الفعل ، فالعبد فى افعاله تابع لارادة الله ومشيئته الخاصة ، وما تشاؤون الا ان يشاء الله .

وهكذا زعم ان الكافر مجبر على الكفر ، لا يستطيع الاقلاع عنه ، قال - فى مسألة «الاستطاعة» - : « ويقال لهم - اى للقدرية ، ويريد بهم المعتزلة - : أليست استطاعة الايمان نعمة من الله وفضلاً واحساناً ؟ فاذا قالوا : نعم ، قيل لهم : فما انكرتم ان يكون توفيقاً وتسديداً ، فلا بد من الاجابة الى ذلك ، يقال لهم : فاذا كان الكافرون قادرين على الايمان ، فما انكرتم ان يكونوا موقنين للايمان ، ولو كانوا موقنين مسددين لكانوا ممدوحين ، واذا لم يجز ذلك لم يجز ان يكونوا على الايمان قادرين ووجب ان يكون الله - عز وجل - اختص بالقدرة على الايمان المؤمنين » .

وقال - فى نهاية المسألة - : « وان سألوا عن قول الله عز وجل «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون» . فالجواب عن ذلك : ان الله عز وجل انما عنى المؤمنين ، دون الكافرين ، لانه اخبرانه ذراً لجهنم كثيراً من خلقه ، فالذين خلقهم لجهنم واحصاهم

١- مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٣٢٠ - ٣٢١ .

وعدهم ، وكتب باسمائهم واسماء آبائهم وامهاتهم ، غير الذين خلقهم لعبادته<sup>١</sup> وبمثل ذلك قال فى مسألة «الهداية والضلال» وغيرها من مسائل تكشف عن جزمه بمسألة الجبر فى التكليف والايمان والكفر ، وسلب قدرة العباد عما قدر الله لهم فى الأزل ، ثم يذكر روايات فى القدر يعتمدونها فى تشييد مذهبه فى نفى الاستطاعة<sup>٢</sup> .

\* \* \*

وقد زعم بعضهم ان عويصة «مسألة الكسب» لا يمكن حلها الا بالكشف الصوفى ، اما فى ضوء برهان العقل فانها تبقى غامضة ابدأ .

قال الشعرانى : اعلم يا أخى ان هذه المسألة من ادق مسائل الاصول واغمضاها ، ولا يزيل اشكالها الا الكشف الصوفى ، اما ارباب العقول من الفرق فهم تائهون فى ادراكها ، وآراؤهم فيها مضطربة . اذ كان ابو الحسن الاشعري يقول : ليس للقدرة الحادثة (يعنى قدرة العبد) أثر ، وانما تعلقها بالمقدور مثل تعلق العلم بالمعلوم فى عدم التأثير .

وقد اعترض عليه بأن القدرة الحادثة اذا لم يكن لها اثر فوجودها وعدمها سواء . فان قدرة لا يقع بها المقدور بمثابة العجز . ولقوة هذا الاعتراض لجأ بعض اصحاب الاشعري الى القول بالجبر ، ومال آخرون الى ان لها تأثيراً ما ، وهو اختيار الباقلانى ، لكنه لما سئل عن كيفية هذا التأثير ، فى حين التزامه باستقلال القدرة القديمة فى خلق الافعال ، لم يحر جواباً ، وقال : انا نلتزم بالكسب لانه ثابت بالدليل ، غير انى لا يمكننى الافصاح عنه بعبارة . وتمثل الشيخ ابو طاهر بقول الشاعر :

اذا لم يكن الا الأ سنة مركباً      فلا رأى للمضطر الا ركوبها

١- الابانة ص ٥٧-٥٩ . وراجع ص ٦٢ و ٦٥ و ٦٧ فما بعد .

٢- المصدر ص ٧٠-٧٤



قال الشعراني : وملخص الامر : ان من زعم ان لا عمل للعبد فقد عاند ،  
ومن زعم انه مستبد بالعمل فقد اشرك ، فلا بد انه مضطر على الاختيار .

اما الكشف الصوفي فقد جاء في كلام الشيخ محيي الدين ابن العربي - في  
الفتوحات المكية باب ٢٢ - : ان صورة مسألة خلق الافعال صورة «لا» من حروف  
الهجاء ، فان الراءى لا يدري اى الفخذين هو اللام حتى يكون الآخر هو الألف ،  
ومن ثم يسمى هذا الحرف حرف الالتباس . وهكذا لم يتخلص الفعل الظاهر على  
يد المخلوق لمن هو ؟ ولكن ان قلت : هو الله ، صدقت . وان قلت للمخلوق مع  
الله ، صدقت . ولو لا ذلك لما صح التكليف ولا اضافة العمل اليه بنحو قوله :  
« اعملوا » .

وقال - في باب ٤٢٢ - : انما اضاف تعالى الاعمال الينا ، لاننا محل الثواب  
والعقاب ، وهى لله حقيقة . ولكن لما شهدنا الاعمال بارزة على ايدينا وادعيناها لنا ،  
اضافها تعالى الينا بحسب دعوانا ، ابتلاء منه لأجل الدعوى . ثم اذا كشف الله  
تعالى عن بصرتنا ، رأينا الافعال كلها لله تعالى ، ولم نر الاحسناً ، فهو تعالى فاعل  
فيما ما نحن العاملون . ثم مع هذا المشهد العظيم لا بد من القيام بالأدب ، فما كان  
من حسن - شرعاً - اصفناه اليه تعالى خلقاً ، والينا محلاً . وما كان من سييء  
اضفناه الينا باضافة الله تعالى ، فنكون حاكين قول الله عز وجل ، وحينئذ يراى الله وجهه  
الحكمة فى ذلك المسمى سواء أفرأه حسناً من حيث الحكمة ، فيبدل الله سيئاتنا حسنات ،  
تبديل حكم لا تبدل عين .<sup>١</sup>

قلت : لا محيص عن رجوع مسألة الكسب - بهذا التفسير - الى الجبر  
المخالص ، وليس الا فراراً من المطر الى الميزاب .

١- اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الاكابر ، للعارف الشيخ عبدالوهاب الشعراني

ج ١ ص ١٣٩-١٤١ ، المبحث ٢٤ .

## القدرية

هذا الاسم اطلقته المعتزلة على الاشاعرة ، باعتبار قولها بالقدر ، وان الله تعالى هو الذى قدر الشر والكفر ، وان افعال العباد خارجة عن استطاعتهم فى الاختيار ، بل هى مقدرة بقدر الله وقضائه فى علمه الازلى القديم ، حسبما تقدم فى كلام الاشعري .

وحاول الاشعري رد هذا الاسم على المعتزلة ، بحجة قولهم بقدره العبد على فعله واستطاعته فيما يختار . قال : « وزعمت القدرية - يريد بهم اصحاب الاعتزال - انا نستحق اسم القدر ، لانا نقول : ان الله عزوجل قدر الشر والكفر ، فمن يثبت القدر كان قدرياً ، دون من لم يثبته . يقال لهم : القدرى هو من يثبت القدر لنفسه ، دون ربه عزوجل ، وانه يقدر افعاله دون خالقه . وكذلك هو فى اللغة ، لان الصائغ هو من زعم انه يصوغ ، دون من يقول : انه يصاغ له . فلما كنتم - خطاب الى المعتزلة - تزعمون انكم تقدرون اعمالكم و تفعلونها دون ربكم ، وجب ان تكونوا قدرية ، ولم نكن نحن قدرية ، لاننا نضيف الاعمال الى انفسنا دون ربنا ، ولم نقل : انا نقدرها دونه ، وقلنا : انها تقدر لنا » .<sup>١</sup>

قال ابو الفتح محمد بن على الكراجكى : « لم نجد فى اسماء الفرق ما ينكره اصحابه ويتبرأ منه اهلها ، سوى القدرية . فاهل العدل - يعنى بهم فرقة الاعتزال - يقولون لاهل الجبر - يعنى بهم الاشاعرة - : انتم القدرية ، واهل الجبر يقولون لاهل العدل : انتم القدرية . وانما تبرأ الجميع من ذلك ، لانهم رووا - من طريق ابى هريرة - عن النبى - ص - انه لعن القدرية ، وقال : انهم مجوس هذه الامة ، ان مرضوا فلا تعودوهم ، وان ماتوا فلا تشهدوهم » .<sup>٢</sup>

١ - الابانة ص ٦١

٢ - كنز القوائد للكرا جكى ص ٤٩

قلت : اما الحديث فمفتعل بلا ريب . قال ابو حاتم : « وهذا الحديث باطل » .  
وقال النسائي : « هذا الحديث باطل كذب » . ويذكر ابن الجوزى حديث لعن  
القدرية ، ثم يعقب : « هذا حديث لاشك في وضعه »<sup>١</sup> .

اما استدلال الاشعري فلا يعدو مغالطة مفضوحة ، اذ « القدرية » نسبة الى  
القول بالقدر - بفتحين - كالجبرية نسبة الى القول بالجبر ، وليس اشتقاقاً  
من القدرة بمعنى الاستطاعة . هذا فضلاً عن ان القياس بالصائغ ، قياس مع  
الفارق بعد ان كانت الكلمة المبحوث عنها « قدرية » - بياء نسبة - لا « قادر »  
اسم فاعل .

وعليه فلو صح الحديث - ولم يصح - كان انطباقه على مذهب الاشعري ،  
القائل بالقدر ، و سلب قدرة العباد، اولى من انطباقه على مذهب الاعتزال ، القائل  
باستقلال العباد في اختياراتهم للافعال . فالقدرية - على ذلك - هم الجبرية من  
غير فرق .

\* \* \*

واذ قد تبينا المذاهب التي عملت في تشويه مفاهيم الاسلام ، وكانت السبب  
الاول في طرود التشابه على كثير من اوجه آى القرآن الحكيم ، يجدر بنا بالتعرض  
لمذهب الاعتزال - ايضاً - الذى انتهج - الى حد ما - منهج العقل وتحكيم الفطرة  
في درس القضايا الاسلامية ، اما المذهب الذى لم يخطىء منهج القرآن وبرهان  
العقل الرشيد في جميع قضاياها ، فهو مذهب « الامامية » الذى سار في ضوء

---

١- راجع : الموضوعات لابن الجوزى ج ١ ص ٢٧٥-٢٧٦ . وجاء في مسند احمد  
و غيره ما يناقض الحديث المذكور . فقد روى ابن عمر عن النبي -ص- انه قال : « لكل  
امة مجوس ، ومجوس امتى الذين يقولون : لا قدر . ان مرضوا فلا تعودوهم ، وان ماتوا  
فلا تشهدوهم » . المسند ج ٢ ص ٨٦



تعاليم الرسول - ص - مباشرة ، والخلفاء من أهل بيته الأطهار ، فلنتعرض لهما باختصار : -

### المعتزلة

قلنا : ان «الاعتزال» كان انتفاضة في وجه «الصفاتية» ، تنزيهاً لساحة قدسه تعالى عما وصفه الجاهلون ، وتحكيماً لبرهان العقل الرشيد في معرفة شئوون المبدع تعالى ، حيث العقل كان هو الاساس لمعرفة القديم تعالى وعدله وحكمته وسائر صفاته الازلية ، فلا يجوز الاستدلال بالسمع ، في هكذا مسائل ، على خلاف ما يستدعيه حكم العقل<sup>١</sup> .

ونحن نورداصول معتقداتهم حسب ماتبينه ألدخوصومهم «ابوالحسن الأشعري»<sup>٢</sup> فقد كان معتزلياً قضى اكثر عمره ( اربعين سنة ) في الاعتزال ، وعرف من اصول معتقداتهم الشيء الوافي ، مع مراجعتنا لكتبهم ايضاً .

قال : اجمعت المعتزلة على «ان الله واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وليس بجسم ، ولا شبح ، ولا جثة ، ولا صورة ولا لحم ولا دم ، ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ، ولا بذى لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسة ، ولا بذى حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة ، ولا طول ولا عرض ولا عمق ، ولا اجتماع ولا افتراق ، ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض ، ولا بذى ابعاض واجزاء وجوارح واعضاء ، وليس بذى جهات ، ولا بذى يمين وشمال وامام وخلف وفوق وتحت ، ولا يحيط به مكان ، ولا يجري عليه زمان ، ولا تجوز عليه المماسه ، ولا العزلة ، ولا الحلول في الاماكن ، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدودهم ، ولا يوصف بأنه متناه ، ولا يوصف بمساحة ، ولا ذهاب في الجهات ، وليس بمحدود ، ولا اول ولا مولود ، ولا تحيط به الاقدار ،

١- راجع : شرح الاصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص ١٩٤-١٩٥ .

٢- تقدم ص ٦٠- استهتاره بمذهب الاعتزال حسبما نقله ابن خلكان ج ٣ ص ٢٨٥ .

ولاتحجبه الأستار ، ولاتدركه الحواس ، ولا يقاس بالناس ، ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ، ولاتجربى عليه الآفات ، ولاتحل به العاهات ، وكل ما خطر بالبال ، وقصور بالوهم فغير مشبه له ، لم يزل اولاً ، سابقاً ، متقدماً للمحدثات موجوداً قبل المخلوقات ، ولم يزل عالماً قادراً حياً ، ولا يزال كذلك . لاتراه العيون ، ولاتدركه الابصار ، ولاتحيط به الأوهام ، ولا يسمع بالاسماع . شئ لا كالاشياء ، عالم قادر حى لا كالعلماء القادرين الاحياء . وانه القديم وحده ، ولا قديم غيره ، ولا اله سواه ولا شريك له فى ملكه ، ولا وزير له فى سلطانه ، ولا معين على انشاء ما انشأ وخلق ما خلق ، لم يخلق الخلق على مثال سبق ، وليس خلق شئ بأهون عليه من خلق شئ آخر ، ولا بأصعب عليه منه ، لا يجوز عليه اجترار المنافع ، ولا تلحقه المضار ، ولا يناله السرور واللذات ، ولا يصل اليه الأذى والآلام ، ليس بنذى غاية فيتناهى ، ولا يجوز عليه الفناء ، ولا يلحقه العجز والنقص . تقديس عن ملامسة النساء ، وعن اتخاذ الصاحبة والابناء . قال : فهذه جملة قولهم فى التوحيد<sup>١</sup> .

وعقد القاضى فصولاً فى انه تعالى عالم لا يعلم ، قادر لا بقدره ، حى لا بحياة ، اى انه تعالى اذا وصف بانه عالم ، لا يقصد من ذلك ان ذاته المقدسة قضايف عليها هذه الصفات فصارت كذلك ، اذ ذلك يستدعى احد امور وكلها باطلة ، اما انها ايضاً قديمة مقرونة بذاته المقدسة ، فيلزم تعدد القديم تعالى . او انها حدثت على ذاته المقدسة ، فيلزم ان يكون ذاته المقدسة محلاً للحوادث ، كما يلزم خلوه تعالى عن هذه الصفات قبل عروضها ، وهو ايضاً باطل<sup>٢</sup> .

وقد اصططلحت الاشاعرة على تسمية مبادئ صفات الذات بالمعانى ومبادئ صفات الفعل بالاحوال . فانكرت المعتزلة اقتران ذاته المقدسة بالمعانى والبالاحوال ،

١- «مقالات الاسلاميين» لابي الحسن الاشعري ج ١ ص ٢١٦-٢١٧ .

٢- راجع : «شرح الاصول الخمسة» من ص ١٨٢ فما بعد .

فقالوا :عالم لابعلم كما قالوا :متكلم لايكلام .وهذا معنى نفى الصفات عند المعتزلة ،  
وقد اثبتها الاشاعرة . فقالوا : عالم بعلم ، متكلم بكلام ، حسبما تقدم .

فتوصيفه تعالى بأنه عالم - عند المعتزلة - يعنى : انه لايجهل ، ولايحتجب  
عنه شىء . وتوصيفه بانه قادر ، يعنى : انه لايعجز ، ولايعجزه شىء . لان صفة  
العلم اوصفة القدرة قائمة بذاته ، كما فى المخلوقين . ومن ثم قالوا : « خذ  
الغايات واترك المبادئ » . فان الغاية من العلم هو الانكشاف ورفع الحجاب  
عن المعلوم . وهذا شىء يقولونه بشأنه تعالى ، اما انه متصف بمبادئ هذه النعوت  
فلا . ففى صفات الذات قالوا : انه تعالى عالم لابعلم بل بنفسه ، قادر لايقدره بل بنفسه ،  
وفى صفات الفعل قالوا : متكلم لايكلام بل بخلقه الكلام ، ومن ثم قالوا : ان كلام الله  
مخلوق .

وزعمت الاشعرية ان ذاته المقدسة متصفة بمبادئ هذه النعوت ، كما فى  
المخلوقين ، لكن لا على نحو اتصافهم بها ، فخطوا وخططوا ، ولم يحققوا من  
واقع مذهبهم فى ذلك : ماذا ارادوا ؟ قال القاضى : « ثم نبغ الاشعرى ، و اطلق  
القول بانه تعالى يستحق هذه الصفات لمعان قديمة ، لوقاحته وقلة مبالاته بالاسلام  
والمسلمين »<sup>١</sup> .

واتفقت « المعتزلة » - ايضاً - على ان العبد قادر مختار فى افعاله ، خيرها  
وشرها ، وهو الذى يستحق - على ما يفعله - المدح والثواب ، أو الذم والعقاب ،  
وان الرب تعالى منزه ان يضاف اليه شر أو ظلم وفعل الكفر والمعصية . وهذه الطريقة  
سميت بالاستطاعة ، وسماهم الاشعرية لذلك « قدرية » .

واتفقوا على ان الرب تعالى لايفعل الا الصلاح والخير ، وانه يجب عليه  
تعالى - بمقتضى حكمته - رعاية مصالح العباد ، وهو الذى يعبر عنه بقاعدة

---

١- شرح الاصول الخمسة ص ١٨٣



اللطف . و سميت هذه الطريقة بالعدل . ويعبر عن المعتزلة بالعدلية لذلك .  
و من مبادئ المعتزلة :أوئل ماورد فى الشرع مخالفافى ظاهره لمعتقدهم  
فى الأصول ، وبهذه الطريقة افترقوا عن « الصفاةفة » من اصحاب الاشعرى ، و  
« المحشوية » من اصحاب الحديث ، ممن احتفظوا على ظواهر الصفاة . وسنعرض  
نماذج من هذا الاختلاف عندما نعرض الآفاة .

### الامامفة

قال الشفخ ابو الفتح محمد بن على الكراچكى - فى رسالة « البفاان عن جملة  
اعتقاد اهل الايمان » - : « اعلم ان الواجب على المكلف ان يعتقد حدوث العالم  
باسره ، وانه لم يكن شفاً قبل وجوده ، و ان الله هو محدث جمفعه من اجسامه  
و اعراضه ، الا افعال العباد الواقعة منهم ، فانهم محدثوها دونه سبحانه ، و ان الله  
قديم وحده لا قديم سواه ، وانه موجود لم يزل ، و باق لا يزال ، و انه شىء لا  
كالاشفاة ، لا يشبه الموجودات ، ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات ، و ان له  
صفاة يستحقها لنفسه ، لا لمعان غيره ، و هى كونه حياً عالماً قادراً قديماً باقياً ، لا  
يجوز خروجه عن هذه الصفاة الى ضدها ، يعلم الكائنات قبل كونها ، ولا يخفى  
عليه شىء منها ، و ان له صفاة افعال لا يصح اضافتها الىه فى الحقيقة الابعد  
فعلها ، و هى ما وصف به نفسه ، من انه خالق ورازق و معط و راحم و مالك و متكلم  
و نحو ذلك . و ان له صفاة مجازفاة ، و هى ما وصف به نفسه ، من انه يريد  
و يكره و يرضى و يغضب ، فارادته لفعال هى الفعل المراد بعفنه ، و ارادته لفعال  
غيره هى امره بذلك الفعل ، و لفس تسمفها بالارادة حقيقة ، و انما هو على المجاز .  
و غضبه هو وجود عقابه ، و رضاه هو وجود ثوابه » .

« و انه لا يفتر الى مكان ، ولا يدرك بشىء من الحواس ، و انه منزه عن  
القباةح ، لا يظلم العباد و ان كان قادراً على الظلم ، لانه عالم بقبحة غنى عن فعله .

قوله صدق ، ووعده حق ، لا يكلف خلقه ما لا يستطيع ، ولا يحرمهم صلاحاً لهم فيه الانتفاع ، ولا يأمر بما لا يريد ، ولا ينهى عما يريد ، وانه خلق الخلق لمصلحتهم ، وكلفهم لأجل منازل منفعتهم ، وازاح فى التكليف عنهم ، وفعل اصلح الأشياء بهم ، وانه اقدرهم قبل التكليف ، و أوجد لهم العقل والتمييز ، وان القدرة تصلح ان يفعل بها الشيء وضده بدلامنه .

« وان القرآن كلام رب العالمين ، وانه محدث ليس بقديم ، ويجب ان يعتقد ان جميع ما فيه من الآيات التى يتضمن ظاهرها تشبيه الله تعالى بخلقه ، وانه يجبرهم على طاعته أو معصيته ، أو يضل بعضهم عن طريق هدايته ، فان ذلك كله لا يجوز حمله على ظاهره ، و ان له تأويلاً يلا ثم ما تشهد به العقول ، مما قدمنا من صفاته تعالى »<sup>١</sup>

قال امير المؤمنين - عليه السلام - : « اول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده <sup>٢</sup> ، وكمال توحيده الاخلاص له ، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه <sup>٣</sup> ، لشهادة كل صفة <sup>٤</sup> انها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف انه غير الصفة ، فمن وصف الله سبحانه <sup>٥</sup> فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه ، ومن

١- كنز القوائد للكراچكى ص ١٠٩-١١١ .

٢- يعنى -ع- توحيد ذاته المقدسة عن التجزئة والتأليف .

٣- يعنى -ع- نفي الصفات . نفي مبادئها ، فذاته المقدسة اذا وصف بعالم ، فلا يعنى هذا التوصيف ان مبدأ العلم قائم بذاته كما فى سائر المخلوقين ، فهو تعالى عالم بذاته لا يعلم كما تقول الاشعرية ، حتى بذاته لا حياة ، قادر بذاته لا بقدره . فهذه المبادئ من العلم والحياة والقدرة التى هى صفات زائدة على الذات ، منفية عن ذاته تعالى وتقدس .

٤- وهى الصفة الزائدة على الذات ، التى هى مبدأ اشتقاق الوصف .

٥- اى قال : انه تعالى عالم بعلم ، وحى بحياة ، وقادر بقدره .

ثناه فقد جزأه ، ومن جزأه فقد جهله <sup>١</sup> ، ومن جهله فقد اشار اليه ، ومن اشار اليه فقد حده <sup>٢</sup> ومن حده فقد عدّه <sup>٣</sup> ومن قال : فيم ؟ فقد ضمنه ، ومن قال : علام ؟ فقد اخلى منه <sup>٤</sup> ، كائن لا عن حدث ، موجود لا عن عدم <sup>٥</sup> ، مع كل شيء لا بمقارنة ، وغير كل شيء لا بمزايلة <sup>٦</sup> ، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة ، بصير اذا منظور اليه من خلقه <sup>٧</sup> «...» <sup>٨</sup> .

وقال - **عَلَيْهِ** - : « لا تراه العيون بمشاهدة العيان ، و لكن تدركه القلوب بحقائق الايمان ، قريب من الاشياء غير ملامس ، بعيد منها غير مباين ، متكلم لا بروية ، مرید لا بهمة ، صانع لا بجارحة ، لطيف لا يوصف بالخفاء ، كبير لا يوصف بالجفاء ، بصير لا يوصف بالحاسة ، رحيم لا يوصف بالرفقة...» <sup>٩</sup> .  
و سبدو الطريقة المثلى التى مشت عليها الامامية ، فى ضوء هدى اهل البيت - **عَلَيْهِمُ** - وضوحاً اكثر ، عند ما تعرض الآيات . و اسلوبنا فى التخرج عن

- 
- ١- لانه زعم ان الواجب القديم مركب ، وهو جهل فاضح بذاته المقدسة المتنزّهة عن التركيب المستلزم للحدوث والفناء .
  - ٢- لان الاشارة تستدعى الجهة ، وهو تعالى منزّه عن الحدود والجهات .
  - ٣- لان القول بالجهة فى ذاته المقدسة لاينفى امكان تعدده تعالى .
  - ٤- لان القول بجهة فوق يستدعى الاخلاء عن سائر الجهات .
  - ٥- اشارة الى قدمته تعالى .
  - ٦- لان المقارنة والمزايلة تستدعيان الجهة ، وهو تعالى منزّه عنها ، فلا يخلو منه مكان ولا يحويه مكان .

- ٧- لان السمع والبصر عبارتان عن علمه تعالى القديم .
- ٨- هى اولى خطبة من نهج البلاغة .
- ٩- من كلام له فى جواب من سأله : هل رأيت ربك ؟ نهج البلاغة ج ١ ص ٣٣٤ .



متشابهاتها .

\* \* \*

و بعد فيجب علينا تنويع المتشابه من الآيات ، على حسب نوعية الشبهة  
التي وقعت فيها ارباب المذاهب السالفة ، في فصول متمايزة ، نذكر في كل فصل  
ما يخصه من آيات .



نماذج من :

مَشَاهِدَاتُ الْقُرْآنِ



## صفات ذات

اجمعت الامة الاسلامية على ان لله تعالى صفات ذاتية قديمة ، كان حياً عالماً قادراً لم يزل و لا يزال . انما الكلام فيما تؤديه هذه النعوت من مفاهيم ، فذهب اهل العدل والتنزيه الى ان هذه الاوصاف هي عين ذاته المقدسة ، لابصفة زائدة على الذات ، فهو تعالى حي بذاته ، عالم بذاته ، قادر بذاته . وينزهونه عن اقتران مبادئ هذه النعوت بذاته المقدسة - بان يكون حياً بحياة ، عالماً بعلم ، قادراً بقدره ، كما زعمه الاشعري - لان اقتران ذاته بهذه المبادئ - وهي قديمة فرضاً - يستدعي تعدد القديم تعالى عن ذلك .

و من ثم فمعنى انه حي : انه يدرك ويريد ويفعل . ومعنى انه عالم : ان الاشياء لديه شهود ، لا يحتجب عنه شيء . ومعنى انه قادر : انه يفعل ما يريد ، لا يعجزه شيء ولا يحول دون ارادته شيء .

و هذا التفسير التنزيهي لجميع اوصافه تعالى يتلخص في قولهم : « خذ الغايات ودع المبادئ » . وهذا هو مرادهم من نفى الصفات : انهم يصفونه تعالى بما وصف به نفسه ، وينزهونه عن اقتران مبادئها بذاته المقدسة .

وقال الاشعري : انه تعالى عالم بعلم، قادر بقدرة ... الخ و تشبث بظواهر

آيات ، منها :

- ١- «فاعلموا انما انزل بعلم الله - هود : ١٤» .
- ٢- «لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه - النساء : ١٦٦» .
- ٣- «وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه - فاطر : ١١ . وفصلت : ٤٧» .
- ٤- «ولا يحيطون بشيء من علمه - البقرة : ٢٥٥» .
- ٥- «أولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة - فصلت : ١٥» .
- ٦- ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين - الذاريات : ٥٨» .

قال : وزعمت الجهمية ان الله عزوجل لاعلم له ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر له ، و ارادوا ان ينفوا ان الله عالم قادر حى سميع بصير ، فمنعهم السيف ، فأتوا بمعناه . لانهم اذا قالوا : لاعلم لله ولا قدرة له فقد قالوا : انه ليس بعالم ولا قادر وهذا انما اخذوه عن اهل الزندقة والتعطيل .

وقال -رداً على المعتزلة - : أتقولون ان الله علماً سابقاً بالاشياء ؟ فان قالوا : نعم ، فقد اثبتوا العلم ، وان قالوا : لا ، قيل لهم : هذا جحد منكم لقول الله عزوجل : «انزله بعلمه» . وذكر بقية الآيات .

واستدل - ايضاً - باننا وجدنا اسم «الحى» مشتقاً من «الحياة» و«العالم» مشتقاً من «العلم» و«القادر» من «القدرة» وهلم جراً . فلاتخلو اسماء الله اما مشتقة ولافادة معانيها اولمجرد التلقين بلافاضة معنى . ولاشك ان الثانى غير جائز . فثبت انها مشتقة ومفيدة لمعانيها ، اذن فمعنى عالم : انه ذو علم . ومعنى قادر : انه ذو قدرة . ومعنى حى : انه ذو حياة . فقد وجب اثبات العلم والقدرة والحياة لله عزوجل ، كما

هو الشأن في اثبات هذه المعاني فينا عند ذكر هذه الأوصاف لبعضنا<sup>١</sup>.

\* \* \*

وقد تبين مما قدمنا فساد هذه المغالطة الأشعرية ، إذ لا يريد المعتزلة : انه تعالى لا علم له ، بل يفسرونه بما لا يستلزم زيادة صفة على ذاته المقدسة . ومن ثم فقد حار الأشعري تجاه شبهة : «تعدد القديم» ولجأ الى قولة مبهمة ، عجز هو واصحابه عن افصاحها ، قالوا : « وهي لاهو ولا غيره »<sup>٢</sup> واعترض عليهم بانه رفع للنقيضين ، بل هو في الحقيقة جمع بينهما ، فأجابوا بما يزيد تيهاً في الضلال ، وشناعة في المقال<sup>٣</sup>.

### صفات فعل

وهكذا اجمعت الامة على انه تعالى مرید ، متكلم ، خالق ، رازق ، محي ، مميت . واصطلاح اهل الكلام بتسميتها صفات فعل ، اي انها افعاله تعالى ، قد يتصف بها وقد لا يتصف ، لانه قد يفعلها وقد لا يفعلها ، فهو تعالى قد ير يد شيئاً فهو مرید له ، وقد لا ير يده فليس بمرید له ، وهو قبل ان يخلق خلقاً لم يكن خالقاً له ، ولما خلق صح اطلاق اسم الخالق عليه تعالى ، وهكذا .

وقد ذهب اهل العدل والتنزيه الى ان مبادئ هذه الصفات غير قائمة بذاته المقدسة ، لانها احوال وحوادث ، والله تعالى متنزه ان يكون محلاً للحوادث .

وذهب الأشعري الى ان مبادئ هذه الصفات - ايضاً - قائمة بذاته المقدسة ،

---

١- الابانة ص ٤٤ - ٤٨

٢- الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٩٥ . وشرح العقائد النسفية ص ٣٢

٣- راجع : شرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ٣٩ . وراجع : ص ٦٣



فهو تعالى متكلم بكلام هو قائم بذاته تعالى ، مرید بارادة ازلية قائمة بذاته . ومن ثم زعم ان كلامه تعالى قديم ، لان القائم بذات قديمة قديم .  
 قال اهل العدل والتنزيه : معنى انه تعالى يتكلم : انه يخلق الكلام المسموع ، وهى عبارة عن اهتزازات وذبذبات تحدث فى امواج الهواء يخلقها الله تعالى عند ارادة الكلام ، واما غيره فيتكلم بآلة ، وان ذلك التموج يحصل بقرع اللسان والاسنان . قالوا : و ارادته تعالى هو فعله ، كالخلق والرزق والاحياء والاماتة ونحوها . ومن ثم قالت المعتزلة : كلام الله مخلوق وقالت الاشاعرة : غير مخلوق ، فكان ذلك الجدل العنيف ، وقد ذهبت فى طيه نفوس .

استدللت الاشاعرة بأنها صفات اشتقاق ، فلا بد من اثبات مبادئها للذات ، كما اذا وصفنا بها بعضنا . قال الفغتانى : «ضرورة امتناع اثبات المشتق للشئ من غير قيام مأخذ الاشتقاق به»<sup>١</sup> .

وتثبت الاشعري بقوله تعالى : «وكلم الله موسى تكليماً» - قال : والتكليم هو المشافهة بالكلام ، ولا يجوز ان يكون كلام المتكلم حالاً فى غيره ، مخلوقاً فى شئ سواه ، كما لا يجوز ذلك فى العلم<sup>٢</sup> .

وبقوله تعالى : «الاله الخلق والامر - الاعراف : ٥٤» ، دلت الآية على ان الامر شئ غير الخلق . ثم قال تعالى : «ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره الروم : ٢٥» - قال : و امر الله - هنا - هو كلامه تعالى . وبما ان الامر غير مخلوق - كما فى الآية الاولى - فوجب ان يكون كلامه الذى هو امره غير مخلوق<sup>٣</sup> .

وبذلك اثبت قدم كلامه تعالى وقيامه بذاته المقدسة .

١ - شرح العقائد النسفية ص ٤٤ .

٢ - الابانة ص ٢٢ .

٣ - الابانة ص ١٩ .

واظننا في غنى عن تفنيد هذا الاستدلال المزيف ، بعد ان كان اشبه بسفاسف  
الكلام .

### صفات تنزيه

كان ماسبق صفات ثبوتية ، وتسمى «صفات جمال» ، وفي قبالها صفات سلبية ،  
تسمى «صفات جلال» ، وهى التى تجل ذاته المقدسة عن الانصاف بها ، واتفق اهل  
العدل على تنزيهه تعالى عنها .

اما اهل التجسيم فزعموا من ذاته المقدسة جسماً متركباً من اعضاء وجوارح ،  
واثبتوا له الجهة والمكان والحركة ، وامكان رؤيته بالابصار ، ومسه بالايدي فى  
مصافحة ومعانقة . قالوا : انه متربع على كرسى عرشه فوق السماوات ، وسوف  
ينزل الى الملاء يوم القيامة ليراه المؤمنون بعيونهم ، ويكشف عن ساقه ويضع  
رجله فى جهنم فنقول : يارب ، قط قط .

هذا قول اوائلهم ، وقد شنع عليهم هذا القول ، فقالوا : انه جسم لا كالأجسام ،  
وله لحم لا كاللحوم ، ودم لا كالدماء ... الخ .

وقد تقدم كلامهم عند الكلام عن المجسمة .

ولا كلام لنا معهم الآن ، وقد انقطع دابرهم ، ولم يبق منهم سوى نقل آثار .  
انما الكلام مع الاشعري الذى لم يبتعد عن القول بالتجسيم كثيراً ، سوى انه قال  
بمقالتهم فى شىء من اللف والالتواء ، وصريح كلامه - فى الابانة والمقالات - هو الالتزام  
بالتجسيم ، اخذاً بظواهر آيات وروايات . وقد بقيت آراؤه سائدة حتى هذا العهد .  
لاسيما فى اوساط مرتجة لم تنضج فكرتهم عن التوحيد والنبوات ، سوى نظرات

سطحية وشكلية محضة وغالبيتهم من المتأثرين بتعاليم ابن تيمية الحراني (٦٦١-٧٢٨) <sup>١</sup>  
في دعواته السلفية حسب مصطلحه <sup>٢</sup>. اما اليوم فقد اشتهر وبالوهابية <sup>٣</sup> اتباع الشيخ محمد  
ابن عبد الوهاب النجدي (١١١٥-١٢٠٦) <sup>٤</sup>.

١- له اثرثرة غريبة فيما يكتبه ، راجع كلامه المسهب في اثبات رؤيته تعالى بالابصار  
والرد على احتجاج النفاة بقوله تعالى : «لاتدرکه الابصار» . وكذلك في اثبات الجهة والقوية  
له تعالى . (منهاج السنة طيروت ج ٢ ص ١٠٥ و ٢٤١) .

٢- اما المتأثرون بفكرته السلفية فيروهم التسمية بالتيمية انتماء الى اسم صاحب الدعوة .  
قال ابن الموصلي مفتخراً بانتسابه لعقيدة ابن تيمية :

ان كان اثبات الصفات جميعها                      من غير كيف موجباً للوم  
واصير تيمياً بذلك عندكم                      فالمسلمون جميعهم تيمى

(آخر رسالة ابن شيخ الحزاميين في عقيدة اهل السنة والجماعة، المنشورة في مجموعة  
«اربع البضاعة» طمكة المكرمة ص ٥٥) .

٣- نسبة الى والد صاحب الدعوة ، وزعم الالوسى انها نسبة غير صحيحة ، نسبها  
اليهم خصوصهم ، وهم منها براء (تاريخ نجد ص ١١١) لكننا وجدناهم يطلقون على انفسهم  
هذا الاسم فخاراً بصاحب النسبة . راجع : كتاب «الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية»  
مجموعة خمس رسائل، ترتيب الشيخ سليمان النجدي . يقول في اولها : «من رسائل ائمة نجد  
وعلمائها في الدعوة الوهابية لتجديد الاسلام» ص ٤ . وراجع : ٢٧ و ٨٦ و ٩٣ يقول شاعرهم :

نعم نحن وهاية حنيفة                      حنيفة نسقى لمن غاظنا المرا

٤- صاحب الحركة الوهابية في ربوع نجد ، قامت على اغارة بلاد المسلمين  
وتكفير وقتل ونهب ، باسم الاصلاح الدينى السلفى ، ولم تكن سوى امتداد مريز للوحشية  
الجاهلية الاولى نكوصاً على عقب . وقد استغلها الاستعمار الغربى - المتنهض حديثاً ذلك  
العهد - تمزيقاً لبلاد الاسلام وتفريقاً للكلمة المسلمين . تحقيقاً لمبدأ «فرق تسد» . والحركة-  
شاءت ام لم تشأ - فانها خدمت الاستعمار الكافر اكبر خدمة ممكنة في الذهاب بروتق الاسلام ←



واليك من تشبثات ابي الحسن الاشعري دليلا على مذهبه فى التجسيم  
والتشبيه :

### الرؤية :

١- قال - فى قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة - القيامة : ٢٣ » -  
يعنى رائية . اذ ليس يخلو النظر من وجوه ثلاثة ، اما نظر الاعتبار ، كما فى قوله  
تعالى : « افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت - الغاشية : ١٧ » . او نظر الانتظار ،  
كما فى قوله : « ما ينظرون الا صيحة واحدة - يس : ٤٩ » . او نظر الرؤية . اما الاول  
فلا يجوز . لان الآخرة ليست بدار اعتبار . وكذا الثانى ، لان النظر اذا ذكر مع الوجه  
فمعناه نظر العينين اللتين فى الوجه . ولان نظر الانتظار لا يقرون به « الى » ، كما فى

→ المجيد ؛ « ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه - سبأ : ٢٠ » . « الذين ضل سعيهم فى الحياة  
الدنيا ، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا - الكهف : ١٠٤ » .

والعقيدة الوهابية فى الصفات هى العقيدة السلفية الظاهرية ، قال شاعرهم :

|                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| لله وجه لا يحد بصورة       | ولربنا عينان ناظرتان       |
| وله يدان كما يقول الهنا    | ويمينه جلت عن الايمان      |
| كلتا يديه يمين وصفها       | فهما على الثقلان منفتقان   |
| كرسيه وسع السماوات العلى   | والارض وهو يعمه القدمان    |
| والله يضحك لا كضحك عبيده   | والكيف ممتنع على الرحمان   |
| والله ينزل كل آخر ليلة     | لسمائه الدنيا بلاكتمان     |
| فيقول : هل من سائل فاجبه ؟ | فانا القريب اجيب من نادانى |

(من قصيدة عبدالله بن محمد الاندلسى المالكى ، نشرت فى « اربح البضاعة فى معتقد

اهل السنة والجماعة » ص ٣٢ جمع على بن سليمان آل يوسف - منشور مكة المكرمة سنة

، (١٣٩٣)

قوله تعالى: «فناظرة بم يرجع المرسلون - النمل: ٣٥». فان قال قائل: لم لا يجوز ان يراد «الى ثواب ربها ناظرة»؟ قيل له: ثواب الله غيره: وقد قال تعالى: الى ربها ناظرة، ولم يقل: الى غيره ناظرة. والقرآن على ظاهره. وليس لنا ان نزيله عن ظاهره، الالحجة. الاترى انه لما قال: صلوا لى وابدوني لم يجز ان يقول قائل: انه اراد غيره، ويزيل الكلام عن ظاهره، فلذلك لما قال: الى ربها ناظرة، لم يجز لنا ان نزيل القرآن عن ظاهره بغير حجة.

٢- وتثبت - ايضاً - بقوله تعالى: «رب انى انظر اليك - الاعراف: ١٤٣» قال: دلت الآية على ان الله تعالى يرى بالأبصار، اذ لا يجوز ان يكون موسى عليه السلام قد سأل ربه ما يستحيل عليه، وقد البسه الله جلابيب النبوة وعصمه بعصمة المرسلين. واذالم يجز ذلك على موسى عليه السلام فقد علمنا انه لم يسأل ربه مستحيلاً، وان الرؤية جائزة على ربنا عز وجل.

٣- قال: ودليل آخر، مما يدل على جواز رؤية الله بالأبصار، قوله تعالى لموسى: «فان استقر مكانه فسوف ترانى - الاعراف: ١٤٣». فلما كان الله قادراً على ان يجعل الجبل مستقراً، كان قادراً على الامر الذى لوفعه لراى موسى. فدل ذلك على ان الله تعالى قادر على ان يرى نفسه، وانه جائز رؤيته. فان قال قائل: فلم لا قلتم ان هذه الآية تبعيد للرؤية؟، قيل له: لو اراد الله تبعيد الرؤية، لقرن الكلام بما يستحيل وقوعه، ولم يقرنه بما يجوز وقوعه، فلما قرنه باستقرار الجبل، وذلك امر مقدور لله عز وجل، دل ذلك على انه جائز ان يرى الله. الاترى ان الخنساء لما ارادت تبعيد صلحها لمن كان حربياً مع اخيها، قرنت الكلام بمستحيل، فقالت:

ولا اصالح قوماً كنت حربهم حتى تعود بياضاً حلقة القار<sup>١</sup>

قال: والله تعالى انما خاطب العرب بلغتها، وما نجده مفهوماً فى كلامها ومعقولا فى خطابها، فلما قرن الرؤية بأمر مقدور جائز، علمنا ان رؤية الله بالأبصار

١- الحلقة: شدة السواد. والقار: القير

جائزة غير مستحيلة .

٤- قال : ودليل آخر، قال تعالى: «للذين احسنوا الحسنى وزيادة - يونس: ٢٦»  
قال اهل التأويل : الزيادة الموعودة هنا هو النظر اليه تعالى ، قالوا : ولم ينعم الله  
عز وجل اهل جنانه بافضل من نظرهم اليه <sup>١</sup> .

٥- وهكذا قوله تعالى : « لهم فيها مايشاؤون ولدينا مزيد - ق : ٣٥ » قيل :  
المزيد هو النظر الى الله عز وجل <sup>٢</sup> .

٦- وقال تعالى : «تحيتهم يوم يلقونه سلام - الاحزاب : ٤٤» قال : واذا لقيه  
المؤمنون رآوه .

٧- وقال تعالى : «كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون - المطففين : ١٥ »

---

١- قال ابن كثير : وافضل ما ينعم به اهل الجنة واعلاه هو النظر الى وجهه الكريم، وقد  
روى ذلك عن ابي بكر الصديق ، وحذيفة بن اليمان ، وعبدالله بن العباس ، وسعيد بن المسيب  
وعبد الرحمن بن ابي ليلى، وعبد الرحمن بن سابط ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعامر بن سعد ، وعطاء  
والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والسدى ، ومحمد بن اسحاق ، وغيرهم من السلف والخلف .  
وقد وردت فيه احاديث كثيرة . التفسير ج ٢ ص ٤١٤ . وراجع : الطبرى - التفسير - ج ١١  
ص ٧٣ - ٧٥ . وغيره من اصحاب التفسير بالمأثور . وهكذا ارباب التفسير الصوفى كالقشيري  
فى «لطائف الاشارات» ج ٣ ص ٩١ . والخواجا عبدالله الانصارى فى تفسيره العرفانى . راجع  
ملخصه للإمام احمد الميبدى ج ١ ص ٤٢٩ . يقول الخواجا : «وشرط است كه ميزبان ديدار  
خود را از مهمانان بازنگيرد» .

٢- قال ابن كثير : فى صحيح مسلم عن صهيب بن سنان الرومى : انها النظر الى وجه الله  
الكريم . وعن انس بن مالك قال : يظهر لهم الرب عز وجل فى كل جمعة . التفسير ج ٤ ص ٢٢٨



فحجبهم (اي الكفار) عن رؤيته ، ولا يحجب عنها المؤمن .

٨- واستدل - ايضاً - بما روى عن النبي ﷺ قال : «ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ، لاتضارون في رؤيته» . قال : وهو حديث متواتر<sup>١</sup> .

٩- قال : ودليل آخر على جواز الرؤية : انه لا موجود الاوجائز ان يرى الله ، ماسوى المعدوم . فلما كان الله موجوداً مثبتاً كان غير مستحيل ان يرى نفسه وايضاً فانه تعالى يرى الاشياء ، وليس يصح ان يرى احد الاشياء الا اذا صح ان يرى نفسه ، واذا كان الله لنفسه رائياً ، فجائز ان يرى نفسه ، كما انه تعالى لما كان عالماً بالاشياء ، كان عالماً بنفسه ، ولما كان عالماً بنفسه ، جاز ان يعلمناها .

قال ومن زعم ان الله لا يجوز ان يرى بالابصار ، يلزمه ان لا يجوز ان يكون الله رائياً ولا عالماً ولا قادراً ، لان العالم القادر الرائي ، جائز ان يرى ، وقد قال تعالى : «اننى معكما اسمع وارى - طه : ٤٦» .

١٠- واجاب عن قوله تعالى : «لاتدر كه الابصار - الانعام : ١٠٣» بأنه يحتمل ان يكون لاتدر كه الابصار فى الدنيا ، وتدر كه فى الآخرة ، لأن رؤية الله تعالى افضل للذات وافضل للذات يكون فى افضل الدارين . قال : ويحتمل : لاتدر كه ابصار الكافرين

---

١- قال الثنازاني : رواه احد وعشرون من اكابر الصحابة . شرح العقائد النسفية ص ٥٨ . و«لاتضارون» موافق لرواية احمد فى مسنده ج ٣ ص ١٦ . قال الاعمش : لاتضارون اى لاتمارون . وفى رواية البخارى فى جامعه ج ١ ص ١٤٥ باب ١٦ . وص ١٥٠ باب ٢٦ من المواقيت : «لاتضامون» وفى نسخة : «لاتضاهون» . قال ابن الاثير : لاتضامون - بالتشديد - اى لا يزدحم بعضكم بعضاً فى رؤيته .

وذكر الامام الرازى نحو هذه الادلة - نقلاً عن اصحابه الاشاعرة - فى تفسيره الكبير ج ١٣

ص ١٣١ - ١٣٢ .

هذه عقيدة الأشعري - شيخ أهل السنة والجماعة - في جواز رؤية الله تعالى بالأبصار ، وعبثاً حاول الشيخ محمد عبده تأويل كلامه وكلام أصحابه ، بارادة : كمال المعرفة بالذات<sup>٢</sup> حيث احس بشناعة مذهب اسلافه ، فحاول تغطيتها بهكذا تأويل مفضوح ، وقد صرح شيخهم الأشعري بأنه النظر بهاتين العينين اللتين في الوجه<sup>٣</sup> وتقدم نقله .

وقد سبق الأشعري الى هذه الشنعة امامهم الآخر ابوسعيد عثمان بن سعيد الدارمي ( ٢٠٠ - ٢٨٠ ) ، في رسالة رديها على الجهمية فيما زعم . حشاها باخبار زعمها ادلة قاطعة على اثبات الرؤية والجهة والمكان والحركة في ذاته المقدسة ، تعالى الله عن ذلك .

منها مرواه عن شيخ بغدادى لا يعرفه بالاسناد الى انس بن مالك ، قال : يتجلى لأهل الجنة في كل جمعة ، تفسيراً لقوله تعالى : « ولدينا مزيد » . وباسناد آخر فيه ضعف وجهالة ، عن جابر بن عبد الله الانصارى ، يحكى - فيما زعم - حالة المسلمين يوم القيامة ، قال : ونحن على كور يوم القيامة ، اذ يأتينا ربنا ، فيقول : ماذا تنتظرون فنقول . نتنظر ربنا : فيقول : انار بكم ، فنقول : حتى ننظر اليك : فيتجلى لنا وهو يضحك ، فنتبعه الى الجنة .

وروى عن ابي بكر في قوله تعالى : « للذين احسنوا الحسنى وزيادة » قال : النظر الى وجه الله<sup>٤</sup> الى غيرها من مخاريق وترهات ألصقوها بساحة قدس النبى

١- الابانة - باب الكلام فى اثبات رؤية الله تعالى بالابصار فى الاخرة - ص ١٠ - ١٩

٢ حيدرآباد الدكن .

٣- تفسير المنار ج ١١ ص ١٢٨ - ١٢٨

٤- الابانة ص ١١١ . وتقدم فى ص ٩٠

٥- رسالة « الرد على الجهمية » للدارمي ص ٤٥ - ٥٨

صلى الله عليه وآله - و كبار صحابته ، وهم منها براء . وانما اولع بها اصحاب الحديث من الحشوية ، حسبما تقدم <sup>١</sup> .

نعم تسترت الأشعرية بسفسفة اخرى ، اتخذوها شعاراً لمذهبهم ، فقالوا : انه تعالى يرى بلا كيف ، وله وجه بلا كيف ، وله يد بلا كيف ، وهلم جراً و حاولوا بذلك الفرار عما يوجه اليهم من اعتراض : كيف يرى ؟ وهل تكون رؤيته تعالى كرؤية بعضنا بعضاً ؟ ارادوا بذلك إلقاءهم الى محاذير التجسيم والجهة والاشارة . فقالوا : لايسئل بكيف ! ومن ثم هجاهم المعتزلة بأنه قول بلا علم ، ورواية بلا دراية ، قال الزمخشري : ثم تعجب من المتسمين بالاسلام ، المتسمين باهل السنة والجماعة ( يعنى بهم الاشاعرة ) كيف اتخذوا هذه العظيمة ( جواز النظر اليه تعالى ) مذهباً ، ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة <sup>٢</sup> فانه من منصوبات اشياخهم ( اى حباثلهم المغرية ) . والقول ماقال بعض العدلية فيهم :

وجماعة سموا هواهم سنة                      لجماعة حمر لعمرى موكفة <sup>٣</sup>  
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا                      شنح الورى فتستروا بالبلكفة <sup>٤</sup>

\* \* \*

اما اهل العدل والتنزيه فكانت نظر تهم فى توحيد الله نظرة فى غاية السمو والرفعة ، فطبقوا قوله تعالى : « ليس كمثله شىء » ابداع تطبيق وفصلوه خير تفصيل ، و حاربوا الانظار الوضعية التى تثبت لله تعالى جسماً ، له وجه ويدان وعينان ، وله جهة هى الفوقية وان له عرشاً يستوى عليه ، وانه يرى بالابصار ، وانه خلق آدم بيده ، الى

١- راجع : الطبرى - التفسير - ج ١١ ص ٧٣ - ٧٥ . والدرالمنثور ج ٣ ص ٣٠٥ - ٣٠٧ .

٢- البلكفة : مخفف « بلا كيف » مصدر جعلى . كالحوقلة والبسلة .

٣- الوكاف : البردعة وهو ما يلقى على ظهر الدابة .

٤- راجع : تفسير الكشاف ج ٢ ص ١٥٦ ذيل الاية : ١٤٣ من سورة الاعراف .



آخر مآقالتة الأشاعرة واذنابهم من المشبهة والكرامية - حسبما تقدم - فأتى اهل العدل وسموا على هذه الأنظار ، وفهموا من روح القرآن تجريد الله عن المادية ، فساروا فى تفسيرها تفسيراً دقيقاً واسعاً ، واولوا ما يخالف هذا المبدأ ، وسلسلوا عقائدهم تسلسلاً منطقياً . فاذا كان الله تعالى ليس مادة ، ولا مركباً من مادة ، فليس له يدان ولا وجه ولا عينان ، لان ذلك يدل على جزء من كل ، والله تعالى ليس كلا مركباً من اجزاء ، والا كان مادة . واذا كان كذلك فليس تدركه عيوننا التى خلقت ، وليس قدرتها الا ان ترى ماهو مادة ، وما هو فى جهة ، وهكذا ساروا فى هدى العقل جريئين ، ويقررون ما يرشد اليه فى شجاعة واقدام . وهم امام النقل يسلمون ما يوافق منها البرهان العقلى ويؤولون ما يخالفه بكل صراحة ، من غير خوف من النتائج مهما كانت ، متى اطمأنوا الى انهم يسايرون العقل ، فالعقل هو الحكم عندهم بين الآيات المتشابهات ، وهو الحكم على الحديث ، ليقرر عدم صحته ان لم يوافق العقل ولم يحتمل التأويل<sup>١</sup> وهم انما يؤولون المتشابه على حساب تحقيق المحكم من العقل والنقل ، على عكس الاشاعرة ، الذين يعمدون الى تأويل المحكم على حساب التحفظ على ظاهر المتشابه ، كما تقدم تأويل ابي الحسن الاشعري قوله تعالى : « لا تدركه الأبصار » على حساب التحفظ على ظاهر قوله تعالى : « الى ربها ناظرة » . هذا هو الفارق الاساسى بين الفريقين ، فريق اهل العدل والتنزيه ، وفريق اهل السنة والجماعة ، حسب تعبيرهم .

\* \* \*

وقد فصل الكلام - فى نفى رؤيته تعالى - القاضى عبدالجبار فى كتابه : « شرح الاصول الخمسة<sup>٢</sup> » واوفى البحث حقه . وهكذا الخواجا نصير السدين

١- راجع : ضحى الاسلام للاستاذ احمد امين ج ٣ ص ٦٨-٦٩ .

٢- باب نفى الرؤية ص ٢٣٢-٢٧٧ .

الطوسي في مختصره: «تجريد الاعتقاد» بايجاز وايفاء، وغيرهما من اصول معتمدة .  
 وملخص الكلام في نفى الرؤية : ان النظر بالعين ، عبارة عن اشعاع نورى  
 يحيط بالجسم المرئى ، الواقع فى جهة مقابلة لعين الرائي، فتنتطح فيها صورته  
 الخارجية . وهذا مستحيل عليه تعالى ، لانه يستدعى تجسيمياً ووجهة ومحدودية ،  
 وقبولاً للإشارة الحسية ، وكل ذلك باطل - بشأنه تعالى - فى ضرورة العقل ومحكم  
 الكتاب العزيز ، قال تعالى : « ليس كمثل شىء - الشورى : ١١ » . ولاشك ان  
 التجسيم ومستبعاته تشبيه محض . وكذا قوله تعالى : «لاتدركه الابصار وهو يدرك  
 الابصار وهو اللطيف الخبير - الانعام : ١٠٣ » . والادراك المقرون بالبصر يعنى  
 النظر بالعين ، كما ان الادراك بالقلب عرفان نفسى مجرد . وبما ان الآية مدح بشأن  
 من الشؤون الكلية الالهية ، فدلائلها على تأييد النفى واضحة ، ولاسيما بتلك الصيغة العامة .  
 واما الآيات التى استشهد بها الاشعري ، فان لها تأويلات صحيحة ومعقولة  
 لم يعرفها اصحاب الحشو ، واليك بايجاز : -

\* \* \*

١- اما الآية الاولى : «وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة - القيامة : ٢٣»  
 فانها مسوقة لبيان الحصر ، نظراً لتقديم الجار . فهى تصف موقف المؤمنين فى  
 ذلك اليوم الرهيب ، انهم على رغم احواله الجسام مسرورون مبتهجون ، ليس لشىء  
 الا لانهم منصرفون عن غيره تعالى ، ومتوجهون بكل وجودهم الى الله ، تحقيقاً لقوله  
 تعالى : «انا لله وانا اليه راجعون» . فلانظر منهم الا اليه سبحانه ، وقد صار علم يقينهم عين  
 يقين . وانكشف لهم من اسرار الملك والملكوت ما كانوا يعلمونه بالدلائل والآيات .  
 والنظر الى كذا ، لا يختص بمعنى تحديق العين اليه ، بل يستعمل بمعنى  
 القصد اليه وكمال التوجه اليه ايضاً ، كما يقال : ان هذه القصيدة تنظر الى قصة  
 كذا ، او ان هذه الآية تنظر الى مناسبة كذا . اى تهدف فى مضمونها . وهكذا يقال :  
 نظرى اليك ، اى رجائى منقطع عن سواك ، كقول الشاعر :

١- شرح العلامة الحسن ابن المطهر الحلى ص ١٦٣-١٦٥ .

وإذا نظرت اليك من ملك  
والبحر دونك جدتني نعماً  
وقال آخر :

انى اليك لما وعدت لناظر  
نظر الفقير الى الغنى الموسر  
ولم يقصدا سوى الرجاء والتوجه بكل وجودهما ، لا بالجراحة .  
قال جار الله الزمخشري : سمعت سرورية مستجديّة بمكة وقت الظهر ، حين  
غلق الناس ابوابهم وأووا الى مقائلهم ، تقول : « عينتى نويظرة الى الله واليكم »  
تقصد راجية ومتوقّعة لاحسانهم اليها . وقال : قولهم : انا انظر الى الله ثم اليك ، معناه :  
اتوقع فضل الله ثم فضلك <sup>١</sup> .

قال الامام الرازى - فى قول الشاعر :

وجوه يوم بدر ناظرات  
الى الرحمان تنتظر الفلاحا  
- : ان الرواية الصحيحة : يوم بكر . والمراد من هذا الرحمان مسيلمة الكذاب .  
قلت : فليكن ، بعد ان لم يكن النظر هنا هو تحديق العين . بل الرجاء وتوقع الفرج ،  
سواء أكان هو رحمان العالمين أم رحمان اليمامة .

فمعنى الآية - على هذا - ان المؤمنين يوم القيامة فى بهجة وسرور ، لانهم  
لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من عند ربهم ، وقد تحققت امانهم بعين شهود .

\* \* \*

٢- وهكذا قول تعالى - حكاية عن سؤال موسى عليه السلام - : « رب أرنى انظر  
اليك - الاعراف : ١٤٣ » لا يدل على جواز الرؤية . لان سؤاله ذلك كان من تجاهل  
العارف ، على اثر ضغط من قومه الجاهلين ، فقد جاء فى التفسير : ان قومه ابوا ان  
يصدقوه الا ان يسمعهم كلام الرب تعالى ، فاختار منهم سبعين ليصحبوه الى  
الميقات ، فلما كلمه الله تعالى واسمعهم ايضاً ، ابوا الا ان ينظروا اليه يتكلم فيرونه  
جهاراً ، وبذلك اخرجوا من موقف نبي الله موسى عليه السلام تجاه ربه ومسئولية رسالته

١- راجع : الكشاف و اساس البلاغة .



الى بنى اسرائيل . روى انه ﷺ لم يستطع التفوه بتلك العظيمة - لمكان علمه باستحالتها - غير ان موقفه ذاك قد اخرج به ، فقال : يارب انك قد سمعت مقالة بنى اسرائيل ، وانت اعلم بصلاحتهم . فاوحى الله اليه : ياموسى ، سلنى ما سألوك ، فلاؤأخذك بجهلهم . فعند ذلك تجرأ موسى ﷺ على ابداء تلك المسألة .

ودليلا على ذلك ماجاء فى سورة النساء - ١٥٣ - : « يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتاباً من السماء ، فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة » .

فقد جاءت تبعة تلك المسألة العظيمة موجهة الى بنى اسرائيل ، فكانوا هم الذين طلبوا من موسى ﷺ ان يريهم الله جهرة ، فأحرجوه الى ان يسأل ربه فيما طلبوا .

واصرح منها قوله تعالى فى سورة البقرة - ٥٥ - : « واذقتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون » . وهذا يؤكد ماجاء فى الرواية : ان الذين سألوه هذا السؤال كانوا السبعين الذين اختارهم لميقاته تعالى فأخذتهم الرجفة لهيبة منازل بهم من صاعقة النكال ، فجعل بعضهم ينظر الى بعض وهم يتهافتون على الارض ، ثم بعثهم الله ، بعد النضرع والتذلل من موسى ﷺ قال تعالى : « واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى ، اتهلكنا بما فعل السفهاء منا - الاعراف : ١٥٦ » اى بما فعل السفهاء منا من التجاسر على سؤال الرؤية . فاضافة ذلك الى السفهاء تدل على انه كان بسببهم ومن اجلهم ، وانما سألوا ما لا يجوز عليه .

واما قوله : « سبحانهك تبت اليك وانا اول المؤمنين » فانما هو تعليم لقومه كما فى قوله تعالى : « ومالى لا اعبد الذى فطرنى واليه ترجعون ، ءأتخذ من دونه آلهة

١- راجع فى ذلك : امالى المرتضى ج ٢ ص ٢١٥ مجلس ٧٠ . ومتشابهات القرآن

لابن شهر آشوب ج ١ ص ٩٦ . وقصص الانبياء للنجار ص ٢٩٢ . وشرح الاصول الخمسة للقاضى ص ٢٦٢ . ومتشابه القرآن - ايضا - له ج ١ ص ٢٩١ .

ان يردن الرحمان بضرلاتن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون ،انى اذألفى ضلال ميبين ،  
انى آمننت بربكم فاسمعون -يس : ٢٥» . ومن ثم جاء فى موضع آخر : «انت ولينا  
فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين . واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة  
انا هدنا اليك - الاعراف : ١٥٧» . فكما ان السؤال كان عن قومه ، كانت التوبة - ايضاً -  
استغفاراً لقومه .

وقد حمل بعضهم الرؤية فى سؤال موسى ﷺ على العلم الضرورى الذى  
لا حاجة معه الى اقامة برهان ، وهذا هو جواب ابى الهذيل العلاف المعتزلى ، واختاره  
وايده سيدنا الطباطبائى - دام ظله -<sup>١</sup> . لكن القاضى عبدالجبار ، وكذا الشريف  
المرتضى ، لم يرتضياه ، اما القاضى ، فقال : لان الرؤية انما تكون بمعنى العلم متى  
تجردت ، فأما اذا قارنها النظر فلا تكون بمعنى العلم . واما الشريف المرتضى ، فقال :  
لان ذكر الجهرة فى الرؤية لاتليق الابروية البصر دون العلم . قال وهذا يقوى ان  
الطلب لم يكن للعلم الضرورى .

وربما يقال : ان موسى -ع- سأل الرؤية لنفسه ، ولا يمتنع ان لا يعرف  
النبي استحالته ، أو يطلب زيادة معرفة بزيادة الأدلة وترادفها .  
واجاب القاضى بأن الانبياء لا يجوز عليهم ان يجهلوا ما يرجع الى معرفة الله  
تعالى وشؤونه ، لما فى ذلك من النفرة عنهم ، حيث يؤدى الى جواز ان يسألوا عن  
ذلك فيجهلوه ويعرفه غيرهم<sup>٢</sup> .

\* \* \*

٣- واما الاستدلال بامكان استقرار الجبل دليلاً على امكان الرؤية ، فيرده :  
ان التعليق فى الاية كان على نفس الاستقرار وفعليته ، لا على مكانه ، « فان  
استقر مكانه فسوف ترانى » ، فاذا علم انه لا يستقر ، علم انه تعالى لا يرى .

١- تفسير الميزان ج ٨ ص ٢٥٢ .

٢- مشابه القرآن للقاضى ج ١ ص ٢٩٥ .

ثم من اين علم المستدل امكان الاستقرار للجبل عند تجلى عظمة الله له ،  
 فلعل الكون باسره لا يطبق استقراراً تجاه تلك العظمة والجبروت ، اذ التناسب بين  
 جبروت كبريائه تعالى و دائرة نطاق هذا الكون ، لأكبر مما بين الجمل و سم  
 الخياط - الاعراف : ٤٠ - فكما ان ذلك غير ممكن فكذا هذا بالأولى اذا ملاحظنا  
 الفارق بين النسبتين .

\* \* \*

واما التجلى فى قوله تعالى : « فلما تجلى ربه للجبل » فهو اظهار عظيم  
 قدرته و تجلى جبروته تبارك و تعالى ، بما أوجب دكاً فى الجبل ، اذ لم يستطع  
 المقاومة . و التجلى : شدة ظهور الشيء و وضوحه ولو بالدلائل والآثار ، قال  
 الشاعر .

تجلى لنا بالمشرفية والقنا وقد كان عن وقع الأسنه نائياً  
 اراد أن تدبيره فى تخطيط القتال دل عليه حتى علم انه المدبر له ، وان كان  
 نائياً عن وقع الأسنه و لم يحضر الحرب بنفسه . فاقام ما ظهر من دلالة فعله مقام  
 مشاهدته ، و عبر عنه بانه تجلى منه .

و يستعمل « تجلى » بمعنى « جلى » ايضاً ، كما يقال : تحدث و حدث .  
 و تصدق و صدق . فيجوز فى معنى « تجلى ربه للجبل » : « جلى شيئاً من  
 عظيم قدرته للجبل » . كما قال تعالى : « لا يجليها لوقتها الا هو - الاعراف :  
 ١٨٧ » .<sup>١</sup>

على انه لا بد من الحمل على هذا المعنى ، بعد ان لم تكن المقابلة مع الجبل  
 امرأ معقولا ، ولا كانت للجبل تلك الرؤية التى تحققها المقابلة المذكورة ، و التى يرومها  
 المستدل بالاية . فلا بد انه بمعنى اظهار القدرة و الجبروت ، التى لا يطبق المقاومة  
 امامها اى موجود !

١ - راجع : امالى الشريف المرتضى ج ٢ ص ٢٢٠ . و متشابه القرآن لابن شهر آشوب



وليس يجب في المعلق على شيء ان يكون من جنس المعلق عليه ، كما في قول الخنساء الأنف . وكما في قوله تعالى : « ولا يدخلون الجنة - كناية عن التنعم بنعيم الرضوان - حتى يلج الجمل - وهو جبل غليظ - في سم الخياط - الاعراف : ٤٠ » . أذ يكفي لأبداء امتناع المعلق مجرد امتناع الشيء المعلق عليه اياً كان جنسه .

\* \* \*

٤- اما الزيادة في قوله تعالى : « للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة - يونس : ٢٦ » فهي تضعيف الحسنات ، بقرينة ما بعدها : « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة - : ٢٧ » . فهي نظيرة قوله تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها الانعام : ١٦٠ » . وقوله تعالى : « ليوفيهم اجرهم ويزيدهم من فضله - فاطر : ٣٠ » . والقرآن يفسر بعضه بعضاً .

والتفسير بزيادة المثوبة والأجر هو المأثور عن ائمة اهل البيت -ع- وعن كبار الصحابة والتابعين بأسانيد جياذ<sup>٢</sup> فعن ابن عباس قال : « هو مثل قوله : ولدينا مزيد . يقول : يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله وقال : من جاء بالحسنة فله عشر امثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون » . وعن علقمة بن قيس ، سئل عن الزيادة ، فقال : « الم تر ان الله يقول : من جاء بالحسنة فله عشر امثالها . وقال قتادة : « كان الحسن يقول في هذه الآية : الزيادة بالحسنة عشر امثالها الى سبعمئة ضعف » . وقال مجاهد : « زيادة مغفرة ورضوان » . وهكذا .<sup>٣</sup>

١- راجع : البرهان في تفسير القرآن للمحدث البحراني ج ٢ ص ١٨٣ و ج ٣

ص ٢٨٥ ط ٢ .

٢- راجع : جامع البيان للطبري ج ١١ ص ٧٦ .

٣- الدر المنثور للسيوطي ج ٣ ص ٣٠٦ . والطبري ج ١١ ص ٧٦ .

وماورد في تفسيرها بالنظر الى وجه الله ، مطروح رأساً ، للاسباب التالية .  
 اولاً - مخالفتها مع ظاهر القرآن ، لان تناسق لفظ الآية يستدعي ان تكون  
 الزيادة من جنس المزيد عليه كما لو قيل اعطيك من هذا العسل رطلاً وزيادة ، ولا يحسن  
 لو كان اراد من الزيادة كتاباً او مسحة مثلاً . وهكذا في الآية ، وعدهم الله الجزاء  
 الحسنى ، وهو اجر عملهم ، وزيادة فضل على الاجر والجزاء .  
 نعم لو كان اريد من الزيادة من غير الجنس لوجب التصريح ، فيقول : وزيادة  
 كتاب مثلاً ، اما اذا اطلق - كما في الآية - فلا يحسن الا من جنس المزيد عليه . هذا  
 ما استدعيه بلاغة اللفظ في ذاته .  
 وثانياً - انها معارضة بمثلها ، بل واصح منها سنداً واصح دلالة ، كما  
 تقدم .

وثالثاً - مباينتها مع سائر الآيات التي كانت تصلح تفسيراً لهذه الآية ، والقرآن  
 اذا كان هو المفسر لنفسه ، فلا حاجة الى غيره مما يتهم شأنه ، وقد تقدمت الاشارة  
 الى هذا التفسير الذاتى .  
 ورابعاً - ضعف اسانيدھا طراً بما لا يصلح حجة اطلاقاً ، فضلاً عن صلاحية  
 تفسير كلام الله الحكيم .

اذ في طريق الاسناد - الى ابى بكر وكذا الى حذيفة من الاصحاب<sup>١</sup> - ابو  
 اسحاق ، وهو : عمرو بن عبدالله السبيعي الهمداني ، محدث كوفى طعن فى السن<sup>٢</sup>

١- روى ابو جعفر الطبرى ، عن ابن بشار عن عبدالرحمان عن اسراييل عن ابى اسحاق

عن عامر بن سعد عن ابى بكر . وبنفس الاسناد ، عن اسراييل عن ابى اسحاق عن مسلم بن تدير  
 عن حذيفة . جامع البيان ج ١١ ص ٧٣-٧٤ .

٢- قد جاوز الائمة . ولد على عهد عثمان ، ومات حدود سنة مئة وثلاثين .

حتى خرف وكان يختلط في الحديث . وكان قبل ذلك مدلساً يروى عن لم يره  
أو كان يسقط الوساطة ، و من ثم رفضوه . قال اهل الحديث : لم يفسد حديث  
اهل الكوفة غير ابي اسحاق . و فرض له معاوية العطاء ثلاثمئة في الشهر . وكان  
احمد بن حنبل لا يرى الرواية عنه ، قال : لان الذين حملوا عنه ادر كوه في  
مؤخرة حياته <sup>١</sup> .

ثم ان الذى يروى عنه هو حفيده « اسراييل » - تارة عنه بلا واسطة ، واخرى  
بواسطة ابيه « يونس » عن جده « ابي اسحاق » . اذن فهل ياترى من صلة بين هذا  
النسب الاسرائيلى النزعة ، وهذه الرواية التى هى اشبه بالاسرائيليات ؟ ! وهلاتهم  
هذه الاسرة المتأثرة ببيئة اسرائيلية فى تسمية ابناءها ، ألاتأثر فى عقائدها وافكارها  
عن الألوهية والتوحيد ؟ !

وهكذا بقية الاساتيد هى اضعف وأوهن ولانظيل <sup>٢</sup> .

قال ابن شهر آشوب : واما الحديث المروى فى ذلك عن ابي بكر فاسناده  
غير مرضى <sup>٣</sup> قلت : ومن ثم فان محمد بن اسماعيل البخارى ، عند تفسيره لسورة  
يونس من جامعه ، عفى تلك الروايات رأساً ، و فسر الزيادة - كما عن مجاهد -  
بزيادة مغفرة ورضوان <sup>٤</sup> .

\* \* \*

١- راجع : الجرح والتعديل لابن ابي حاتم الرازى ج ٦ ص ٢٤٣ . وميزان الاعتدال  
للذهبي ج ٣ ص ٢٧٠ . وتهذيب التهذيب لابن حجر ج ٨ ص ٦٦ .  
٢- تجدها مجموعة فى جامع البيان ج ١١ ص ٧٤ ، وهى تربو على ٢٠ اسناداً  
كلها ضعاف .

٣- مشابهات القرآن ومختلفه ج ١ ص ١٠٠ .

٤- صحيح البخارى - تفسير سورة يونس - ج ٦ ص ٩٠ .



٥- وقوله تعالى : « لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد - ق : ٣٥ » قدفسرتها الآية « فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرّة اعين جزاء بما كانوا يعملون - السجدة : ١٧ ». يقول تعالى : اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر<sup>١</sup> . فيجد المؤمن من نعيم الجنة ما لم يكن يترقبه ولا كان يتصوره ، فنقر عينه بتلك النعم الجسم التي منحه الله فوق ما كان يشتهيها ، وزيادة عما كان يتوقعه . وفى سورة الزخرف : « وفيها ما تشتهي النفس وتلد الاعين - ٧١ » . فالاول : ما كان يتصوره من نعيم و ينتظره ، و ان كان قد اتى به متشابها - البقرة : ٢٥ - والثانى : ما لم يكن يتوقعه ، وستقر عينه برؤيتها ، وهذا هو المزيد الموعود به . اما تفسيره بالنظر الى وجه الله - كما زعمه المستدل - فشىء غريب عن ظاهر اللفظ و متناف مع سائر الايات ، والكلام فيه عين الكلام فى آية يونس ، فلا نعيد .

\* \* \*

٦- وقوله تعالى : « تحيتم يوم يلقونه سلام ، و اعد لهم اجراً كريماً - الاحزاب : ٤٤ » لا يعنى اللقاء بالنظر اليه تعالى ووجه لوجه . اذ نفس التعبير وارد بشأن الكفار المنافقين ايضاً : « فاعقبهم نفاقاً الى يوم يلقونه - التوبة : ٧٧ » وقد قال تعالى بشأنهم : « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون - المطففين : ١٦ » . وانما عنى بيوم التلاق - غافر : ١٥ - يوم القيامة ، وهو يوم الرجعى - العلق : ٨ - « الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون - البقرة : ٤٦ » و « قد خسروا الذين كذبوا بقاء الله - الانعام : ٣١ » . فيوم اللقاء هو يوم الرجوع والانتهاى اليه تعالى : « انالله وانا اليه راجعون - البقرة : ١٥٦ » : سواء المؤمن

١- حديث قدسى مأثور . راجع : الطبرى ج ٢١ ص ٦٥ . و مجمع البيان ج ٨

والكافر ، « يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه - الانشقاق : ٦ » .  
 والمقصود من هذا اللقاء هو الانتهاء الى حيث لا حكم الاحكمه تعالى ،  
 « ويعلمون ان الله هو الحق المبين - النور : ٢٥ » . « وله الملك يوم ينفخ في  
 الصور - الانعام : ٧٣ » . « لمن الملك اليوم ؟ الله الواحد القهار - غافر : ١٦ » .  
 « الملك يومئذ لله يحكم بينهم - الحجج : ٥٦ » فكل من المؤمن والكافر يلاقى  
 جزاء عمله ، ان خيراً فخير ، وان شراً فشر . « فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون -  
 المؤمنون : ١٠١ » . « يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض : فمن ينصر نامن  
 بأس الله ان جاءنا - غافر : ٢٩ » .

ومن ثم جاء التعبير بلقاء يوم الحساب ولقاء الآخرة ايضاً ، كناية عن نفس  
 المعنى ، ففي سورة الاعراف : « والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت  
 اعمالهم - ١٤٧ » وفي سورة الكهف : « الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحطبت  
 اعمالهم - ١٠٥ » . « فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون -  
 الزخرف : ٨٣ » . « انى ظننت انى ملاق حسابه - الحاقة : ٢٠ » . وفي سورة البقرة :  
 « يظنون انهم ملاقوا ربهم - ٤٦ » .

\* \* \*

٧- واما الحجب فى قوله تعالى : « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون -  
 المطففين : ١٥ » فهو الحرمان عن فيض قدسه تعالى ، ومن ثم جاء التعقيب بقوله :  
 « ثم انهم لصالوا الجحيم - ١٦ » ، « فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا -  
 الاعراف : ٥١ » . حيث الذنوب حالت بينهم وبين ادراك الحق ، فحرموا  
 عنايته تعالى الخاصة بأولى البصائر من اصحاب الايمان . « ورحمتى وسعت  
 كل شئ فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون -  
 الاعراف : ١٥٦ » .

٨- واما حديث : « سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر »<sup>١</sup> فان صح السند - ولم يصح كما نذكر - فلا بد من تأويله بالعلم الضروري ، فمن كان له شك في وجوده تعالى ، فسوف لا يبقى مجال لاي شك بعد وضوح الحق كالعيان ، اما الأخذ بالظاهر فمتناف مع قوله تعالى : « ولا تدركه الابصار » وحكم العقل القاطع بامتناع الجهة والتقابل بشانه تعالى . فلا بد امامن الطرح ، شأن كل معارض لصريح القرآن . أو التأويل ، على فرض صحة الاسناد .

لكن الاسناد غير نقي ، ورجاله غير موثوق بهم ، اذ أشف مايتعلقون به هو هذا الحديث ، الذى يروونه عن قيس بن ابي حازم ، عن جرير بن عبدالله البجلي ، عن النبي ﷺ . وقيس هذا مطعون فيه من وجهين ، الاول : انه كان يرى رأى الخوارج . وكان ممن يبغض امير المؤمنين علياً عليه السلام <sup>٢</sup> الذى هو نفس الرسول - صلى الله عليه وآله - ومثال الاسلام الكامل ، فلا يبغضه المنافق وغد ، وهو مبغض للنبي ﷺ وللإسلام جميعاً . قال عليه السلام : « من زعم انه آمن بى وهو يبغض علياً فهو كاذب . » وقال - لعلى - : « من ابغضك فقد ابغضنى . » « ولا يحبك المؤمن ولا يبغضك المنافق . » وكان الصحابة يعرفون المنافقين على عهد عليه السلام ببغض على عليه السلام . وروى انس بن مالك عن رسول الله عليه السلام قال : امتحنوا اولادكم بحب على . وقال احمد بن حنبل : ان الحديث الذى لالبس عليه ، هو قول النبي صلى الله عليه وآله : يا على ، لا يحبك المؤمن ، ولا يبغضك المنافق . وقال الله عز وجل : « ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار - النساء : ٤ » . قال احمد : فمن ابغض علياً فهو فى الدرك الاسفل

١- صحيح البخارى ج ١ باب ١٦ ص ١٤٥ وباب ٢٦ ص ١٥٠ من المواقيت .

٢- شرح الاصول الخمسة للقاضى ص ٢٦٩ . واسد الغابة لابن الاثير ج ٤ ص ٢١١

وميزان الاعتدال للذهبي ج ٣ ص ٣٩٣ .



من النار<sup>١</sup> .

هذا ، وقد قال قيس : منذ سمعت علياً على منبر الكوفة يقول : انفروا الى بقية الاحزاب - يعنى اهل النهروان - دخل بغضه قلبى . قال القاضى : ومن دخل بغض امير المؤمنين قلبه ، فأقل احواله ان لا يعتمد على قوله ولا يحتج بخبره . وقد تجنب قدماء الكوفيين الرواية عنه لذلك ، اذ لا ينبغي الرواية عن منافق هو فى الدرك الاسفل من النار - كما قال ابن حنبل - وقد تكلم فيه ائمة النقد ، فبين من حمل عليه ، رعاية للمأثور عن النبي ﷺ بشأن هؤلاء الاوغاد . ومن وثقه ، لانحراف فى نفسه « ان الطيور على اشكالها تقع » لكنه اعترف بان له مناكير . قال يحيى بن سعيد : قيس بن ابي حازم منكر الحديث<sup>٢</sup> .

والوجه الثانى : انه طعن فى السن حتى كبر وشاخ وذهب عقله وخرف<sup>٣</sup> . قال القاضى : انه خولط فى عقله فى آخر عمره . والكتبة يكتبون عنه على عادتهم فى حال عدم التمييز . ولاندرى ان هذا الخبر - المنكر - رواه وهو صحيح العقل او مختلط العقل<sup>٤</sup> .

\* \* \*

٩- واما قوله : « لا موجود الاوجائز ان يرينا الله » فلا يعدو سفسطة ومصادرة

١- راجع : ابن عساكر فى ترجمة الامام امير المؤمنين ج ٢ ص ٢٥٣ و ص ٢١٨ - ٢١٩ وكفاية الطالب ص ٧٢ . وراجع : المسند ج ١ ص ٨٤ و ٩٥ . والترمذى ج ١٣ ص ١٧٧ . ومسلم ج ١ ص ٦٠ . وابن ماجه ج ١ ص ٥٥ . وشرح النهج ج ٤ ص ٨٣ . قال : حديث صحيح متفق عليه بين المحدثين .

٢- راجع : تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٨ ص ٣٨٨

٣- نفس المصدر . والذهبي فى الميزان ج ٣ ص ٣٩٣ .

٤- شرح الاصول الخمسة ص ٢٦٩ .

على المطلوب ، اذ ملازمة بين مطلق الوجود وامكان الرؤية ، بعدان لم يثبت ذلك ببرهان ، ولا كان ضروري الثبوت في الوجدان .

نعم استدلال متفلسفوههم ببرهان « السبر والتقسيم » ، قالوا : انا قاطعون برؤية الاعيان والاعراض ، ضرورة انا نفرق بالبصر بين جسم وجسم ، وعرض وعرض ، ولا بد من علة مشتركة بين الجسم والعرض لهذا الحكم المشترك بينهما ، وهي : اما الوجود ، او الحدوث ، او الامكان ، اذ لارابع يشترك بينهما . غير ان الحدوث عبارة عن الوجود بعد العدم ، والامكان عبارة عن عدم ضرورة الوجود . والعدم لا مدخل له في العلية ، فتعين الوجود . « وهو مشترك بين الصانع تعالى وغيره من الاجسام والاعراض » اذن جاز رؤيته تعالى لانه موجود<sup>١</sup> .

ومغالطة هذا الاستدلال واضحة ، اذ العرض بما هو عرض لا يقبل تعلق الرؤية به ، ما لم يقم بجسم ، فيرى من حيث كونه جسماً . وذلك كالكم والكيف والأين والوضع والجدة والاضافة والفعل والانفعال ومتى<sup>٢</sup> ، الاعراض التسعة المشهورة لا تقبل تعلق احساس بها في انفسها . فان العدر بما هو عدد لا يرى وانما يرى المعدود . وهكذا بقية الاعراض .

اذن فالذي يرى هو الجسم . والعلة هي الجسمية ، المفقودة في ذاته المقدسة . واما قياس الاشعري الرؤية بالعلم فهو قياس مع الفارق ولا جامع بينهما . مضافاً الى ان الاستدلال بالوجود والعلم على جواز الرؤية باطل في نفسه ، بعدان نجد في بداية العقل امتيائ لها وجود كالعلم والعقل والارادة والكرامة والحب والبغض<sup>٣</sup> ، هي موجودة ومعلومة ، ولكن لا تصح رؤيتها لانها ليست اجساماً ، وما ليس جسماً لا يمكن تحقق التقابل بينه وبين نظر الرائي ، وهو شرط في تحقق الرؤية .

١- شرح العقائد النسفية لعمر بن مسعود الفشتازاني ص ٥٦ ط كابل

٢- شرح تجريد الاعتقاد لابن المطهر الحلبي - قدس سره - ص ١٠٧

٣- راجع : شرح الاصول الخمسة للقاضي ص ٢٧٤

١٠- واماتقييد عموم النفسى فى قوله تعالى: «لاتدر كه الابصار - الانعام: ١٠٣»  
 بالرؤية فى الدنيا ، اوبرؤية الكافرين ، فهو تأويل قبيح بعد ان كانت الآية اشادة  
 بشأن من شؤون الرب تعالى ومدحاً لائقاً بمقام قدسه جل ثناؤه . قال تعالى : «بديع  
 السماوات والارض : انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شىء . وهو  
 بكل شىء عليم . ذلكم الله ربكم ، لاله الا هو خالق كل شىء فاعبدوه ، وهو على  
 كل شىء وكيل . لاتدر كه الابصار ، وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير .  
 قد جاء كم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها ، وما انا عليكم بحفيظ  
 . ١٠٠ - ١٠٤» .

انظر الى هذا الاطراء الجميل بمقام الألوهية الكريمة، نوهت عن صفات ونعوت  
 جليلة كانت صبغتها العموم المطلق ، لا الاختصاص بهذه الحياة القصيرة المدى او  
 بأناس دون أناس ، الذى يتنافى وكونها صفات جلال و اكرام . هذا ، فضلا عن  
 تذييل الآية بشبه تعليل للنعوت المذكورة : «وهو اللطيف الخبير» . اذ اللطيف  
 مقابل الكثيف ، لا يمكن مسه ولا النظر اليه ، والخبير هر المحيط بخصوصيات  
 الشىء «وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء - يونس : ٦١» .  
 فاذا ما قارننا هذا التعليل الذى فى الذيل ، مع تلكم النعوت فى صدر الآية ، يتضح  
 جانب عموم تلك الصفات بجلاء ، الامر الذى لا يكاد يخفى على ذوى الازواق الأدبية  
 الدقيقة !

ولابن تيمية هنا محاولة فاشلة ، قال : «المراد من الادراك فى الآية هى الرؤية  
 المقيدة بالاحاطة ، ومن رأى جوانب الجيش او الجبل لا يقال انه أدركها ، وانما  
 يقال ادركها اذا احاط بها رؤية . قال : ونحن فى هذا المقام ليس علينا بيان ذلك ،  
 وانما ذكرنا هذا بياناً لسند المنع ، بل المستدل بالآية عليه ان يبين ان الادراك فى



لغة العرب مرادف للرؤية ، وان كل من رأى شيئاً يقال في لغتهم انه ادركه ، وهذا لاسبيل اليه ، كيف وبين لفظ الرؤية ولفظ الادراك عموم وخصوص ، فقد تقع رؤية بلا ادراك ، وقد يقع ادراك بلا رؤية ...» .

واضاف : «ان الاية مدح ، ومعلوم ان كون الشيء لا يرى ليس صفة مدح ، لان النفي المحض لا يكون مدحاً ان لم يتضمن امرأ ثبوتياً ، ولان المعدوم ايضاً لا يرى ، والمعدوم لا يمدح ، فعلم ان مجرد نفي الرؤية لامدح فيه»<sup>١</sup> .

وقد غفل ان الادراك جاء في الاية مقيداً بالأبصار ، وهو من اوضح القرائن على ان المراد به «الرؤية بالعين» تجاه تقييده بالقلب ، المراد به الدرك النفساني المجرد ، يقال : ادركته ببصري ، ويراد معنى يغاير قولهم : ادركته بقلبي . وهذا كاف مستنداً للمستدلين بالآية على نفي رؤيته تعالى ، الامر الذي لم يتنبه له شيخ حران .

هذا ، ونفي الرؤية في الآية جاء معللاً بانه تعالى «لطيف» ، وهو من النفي المتضمن للاثبات لان النفي المحض ، فهو كقوله تعالى : «لاتأخذنه سنة ولا نوم» لكونه «حياً قيوماً» وقوله : «ولا يحيطون بشيء من علمه» كناية عن عظم احاطته تعالى . وامثال ذلك كثير في القرآن . وهكذا قوله تعالى ، «لا يدركه الابصار» ، لكونه «لطيفاً» . كما ان قوله : «وهو يدرك الابصار» جاء معللاً بكونه «خبيراً» .

وهذا من اللطائف الدقيقة التي تضمنتها الايات الكريمة ، لاتنالها افهام القشرين من اهل الحشو .

وهذا الشيخ عدى بن مسافر الاموى (ت ٥٥٧) احسن تقديساً لمقام الالوهية من هؤلاء المقلدة السلفيين ، قال : «وانه تعالى ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم ، وانه ليس في جهة من الجهات ، وليس مستقر أعلى مكان وانه مرئي بالقلوب والابصار - بكسر الهمز - ولاتحويه الاقطار والابصار - بالفتح - ولاتحيط به الجهات ، وانه واحد فرد صمد ، لاثاني معه ولا شيء مثله» .

١- منهاج السنة ، تحقيق محمد رشاد طيروت ج ٢ ص ٢٤٣-٢٤٤

قال: «فهذا هو العلم بذاته، مستوعب على عرشه بالمعنى الذى اراده تعالى، استواء منزهاً عن المماساة والاستقرار والتمكن والحلول والمقدار، لا يحمله العرش، بل العرش وحمله العرش واللوح والكرسى والسموات والارض وما بينهما وما فيهما وما تحتها وما وراءهما وجميع المخلوقين والمخلوقات، محمولون بقدره الله تعالى ومقهورون فى قبضته...»<sup>١</sup>.

### الجهة والمكان

ذهب الاشعري واذنابه من مشبهة ومجسمة الى انه تعالى كائن فى جهة « فوق » مستويماً على عرشه فوق اطباق الثرى . وانه ينزل ويصعد ويتحرك من مكان الى مكان ، فيحويه مكان ويخلو منه مكان . وتشبوا بآيات و روايات حسبوها دالة على ما فهموا منها وفق ظواهرها ، ونحن نذكرها جميعاً ، ثم نتبعها بما صح لدينا من تأويلها المعقول تباعاً حسب الارقام :

- ١- قال تعالى : « الرحمن على العرش استوى - ط : ٥ » .
- ٢- وقال : « اليه يصعد الكلم الطيب - فاطر : ١٠ » .
- ٣- وقال : « بل رفعه الله اليه - النساء : ١٥٨ » .
- ٤- وقال : « يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه - السجدة : ٥ » .
- ٥- وقال - حكاية عن فرعون- : « ياها مان ابن لى صرحاً لعلى ابلغ الاسباب اسباب السماوات فاطلع الى اله موسى وانى لأظنه كاذباً - غافر : ٣٧ » . كذب موسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فى قوله : « ان الله فوق السماوات » .
- ٦- وقال : « أأنتم من فى السماء ان يخسف بكم الارض - الملك : ١٦ »

١- فى رسالته «اعتقاد اهل السنة والجماعة» ط بغداد سنة ١٣٩٥ هـ ص ١٥ .

- ٧- وقال : « يخافون ربهم من فوقهم - النحل : ٥٠ » .
- ٨- وقال : « تعرج الملائكة والروح اليه - المعارج : ٤ » .
- ٩- وقال : « ثم استوى الى السماء وهي دخان - فصلت : ١١ » .
- ١٠- وقال : « ثم استوى على العرش فاسأل به خبيراً - الفرقان : ٥٩ » .
- ١١- وقال : « ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع - السجدة : ٤ » .
- ١٢- وقال : « وجاء ربك والملك صفاً صفاً - الفجر : ٢٢ » .
- ١٣- وقال : « هل ينظرون الا ان يأتهم الله فى ظلل من الغمام - البقرة : ٢٢٠ » .
- ١٤- وقال : « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى - النجم : ٩ » .
- ١٥- وقال : « وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء - الشورى : ٥١ » .
- ١٦- وقال : « ثم ردوا الى الله مولاهم الحق - الانعام : ٦٢ » .
- ١٧- وقال : « ولو ترى اذ وقفوا على ربهم - الانعام : ٣٠ » .
- ١٨- وقال : « ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم - السجدة : ١٢ » .
- ١٩- وقال : « و عرضوا على ربك صفاً - الكهف : ٤٨ » .
- قال : كل ذلك يدل على انه تعالى ليس فى خلقه ، ولا خلقه فيه ، وانه مستو على عرشه .

١- الابانة ص ٣٨ باب ذكر الاستواء على العرش .



٢٠- وقال تعالى : «الله نور السماوات والارض - النور: ٣٥»<sup>١</sup> .

٢١- واستدل ايضاً بما روى : ان الله تعالى ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا ، فيقول : هل من سائل فاعطيه : هل من مستغفر فاغفر له ؟ حتى يطلع الفجر . الى امثالها من روايات نسبت للنزول اليه تعالى<sup>٢</sup> .

٢٢- وبما روى - ايضاً - عن ابن عباس ، انه قال : تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في الله ، فان بين كرسيه الى السماء الف عام ، والله عز وجل فوق ذلك .

٢٣- وبما روى عن النبي -ص- انه قال : ان العبد لا تزول قدماه من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن عمله .

٢٤- وبما روى : ان رجلا اتى النبي -ص- بامة سوداء ، فقال : يا رسول الله ﷺ اني اريد ان اعتقها في كفارة ، فهل يجوز عتقها ؟ فقال لها النبي ﷺ : اين الله ؟ قالت : في السماء . قال : فمن أنا ؟ قالت : انت رسول الله ﷺ . فقال النبي ﷺ : اعتقها فانها مؤمنة . قال الاشعري : فهذا يدل على ان الله على عرشه فوق السماء<sup>٣</sup> .

٢٥ - وزاد ابو سعيد الدارمي : ان هذه العصابة - يعنى بهم المعتزلة - اقرت بهذه الآيات ثم نقضوا دعواهم بدعوى غيرها ، فقالوا : الله في كل مكان ولا يخلو منه مكان . ثم ذكر حديث الجارية السوداء وقال : ففي هذا دليل على ان الرجل اذا لم يعلم ان الله في السماء دون الارض فليس بمؤمن ، الا ترى ان النبي ﷺ جعل اشارة ايمانها معرفتها ان الله في السماء .

١- نفس المصدر ص ٣٥ - ٣٨ .

٢- نفس المصدر ص ٣٧ . وكتاب التوحيد والصفات لابن خزيمة ص ١٢٦ .

٣- نفس المصدر ص ٣٩ .

وفي قول رسول الله ﷺ « أين الله ؟ » تكذيب لقول من يقول : هو في كل مكان ، لا يوصف بأين . لان شيئاً لا يخلو منه مكان يستحيل ان يقال : اين هو ؟ ولا يقال : أين ؟ الا لمن هو في مكان ويخلو منه مكان<sup>١</sup> .

واستدل ابو سعيد باحدith آخر ايضاً منها :

٢٦- حديث الاعرابي، جاء الى النبي ﷺ يشكو الجذب ، فقال: يا محمد هلكت المواشي ونهكت الاموال ، وانا نستشفع بك على الله ، وبالله عليك فارع الله ان يسقينا ! فقال النبي ﷺ يا أعرابي ويحك ، وهل تدري ما تقول ؟ ان الله اعظم من ان يستشفع عليه بأحد من خلقه ، ان الله فوق عرشه ، فوق سماواته ، وسماواته فوق ارضيه مثل القبة ، وانه ليثبط به أطيظ الرحل بالراكب .

٢٧- وحديث المطر ، حسر النبي ﷺ عن ثوبه حتى اصابه ، قيل : يا رسول الله ﷺ لم صنعت هذا ؟ قال : لانه حديث عهد بربه . قال ابو سعيد: ولو كان على مايقول هؤلاء الزائغة - يعني بهم المعتزلة - انه تعالى في كل مكان، ما كان المطر احدث عهداً بالله من غيره من المياه والخلائق .

٢٨- وحديث ابي بكر : ايها الناس ان كان محمد الهكم فان الهكم قدمات، وان كان الهكم الله الذي في السماء ، فان الهكم لم يمت !

٢٩- وحديث بنى اسرائيل : قالوا : يارب انت في السماء ونحن في الارض فكيف لنا ان نعرف رضاك وغضبك ؟ قال : اذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم ، واذا غضبت عليكم استعملت عليكم شراركم .

٣٠- وحديث كعب الاحبار: ما من سماء الا لها اطيظ كأطيظ الرحل العلافى، اول ما يرتحل، من ثقل الجبار فوقهن<sup>٢</sup> .

١- رسالة «الرد على الجهمية» لعثمان بن سعيد الدارمي ص ١٤ و ١٧ .

٢- نفس المصدر ص ١٨-٢٥ .

واستدل - ايضاً - بآيات جاء فيها التعبير بالنزول من عند الله تعالى :

٣١ - منها قوله تعالى : « الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب -  
الكهف : ١ » .

٣٢ - وقوله : « نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وانزل التوراة  
والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان - آل عمران : ٣ » .

٣٣ - وقوله : « حم تنزيل من الرحمان الرحيم - فصلت : ٢ » .

٣٤ - وقوله : « تنزيل من حكيم حميد - فصلت : ٤٢ » .

٣٥ - وقوله : « انا انزلناه فى ليلة القدر - القدر : ١ » .

٣٦ - وقوله : « انا انزلنا فى ليلة مباركة - الدخان . ٣ » .

٣٧ - وقوله : « سورة انزلناها و فرضناها وانزلنا فيها آيات بينات  
- النور : ١ » .

٣٨ - وقوله : « وما ننزل الا بامر ربك - مريم : ٦٤ » .

٣٩ - وقوله : « نزل به الروح الامين على قلبك - الشعراء : ١٩٣ » .

٤٠ - وقوله : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق - النحل : ١٠٢ » .

وعقبها باحديث نزوله تعالى عن عرشه :

٤١ - منها: حديث : نزوله تعالى فى كل ليلة الى السماء الدنيا اذا مضى منه  
شطره فيقول: هل من مستغفر ؟

٤٢ - وحديث : نزوله تعالى فى ليلة النصف من شعبان فيغفر لكل نفس الا  
مشرك أو مشاحن .

٤٣ - وحديث : نزوله يوم القيامة للحساب وتجليه للمؤمنين فيتبعونه الى  
الجنة .



٤٤- وحديث : نزوله لأهل الجنة ، فيقول : سلوني ، فيقولون باجمعهم : نسألك الرضا .

٤٥- وحديث عمر بن عبد العزيز : فاذا فرغ الله من أهل الجنة والنار ، أقبل « في ظلل من الغمام والملائكة - البقرة : ٢١٠ » فسلم على أهل الجنة في أول درجة ، فيردون عليه السلام . قال القرطبي : وهذا في القرآن « سلام قولاً من رب رحيم - يس : ٥٨ » . فيقول : سلوني . قال : ففعل بهم ذلك في درجهم حتى يستوى في مجلسه ، ثم يأتيهم التحف من الله تحملها الملائكة اليهم .

قال ابو سعيد : فان قالوا : كيف نزوله هذا ؟ قلنا : لم نكلف كيفية نزوله في ديننا ، ولا تعقله قلوبنا ، وليس كمثل شيء من خلقه فنشبهه منه فعلاً أو صفة بفعالهم وصفتهم . ولكن ينزل بقدرته ولطف ربوبيته كيف يشاء ، فالكيف منه غير معقول ، والايان بقول رسول الله ﷺ في نزوله واجب ولا يسأل الرب عما يفعل ، كيف يفعل ، وهم يسألون . قال : واذا لو آمنتم باستوائه على العرش كايان المصلين به ، لقلنا لكم : ليس نزوله من سماء إلى سماء بأشد عليه من ذلك فكما قدر على الأولى قدر على الأخرى كيف يشاء<sup>١</sup> .

٤٦- واستدل ابن خزيمة بأن فطرة المسلمين علمائهم وجها لهم ، احرارهم ومماليكهم ، ذكرانهم وإناثهم ، بالغيم واطفالهم ، كل من دعا الله جل وعلا ، فانما يرفع رأسه إلى السماء ، ويمد يده إلى الله إلى اعلاه إلى اسفل . وزاد المعلق (محمد خليل هراس) في هامش الكتاب : ان التوجه إلى السماء في الدعاء . ليس فطرة في المسلمين وحدهم ، بل هو فطرة عامة في سائر الناس ، بل ان الحيوانات نفسها لترفع رأسها إلى السماء زمان الجذب ، كأنها تستمطر ربها ، ولا يجحد هذه الفطرة الا معطل قد فسدت فطرته<sup>٢</sup> . وهكذا استدل ابو الحسن الأشعري .

١- نفس المصدر ص ٢٧-٣٩ .

٢- كتاب التوحيد والصفات ص ١١٠ . وراجع : الابانة ص ٣٥-٣٦ .

هذا جل ما تشبث به القوم في هذا المجال ، فانتظر للإجابة على جميع ذلك  
واحدة واحدة تبعاً حسب الأرقام .

وللإشاعة ومن لف لفهم - هنا - كلام سيء : زعموه نقضاً على اهل التنزيه  
قل ابو الحسن الاشعري : زعمت المعتزلة ان الله في كل مكان ، فلزمهم انه في بطن  
مريم ، وفي الحشوش ، وفي الأخلية ، وهذا خلاف الدين ، تعالى الله عن قولهم !<sup>١</sup>  
وقال ابو سعيد : فما الذي دعا الملك القدوس ، اذ هو على عرشه في عزه وبهائه ، ان  
يصير في الامكنة القذرة واجواف الناس والطيروالبهائم ، ويصير بزعمكم - خطاب  
الى اهل التنزيه - في كل زاوية وحجرة ومكان منه شيء ؟!<sup>٢</sup> .

والحشوش : الكنيف ومواضع قضاء الحاجة ، الواحد : حش ، واصله من  
الحش : البستان ، لانهم كانوا كثيراً ما يتغوطون في البساتين . قاله ابن الاثير .  
والأخلية : الخلاء . وهو الكنيف ايضاً . انظر الى هذا التعبير السيء في مقام التكلم  
عن شؤون رب العزة ، ولاغرو فان الغريق يتشبث بكل حشيش ، ونحن نقدرهم اذ عبروا  
ببطن مريم !

هكذا لفق اصحاب التشبيه تليقاتهم لاثبات الجهة له تعالى ، وقد أتى عليها اهل  
العدل والتنزيه بعاصفة البرهان القاطع ، فنسفوها نسفاً وذروها ادراج الرياح .

\* \* \*

قال اهل التنزيه : انه تعالى ليس بجسم ولا فيه شيء من خواص الاجسام ، فليس  
يوصف تعالى بالابعاد الثلاثة ، من طول وعرض وعمق ، ولا هو ذو حركه وسكون ،  
ولا خفة ولا ثقل ولا وزن ، ولا هو محدود بجهة ، ولا يحويه مكان ، وان كان لا يخلو  
منه مكان ، ولا هو معروض الحوادث من الاجتماع والافتراق ، والحضور والغياب ،

١- الابانة ص ٣٦

٢- الرد على الجهمية ص ١٤

والانتقال والذهاب والاياب . اذكل ذلك هو من ملزومات الجسمية ، وهى عوارض  
حادثة ، والله تعالى قديم فى ذاته وصفاته ، متنزه عن كل عروض او حدوث<sup>١</sup> «ليس  
كمثله شىء وهو السميع العليم - الشورى : ١١» .

قال امير المؤمنين عليه السلام : «من اشار اليه فقد حده<sup>٢</sup> . ومن حده فقد عده<sup>٣</sup> .  
ومن قال : فيم ؟ فقد ضمنه . ومن قال : علام ؟ فقد اخلى منه<sup>٤</sup> . كائن لاعتن حدث ،  
موجود لاعتن عدم<sup>٥</sup> مع كل شىء لامتقارنة ، وغير كل شىء لامتزاية<sup>٦</sup>» .

وقال عليه السلام : « لا يشغله شأن ، ولا يغيره زمان ، ولا يحويه مكان<sup>٧</sup> » . وقال :  
« لا يدرك بوهم ، ولا يقدر بفهم ، ولا يشغله سائل ، ولا ينقصه نائل . ولا ينظر بعين ،  
ولا يحد بأين ، ولا يوصف بالازواج ، ولا يخلق بعلاج ، ولا يدرك بالحواس ، ولا يقاس  
بالناس<sup>٨</sup>» .

وقال الامام جعفر بن محمد الصادق - عليهما السلام - : « ان الله عظيم رفيع  
لا يقدر العباد على صفته ، ولا يبلغون كنه عظمته ، لا تدركه الابصار . وهو يدرك

---

١- راجع فى ذلك بالخصوص : تجريد الاعتقاد لنصير الدين الطوسى ، بشرح العلامة  
ابن المطهر الحلى ، بحث الالهيات ، المسألة : ١٢ - ٢٠ ، ص ١٦١ - ١٦٤ . وشرح الاصول  
الخمس للفاضى عبد الجبار ص ٢١٦ - ٢٣٠ .

٢- لان الاشارة الحسية تستدعى حصر المشار اليه . فى جهة منقطعاً عن غيرها من الجهات  
فيكون محدوداً ، اى اذا طرف ينتهى اليه . فمن اشار اليه فقد حده .

٣- لان التحديد هو منشأ العد ، فلولا الانتهاء الى حد لما صح العد .

٤- لانه لو كان على شىء - كالعرش مثلاً - لزم اخلاء سائر الامكنة منه .

٥- فهو تعالى موجود اذلى قديم .

٦- من اولى خطبة من نهج البلاغة ط ١ ج ١ ص ١٥ - ١٦ .

٧- شرح النهج لابن ابي الحديد ج ١٠ ص ٥٨ رقم : ١٧٩

٨- المصدر ص ٨٨ رقم : ١٨٣ : من رواية نوف البكالى .



الابصار ، وهو اللطيف الخبير . ولا يوصف بكيف ، ولا أين ولا حيث . وكيف اصفه بالكيف ؟ وهو الذى كيف الكيف حتى صار كيفاً ، فعرفت الكيف بما كيف لنا من الكيف . ام كيف اصفه بأين ؟ وهو الذى أين الأين حتى صار أيناً ، فعرفت الأين بما أين لنا من الأين . ام كيف اصفه بـحيث ؟ وهو الذى حيث حيث حتى صار حيثاً ، فعرفت حيث بما حيث لنا من حيث . فالله تعالى داخل فى كل مكان ، وخارج من كل شيء<sup>١</sup> ، لا تدركه الابصار . وهو يدرك الابصار ، لاله الاله العلى العظيم ، وهو اللطيف الخبير<sup>٢</sup> . وقال فى جواب ابن ابى العوجاء : «فاما الله العظيم الشأن الملك الديان ، فلا يخلو منه مكان ، ولا يشغل به مكان . ولا يكون الى مكان اقرب منه الى مكان»<sup>٣</sup> .

وقال الامام ابو ابراهيم موسى بن جعفر - عليهما السلام - وقد ذكر عنده ان قوماً يزعمون ان الله تبارك وتعالى ينزل الى السماء الدنيا ! - : «ان الله لا ينزل ، ولا يحتاج الى ان ينزل . انما منظره (اي علمه المحيط) فى القرب والبعد سواء ، لم يبعد منه قريب ، ولم يقرب منه بعيد ، ولم يحتج الى شيء ، بل يحتاج اليه كل شيء ، وهو ذو الطول لاله الاله العزيز الحكيم . اما قول الواصفين : انه ينزل - تبارك وتعالى - فانما يقول ذلك من ينسبه الى نقص وزيادة . وكل متحرك محتاج الى من يحركه او يتحرك به ، فمن ظن بالله الظنون هلك ، فاحذروا فى صفاته من ان تقفوا له على حد تحذونه بنقص او زيادة ، او تحريك او تحرك ، او زوال او استئزال ، او نهوض او قعود ، فان الله جل وعز عن صفة الواصفين ، ونعت الناعتين ، وتوهم المتوهمين<sup>٤</sup> .

١- اشارة الى مسألة . «لا يحويه مكان ولا يخلو منه مكان» . وقدمر فى كلام الامام

امير المؤمنين -ع- : «مع كل شيء لا بمقارنة . وغير كل شيء لا بمزايلة» .

٢- الكافى الشريف - الاصول - ج ١ ص ١٠٣ - ١٠٤ .

٣- المصدر ص ١٢٦ رقم ٣ : باب الحركة والانتقال .

٤- المصدر ص ١٢٥ رقم ١ :

هكذا جاء تنزيهه تعالى عن مشابهة المخلوقين ، فى كلام الائمة ومحققى العلماء، وحتى من متأخرى الاشاعرة ممن اول كلام اوائلهم، ماعدى اصحاب الحشوم منهم فجزوا على سلفيتهم القديمة حتى هذا العهد ، ولنتعرض لتفنيد ما زعمته المشبهة ادلة على ثبوت الجهة له تعالى : -

\* \* \*

قال تعالى : « والله المشرق والمغرب ، فأينما تولوا فثم وجه الله ، ان الله واسع عليم - البقرة : ١١٥ » . هذه الآية من المحكمات ، دلت على انه تعالى ليس بجسم ، ولا هو محدود بجهة دون اخرى ، « وكان الله بكل شىء محيطاً - النساء : ١٢٦ » .  
قال الامام الرازى - فى الاية الاولى - : « الآية من اقوى الدلائل على نفى التجسيم واثبات التنزيه ، لانه تعالى خالق الجهات ، والخالق متقدم على المخلوق لامحالة ، فقد كان البارى تعالى خلق العالم منزهاً عن الجهات والاحياز ، فوجب ان يبقى بعد خلق العالم كذلك . وايضاً ، فانه لو كان جسماً وله وجه جسمانى لكان وجهه مختصاً بجانب معين وجهة معينة ، فلم يكن يصدق قوله تعالى : « فأينما تولوا فثم وجه الله »<sup>١</sup> .

هذا مضافا الى قوله تعالى : « ليس كمثله شىء - الشورى : ١١ » نزهته عن مشابهة المخلوقين ، ولاريب ان كونه تعالى فى جهة يستدعى محدودية ، وهو تشبيه بمحدودية المخلوقين ، تعالى الله عن ذلك .

فهو تعالى ليس بجسم ولا فيه خواص الجسمانيات ، التى منها التحيز والتحديد بجهة دون اخرى . فكل ماورد - بظاهره ثبوت الجهة له تعالى - يجب ان يؤول وفق سائر المحكمات . وعلى ضوء هذا المقياس نستعرض الآيات التى تمسك بها اهل التشبيه ، مع بيان وجه تخريجها الصحيح :

١- التفسير الكبير ج ٤ ص ٢١ « المسألة الرابعة » .

اما قوله تعالى : «الرحمان على العرش استوى - طه : ٥» فالكلام فيه يستدعى النظر فى جهتين ، الاولى : ماهى حقيقة العرش الذى تكرر ذكره فى القرآن فى أحد وعشرين موضعاً<sup>١</sup> . الثانية : مامفهوم الاستواء الذى جاء ذكره فى القرآن فى سبعة مواضع<sup>٢</sup> مما يتناسب وشأنه تعالى ؟

### العرش والكرسى :

رغم تكرر ذكر «العرش» فى القرآن أكثر من عشرين مرة ، لم يأت ذكر «الكرسى» إلا مرة واحدة فى سورة البقرة : ٢٥٥ . وهل هما تعبيران عن شىء واحد ام هما شيان ؟ ذهب اهل الحشو من اصحاب الحديث الى ان العرش هو سرير ملكه تعالى متربع عليه ، والكرسى دكة او مصطبة دون العرش ، يكون موضع قدميه تعالى ، وهو يثبط<sup>٣</sup> من ثقله تعالى أطيط الرجل الجديد . ورووا فى ذلك أحاديث اعتمدوا ظواهرها من غير تعمق او تحقيق<sup>٤</sup> .

اما اهل النظر والتمحيص فقد شطبوا على هكذا روايات هى مخالفة لضرورة العقل ومحكم الشريعة ، وفسروا العرش والكرسى بالعلم والقدرة ، لمناسبة جليلة

١- الاعراف : ٥٤ . التوبة : ١٢٩ . يونس : ٣ . هود : ٧ . الرعد : ٢ . الاسراء : ٤٢ .

طه : ٥ . الانبياء : ٢٢ . المؤمنون : ٨٦ و ١١٦ . الفرقان : ٥٩ . النمل : ٢٦ . السجدة : ٤ .

الزمر : ٧٥ . غافر : ١٥٧ . الزخرف : ٨٢ . الحديد : ٤ . الحاقة : ١٧ . التكويد : ٢٠ . البروج : ١٥ .

٢- الاعراف : ٥٤ . يونس : ٣ . الرعد : ٢ . طه : ٥ . الفرقان : ٥٩ . السجدة : ٤ .

الحديد : ٤ .

٣- أط أطيطا أى صوت .

٤- راجع بالخصوص : تفسير ابن كثير - ذيل آية الكرسي ج ١ ص ٣٠٩ - ٣١٠ .



من نفس الآيات ، وشواهد من اللغة والآثار<sup>١</sup> .

والذى نستخلصه من مفاد الآيات والروايات الصحيحة: ان العرش والكرسى  
تعبيران عن معنى واحد ، هو : جليل قدرته تعالى وسعة علمه المحيط بكل شىء .  
غير ان «الكرسى» جاء تعبيراً عن «ملكه» تعالى بالذات . و«العرش» تعبيراً عن جانب  
«تدبيره» لشؤون الخلق كله . فالكرسى كرسى الملك ، والعرش عرش التدبير .  
وكلاهما يشفان عن سعة علمه وعظيم قدرته تعالى ، حيث القدرة الشاملة والعلم  
المحيط يستدعيان ملكاً يسع السماوات والارض ، وتديراً شاملاً لعالم الوجود  
اجمع .

قال ابن فارس : الكرسى اصل عربى يدل على تلبد شىء فوق شىء وتجمعه  
ومنه اشتقت الكراسة اسماً لمجموع اوراق يكتب فيها بعضها على بعض . والكرسى  
اصل البناء ايضاً ، لضخامته . قال الزمخشري : يقال هو طيب الكرسى اى الأصل<sup>٢</sup> .  
والكرسى منسوب الى كرس الملك . وهو ما يعتمد عليه ، كما يقال دهرى - بالضم -  
نسبة الى الدهر . ومن ثم اطلق على العلماء «الكراسى» لانهم عماد الامة ومرجعها  
فيما ينوب . وقد انشد قطرب .

تحف بها بيض الوجوه وعصبة كراسى بالأحداث حين تنوب  
اراد بهم علماء خبراء بحوادث الامور ونوازلها . وقد قيل ، خير الحيوان  
الأناسى ، وخير الأناسى الكراسى ، اى العلماء العقلاء العارفون بشؤون التدبير<sup>٣</sup> .

قال تعالى : «وسع كرسيه السماوات والارض ولا يؤده حفظهما - البقرة : ٢٥٥»

١- راجع بالخصوص: تفسير الطبرى هنا «جامع البيان» ج ٣ ص ٨ وستنقل بعض كلامه

فى آخر الفصل .

٢- كما قال العجاج :

ان ابا العباس اولى نفس بمعنن الملك الكريم الكرس

٣- راجع : معجم مقاييس اللغة ، اساس البلاغة .

اي وسع ملكه ارجاء عالم الوجود من غير ان يعجز عن ادارة شؤونه بما يدوم مزدهراً مع الابدية . فهذا التعبير (لا يؤوده) يدلنا بوضوح على ارادة الملك من «وسع كرسيه» بالذات . ومن عبر عن الكرسي بالعلم - كابن عباس ومجاهد وغيرهما - اراد نفس المعنى ، اذ ملكه تعالى منبعث عن علمه المحيط المعبر عنه بالعرش ايضاً ، حيث التدبير الحكيم يستدعى الاحاطة والعلم بمزايا الامور .

قال تعالى : «ان ربكم الله الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر - يونس : ٣» . وقال : «ان ربكم الله الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، الاله الخلق والامر - الاعراف : ٥٤» .

انظر الى الآية الاولى كيف رتبت التدبير على قوله : «استوى على العرش» ليكون المعنى : استوى على عرش التدبير . وتوضحه الآية التالية «الاله الخلق والامر» فالخلق هو ما عبر اولاً من خلق السماوات والارض . والامر هو اقامة شؤونهن وحفظهن عن الفساد والاختلال .

وهكذا جاء التعبير في سورة الرعد : ٢ «ثم استوى على العرش . . . يدبر الامر» . وفي سورة الفرقان : ٥٩ «ثم استوى على العرش الرحمان ، فاسأل به خبيراً» . وفي سورة السجدة : ٥ «ثم استوى على العرش . . . يدبر الامر من السماء الى الارض» وعلى نفس النمط في سورة الحديد : ٥ . وغافر : ١٥ . وطه : ٨ . وغيرهن من آيات .

وفي سورة الحاقة : « فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة ، وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة ، فيومئذ وقعت الواقعة ، وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ، والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية ، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية - ١٣-١٨» .

فالعرش في هذه الآية هو عرش التدبير وادارة شؤون الملك يوم لاملك الا

ملكه، كما جاء في آية أخرى: «كلا إذا دكت الأرض دكاً دكاً، وجاء ربك والملك صفاً صفاً - الفجر: ٢٢». وقوله: «لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار - غافر: ١٦» وقوله: «وله الملك يوم ينفخ في الصور - الانعام: ٧٣». كلها تعابير عن معنى واحد، وهو تصوير سيطرة حكمه تعالى في ذلك اليوم الرهيب «الاله الحكيم وهو اسرع الحاسبين - الانعام: ٦٢». «ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احداً، وعرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة - الكهف: ٤٨». «هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقباً - الكهف: ٤٤».

وقد جاء تأويل «العرش» في روايات اهل البيت عليهم السلام الى وجهين، احدهما: العلم. والثاني: كل ما سوى الله تعالى. ففي الحديث الصحيح عن الامام ابي الحسن الرضا عليه السلام: «والعرش اسم علم وقدرة. وعرش فيه كل شيء. ثم اضاف تعالى الحمل الى غيره - في قوله: «الذين يحملون العرش» - خلق من خلقه، لانه تعالى استعبد خلقاً بحمل عرشه، وهم حملة علمه. وخلقاً يسبحون حول عرشه، وهم يعملون بعلمه. . .»<sup>١</sup>

اراد - عليه السلام - تدبيره تعالى الشامل، المنبعث عن علم وقدرة، ومن ثم قال: هم حملة علمه. وهم يعملون بعلمه. اى ينفذون تدبيراته في شؤون هذا العالم. كما ان قوله تعالى: «وهو الذى خلق السماوات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء - هود: ٧» يعنى: ان تدبيره تعالى قبل خلق السماوات والارض لم يكن قد تعلق بشيء سوى الماء. اذ لم يكن فى عالم الطبيعة يومذاك موجود ولا معلوم سوى الماء، لان اول شيء خلقه الله من الماديات هو الماء كما فى الأثر<sup>٢</sup>.

قال ابو جعفر الطبرى: «واما الذى يدل على صحته ظاهر القرآن قول

١- الكافي الشريف - اصول - ج ١ ص ١٣١

٢- راجع: بحار الانوار ج ١ ص ١٠٢ وج ٥٧ ص ٣٠٨



ابن عباس الذى رواه جعفر بن ابى المغيرة عن سعيد بن جبير عنه انه قال : هو علمه . و ذلك لدلالة قوله تعالى «ولا يؤده حفظهما» على ان ذلك كذلك ، فأخبر انه لا يؤده حفظ ما علم واحاط به مما فى السماوات والارض . وكما أخبر عن ملائكته انهم قالوا فى دعائهم «ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلماً - غافر : ٧» فأخبر ان علمه وسع كل شىء ، فكذلك قوله «وسع كرسيه السماوات والارض»<sup>١</sup> .

### الاستواء

و الاستواء هو التمكن و الاستيلاء السام ، دون الجلوس كما زعمت المجسمة ، كقول الأخطل يمدح بشراً اخا عبد الملك بن مروان حين ولى على امرة العراقين :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهران<sup>٢</sup>  
وجاء بمعنى استقامة الأمر ايضاً ، كما قال الطرماح بن حكيم :

طال على رسم مهدد أبده و عفا و استوى به بلده<sup>٣</sup>

و هكذا جاء بمعنى عمد و قصد ، كقوله تعالى : « ثم استوى الى السماء - البقرة : ٢٩ » . و كلما جاء ذكر «الاستواء على العرش» فى القرآن ، انما يعنى الاستيلاء التام بتدبير شؤون العالم ، بعد ان كان «العرش» كناية عن مجموع المخلوق ، كما جاء فى تعبير الصدوق - عليه الرحمة -<sup>٤</sup> .

١- جامع البيان ج ٣ ص ٨ ط الاميرية

٢- البداية والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ٧

٣- جامع البيان للطبرى ج ١ ص ١٥٠

٤- راجع : بحار الانوار ج ٥٨ ص ٧

## الفوقية

واما الايات التي جاء فيها ذكر العلو والفوقية له تعالى<sup>١</sup> . او انه في السماء<sup>٢</sup> او انه يدبر الامر من السماء<sup>٣</sup> . او تعرج اليه الروح<sup>٤</sup> . او تنزل الملائكة من عنده<sup>٥</sup> وامثال ذلك ، فهذه الفوقية والعلو لاتعنى الجهة التى هى احدى الجهات الست التى تحدد بها الأجسام ، من فوق وتحت ويمين ويسار وخلف وأمام . اذ بعدما انتفت الجسمية عن ذاته المقدسة ، لم يبق مجال لتصوير الجهة له تعالى اطلاقاً . واما هذه التعبيرات الواردة فى الايات ، فان لها تأويلات حكمية دقيقة ، اوضحها علماء الكلام ، وجاء بعض تفصيلها فى رسالة كتبها ابو العباس احمد بن ابراهيم الواسطى ، المعروف بابن شيخ الحزاميين (٦٥٧-٧١١) .<sup>٦</sup> ونحن نذكر منها ما يجيب على غالبية الأسئلة الموجهة بهذا الصدد :

انه تعالى كان و لامكان ، لاخلاء ، ولاملاء ، فلم يكن فوق ولا تحت ولا جهة من الجهات ، اذ لا موجود سواه تعالى . ولما خلق الله هذا الكون ذا الجهات الست ، انتزعت له تعالى صفة الخالقية والابداع وتكوين الأكوان ، ولا شك انه تعالى قبل ان يخلق الكون لم يكن فى كون ، وهكذا بعدما خلق الكون لم يحل فى كون ، فلم يزل كائناً لافى كون . ولم يزل موجوداً لافى جهة ، كما كان قبل ان يكون الكون

- ١- تقدمت فى كلام الاشعري برقم : ٣٥٢ و ٧٥٥
- ٢- تقدم برقم : ٦ «أأنتم من فى السماء»
- ٣- تقدم برقم : ٤ «يدبر الامر من السماء» .
- ٤- تقدم برقم : ٨ «تعرج الملائكة والروح اليه» .
- ٥- تقدم فى كلام الدارمى برقم : ٣١-٤٠
- ٦- نشرت ضمن مجموعة « اربح البضاعة » بمكة المكرمة : ١٣٩٣ هـ ص

ويوجه الجهات :

وبعد فنسبة ذاته المقدسة الى الأكوان والجهات نسبة الترفع والتعالى عنها ، لانها محدثات ، ولاتناسب بين الحادث الممكن بالذات والازلى الواجب بالذات انه تعالى فوق كل شيء ومتعال عنها ، لانه اوجدها وحدثها ، والمخلوق تحت الخالق والصانع فوق المصنوع ، تحية لبالجهة وفوقية لبالجهة ، بل بالاعتبار والسببية المنتزعة - ما بينهما من نسبة قائمة .

وهذا اذا ما لاحظنا من تباين ما بين عالم المادة وعالم ما وراء المادة ، وبما اننا عاثشون في وسط من العالم المادى ، فاذا اردنا الاشارة الى العالم الآخر غير المادى ، اشرنا - طبعاً - الى خارج عالمنا هذا ، وهذه الاشارة تقع الى جهة «فوق» لابما انه «فوق» ، بل باعتبار ان كل خارج عن هذا العالم المادى - فى المحسوس - فوق من كل الجهات ، حيث الواقف فى مركز كرة اذا اراد الاشارة الى خارجها ، لابدان يشير الى خارج سطح الكرة ، الذى هو فوق بالنسبة اليه من كل الجهات .

وهكذا بالنسبة الينا ونحن عاثشون على الارض اذا اردنا الاشارة الى خارج عالمنا هذا ، اشارة بالحس ، لابد ان تقع اشارتنا الى خارج هذا المحيط ، وهو فوق فى جميع جوانب هذه الارض .

وعليه فاذا ما اعتبرنا ان تدابير هذا العالم المادى فى جميع ارجائه ، تنحدر من عالم ما وراء المادة من عند ربنا العزيز الحكيم ، صح اطلاق «فوق» عليه تعالى ، وهكذا التعبير بالنزول من عنده والصعود اليه وما شبهه . لارادة التحديد والجهة الماديين ، بل الاعتباريين بالنظر الى ما بين العالمين من تباين وفرق ، ذلك الى ذروة العلى والشرف والغنى وهذا الى حضيض الخسة والذل والافتقار .

قال تعالى : «وان من شيء الا عندنا خزائنه ، وما ننزله الى بقدر معلوم - الحجر :

٢١ . اى ننزله الى عالم المادة تنزيلا بالاعتبار . حتى اذا ما نبت زرع او استخرج معدن من تحت الارض او اصطيد سمك من جوف الماء ، قلنا انه من بركات الله النازل





وعلى ضوء هذا البيان يبدو ان لاغموض على وجه الايات التى تمسك بها  
الاشعري واتباعه ، مما لادلالة لها على مقصودهم لودققنا فيها الانظار .  
واليك الاجابة الوافية على كل واحدة من الآيات حسب الارقام المتقدمة :

١- اماقوله : «الرحمان على العرش استوى - طه : ٥»، فقدتقدم ان العرش  
هو عرش التدبير كناية ، والاستواء هو الاستيلاء التام والتمكن الكامل من الاحاطة  
بشؤون التدبير .

٢- وقوله : «اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه - فاطر : ١٠» ،  
فانه صعود ورفع معنوى ، لاحسى ، اى الاعمال الحسنة ترتفع من هذا العالم المادى ،  
لتنقلب درجات فى عالم آخر لامادى هو فوق هذا العالم شأنأ ورفعة .

٣- وقوله : «بل رفعه الله اليه - النساء ١٥٨» يعنى الرفع المعنوى ، وتخليصه  
من شرور هذه الحياة السفلى الكدرة ، الى حياة عليا كريمة ، كما جاء فى سورة  
آل عمران : ٥٥ « ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا » . وكقوله تعالى : « ثم  
الى مرجعكم - آل عمران : ٥٥ » . وقوله فى شأن ادريس عليه السلام : « ورفعناه مكانا  
عليا - مريم : ٥٧ » . وقوله بشأن الشهداء فى سبيل الله : « احياء عند ربهم - آل عمران :  
١٦٩ » . وغيرها من نظائر كثيرة كان المقصود فيها من التعبير بـ « عند الله » او « الرفع  
اليه » هو شرف القرب والرفع المعنوى ، لا القرب المكانى والصعود الحسى .

٤- وقوله : « يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره  
الف سنة مما تعدون - السجدة : ٥ » ، هذه الآية عبارة أخرى عن قوله تعالى : « وان  
من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم - الحجر : ٢١ » ، فالسما والارض

اخذتا هنا كناية عن عالم العلو اللامادى وعالم السفلى المادى، وان تدابير هذه الحياة  
انما تتخذ فى عالم اعلى من عند ربنا عز وجل . ومن ثم عقبها بقوله: «ذلك عالم الغيب  
والشهادة العزيز الرحيم . الذى احسن كل شىء خلقه - السجدة : ٦ - ٧» .

٥- وقوله : « فاطلع الى اله موسى - غافر : ٣٧ » : ليس فيه دلالة على ان  
موسى - عليه السلام - قال له : «الله فوق السماوات» ، فلعله هو توهم ذلك ، اذ لم ير  
فى الارض من يصلح ان يكون الاله الذى يدعيه موسى - ع - فتوهمه موجوداً جسمانياً  
فى احدى طبقات الجو . او يفرض ان موسى - ع - قال له ذلك ، لكنه لقصور فهمه  
زعم من السماء طبقة جوية كانت مسكن إله موسى - ع - ولم يدرك ان كون الاله فى  
السماء ، انه متعال عن الماديات وانه فوق اطباق العلى لبالجهة والحدود ، بل بالرفعة  
والشموخ . وهكذا الاشعري واذنانه لم يعد افهامهم فهم فرعون من امثال هذا المقال .

٦- وقوله : «أأمنتم من فى السماء ان يخسف بكم الارض - الملك : ١٦» .  
قيل : المراد بمن فى السماء هم الملائكة الموكلون بشؤون الارض . لكن الصحيح  
ان المراد به هو الله تعالى كما فى آية اخرى : «أأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف  
الله بهم الأرض - النحل : ٤٥» . والمقصود بكونه فى السماء كون تدابيرها لشؤون  
الخلق تنزل من مكان على هو عالم ما وراء المادة ، حسبما تقدم .

٧- وقوله : «بخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون - النحل : ٥٠» فوقية  
بالغلبة والقهر لبالجهة والحدود ، اذ الملائكة رهن او امره تعالى وتحت ارادته  
« لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون - التحريم : ٦» . وهذا كفوقية الرئيس  
على المرؤوس والامير على المأمور .

٨- وقوله : «تمرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف  
سنة - المعارج : ٤» ، عروجاً الى الملاء الأعلى بعد انتهاء أمد هذه الحياة السفلى ،

رجوعاً اليه تعالى «الى الله مرجعكم جميعاً ، وعد الله حقاً ، انه يبدؤ الخلق ثم يعيده  
- يونس : ٤» .

٩ - ١٠ - ١١ - واستوى فى سورتي البقرة : ٢٩ . وفصلت : ١١ . جاء  
بمعنى عمد وتوجه . وهو لا يستلزم الحركة ولا هو بمعنى الجلوس والاستقرار كما  
زعم الاشعري . وفى السور السبع الباقية - التى جاء فيها ذكر الاستواء على العرش  
- كان بمعنى الاستيلاء والتمكن من التدبير التام لشؤون عوالم الخلق ، تعبيراً كئائباً  
لاغير ، وقد تقدم ذلك .

١٢ - ١٣ - وقوله : «وجاء ربك : الفجر : ٢٢» . وقوله : «يأتبهم الله :  
البقرة : ٢٢٠» فمجاز الحذف ، وقد صرح بهذا المحذوف فى قوله : « فاذا جاء  
امر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون - غافر : ٧٨» . وقوله : « هل ينظرون  
الا ان تأتبهم الملائكة او يأتى أمر ربك - النحل : ٣٣» . ونظائر ذلك فى الاضمار  
فى آية والاظهار فى اخرى كثيرة فى القرآن ، كما فى آية الانعام « او يأتى ربك  
ربك ١٥٨» وآية النحل « او ياتى امر ربك - ٣٣» . و كما فى آية الزمر : « الله  
يتوفى الأ نفس حين موتها - ٤٢» وآية السجدة : « قل يتوفاكم ملك الموت  
الذى و كل بكم - ١١» . و لكن أنى لدوى الافهام المتحجرة فى اطار « الدعوة  
السلفية» من ادراك فنون كلام الله البديع .

١٤ - و قوله : « ثم دنى فتدلى - النجم : ٩» الضمير يعود الى جبرائيل المعبر  
عنه قبل الآية بقوله : «علمه شديد القوى ، ذومرة فاستوى ، و هو بالافق الاعلى ،  
ثم دنى فتدلى ، فكان قاب قوسين او ادنى ، فأوحى - اى جبرئيل بما حمله الله  
او الله برسالة جبرائيل - الى عبده ما اوحى - النجم : ٤ - ١٠» وقد تقدم شرحه .  
وعلى تقدير عود الضمير الى الله ، فالمقصود من هذا الدنو هو قرب الشرف

١- فى الجزء الاول ص ٣٤ فما بعد .



ودنو الكرامة لديه تعالى ، لا القرب المكانى المحدود بالجهات .

١٥ - وقوله : « اومن وراء حجاب او يرسل رسولا - الشورى : ٥١ » لا يدل على انه تعالى منحاز عن خلقه انحيازاً بالمكان والجهة ، ليكون هو فى جهة اوبقعة والخلق فى جهة وفى رقعة اخرى من هذا العالم الفسيح ، كلا، بل هو حجاب ذاتى لما بين الواجب تعالى و سائر الممكنات من بينونة ذاتية ، لا سنخية بينهما و لا تجانس . ذلك كمال مطلق فى علو العز وشرف الغنى والافتقار ، وهذا غاية فى النقص والعجز والافتقار . وتقدم « ان الحجاب - هنا - حجاب معنوى ، لبعد الفاصلة بين كمال الواجب ونقص الممكن » .

١٦ - وقوله : « ثم ردوا الى الله مولاهم الحق - الانعام . ٦٢ » ، كقوله : « ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبؤكم بما كنتم تعملون - الجمعة : ٨ » ردالى حكمه تعالى يوم لاحكم الاحكمه ، حسبما تقدم فى آيات مشابهة لذلك . و من ثم تعقبها قوله « الاله الحكم وهو اسرع الحاسبين - نفس الآية » . قال تعالى : « كل شىء هالك الا وجهه ، له الحكم واليه ترجعون - القصص : ٧٠ » .

١٧ - وقوله : « ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال ليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون - الانعام : ٣٠ » .

المقصود : الوقوف على صدق ما انذروا به على لسان انبيائهم ، فقد وضع الحق لهم حينذاك وكانوا قبل ذلك فى شك من لقائهم هذا . حيث « قالوا ان هى الا حياتنا الدنيا ومانحن بمبعوثين - الانعام : ٢٩ » . « لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد - ق : ٢٢ » . « بل بدلهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون - الانعام : ٢٨ » . و من ثم جاء التعقيب بقوله : « قد خسر الذين كذبوا بقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة

قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها - ٣٠ .

١٨ - وقوله : « و لو ترى اذالمجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً انا موقنون - السجدة : ١٢ » كالاية المتقدمة المقصود هو كشف الحق ووضوح الامر . و من ثم جاء فى الاية قبلها : « وقالوا اذا ضللنا فى الارض انا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون - ١٠ » . و جاء التعقيب : « فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم - ١٤ » .

١٩ - وقوله : « و عرضوا على ربك - الكهف : ٤٨ » كقوله : « انهم ملاقوا ربهم - هود : ٢٩ » كناية عن إلجائهم للمشول بين يدي حكمه تعالى يوم لا حكم الا حكمه .

٢٠ - وقوله : « الله نور السماوات والارض - النور : ٣٥ » تعبير رمزى عن كونه تعالى هو منبعث الحياة والازدهار فى عالم الوجود ، كقوله : « واشرقت الارض بنور ربها - الزمر : ٦٩ » . و من ثم قال المفسرون : اى منور السماوات والارض ، اذالنور جسم وهو تعالى ليس بجسم ، بل هو خالق الاجسام كلها ، وقد تقدم وجه استعارة النور لذاته المقدسة ، حيث النور ظاهر بنفسه ومظهر لغيره ، ولا يظهر شىء فى المحسوس الا باشعاعه عليه . وكذلك ربنا تعالى موجود بنفسه ولنفسه ، وموجد لغيره ، ولم يوجد ولا يوجد شىء الا بايجاده تعالى ، فكل شىء ظهر فى عالم الوجود ، فانما هو باشراف فيضه تعالى شأنه .

٢١ - اما احاديث نزوله تعالى الى السماء الدنيا - ان صحت<sup>١</sup> - فهى كناية

---

١ - وقد ورد بهذا اللفظ فى رواياتنا ايضاً بشأن ليلة الجمعة . راجع : التهذيب ج ٣ ص ٣ رقم : ٣٠٣ . واما فى حديث العامة فقد ورد بالفاظ منكراً لاشك انها مختلفة وضعتها الايدى الاثيمة . راجع : الموضوعات لابن جوزى ج ١ ص ١٢٢

عن نزول رحمته قريباً من الناس ، مطلة على رؤوسهم ، رحمة بعباده ورأفة ، والا فهل هناك فرق - في محسوسنا نحن اهل الارض - بين ان ينزل الى السماء الدنيا ام يبقى فوق السماوات العلى ، او ينادى « هل من مستغفر » ام لم يناد . بعد ان لانحس بهذا الاقتراب الودى ، ولا نسمع ذلك النداء العطوف ، لولا انه مجاز وكناية عن قرب رحمته تعالى وتواصل دعوته الى الانابة والاستغفار .

وفى روايات اهل البيت - عليهم السلام - : ان فى الليل لساعة اذا ما وافقها العبد وهو يصلى ويدعو الله عز وجل استجاب الله له ، وهى اولى ساعة بعد منتصف الليل من كل ليلة <sup>١</sup> .

وروى محمد بن على بن الحسين الصدوق باسناده عن امير المؤمنين على بن ابي طالب - عليه السلام - قال : « من كان له الى ربه حاجة فيطلبها فى ثلاث ساعات : ساعة فى يوم الجمعة . وساعة تزول الشمس . وساعة فى آخر الليل . فان ملكين يناديان : هل من تائب يتاب عليه ؟ هل من سائل يعطى ؟ هل من مستغفر فيغفر له ؟ هل من طالب حاجة فتقضى له ؟ فاجيبوا داعى الله واطلبوا الرزق فيما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس ، فانه اسرع فى طلب الرزق من الضرب فى الارض ، وهى الساعة التى يقسم الله فيها الرزق بين عباده » <sup>٢</sup> .

٢٢- والفواصل الماثورة لتحديد ما بين اجرام السماء ، كلها تقريبية حسب افهام البسطاء ذلك العهد ، كما اثر عن امير المؤمنين (ع) انه سئل عن مسافة ما بين المشرق والمغرب ، فقال : مسيرة يوم للشمس . وسئل : كيف يحاسب الله الناس على كثرتهم ؟ فقال : كما يرزقهم على كثرتهم : فقيل : وكيف يحاسبهم ولا يرونه ؟

١- الكافى الشريف ج ٢ ص ٤٧٨ رواها ثقة الاسلام الكلينى عن الامام جعفر بن

محمد الصادق (ع) .

٢- الخصال (ط نجف) ص ٥٨٠ من حديث الاربعمئة .



فقال : كما يرزقهم ولا يرونه . وسئل : كم بين السماء والارض ؟ فقال : مد البصر ودعوة المظلوم<sup>١</sup> .

وهذا الاجمال المقنع لفهام العامة فى كلام الامام (ع) ابعده عن التمويه والدجل الذى جاء فى كلام غيره من تحديدات مقياسية لأصل لها ولا توصلت اليها آراء علماء الفلك آنذاك فكيف بعرب الجزيرة الجاهلة .

٢٣- وقوله : «بين يدى الرب» اى بين يدى حكمه وقضائه .

٢٤- وحديث « الأمة السوداء » يعنى شيئاً آخر غير ماظنه الاشعري واتباعه، وذلك : ان العرب يومذاك كانت تعبد اوثاناً هم نحتوها بايديهم من احجار و اخشاب ، وكانوا يزعمونها آلهة فى الأرض تمثل اله السماء ، « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى - الزمر : ٣ » فلما جاء الاسلام وأمر بنبذ الآلهة غير الله ، اصبح عنوان التوحيد هو الاعتراف باله السماء ونبذ آلهة الارض ، كناية عن الاعتقاد بالله الهأ واحداً لا شريك له ولا نظير ولا مثيل ، فاذا قال انسان : انى لا اعبد سوى الاله الذى فى السماء ، اعتبر - ذلك اليوم - موحداً، بالنظر الى هذا المعنى، اى بالنظر الى جانب سلب القضية ، وهو نفى آلهة الارض المزعومة ، لا اثبات كون الاله فى السماء مكانا له بالخصوص، وقد قال تعالى - اشارة الى هذا المعنى- « وهو الله فى السماء اله وفى الارض اله - الزخرف : ٨٤ » . فهو اله الارض والسماء جميعاً ، « فايما تولوا فثم وجه الله - البقرة : ١١٥ » . لكن من المؤسف ان الاشاعرة لم يهتدوا الى فهم هذا المعنى .

والقصة التالية - ايضاً - شاهدة صدق لهذا المعنى الذى تنبهنا له ، رواها عمران بن خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين . قال : حدثنى ابنى عن

---

١- قضاء امير المؤمنين للتسرى ص ١٨٩-١٩٠ عن نهج البلاغة باب قصار كلماته

٢٩٤/٣ و ٣٩٦/٣ . وكتاب الغارات للثقفى .

ابيه عن جده: « ان قريشاً جاءت الى الحصين وكانت تعظمه ، فقالوا له : كلم لنا هذا الرجل - يعنون محمداً (ص) - فانه يذكر آلهتنا ويسبهم ، فجاؤوا معه حتى جلسوا قريباً من باب النبي -ص- ودخل الحصين ، فلما رآه النبي -ص- قال : أو سعوا للشيخ - وعمران واصحابه متوا فدون . فقال الحصين : ما هذا الذى يبلغنا عنك ، انك تشتم آلهتنا وتذكرهم ، وقد كان ابوك جفنة وخبزاً - يريد بسط جوده وكرمه على قريش - فقال : يا حصين كم الها تعبد اليوم ؟ قال : سبعة ، ستة فى الارض واله فى السماء . قال : فاذا اصابك الضر من تدعو ؟ قال : الذى فى السماء . قال : فاذا هلك المال من تدعو ؟ قال : الذى فى السماء . فقال له النبي ﷺ : فيستجيب لك وحده وتشر بهم معه ؟ ! »

٢٥- وأسوأ فهما وأردأ ادراكاً لحقائق الدين ومفاهيمه العليا، هم الحشوية من اصحاب الحديث ، امثال ابى سعيد عثمان بن سعيد الدارمى (٢٠٠ - ٢٨٠) ، وابى بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة السلمى (٢٢٣ - ٣١١) ، ومن لفلهما فى كرف حثالات الأخبار والأسقاط وحشو كتبهم منها ، من غير دراية ولا تمحيص . هذا ابن خزيمة حشى كتابه الذى اسماه « التوحيد والصفات » من خز عبلات اسرائيلية كانت رائجة ذلك العهد ، فاثبت بها للرب تعالى اعضاء وجوارح، وبذلك انحرفوا عن مسير الاسلام واخذوا فى اتجاه معاكس ، مغبة اعراضهم عن مسائل اهل الذكر الذين هم آل بيت الرسول ﷺ وذريته الأطيبين . وقد قال تعالى : « فأسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون - النحل : ٤٣ » . لكنهم اعرضوا فعموا فأعمى الله قلوبهم « فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور - الحجج : ٤٦ » .

٢٦- وهكذا استدلال ابى سعيد بحديث الاعرابى الذى جاء الى النبي ﷺ

١- كتاب التوحيد لمحمد بن اسحاق ص ١٢٠-١٢١ .

يشكو الجذب - الى قوله - ان الله فوق عرشه ، فوق سماواته ، وسماواته فوق ارضيه مثل القبة ، وانه ليثبط به أطيط الرجل بالراكب . فان مضمون ما استشده به باطل ، اصطنعه اهل التجسيم افكاً وزوراً . هذا فضلا عن ان هذا الحديث يرويه ابو سعيد عن محمد بن اسحاق عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة عن جبير ، وقد ذكر الذهبي يعقوب في «المغنى» في الضعفاء ، قال : روى حديث الأطيط عن جبير بن محمد ، ولم يرو عنه هذا الحديث سوى ابي اسحاق . و ابو اسحاق هذا ايضاً فيه ما فيه .

٢٧- وحديث المطر ، يرويه ثابت بن انس عن ابيه ، وهو مجهول في رواية الحديث ، صرح بذلك الذهبي في «المغنى» .

٢٨- وحديث ابي بكر لا يصلح للاستناد اليه ، لاسنناً ولا مدلولاً ، بعد ان كان تعبيراً من نفسه لا غير .

٢٩-٣٠- وهكذا حديث بنى اسرائيل ، وحديث كعب احبارهم ، اذ لا ينبغي لمسلم ان يتشبث بكلام عليه صبغة يهودية .

٣١-٤٠- وآيات جاء فيها التعبير بالنزول من عند الله ، قد تقدم حل اشكالها ، وانه نزول من مكان على ، علواً بالشرف والمنزلة ، لا علواً بالحس والجهة . اذ كان لعالم ما وراء المادة رفعة شأنية على عالم المادة ، وباعتبار احاطة ذلك العالم بهذا الكون المحسوس ، احاطة تدبير وتربية ، توجه اهل الارض الى خارج محيطها ، لتصور هذا المعنى في مرتكزهم فصوروه في صورة المحسوس ، ومن ثم توقعوا نزول البركات من جهة العلو ، تشبيها لغير المحسوس بالمحسوس ، وقياساً للغايب بالمشهود .

٤١ - ٤٢ - واحاديث نزوله تعالى ، قد تقدم انه تعبير عن اقتراب رحمته من الناس وترفرف بركانه عليهم ، « ونحن اقرب اليه من جبل الوريد - ق: ١٦ » .



٤٣- وحديث نزوله يوم القيامة وتجليه للمؤمنين ، قد تقدم الجواب عنه في احاديث الرؤية . وانها احاديث مفتعلة سوى التى دلت على معنى معقول قابل لتأويل صحيح .

٤٤ - ٤٥ - وهكذا احاديث اقباله تعالى على اهل الجنة ، فانها لم تصح ، والصحيح منها لايدل على ما حاسبه القوم من المقابلة الحسية وما اشبهه ، وانما هي زلفى فى دار رضوان .

### رفع اليدين الى السماء

٤٦- واما رفع الرأس واليدين الى السماء حالة الضراعة الى الله والدعاء ، فقد تقدم (ص ١٢٧) ان الانسان فى فطرته يعلم بأن تدابير شؤون هذه الحياة المادية ، انما تتخذ فى عالم آخر غير مادى ، حيث يشاهد ان ما احاط به من مظاهر هذا الكون جميعاً أمثاله ، ذوات حاجة وافتقار الى من يدبر شؤونها ، ومن يقوم بسداد خللها ، فلا بد ان وراء هذا المظهر ذى النقص والعجز ، من جهاز مقتدر غنى ذى قدرة وكمال ، هو الذى يقوم بهذا التدبير وذاك السداد ، وما هو الا عالم خارج عن المادة المفتقرة فى ذاتها .

وإذا كان الانسان يرى من ذاك العالم اللامادى وراء هذا العالم ، فانه يراه محيطاً به من كل الجوانب ، احاطة المدبر - بالكسر - بالمدبر - بالفتح - ، واعلى منه ، علو الكمال على النقص ، ومتبائناً منه ، تبائن القدرة عن العجز .

وبعد فاذا كان الانسان يرى ما بين العالمين هذا التباعد ، وكان يرى من عالم الشهود مدبصره فى جميع جوانبه ، ياترى ، فأين يقع عالم الغيب؟! لا بد انه محيط بهذا العالم ، واذا كان محيطاً به فهو فوقه ، لان كل محيط بجسم كرى فهو فوقه من جميع الجهات لامحالة ، هكذا يتصوره تجسيم الخيال . اذن فعالم الغيب هو فوق هذا العالم الذى نعيش فيه هذه العيشة المادية ، قياساً لغير المحسوس بالمحسوس

فى كل ما يتصوره الانسان من شؤون ما وراء محسوسه اذا ما قاسها بما لديه من محسوسات .

قال تعالى : «وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم - الحجر: ٢١» تنزيلا من عالم الغيب الى عالم الشهود، الامر الذى دعا بالمؤمنين وغير المؤمنين من سائر الموحدين ، بل ومن كل من يعتقد بما وراء الحس والشهود ، ان الرحمة والبركات تنزل من عند الله العلى القدير ، من عالم هو اسمى واسنى : «وفى السماء . رزقكم وما توعدون - الذاريات : ٢٢» .

الى هنا قد انتهينا - والحمد لله - عن حل شبهات القائلين بالجهة له تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وله الشكر المتواصل على هذا التوفيق والاهتداء الى الصواب .

### الاعضاء

تقدم ان المشبهة اثبتوا لله سبحانه اعضاء وجوارح كما فى المخلوقين ، وحكى عن داود الجواربى انه قال : اعفونى عن الفرج واللحية واسألونى عما وراء ذلك . وقال : ان معبوده جسم ولحم ودم ، وله جوارح واعضاء ، من يد ورجل ورأس ولسان وعينين واذنين ، ومع ذلك هو جسم لا كالأجسام ، وله لحم لا كاللحوم ، ودم لا كالدماء وكذلك سائر الصفات ، وهو لا يشبه شيئاً من المخلوقات ، ولا يشبه شىء .<sup>١</sup>

وما ورد فى التنزيل من الاستواء والوجه والعين واليدين والجنب والمجىء والاتيان والفوقية ، اجروها على ظاهرها ، وكذلك ما ورد فى الاخبار من الصورة وغيرها ، اجروها على ما يتعارف من صفات الاجسام ، وزادوا فى الاخبار اكاذيب وضعوها ونسبوها الى النبى ﷺ زوراً وبهتاناً . وقد تقدم نقل بعضها عند الكلام عن مذهب اهل التشبيه والتجسيم .

١ - الملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ١٠٥

ونحن فى هذا المجال لانتعرض لهم بالذات ، لأنهم قوم بادوا ولم يبق منهم سوى نقل آثار فى بطون الكتب وقد اكل عليهم الزمان وشرب. انما المهم التعرض لأناس زعموا انهم من صميم الاسلام ، فى حين انهم لم يبتعدوا عن القول بالتشبيه والتجسيم ما يفصلهم عنه ، سوى اعادة ما قالوه فى شىء من اللف والالتواء فى مراوغة خبيثة ، وبذلك شو هوا من وجه الاسلام الأغر ، فضلوا واضلوا .

وهؤلاء هم الاشاعرة بالذات ومن لف لفهم من المتشدين بالسلفية من غير دراية «واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لايعلقون شيئاً ولا يهتدون - البقرة : ١٧٠» .

وفى ما يلى بعض ما ذكره ابو الحسن الاشعري واذنابه ومن حذا حذوه فى الأخذ بظاهر المتشابهات، لاثبات الوجه والعين واليد والرجل وسائر الاعضاء والجوارح لله سبحانه ، من غير بيان الكيف ولاتشبيها بشىء من المخلوقين - فيما زعموا - على غرار ما نقلنا من كلام الجواربى حرفاً بحرف .

قال ابو الحسن على بن اسماعيل الاشعري : بالله نستهدى واياہ نستكفى ولا حول ولا قوة الا بالله وهو الله المستعان . اما بعد فمن سألنا فقال : اتقولون ان لله سبحانه وجهاً ؟ قيل له : نقول ذلك ، خلافاً لما قاله المبتدعون ، وقد دل على ذلك قوله عز وجل :

١- «ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاکرام - الرحمان : ٢٧» .

قال : فان سألنا أتقولون ان لله يدين ؟ قيل : نقول ذلك ، وقد دل عليه قوله عز وجل :

٢- «يدالله فوق ايديهم - الفتح : ١٠» .

٣- وقوله عز وجل : «لما خلقت بيدي - ص : ٧٥» .

٤- وروى عن النبى ﷺ انه قال : «ان الله مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه ذريته» . قال : فثبت اليد .



٥- وقد جاء في الخبر المأثور عن النبي ﷺ ان الله خلق آدم بيده ، وخلق جنة عدن بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس شجرة طوبى بيده .

٦- وقال عز وجل : «بل يداه مبسوطتان - المائدة : ٦٤» .

٧- وجاء عن النبي ﷺ انه قال : كلتا يديه يمين .

٨- وقال عز وجل : «لأخذنا منه باليمين - الحاقة : ٤٥» .

قال : وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة اهل الخطاب ان يقول القائل :

عملت كذا بيدي ويعنى به النعمة ، واذا كان الله عز وجل انما خاطب العرب بلغتها ومايجرى مفهوماً في كلامها ومعقولا في خطابها ، وكان لايجوز في لسان اهل البيان ان يقول القائل : فعلت بيدي ويعنى النعمة ، بطل ان يكون معنى قوله عز وجل بيدي النعمة . وذلك انه لايجوز ان يقول القائل : لى عليه يد بمعنى : عليه نعمة<sup>١</sup> .

قال : وقد اعتل معتل بقول الله عز وجل : «والسما بنيناها بأيد - الذاريات : ٤٧» قالوا : الأيد القوة . قيل لهم : هذا التأويل فاسد من وجوه ، احدها : ان الأيد ليس بجمع لليد التى بمعنى النعمة ، لانها تجمع على «أيدى» . الثانى : ان مخالفتنا لا يثبت قدرة واحدة فكيف بقدرتين . الثالث : لما ثبتت لآدم مزية على ابليس فى قوله عز وجل « لما خلقت بيدي » لو كانت اليد بمعنى القدرة ، لان ابليس ايضاً مخلوق بقدرته تعالى<sup>٢</sup> .

وعقد محمد بن اسحاق بن خزيمة باباً فى كتابه «التوحيد والصفات» حاول فيه اثبات الوجه وسائر الجوارح له تعالى ، وتشبث بآيات وروايات ، منها قوله تعالى «ويبقى وجه ربك» المتقدم فى كلام الاشعري ، ومنها :-  
٩- قوله تعالى : «كل شىء هالك الاوجهه - القصص : ٨٨» .

١- الابانه للاشعري طحيدرآباد ص ٤٠ - ٤١

٢- نفس المصدر ص ٤١ - ٤٢

١- وقال: «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه - الكهف: ٢٨».

١١- وقال: «فاينما تولوا فثم وجه الله - البقرة: ١١٥» .

١٢- وقال: «للذين يريدون وجه الله - الروم: ٣٨» .

١٣- وقال: «وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله - الروم: ٣٩» .

١٤- وقال: «انما نطعمكم لوجه الله - الانسان: ٩» .

١٥- وقال: «وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى -

الليل: ٢٠» .

١٦- ولما نزلت الآية «قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذاباً من فوقكم -

الانعام: ٦٥» قال رسول الله ﷺ: «اعوذ بوجهك» .

١٧- وقال رسول الله ﷺ في دعاء: «وأسألك لذة النظر الى وجهك» .

قال ابن خزيمة . الا يعقل ذوالحجا - باطلاب العلم - ان النبي ﷺ لا يسأل ربه مالا يجوز كونه ! ففي مسألة النبي ﷺ ربه لذة النظر الى وجهه ابين البيان واوضح الوضوح ان الله - عزوجل - وجهاً يتلذذ بالنظر اليه <sup>١</sup> وقد اكثر ابن خزيمة من سرد روايات جاء فيها ذكر «وجه الله» ، لافائدة في تكرارها .

كما عقد بابا آخر <sup>٢</sup> ذكر فيه صورة ربنا جل وعلا ! واسهب بغير طائل .

ثم ذكر حديث ابي هريرة: «اذا ضرب احدكم فليجتنب الوجه ولا يقل قبح الله وجهك ووجه من اشبه وجهك فان الله خلق آدم على صورته» اى صورة هذا المصروب <sup>٣</sup> وحديثه الآخر: «خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعاً ، فلم يزل المخلوق

١- رسالة «التوحيد والصفات» لابن خزيمة ص ١٠-١٣

٢- نفس المصدر ص ١٩-٣٦

٣- نفس المصدر ص ٣٦-٣٧ . وراجع: كتاب الاسماء والصفات لليهقي ص ٢٩٠ .

ينقص حتى الآن»<sup>١</sup> .

وهكذا عقد الحافظ ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي فصلاً في كتابه «الاعتقاد»  
الذي الفه على مذهب السلف - ذكر فيه آيات وأخباراً في اثبات صفة الوجه واليدين  
والعين<sup>٢</sup> .

لكنه في آخر الفصل اول ذلك كله بما لا يستلزم التشبيه ، تمسكاً بقوله تعالى  
« ليس كمثل شيء » وبدلائل من العقل والنقل . ومن ثم نعتبره الحد الوسط بين  
الاشاعرة ومشرب الاعتزال .

وعقد ابن خزيمة في كتابه «الصفات» باباً لاثبات الرجل والقدم لله تعالى ،  
حاملاً على اصحاب التنزيه الذين ينفون الاعضاء عنه تعالى ، قائلاً : رغم انوف  
المعطلة الجهمية الذين يكفرون بصفات خالقنا التي اثبتها الله في محكم تنزيله وعلى  
لسان نبيه ﷺ وقد قال تعالى : «ألهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها  
ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها - الاعراف : ١٩٥» فاعلمنا ربنا  
جل وعلا ان من لارجل له ولايد ولاعين ولاسمع فهو كالانعام بل هو اضل .  
ثم جعل يسرد من اخبار جاء فيها ذكر «الرجل» لله تعالى ، منها : -

١٨ - مارواه المغيرة بن الأحنس عن عكرمة مولى ابن عباس «ان رسول الله  
ﷺ انشد قول امية بن الصلت - وكان ممن تنصرف في الجاهلية وكان ينشد الاشعار  
في تمجيد الله - :

رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للاخرى وليث مرصد

قال ﷺ : صدق . ثم قال :

والشمس تصبح كل آخر ليلة حمراء يصبح لونها يتورد

١- المصدر ص ٤٠ - ٤١ . والبيهقي - كتاب الاسماء والصفات ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

٢- الاعتقاد على مذهب السلف اهل السنة والجماعة ص ٢٩ - ٣٠ .



تأبى فما تطلع لنا فى رسلها الا معذبة والا تجلد

فقال رسول الله ﷺ : صدق ' .

١٩ - ومارواه ابن سيرين عن ابى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « واما النار فيلقون فيها وتقول : هل من مزيد ؟ ويلقون فيها وتقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع الجبار فيها قدمه ، هناك تمتلىء ويدنو بعضها الى بعض وتقول : قط قط . هذا الحديث رواه اهل الحشو فى تفسير قوله تعالى : « يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد - ق : ٣٠ » ٢ .

٢٠ - قال تعالى : « يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون - القلم : ٤٢ » .

اخرج البخارى وابن المنذر وابن مردويه عن ابى سعيد ، قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء وسمعة ، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً » . وهكذا اخرج ابن منده فى كتابه « الرد على الجهمية » عن ابى هريرة ، الحديث .  
واخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن منده عن ابن مسعود ، قال : « يكشف عن ساقه تبارك وتعالى » ٣ .

\* \* \*

هكذا زعمت المشبهة ومن على شاكلتهم من حشوية واشاعرة ، ان لله تعالى بدأ ورجلا وساقاً ، ووجهاً وعيناً وغيرها من اعضاء وجوارح . هى حاجة المفتقر

١ - رواه احمد فى مسنده ج ١ ص ٢٥٦ . وابن خزيمة فى التوحيد والصفات ص ٩٠ .

٢ - رواه البخارى فى صحيحه ج ٦ ص ١٧٣ عند تفسير سورة ق . وابن خزيمة فى التوحيد

والصفات ص ٩٤ . والسيوطى فى الدر المنثور ج ٦ ص ١٠٧ .

٣ - الدر المنثور - جلال الدين السيوطى - ج ٦ ص ٢٥٤ . وراجع : صحيح البخارى

ج ٦ ص ١٩٨ عند تفسير سورة القلم .

الى عضو وآلة في مزاولة الأمور ..! ونحن في غنى عن اقامة البرهان على استغناؤه تعالى عن الاستعانة بشيء على الاطلاق ، لان الحاجة مطلقاً صفة الممكن بالذات ، والله تعالى واجب الوجود بالذات ، وهو مرجع الحوائج والافتقارات وملجأ كل ذى حاجة وفقير ، ويستحيل ان تعرضه تعالى حاجة او افتقار الى شيء سوى ذاته المقدسة ، والا لانقلب الغنى الواجب بالذات الى الفقير الممكن ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . « يا ايها الناس اتمم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد - فاطر : ١٥ » .

وإذا لاحظنا صفة الغنى في ذاته المقدسة « وربك الغنى ذو الرحمة - الانعام : ١٣٣ » ورجعنا الى الآيات الكريمة التي تصفه تعالى بالغنى الذاتي في جميع شؤونه تبارك وتعالى « فان ربي غنى كريم - النمل : ٤٠ » . « وانه هو أغنى وأقنى - النجم : ٤٨ » كفانا مؤونة البحث عن تنزيهه تعالى عن الاعضاء والجوارح . انها آيات محكمة لها صراحة وموافقة لحكم العقل الرشيد ، هن ام الكتاب ويجب ارجاع ما ظاهره التناقض لها اليها في ضرورة الدين . وعليه فكل آية او قول مأثور جاء فيه ذكر الوجه او اليد او العين لله تعالى فمؤول الى معانى اخر غير ظاهرها اللغوى البحث .

وحاول بعض المشبهة وكذا الاشاعرة تحويراً في اسناد الجوارح الى الله ، فقالوا : له يد لا كالايدى ، ووجه لا كالوجوه ، وعين لا كالعيون ، وان له يداً بلا كيف . . . الخ ، اى لا ينبغي ان يسأل : كيف هذه اليد التي اثبتوها لله تعالى ، وكيف هذه الرجل التي يضعها الجبار في جهنم فنقول : قطقط !؟

لكنها محاولة عقيمة وفاشلة الى حد بعيد ، اذ لا يفرق في حكم العقل بين يد ويد او جارحة و جارحة ، انه تعالى مستغن عن استعمال جارحة اطلاقاً ، سواء كانت على نحو جوارح الناس ام كانت نحو آخر ، اذ لو كانت له تعالى جارحة ، فمعناه انه تعالى بحاجة اليها ، مهما كانت نوعيتها . كما ان اثبات الاعضاء - على اى نحو

كانت - يستدعى تركيبه تعالى منها ، والتركيب في ذاته المقدسة مستحيل ، نظراً لان المتركب من الاجزاء محتاج اليها في تركيبه ، الامر الذي يمتنع بشأنه تعالى اطلاقاً .

\* \* \*

اما الآيات التي تمسكوا بها فلادلالة لها على ثبوت عضوله تعالى ، حتى في ظاهر تعابيرها البديعة ، فضلاً عن امكان تأويلها الى مايتوافق ومحكمات الآيات والعقول . ولندكر من الآيات ماجاء فيها ذكر الوجه والعين واليد واليمين والساق على الترتيب . وننظر فيما خرجة العلماء في تأويلاتها الحكيمة ، ثم لتعرض لما تشبوا به من احاديث .

### الوجه

ذكر «الوجه» مضافاً اليه تعالى في القرآن في احد عشر موضعاً ، في البقرة : ١١٥ و ٢٧٢ . والانعام : ٥٢ . والرعد : ٢٢ . والكهف : ٢٨ . والقصص : ٨٨ . والروم : ٣٨ و ٣٩ . والرحمان : ٢٧ . والانسان : ٩ . والليل : ٢٠ . وليس واحداً من هذه المواضع مراداً به العضو الذي فيه الأنف والعينان . بل اما بمعنى الذات او بمعنى القصد او التقرب او الزلفى لديه تعالى ، لا يمكن ارادة الوجه بمعنى العضو المعروف بتاتاً : -

قال تعالى : « كل شيء هالك الا وجهه - القصص : ٨٨ » . وقال : « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاکرام : الرحمان ٢٧ » . ليس المعنى ان الباقي بعدفناء كل شيء هو وجهه بمعنى العضو ، بل المراد : لا يبقى شيء سوى ذاته المقدسة تبارك وتعالى ، اى كل شيء هالك الا هو . فجاء الوجه في هاتين الآيتين بمعنى الذات لا غير . ونستغرب كيف فسر الاشعري وتابعوه «الوجه» في الآية بمعنى العضو ! في حين ان هذا التفسير تحريف واضح بمدلول الآية الظاهري ، يعرفه



كل من ألقى الى الآية نظرتة ولوبدوية . نعم قديخفى ذلك على من كان على بصره  
غشاوة .

وقال تعالى : « والله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله - البقرة :  
١١٥ » . ايضاً بمعنى ذاته المقدسة ، المحيطة بهذا العالم احاطة علم وتديبر ، لا يخلو  
منه مكان ولا يحويه مكان دون مكان . والاية رد على اليهود كانت تزعم ان الصلاة  
تجب الى بيت المقدس كما كانت قبل تحويل القبلة الى البيت الحرام ، وقامت  
تعبير على المسلمين هذا التحويل المفاجيء : ان كان الاتجاه الى البيت المقدس  
اتجهاً الى الله - كما كان من ذى قبل - فالاتجاه الى الكعبة اتجاء الى غيره تعالى .  
وان كان الاتجاه اليه هو الاتجاه الى الكعبة ، فالاتجاه السابق كان الى غيره تعالى  
هذا هو الاعتراض الذى وجهه اليهود الى المسلمين . «سيقول السفهاء من الناس  
ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها - البقرة : ١٤٢ » .

فجاءت الآية الكريمة رداً حاسماً على هذا الاعتراض ، انه تعالى لم ينحصر  
فى جهة او مكان ، «قل لله المشرق والمغرب - البقرة : ١٤٢ » . « والله المشرق والمغرب  
فاينما تولوا فثم وجه الله - البقرة : ١١٥ » . اى ان الجهات كلها لله وتحت ملكه ،  
لا يختص به مكان دون مكان ، وانما كانت النسبة اليه تشريفية محضة ، فان كان الله  
امرهم بالاتجاه الى البيت المقدس ، لم يكن ذلك لسبب غير التشريف والاعتبار ،  
لالانه مكانه الخاص اوانه تعالى حال فيه جل شأنه . فهكذا اقتضت المصلحة تحويل  
هذا الاتجاه العبادى الى الكعبة وهو بيت الله العتيق ، له نسبة تشريفية قديمة اليه  
تعالى ، لالشيء آخر سواه . « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع  
الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وان كانت لكبيرة الاعلى الذين هدى الله - البقرة :  
١٤٣ » .

فقوله : « فثم وجه الله » يعنى : اينما اتجهتم فى عباداتكم فثم اتجاه الى الله  
تعالى ، لانه هو المقصود بالعبادة الخالصة لوجهه الكريم . وانما جاء الامر باتجاه

خاص ، لمصلحة في ذلك ، ربما كانت وحدة الاتجاه العبادى لجميع المسلمين في  
عامه عباداتهم ، الامر الذى كان يشد من وحدتهم في سائر الامور .

وقال تعالى : «انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكوراً - الانسان :  
٩» ، اى لقصده ، وان ليس المقصود من هذا الاحسان سوى التقرب والزلفى لديه  
تعالى ، فهو المقصود بالذات لا المكافئة ولا الثناء . وهكذا قوله : «وما آتيتم من زكاة  
تريدون وجه الله - الروم : ٣٩» اى كانت خالصة لله . الى غيرها من آيات نظائر .  
والوجه بمعنى القصد كثير في القرآن وفي الشعر . قال تعالى : «ومن احسن  
ديناً ممن اسلم وجهه لله - النساء : ١٢٥» اى اخلص قصده الى الله . وانشد الفراء .  
استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل

اى اليه القصد والعمل . وغيره من اشعار استشهد بها الشريف المرتضى  
ليبان اوجه المعانى المقصودة من «الوجه» في الاستعمال ، وقد استوفى البحث حقه ،  
فراجع <sup>١</sup> .

### العين

ذكر العين - مضافة اليه تعالى - في القرآن في خمسة مواضع ، احدها مفردة  
في سورة طه : «واقب عليك محبة منى ولتصنع على عيني - ٣٩» . خطاباً مع  
موسى عليه السلام . والباقي جمعاً : « واصنع الفلك باعيننا ووحينا - هود : ٣٧» .  
«فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا - المؤمنون : ٢٧» . «تجرى باعيننا  
- القمر : ١٤» . الثلاثة خطاباً مع نوح عليه السلام . « واصبر لحكم ربك فانك باعيننا  
الطور : ٤٨» . خطاباً مع محمد عليه السلام . والمراد في الجميع هي الرعاية الخاصة .  
اذ هذا النحو من الاستعمال لا يقصد منه سوى هذا المعنى حتى فيمن كانت له

١- الامالى ج ١ ص ٥٩٠-٥٩٣ . المجلس : ٤٥ .

وذلك لان دخول الباء عليها متعلقة بفعل مذکور ، يجعلها ظاهرة فى معنى الرعاية ، اما الجمود على ظاهر اللفظ حينئذ فيقتضى وقوع الفعل المذكور فى نفس الجارحة ، وهو فاسد قطعاً ، فليس المراد سوى وقوعه تحت الرعاية الخاصة .

وايضاً لو كان المراد نفس الجارحة ، لم يصح الافراد والالجمع فى مثل الآيات المذكورة ، حيث اضافتها الى شخص واحد . فاذا قلت : انك تفعل بعينى اوباعيننا ، لم يصح وانت ذو عينين اذا كنت قصدت الجارحة الخاصة . اما ارادة الرعاية والعناية الخاصة فصحيحة ، كما فى قولهم - عند تشييع مسافر - سر فعين الله ترعاك ، اى رعايته الخاصة تحفظك عن الأخطار .

#### اليد

ذكرت اليد فى القرآن مضافة اليه سبحانه فى اثنى عشر موضعاً<sup>١</sup> ، منها فى سورة المائدة - ٦٤ - « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء » . غل اليد وبسطها كنايةتان عن الامساك والانفاق ، كما فى قوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط - الاسراء : ٦٩ » . اذ ليس المقصود شد يديه الى رقبته كالكسير ، ومدهما الى طرفيه افقياً كلاعب رياضة . غير ان صاحب الذوق الاشعرى لا يرى سوى الجمود على ظاهر التعبير ، بعيداً عن ذوق العرب الرقيق .

وفى سورة آل عمران : « لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن

١ - آل عمران : ٧٣ و ٢٦ . المائدة : ٦٤ مكررة . المؤمنون : ٨٨ . يس : ٧١ و ٨٣

ص : ٧٥ . الفتح : ١٠ . الحديد : ٢٩ . الملك : ١ . الذاريات . ٤٧



اغنياء - ١٨١ . تعبير آخر عما جاء في سورة المائدة ، والقرآن يفسر بعضه بعضاً .

وقوله تعالى : « قل ان الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء والله واسع عليم - آل عمران : ٧٣ » . وقوله : « وان الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم - الحديد : ٢٩ » . اى فى ملكه وتحت اختياره ، ومن ثم عقبه بايتاء من يشاء دليلاً على ارادة هذا المعنى ، اذ ليس الفضل شيئاً ملموساً قابلاً للامساك باليد . وكذا قوله : « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون - يس : ٨٣ » . وقوله : « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير - الملك : ١ » . عبارة أخرى عن قوله : « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير - آل عمران : ٢٦ » . يكون المقصود استقلاله تعالى بملكوت كل شىء « وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون - المؤمنون : ٨٨ » . اى يمنع من يشاء ويعطى من يشاء لا يزاحمه فى ملكه أحد وهو الله الواحد القهار .

وقوله تعالى : « ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي - ص : ٧٥ » كناية عن مزيد عناية بشأن الانسان ، خلقه تعالى بلا توسط سبب كما فى سائر المخلوقات . وهكذا قوله : « اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاماً فهم لها مالكون - يس : ٧١ » كناية عن تفرده تعالى بخلقهم لم يشركه أحد فى الخلق ، يعنى انهن مصنوعات لله تعالى ، وهم يتصرفون فيها تصرف الملاك كانها مصنوعات انفسهم ، فبدلاً من الشكر يكفرون .

وقوله تعالى : « والسماء بنيناها بأيدى وانا لموسعون - الذاريات : ٤٧ » اى بقوة واحكام ، كما فى قوله : « واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولى -

الايدي والابصار - ص : ٤٥ . اى اولى قوة وبصيرة ، زادهم بصطة فى العلم والجسم .

واما قولة الاشعري : لايجوز فى لسان العرب ان يقول القائل : عملت كذا بيدي يعنى به النعمة .. فكلام شعري ودعوى بلا علم ، اذ اليد فى الآيات المذكورة كان المقصود بها الحصر فى ملكه تعالى . وفى آية الذاريات القوة والاحكام . وقد خبط الاشعري فى انكاره الجمع على « الايدي » اذ التى لاتجمع على « الايدي » هى التى بمعنى النعمة ، التى تجمع على « الايدي » . ولا بحث عنها فى آية الذاريات المقصود منها القوة ، وهى تجمع على « الايدي » بلا كلام ، كما فى سورة ص : ٤٥ « اولى الايدي والابصار » . كما ان النافى للقدرة انما ينفى قيام مبدئها بذاته المقدسة صفة زائدة ، ولا ينفى قدرته تعالى على الاطلاق . وهذا تلبيس من الاشعري فى اسناد ما لم يقل به خصمه .

كما ان اليد فى « خلقت بيدي » كانت بمعنى العناية الخاصة ولم تكن بمعنى القدرة كما زعمه الاشعري رداً على خصومه اهل العدل والتنزيه .

وقوله تعالى : « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه - : الفتح : ١٠ » . اى ان يد رسول الله ﷺ التى فوق ايديهم فى المبايعه ، هى يد الله العليا ، لان يد الرسول يد المرسل ، فمن كان يبايع رسول الله ﷺ فانما يبايع الله ، ومن ثم فان الناكث لبيعتة ناكث لما عاهد عليه الله .

واما قوله تعالى : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين - الحاقة : ٤٤-٤٦ » . فاليمين يمين المأخوذ ، اى لو ادعى علينا شيئاً لم نقله لقتلناه صبراً ، كما يفعل الأقوياء بمن يتكذب عليهم ، معالجة بالسخط والانتقام . فصور قتل الصبر بصورته ليكون اهل ، وهو أن يؤخذ بيد المقتول

وتضرب رقبته . وخص اليمين عن اليسار لان القاتل اذا اراد ايقاع الضرب فى قفاه اخذ بيساره ، واذا اراد ايقاعه فى جيده وان يكفحه بالسيف - وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف وهو واقع به - اخذ بيمينه <sup>١</sup> . وعلى اى حال فهذا التعبير كناية عن قتل الذل والهوان ، وليس كما ذهب اهل الحشو الذين ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون .

## الساق

قال تعالى : « يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون - القلم : ٤٢ » . قال الزمخشري : الكشف عن الساق والابداء عن الخدام <sup>٢</sup> : مثل يضرب لشدة الأمر وصعوبة الخطب . وأصله فى الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن وابداء خدامهن عند الهرب . قال حاتم :

اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها      وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا  
وقال ابن الرقيات :

كيف نومي على الفراش ولما      تشمل الشام غارة شعواء  
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي      عن خدام العقيلة العذراء

فمعنى « يوم يكشف عن ساق » : يوم يشتد الامر ويتفاقم ، ولا يكشف ثم ولا ساق ، كما تقول للاقطع الشحيح : يده مغلولة ، ولا يد ثم ولا غل . وانما هو مثل فى البخل . واما من شبه <sup>٣</sup> فلضيق عطنه <sup>٤</sup> وقلته نظره فى علم البيان . والذى غره

١- راجع : الكشاف للزمخشري ج ٤ ص ٦٠٧ ط بيروت .

٢- الخدام جمع خدمة وهى الخلخال، وذلك كرقاب جمع رقبة .

٣- اى من تشبث بهذه الاية من اصحاب التشبيه لاثبات ساق له تعالى ورجل ، كما

تقدم نقله .

٤- اى ضيق مجال فكرته وقصور عقله



حديث ابن مسعود : « يكشف الرحمان عن ساقه : فاما المؤمنون فيخرون سجداً ،  
واما المنافقون فتكون ظهورهم طبقا طبقا كأن فيها سفايد <sup>١</sup> » . ومعناه : يشتد الامر  
ذلك اليوم ويتفاقم هوله ، وهو الفزع الاكبر يوم القيامة . قال : ولو كان حيث ذهب  
المشبهة لكان من حق الساق ان تعرف ، لانها ساق معهودة عندهم وهى ساق الرحمان  
سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون <sup>٢</sup> .

## الرجل والقدم

لم يأت في القرآن ذكر رجل أو قدم لله تعالى ، وانما تشبث المشبهة باحاديث  
زعمتها دالة على ذلك حسبما تقدم .

واغرب من الجميع استدلال ابن خزيمة بآية الاعراف : ١٩٥ ، اذ تعبير  
الآلهة ( الاصنام ) بعدم الاعضاء والجوارح انما كان بالقياس الى سائر الناس ،  
حيث هم افضل مما يعبدون مما لا حركة له ولا نشاط . فلا دليل على وجودها لله  
تعالى ، اذ الكل معترفون بانه خالق السماوات والارض رب العالمين . اما هذه  
الاصنام التي يعبدونها من دون الله ، فانها خشب مسندة جماد لافعاليتها ولا عمل ، فهى  
لاتضر ولا تنفع ، فكيف يعبدونها ! ؟

اما رواية عكرمة لشعر امية بن الصلت ، فواضحة الفساد ، لاحتوائها على  
مناكير ، فضلا عن اتهام عكرمة ذاته ، فقد كذبه مجاهد وابن سيرين ومالك ، وكان  
يرى رأى الخوارج ، وهكذا انسان لا يعتمد على رواياته ، لاسيما فيما يخص جانب  
التوحيد والصفات ، وعلى غرارها رواية ابي هريرة لحديث جهنم ، فان ابا هريرة  
بنفسه متهم فى احاديثه ، فضلا عن استدعائها التجسيم فى ذاته المقدسة تعالى الله عن  
ذلك .

١- جمع سفود - بالثديد - وهى حديدة يشوى بها اللحم .

٢- راجع : الكشاف ج ٤ ص ٥٩٢-٥٩٤ .

ثم لوصح الحديث - حسبما - زعمه اهل السنة - فان له تأويلات تعرض له العلماء من وجوه ذكرها الحافظ ابن حجر في شرح البخارى . منها: ان يكون المراد اذلال جهنم حيث بالغت فى الطغيان وطلب الزيادة ، فاذلها الله بان وضعها تحت قدمه ، وليس المراد حقيقة القدم ، والعرب تستعمل الفاظ الاعضاء فى ضرب الامثال ولا تريد اعيانها ، كقولهم : رغم انفه وسقط فى يده ونحو ذلك<sup>١</sup> وذكر تأويلات اخرى لابأس ببعضها ، فراجع .

واما ما ذكره الاشعري من وجوب الوقوف عند ظاهر اللفظ حتى يقوم دليل على خلافه ، فحق . لولا ما يبدو عليه من مراوغة خبيثة ، اذ حجية ظواهر الكلام مما ثبتت فى الاصول ، وهو اصل من الاصول العقلية ، وعليه بنيت مجارى الافادات والاستفادات لدى اهل المحاورة من جميع الأعراف العامة والخاصة . لكن هذا فيما لم يتم دليل من عقل او نقل قطعى يصلح قرينة صارفة لظاهر الكلام ، وعند ذلك تكون القرينة هى حجة قاطعة دون اصل وضع الكلمة اللغوى . هذا صحيح ، غير ان امثال الاشعري انما تفوهوا بهذا الكلام تمويهاً وتدليساً على العوام ، اذ لم يتعرض اهل العدل والتنزيه لتأويل كل ظاهر من الكلام ، سوى ما قام دليل قاطع على ارادة خلاف ظاهره من عقل رشيد او محكم فى الكتاب والسنة .

وقد تقدم الفارق بين الاشاعرة الذين يؤولون المحكم على حساب المتشابه كتأويل الاشعري « لا تدركه الابصار » على حساب التحفظ على ظاهر « الى ربها ناظرة » واهل العدل الذين يؤولون المتشابه على حساب المحكم ، وكم بين الطريقتين من فرق واضح ، وكم ابتعدت الاشاعرة عن منهج الاستقامة فى استنباط المفاهيم الاسلامية العريقة ، لان الابتعاد عن منهج العقل ابتعاد عن صميم الاسلام ، فضلاً عن استدعاء منهج الاشعري تشويها لمبادئ الاسلام واصوله الضافية ، وذلك حط من كرامة

١- فتح البارى ج ٨ ص ٤٥٧ . وراجع : مشكل الحديث لابن فوركلص ٤٤

هذا الدين وتحريف بمواضع الكلم ، وذنوب لا يغفر .

### مسألة الاستطاعة

من المسائل التي وقع فيها الخلاف بين الأشاعرة واهل العدل ، هي مسألة «الاستطاعة» : هل للعبد قدرة على اختيار ما يريد وترك ما يكره ، ام ليس له اختيار لاعلى فعل ولاعلى ترك ، وانما هو مضطر على الفعل او الترك وفق ما اراد الله .  
وبعبارة اوجز : هل للعبد ارادة فيما يوجد من افعال ، ام لا ارادة له ، وانما يفعل ما يفعل بارادة الله ، كآلة صماء في يد الفاعل المختار . وهو الله الواحد القهار ؟  
ذهب اهل الجبر - وفي مقدمتهم ابو الحسن الاشعري - الى سلب اختيار العباد ، وانما هي ارادة الله مسيطرة على عالم الوجود ، فلا يقع فعل ولا يتحقق عمل من الاعمال الا بارادته تعالى ، لا مدخل لاختيار العباد و ارادتهم ، بل لا اختيار لهم ولا ارادة .  
ولشاعة هذا المذهب وبداهة بطلانه ، ابتدع الاشعري مسألة هي مسألة «الكسب» قال : ليس للعباد اختيار فيما يفعلونه ، وانما لهم اكتساب في الافعال ، بسبب الارادة الحادثة .

قالوا : هناك ارادتان ، قديمة وحادثة ، فارادة الله القديمة هي العلة الاصلية لوقوع ما يقع من افعال واعمال ، وان كانت منسوبة الى العباد ، وهذه النسبة انما جاءتهم من قبل ارادتهم الحادثة ، حيث انهم ارادوا فعل شيء او تركه ، وهذه الارادة وان كانت لم تؤثر في وقوع ما وقع ، لكنها صارت سبب هذا الانتساب ، ومن ثم كانت نسبة الافعال الى العباد نسبة اكتساب ، فهم مكتسبون لها بسبب ارادتهم هذه الحادثة تجاه ارادة الله القديمة التي هي العلة والسبب ، وسابقة على ارادات العباد .  
وعليه فالعباد مكتسبون لافعالهم وليسوا مختارين فيها ، وبذلك قال : ان لا ارادة العباد تأثيرا ، و اراد جهة الاكتساب والانتساب لا التأثير في الوقوع ، اما تأثير ارادتهم في وقوع الافعال وعدمه فينتفي ، لانه تحت ارادة الله المستقلة السابقة على هذه الارادات الحادثة .



وقد شنع عليهم هذا الرأي - ايضاً - بأنه اذالم يكن لارادة العبد واختياره تأثير في الفعل وعدمه ، فما موقعية مسألة الكسب لتكون فاصلة بين الجبر والاختيار ؟ ! وقد تقدم ان الاشعري مهما حاول التخلص عن شناعة القول بالجبر ، فانه جبرى خالص ، وانما محاولته تلك مراوغة ونفاق ، ولامفهوم لمسألة الكسب اطلاقاً .  
واليك من تشبثات الاشاعرة وسائر اهل الجبر فيما زعموه دليلاً على نفى الاستطاعة وسلب القدرة عن العباد :-

١- قال تعالى : «قال أتعبدون ما تئنحون والله خلقكم وما تعملون - الصافات : ٩٦» اي عملكم ، على ان «ما» مصدرية . او معمولكم ، على ان «ما» موصولة . فعلى الاول يكون نفس الابداع والايقاع من فعله تعالى . وعلى الثاني فالعمل المنتحق خارجاً هو فعله تعالى . وعلى كلا التقديرين يثبت ان لا عمل للعبد . قاله التفتازاني .  
٢- وقوله تعالى : «وخلق كل شيء فقدره تقديراً - الفرقان : ٢» .  
٣- وقوله : « ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه - الانعام : ١٠٢ » .

٤- وقوله : «قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار - الرعد : ١٦» .  
٥- وقوله : «الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل - الزمر : ٦٢» .  
٦- وقوله : ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو - غافر : ٦٢» .  
قال التفتازاني : اي خالق كل شيء ممكن ، بدلالة العقل ، وفعل العبد شيء فهو داخل في عموم مخلوقاته تعالى .  
٧- وقوله تعالى : «أفمن يخلق كمن لا يخلق افلاتنكرون - النحل : ١٧» ،

---

١- تقدم في ص ٧١ ان ابا الحسن الاشعري يرى من تعلق القدرة بالحادث بالمقدور كتعلق العلم بالمعلوم ليس له تأثير أصلاً . وقد تكلمنا هناك عن مذهب الاشعري في الجبر ، وهن مسألة الكسب التي ابتدعها للتخلص عن شناعة القول بالجبر ، الامر الذي كان فراراً من المطر الى الميزاب .

قال التفتازانى: وهذا مقام التمدح بالخالقية، وان الخالقية هي مناط استحقاق العبادة فلو كان غيره تعالى خالقاً لاستحق العبادة ايضاً .

٨- وقوله: «هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض - فاطر: ٣» .

٩- وقوله: « هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى - الحشر :

٢٤ » .

١٠- وقوله: « الاله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين - الاعراف: ٥٤ » .

١١- وقوله: « والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون -

النحل: ٢٠ » .

١٢- وقوله: «ان ربكم الله الذى خلق السماوات والارض وما بينهما - الفرقان

٥٩ » . قالوا: واعمال العباد فيما بين السماوات والارض، فيجب ان تكون من خلق الله .

١٣- وقوله: «ان ربك فعال لما يريد - هود: ١٠٧» . قالوا: وفي افعال العباد

ما يريد الله تعالى فيجب ان يكون فاعلاً لها .

١٤- وقوله: «ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من

قبل ان نبرأها - الحديد: ٢٢» .

١٥- وقوله: «واختلاف السننكم والوانكم - الروم: ٢٢» . فما يخرج من

اللسان كاللون مخلوق لله .

١٦- وقوله: «واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور، الا يعلم

من خلق وهو اللطيف الخبير - الملك: ١٣ و ١٤» . فكل سر او جهر من القول فهو

مما خلقه الله .

١٧- وقوله: « ربنا واجعلنا مسلمين لك - البقرة: ١٢٨ » . يدل على ان

الاسلام والايمان من قبله تعالى .

١٨- وقوله: «وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة - الحديد: ٢٧» .

١٩- وقوله: «وانه هو اضحك وابكى - النجم: ٤٣» .

٢٠- وقوله: «امخلقوا من غير شيء امهم الخالقون -الطور : ٣٥» .

٢١- وقوله : « امجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم -

الرعد : ١٦ » .

٢٢- قالوا : ان الواحد منا لو كان محدثا لتصرفاته لوجب ان يسمى خالقاً لها ،

والآمة قد اتفقت على ان « لاخالق الاالله » .

٢٣- وقالوا : لا تجتمع قدرتان على مقدور واحد ، فاما ان يكون المؤثر في

ايجاد الفعل هي القدرة القديمة (قدرة الله) او القدرة الحادثة (قدرة العبد) . وبما ان

القدرة القديمة سبقت الحادثة ، فهي المستقلة بالتأثير المستغنية عن علة اخرى هي

متأخرة وهي القدرة الحادثة .

٢٤- وايضاً فان لازم القول بتأثير قدرة العبد - في ايجاد الافعال - هو الشرك

مع الله في الخلق والايجاد ، ولا مؤثر في الوجود الاالله .

٢٥- وقالوا : لو كان العبد خالقاً لأفعاله لكان عالماً بتفاصيلها ، ضرورة ان

ايجاد الشيء بالقدرة والاختيار لا يكون الا كذلك ، واللازم باطل ، فان المشى من موضع

الى موضع قديشتمل على سكنات متخلطة وعلى حركات بعضها اسرع وبعضها أبطأ ،

ولاشعور للماشى بذلك . وليس هذا ذهولا عن العلم ، بل لوسئل لم يعلم . وهذا في

اظهر افعاله . واما اذا تأملت في حركات اعضائه في المشى والأخذ والبطش ونحو

ذلك وما يحتاج اليه من تحريك العضلات ومد الاعصاب ونحو ذلك فالأمر اظهر .

٢٦- وزادت المجبرة الصريحة تمسكاً بقوله تعالى : «ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً

من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم اعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان

لا يسمعون بها ، اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون -الاعراف : ١٧٩» .

٢٧- وبقوله تعالى : ولوشئنا لآتيننا كل نفس هداها ، ولكن حق القول منى

لأملئن جهنم من الجنة والناس اجمعين -السجدة : ١٣» -

٢٨- وبقوله : «ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله -الانعام : ١١١» .



٢٩- وبقوله : «وما تشاؤون الا ان يشاء الله-الانسان : ٣٠» .

٣٠- وبقوله : «ولو شاء الله ما اشركوا -الانعام : ١٠٧» .

٣١- وبقوله : «ولو شاء الله ما اقتتلوا -البقرة : ٢٥٣» . وغيرها من آيات جاء فيها ذكر المشيئة . وبآيات الهداية والضلالة منسوبيتين الى الله<sup>١</sup> سنعرض لها في فصل قادم .

٣٢- واجاب ابو الحسن الاشعري عن قوله تعالى : «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون - الذاريات : ٥٦» بأن الله عز وجل انما عنى المؤمنين دون الكافرين ، لانه أخبر انه ذرأ لجهنم كثيراً من خلقه ، فالذين خلقهم لجهنم واحصاهم وعدهم وكتب باسمائهم واسماء آبائهم وامهاتهم غير الذين خلقهم لعبادته .

٣٣- وعن قوله تعالى : «وما أصابك من سيئة فمن نفسك-النساء: ٧٩» بالحمل على الاستفهام الانكارى ، اى اتزعم انها من نفسك ؟! . جمعاً بينه وبين قوله : «قل كل من عند الله -النساء : ٧٨»<sup>٢</sup> .

٣٤- وعن قوله تعالى : «وما الله يريد ظلماً للعباد - غافر : ٣١» . وقوله : «وما الله يريد ظلماً للعالمين - آل عمران : ١٠٨» بانه تعالى لا يريد ان يظلمهم ، لان يظلم بعضهم بعضاً ، اذ لم يقل : لا يريد ظلم بعضهم لبعض . فلم يرد ان يظلمهم ، وان كان اراد ظلم بعضهم لبعض<sup>٣</sup> .

٣٥- وقالوا -فى قوله تعالى : «فتبارك الله احسن الخالقين-المؤمنون: ١٤» . وقوله تعالى : «واذ خلق من الطين كهيئة الطير -المائدة : ١١٠» . - : ان الخلق هاهنا

---

١- راجع: الابانة لابي الحسن الاشعري ص ٦ و٤٩-٥٩ . وشرح الاصول الخمسة

للقاضى ص ٣٨٢- ٣٨٧ و٤٦٤ و٤٧٥ . وشرح العقائد النسفية للتفتازانى ص ٦٠- ٦١ .

٢- الابانة ص ٥٩

٣- الابانة ص ٥٨

بمعنى التقدير<sup>١</sup> .

٣٦- واعترض عليهم بان الكافر والفاسق حينذاك مجبوران على الكفر والفسق فلا يصح تكليفهما بالايمان والطاعة . فاجابوا : انه تعالى اراد منهما الكفر والفسق باختيارهما فلا جبر . كما انه علم منهما الكفر والفسق بالاختيار ولم يلزم تكليف المحال<sup>٢</sup> .

والكلام في هذا المجال كثير اقتبسنا نماذج هي رؤوس مطالب القوم<sup>٣</sup> حاولوا فيها اثبات شمول قدرته تعالى ، بما يستلزم سلب القدرة عن العباد اطلاقاً على ايجاد فعل او ترك ، وانما هم مضطرون فيما يفعلون لارادة لهم ولا اختيار . وبذلك حاولوا - فيما حسبوا - نفى الشريك عنه تعالى ، وطعنوا على اهل العدل بانهم يثبتون لله شركاء لاحصر لها ولاحد . قالوا : المجوس اسعد حالاً منهم ، حيث لم يثبتوا الا شريكاً واحداً ، وهؤلاء يثبتون شركاء لاتحصى<sup>٤</sup> .

ونحن - في هذا العرض - نقدم فصولاً نبحت خلالها عن مسائل : «الاختيار» و«الارادة» و«الامر بين الامرين» وعن نسبة ما بين قدرة العبد وقدرته تعالى . وعن السر في اضافة الافعال والمولدات اليه سبحانه . وما الى ذلك من بحوث لها صلة بالموضوع ، واخيراً نتعرج الى شبهات اهل الجبر وحل متشابهات آيات تشبثوا بها في هذا المجال ، وتخريج تأويلها الصحيح ان شاء الله تعالى ، ومنه التوفيق :-

١- شرح العقائد النسفية ص ٦٢

٢- شرح العقائد النسفية ص ٦٣

٣- ولتفصيل اكثر راجع اصل نظرية الجبر ، في شرح المواقف للشريف الجرجاني

- المرصد السادس ص ٥١٥ . وراجع نقد النظرية باسلوب منطقي حكيم ، في محاضرات سيدنا

الاستاد - بقلم الفيض - ج ٢ ص ٤٤ - ٧٧ .

٤- شرح العقائد النسفية ص ٦١

## الافعال الاختيارية

اما اهل العدل والتنزيه فوقفوا من مسألة «الاستطاعة» موقفاً نزيهاً ، وقدسوا  
ساحة قدسه تعالى اجمل تقديس، فى هدى العقل الرشيد ومحكمات الآيات والآثار  
الصحيحة .

قالوا : ان الله خلق الخلائق لاشريك له فى الخلق ، ولاخالق سواه ،وركب  
فى كل مخلوق صفة وجعل لكل موجود أثراً ، وجعل من اوصاف الاشياء وآثارها  
نوعين ، منها ما يصدر عنها صدوراً لا باختيارها ولاهى مقيدة بارادتها ، كطلوع  
الشمس واشراقها ، ونبت الشجر واثماره . ومنها ما يصدر عنها صدوراً تحت اختيارها  
ومقيدة بارادتها ، كمشى الدابة ووقوفها وطلبها للحشائش وأكلها .

قالوا : هناك فرق ضرورى بين حركة يد المرتعش الحادثة لاعن اختياره ،  
وتحريك اليد لتناول الطعام والشراب ، المنضبط تحت الاختيار . كالفرق بين  
التنفس والتكلم ، وهكذا بين نبت الشعر وحلقه ، الاول لا اختيارى والثانى  
اختيارى .

والفعل الاختيارى هو ما اذا شاء الانسان فعله او شاء تركه ، الامر الذى يجده  
الانسان فى صميم فطرته فارقاً بين الامرين بديهياً لاغبار عليه .

كما يجد الانسان من نفسه الفرق بين تعلق الارادة بالعمل الذى يريده ، وتعلق  
العلم به . حيث لا اثر للعلم فى تحقق المعلوم، اما الارادة فهى الباعثة على تحقق المراد .  
وكذا القدرة على عمل هى التى جعلته تحت اختياره ان شاء فعله او تركه ، ولاهكذا  
اثر للعلم بالنسبة الى المعلوم .

والخلاصة : ان هناك افعالا اختيارية تصدر من الفاعل المختار حسب ارادته  
واختياره ، يكون هو المسؤول عنها ، تحسناً او تقييحاً ، مدحاً او ذمماً ، ثواباً او عقاباً .  
ولا يسأل عنها غيره بتاتاً . لا يؤخذ الجار بذنب الجار . ولا تزر وازرة وزر اخرى ،



ومضاعفات كل عمل انما ترجع على العامل وتستند اليه تبعاته من خير او شر ، صلاح  
اوفساد ، حق او باطل .

هذاما تشهد به ضرورة العقل وبداهة الوجدان ، وعليه صح التكليف والتشريع  
وبعث الرسل وانزال الكتب ، والامر والنهى ، والوعد والوعيد ، والمثوبة والعقوبة  
وما اليها ، والالغى التكليف وبطل التشريع والبعث والزجر ، ولم يكن موقع لتحسين  
او تقييح ولا استحقاق جزاء . ولا يصبح تحسين المحسن على احسانه عبثاً كمدح الجميل  
على حسن صورته . وهكذا لغى ذم المسيء على اسائه كذم الدميم على قبح منظره  
وقدح القصير على قصر قامته او الاعرج على عرج رجله .

ولنتساءل الاشاعرة : هل تجدون من انفسكم الفرق بين جود الكريم وصفاء  
اللؤلؤ؟ اوشح البخيل وسواد الفحم؟ فان قالوا: نعم ، سألتهم فالى من يرجع مدح  
الجود اذا جاد الكريم ، والى من يعود ذم الشح اذا بخل البخيل؟ فان قالوا : الى الله  
قلنا: فلم يكن فرق بين الكريم واللثيم اذا كان كرم ذلك ولؤم هذا كلاهما من عند الله ،  
غير داخلين تحت اختيارهما وارادتهما ، وبالتالي لم يكن فرق بين كرم الكريم وصفاء  
اللؤلؤ ، او بين شح البخيل وسواد الفحم ، فقد نقضتم ما اعترفتم به اولاً !

\* \* \*

وقد دل صريح القرآن فى محكمات آياته الكريمة على صحة ما شهدت  
به العقول واعترفت به العقلاء ، وذلك جميع الآيات التى جاء فيها ذكر الوعد والوعيد  
والامر والنهى ، والتكليف والتشريع ، والمثوبة والجزاء ، والدعوة الى الايمان  
والخروج عن طاعة الشيطان ، ومدح المؤمنين وذم الكفار والمنافقين . وهى تشكل  
غالبية آى القرآن الكريم ولنذكر منها شواهد :

١- قال تعالى : « ألا تزر وازرة وزر اخرى ، وان ليس للانسان الا ما سعى ،

وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى - النجم : ٣٨ - ٤١ » .

٢- وقال : « ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم

مشكوراً - الاسراء : ١٩ .

٣- وقال : « ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى - طه : ١٥ » .

٤- وقال : « فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له لكااتبون

- الانبياء : ٩٤ » .

٥- وقال : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره -

الزلزله : ٧ - ٨ » .

٦- وقال : « ومن يعمل سوءاً او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله تواباً رحيماً

- النساء : ١١٠ » .

٧- وقال : « من يعمل سوءاً يجز به - النساء : ١٢٣ » .

٨- وقال : « ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات - الطلاق : ١١ » .

٩- وقال : « وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً - الانسان : ١٢ » .

١٠- وقال : « ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون - الانعام : ١٤٦ » .

١١- وقال : « سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب - الانعام :

١٥٧ » .

١٢- وقال : « ولنجزى الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون

- النحل : ٩٦ » .

١٣- وقال : « كل نفس بما كسبت رهينة - المدثر : ٣٨ » .

١٤- وقال : « فأصابهم سيئات ما كسبوا - الزمر : ٥١ » .

١٥- وقال : « لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت

البقرة : ٢٨٦ » .

١٦- وقال : « كل امرء بما كسب رهين - الطور : ٢١ » .

١٧- وقال : « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن - النساء :

- ١٨- وقال: «ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس - الروم: ٤١».
- ١٩- وقال: «اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم - غافر: ١٧».
- ٢٠- وقال تعالى: «كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم - البقرة: ٢٨».
- لو كان الله هو خلق الكفر في الكافر لم يتوجه هذا التوبيخ . كما لا توبيخ على  
الصحة والمرض والموت والحياة.
- ٢١- وقال: «ومانع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى - الاسراء: ٩٤».
- ما هذا الاستفهام الانكارى اذا كان الله هو الذى منعهم عن الايمان؟!
- ٢٢- وقال: «وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر - النساء: ٧٩» .
- ٢٣- وقال: «وما لكم لا تؤمنون بالله - الحديد: ٨» . فلولا ان الايمان موقوف  
على اختيارنا لم يستقم هذا الكلام ، ولجربى مجربى ان يقول لهم : لم لاتطول قوائهم  
اولا تبيض ابدانهم ونحو ذلك . وكان للممتنع عن الايمان ان يقول : انت الذى منعنى  
عن الايمان ولم تخلقه فى ، فكيف توبخنى عليه؟!
- ٢٤- وقال: «فما لهم عن التذكرة معرضين - المدثر: ٤٩» . ما هذا الانكار  
لو كان اعراضهم بفعل الله؟!
- ٢٥- وقال تعالى: «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر - الكهف: ٢٩» . دليلا  
على ان الكفر والايمان كليهما واقعان تحت اختيارنا وليسا مخلوقين فينا من غير  
جهة ارادتنا ، والالم يصح هذا الكلام . ولما فى الآية التالية :
- ٢٦- « لا اكره فى الدين قديبين الرشدين - البقرة: ٢٥٦ » . فان اعتناق  
الايمان والكفر يابى الاكراه والاجبار ، مادام الاعتقاد بشيء رهن وضوح الحق  
واقتناع النفس به .
- ٢٧- وقال: «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون - الذاريات: ٥٦» . دليلا



على ان الله تعالى لا يريد من العباد جميعاً سوى الاطاعة والانقياد، ارادة تشريع وحكم فكيف يخلق فيهم الكفر والعصيان بارادة تكوينية، ثم يطلب منهم الاطاعة والانقياد تشريعاً!؟

٢٨- وقد قال تعالى : «وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا -ص: ٢٧» .

٢٩- وقال تعالى : «ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا - المزمّل :

١٩ « .

٣٠- وقال : «لمن شاء ان يتقدم منكم او يتأخر - المدثر : ٣٧» .

٣١- وقال : «كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره - المدثر : ٥٥» .

٣٢- وقال : «كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره - عبس : ١٢» .

٣٣- وقال : «ان هو الا ذكر للعالمين ، لمن شاء منكم ان يستقيم

-التكوير : ٢٨» .

٣٤- وقال تعالى : «سيقول الذين اشر كوا لو شاء الله ما اشر كنا ولا آباونا ،

و لاحرنا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل

هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن و ان انتم الا تخرسون

- الانعام : ١٤٨» .

لاتعدو قولة المشركين- في الجبر وان اشر اكهم مفروض عليهم من قبل الله -

قولة الاشاعرة في ان الكفر والايمان مخلوقان في الكافر و المؤمن بمعزل عن

اختيارهما- كما تقدم في كلام الاشعري بالذات- ومن ثم فهذه الاية الكريمة رد صريح

على مذهبهم الفاسد ، و يوجه اليهم الاعتراض : هل عندكم من علم فتخرجوه لنا

ان تتبعون الا الظن و ان انتم - ابتها العصابة الاشعرية - الا تخرسون .

و اما الاية التي بعدها : « قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين

- الانعام : ١٤٩» فالمشبهة هنا هي المشبهة التكوينية ، اما المشبهة التشريعية فقد شاءها

الله تعالى بلاشك ، لانه تعالى وجه دعوته الى عامة الناس : « يا ايها الناس اعبدوا ربكم - البقرة : ٢١ . » و« اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً - النساء : ٣٦ . » « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم - آل عمران : ٣٢ . » « فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا - التغابن : ١٦ . »

٣٥- وقال : « وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم - الزخرف : ٢٠ . » وهكذا الاشاعرة قالوا : لو شاء الرحمن ما كفر الكافر ولا عصى العاصي . ما لهم بهذا الكلام الباطل من علم « انهم الايخرون » .

٣٦- وقال تعالى : « واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون - آل عمران : ١٣٢ . » ما هذا الامر وما هذا الطلب ، لو كانت الاطاعة والعصيان خارجتين عن تحت قدرتهما ، ولا يستطيعان الايمان ولا الكفر الا اذا خلق الله ذلك فيهم ، فهل هذا الاطلب ما لا يقدر العباد على فعله ؟!

٣٧- وقال : « اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون - الانفال :

٢٠ . »

٣٨- وقال : « وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امرى - طه : ٩٠ . »

٣٩- وقال : « واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانا على رسولنا

البلاغ المبين - التغابن : ١٢ . »

والايات من هذا القبيل - تسند الاطاعة والعصيان ، والكفر والايمان ، وسائر افعال العباد الى انفسهم و اختيارهم ، ان شاؤوا فعلوا وان شاؤوا تركوا - كثير في القرآن ، وقد ارجعت تبعات اعمال العباد الى انفسهم بالذات ، من خير او شر ، صلاح او فساد . . . ٤- « وقال موسى : ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعاً فان الله لغنى حميد - ابراهيم : ٨ . » فكيف هذا الكلام لو كان الله هو خلق فيهم الكفر ؟!

ومن ثم نقول للاشاعرة بالذات : « ان تكفروا - انتم ايضاً - فان الله غنى عنكم

ولا يرضى لعباده الكفر - الزمر : ٧ . اذ كيف يخلق فيهم الكفر يريد أ منهم الكفر -  
حسب تعبير الأشعري<sup>١</sup> - وهو تعالى لا يرضى لعباده الكفر !؟ نعم «فعميت عليكم  
أنزل مكموها وانتم لها كارهون - هود : ٢٨ . « فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى  
القلوب التي في الصدور - الحجج : ٤٦ » .

و بعد هذا العناء والعمه والانحراف في قلوبكم - اينها الاشاعة حتى  
اليوم - « لا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم  
- هود : ٣٣ » .

### ارادة تكوينية وارادة تشريعية

اصطلاح اهل الفن على تسمية ارادة الله المتعلقة بتكوين شيء بالارادة التكوينية  
وتسمية طلبه وامره لشيء بالارادة التشريعية ، وهو يشكل طرفاً من بحث «الطلب  
والارادة» في علم الاصول .

فمن الاول قوله تعالى : « انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون - يس :  
٨٢ » : وقوله : « قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءاً او اراد بكم  
رحمة - الاحزاب : ١٧ » . وقوله : « واذا اراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له - الرعد :  
١١ » . الى غيرهن من آيات .

ومن الثاني قوله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر - البقرة :  
١٨٥ » . وقوله : « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم  
والله عليم حكيم . والله يريد ان يتوب عليكم . ويريد الذين يتبعون الشهوات ان  
تميلوا ميلاً عظيماً . يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفاً - النساء : ٢٦ -  
٢٨ » . وقوله : « ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم و  
ليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون - المائدة : ٦ » .

١ - الابانة ص ٦-٧ وص ٦٦-٦٧ .



والارادة التكوينية لا تتخلف عن تحقق المراد ، ما اراد الله كان وما لم يرد لم يكن ، « انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون - النحل : ٤٠ » بل لا حاجة الى قوله « كن » . وانما هي تقدير ، وبعبارة فنية : ان نفس ارادته تعالى لتكوين شيء كافية في تحققه وجوداً ، والامر في قوله « كن » امر تكويني ايضاً ، حيث ارادته تعالى هو فعله .

قال الشيخ ابو عبدالله المفيد : ان ارادة الله تعالى لافعاله هي نفس افعاله ، و ارادته لافعال خلقه أمره بالأفعال ، وبهذا جاءت الآثار عن أئمة الهدى من آل محمد - صلى الله عليه وآله - وهو مذهب سائر الامامية الامن شذ منها عن قرب<sup>١</sup> وفارق ما كان عليه الاسلاف . واليه يذهب جمهور البغداديين من المعتزلة وابو القاسم

---

١- شاع تفسير الارادة بالعلم بالمصلحة الداعية في عصر متأخر عن الشيخ المفيد ، ومن ثم اعتبروا الارادة صفة ذاتية ، ولم يعتبروها من صفات الافعال . راجع : تجريد الاعتقاد للطوسي بشرح العلامة الحلبي ، بحث الالهيات - المسألة الرابعة - ص ١٥٩ طالهند . وشرح الباب الحادي عشر للفاضل المقداد في الصفة الرابعة ، اختار مذهب الحسن البصري قال : هي عبارة عن علمه تعالى بما في الفعل من المصلحة الداعية الى ايجاده . ص ٢٩ ط ١٣٩٥ هـ . ومن ثم قال العلامة المجلسي في ذيل الرواية : اعلم ان ارادة الله تعالى - كما ذهب اليه اكثر متكلمي الامامية - هي العلم بالخير والنفع وما هو الاصلح ، ولا يثبتون فيه تعالى وراء العلم شيئاً . بحار الانوار ج ٤ ص ١٣٧ .

واعترض عليه السيد الطباطبائي في الهامش ، بأن الذي ذكروه انما هو في الارادة الذاتية ، التي هي عين الذات - انصح تصويرهم لذلك - واما الارادة التي جاءت في الاخبار فهي الارادة التي هي من الصفات الفعلية كالخلق والرزق ، وهي نفس الموجود الخارجي من زيد وعمرو والسماء والارض ، كما ذكره شيخنا المفيد رحمه الله .

قلت : اتفق علماؤنا - الامامية - في هذا العصر المتأخر ، على ان الارادة - فيه تعالى -

من صفات الفعل ، كما كانت عليه علماؤنا السلف ، وجاء في روايات اهل البيت - عليهم السلام -

البلخي خاصة وجماعة من المرجئة<sup>١</sup> .

وروى ثقة الاسلام الكليني عن صفوان بن يحيى ، قال : قلت لابي الحسن (الامام الرضا) - عليه السلام - : اخبرني عن الارادة من الله ومن الخلق ؟ قال : فقال عليه السلام : «الارادة من الخلق الضمير وما يبدولهم بعد ذلك من الفعل . واما من الله تعالى فارادته احداثه لاغير ذلك ، لانه لا يروى ولا يهيم ولا يتفكر . وهذه الصفات منفية عنه ، وهي صفات الخلق . فارادة الله : الفعل<sup>٢</sup> ، لاغير ذلك . يقول له : كن ، فيكون . بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك ، كما انه لا كيف له<sup>٣</sup> .

وروى - ايضاً باسناده الصحيح عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام سألته عاصم بن حميد عن ذلك ، قال : قلت له : لم يزل الله مريداً ؟ فقال : « ان المريد لا يكون الامراد معه ، لم يزل الله عالماً قادراً ثم اراد » فقد فرق عليه السلام بين العلم والقدرة وبين الارادة ، رداً على ما زعمه بعض المتفلسفين من تفسير الارادة بالعلم والقدرة<sup>٣</sup> يدلنا على ذلك ما في حديث بكير بن أعين ، قال : قلت لابي عبد الله

← وشطبوا على ما ذكره لقيف من المتكلمين في العصور الوسطى ، بعد ان وضع لديهم ان الارادة فعل النفس في غيره تعالى ، فتكون فيه تعالى فعله خارجاً واحداثه كما في نص الخبر . وقد عرضت على سيدنا الاستاد الامام الخوئي - دام ظله - تجديد النظر في البحوث الكلامية التي صيغت على نهج المتكلمين في العصور الوسطى ، في صيغة حديثة تتوافق مع ما تجدد من انظار ، وعادت سليمة طبق آراء السلف المستقامة من نصوص اهل البيت عليهم السلام ، فوعد - دام ظله - بالانجاز . وراجع بالخصوص : محاضرات سيدنا الاستاد بقلم محمد اسحاق القياض ج ٢ ص ٣٤ - ٤٣ .

١- اوائل المقالات للشيخ المفيد ص ١٩

٢- وفي رواية الصدوق في كتاب التوحيد : « فارادة الله هي الفعل » . راجع البحار

ج ٤ ص ١٣٧ .

٣- تقدم في كلام الحسن البصري واختيار الفاضل المقداد ص ١٨٦ بالهامش

( الامام الصادق ) عليه السلام : علم الله ومشيبته هما مختلفان او متفقان ؟ فقال : « العلم ليس هو المشيئة ، الا ترى انك تقول : سأفعل كذا ان شاء الله : و لا تقول : سأفعل كذا ان علم الله . فقولك : ان شاء الله ، دليل على أنه لم يشأ ، فاذا شاء كان الذي شاء كما شاء . و علم الله السابق للمشيئة » .

وباسناده الصحيح - ايضاً - عن محمد بن مسلم عن ابي عبد الله عليه السلام قال : « المشيئة محدثة » .<sup>١</sup>

وروى الصدوق باسناده عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال : « المشيئة من صفات الافعال فمن زعم ان الله لم يزل مريداً شائياً فليس بموحد » .<sup>٢</sup>

ولعل ما في ذيل الحديث تعريض بمذهب اهل الصفات ( الاشاعرة ) حيث زعموا من الارادة صفة ذاتية قائمة به تعالى زائدة على ذاته المقدسة ، فلزمهم القول بتعدد القديم تعالى عن ذلك .<sup>٣</sup> اما من ذهب من متكلمي الامامية الى ان الارادة صفة ذات ، فلم يعتبرها زائدة على ذاته المقدسة ، بل اعتبرها عين ذاته تعالى كما في سائر الصفات الذاتية من العلم والقدرة والحياة ، ومن ثم لا يشملهم الحديث .

\* \* \*

واما الارادة التشريعية فهي عبارة عن أمره تعالى ونهيه ، بعثاً وزجراً للعباد ، فيما يعود عليهم من مصالح ومفاسد كامنة وراء التكليف .

١- الاحاديث الثلاثة مستخرجة من الكافي الشريف - الاصول - ج ١ ص ١٠٩-١١٠ باب الارادة : انها من الصفات الفعل برقم : ٧١ و ٢٧١ . وراجع : مرآة العقول بشرح الكافي للعلامة المجلسي ج ٢ ص ١٥-٢٢ . وبحار الانوار ج ٤ ص ١٣٧ .

٢- كتاب التوحيد للصدوق ص ٩٣ باب صفات الافعال . وراجع : بحار الانوار ج ٥٧ ص ٣٧ .

٣- راجع : تجريد الاعتقاد بشرح العلامة الحلبي ص ١٥٩ . واولئ المقالات للشبيخ المفيد ص ١٩ .



وهذه الارادة قد تتخلف عن المراد ، حيث يعصى العباد ويخالفون أمره تعالى ، ولا محذور فى ذلك بعد ان كانت دارالتكليف داراختيار ، حيث لا موقع للتكليف لولا اختيار المكلفين فى الاطاعة والعصيان ، وان مصلحة التكليف هى التى تستدعى اختيار العباد فى الامثال والترك تمهيداً لاختبارهم فى هذه الحياة ، « ليميز الله الخبيث من الطيب - الانفال : ٣٧ » . « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب - آل عمران : ١٧٩ » .

والنفكيك بين الارادتين شىء معروف فى روايات اهل البيت - عليهم السلام - منها : ما رواه الصدوق باسناده عن الامام على بن موسى الرضا عليه السلام قال : « ان الله ارادتين ومشيتين ، ارادة حتم ، و ارادة عزم » .

ثم شرح عليه السلام الثانية بقوله : « ينهى وهو يشاء » اى يشاء ان يقع وان كان نهى عنه - فى الظاهر - ان لا يقع . فنهيه نهى تشريع ، اما اشاءته فاشاءة تكوين ، وقد مثل له الامام - ع - بنهى آدم عن اكل الشجرة ، وقد كانت المصلحة تستدعى الأكل منها ، حيث خلق آدم ليعيش على الارض ويكون خليفة الله فيها . فتخلفت ارادته التشريعية عن ارادته التكوينية .

ثم قال - ع - : « ويأمر وهو لا يشاء » ومثل بأمره تعالى ابراهيم بذبح ابنه اسماعيل - عليهما السلام - حيث تخلف التشريع عن التكوين .<sup>١</sup>

وعلى هذا الضوء من البيان الوارد عن ائمة اهل البيت - عليهم السلام - نستطيع دفع الشبهة عن كثير من آى القرآن ، مثل قوله تعالى : « ولو شاء لهداكم اجمعين - النحل : ٩ » . وقوله : « ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعاً - يونس : ٩٩ » . وامثالهما من الآيات وهى كثيرة جداً . والمشاءة فيها هى التكوينية ،

١ - راجع : بحار الانوار ج ٤ ص ١٣٩ . ومرواة العقول ج ٢ ص ١٦١ . والكافى

الشرىف ج ١ ص ١٥١ باب المشيئة والارادة .

اي لو اراد ربك ان يجعل الناس كلهم مؤمنين بارادته التكوينية لفعل ، ولما تخلفت ارادته عن المراد ، كما في قوله تعالى : « فقال لها وللارض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين - فصلت : ١١ » .

لكنه تعالى لم يشأ الايمان الا عن اختيارهم لغرض الاختبار ، حيث لتمييز مع الالغاء .

وبذلك يرتفع إيهام التناقض بين امثال هذه الآيات ، وآيات اخر جاء فيها : انه تعالى هدى الناس جميعاً ، ولا يرضى لعباده الكفر ، حيث هذه الطائفة من الآيات تعنى مشيئته تعالى التشريعية ، امرأ ونهياً ، بعثاً وزجراً ، فى هداية شاملة وارشاد عام . قال تعالى : « انا هديناه السبيل اما شاكرأ او كفورأ - الانسان : ٣ » . وقال : « واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى - فصلت : ١٧ » . وقال : « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل - الاحزاب : ٤ » . وسنبحث عن انحاء الهداية ودرجاتها فى فصل قادم .

### مسألة التوحيد فى الافعال

التوحيد الكامل هو الاعتقاد بانه تعالى واحد فى ذاته ، واحد فى صفاته ، واحد فى افعاله . ثلاث مسائل تبحث عن توحيدته تعالى ، الاولى : توحيد الذات « ليس متركباً من اجزاء » . الثانية : توحيد الصفات « ان صفاته الثبوتية جمع لاتنم عن تعدد معان قائمة بذاته المقدسة ، بل كمال توحيدته نفى الصفات عنه ، ولاشئ هناك سوى ذاته القديمة انتزعت لها تلك النعوت » . الثالثة : توحيد الافعال « لاشريك له فى الخلق والايجاد » .

وهذه المسألة الأخيرة هى موضوع بحثنا الآن : اذا كان العبد مستقلاً فى افعاله ، وكان هو الذى يوجدتها ويحدثها وفق ما يريد ، ان شاء فعل وان شاء ترك ، - كما عليه مذهب اهل العدل - فهلا يصدق حينذاك ان فى عالم الخلق والايجاد مؤثرين :

الله فيما يختص به من افعال . والعبد فيما يختص به من افعال؟! وان قلنا : انما يصدر من العبد من افعال اختيارية ، ليس مستقلا في ايجادها ، بل الله يشركه في الاحداث والايجاد ، فالأمر أسوأ ، لانه يقتضى التشريك في الخلق والايجاد ، المنافى لمسألة توحيد الافعال؟!!

قلت: لامنافاة بين الأمرين، استقلال العبد فيما يحدثه من افعال (الافعال الاختيارية) وكونها لاتحدث ولاتتحقق خارجاً الا باذنه تعالى وايجاده، تحقيقاً لقاعدة «لامؤثر في الوجود الا الله» ولقوله تعالى : « الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل - الزمر : ٦٢ » .

وذلك انه تعالى جرت سنته في ايجاد ما يريد العباد ايجاده ، تحقيقاً لمبدء الاختيار الذى منحه لعباده ، وليصح تكليفهم واختبار نياتهم . وان شئت فقل : انه لا يوجد شيء الا باذنه تعالى ، لكن الله جعل من سنته ان توجد الاشياء عند ما يريد العباد ايجادها ، فهو تعالى الموجد لكن عند ارادة العبد ، وقد جعل اختيار وجودها رهناً باختيار العباد ان شاؤوا ووجدت باذن الله ، وان لم يشاؤوا لم توجد ، حيث ذلك الارتباط هو من صنع الله الذى اتقن كل شيء .

وبذلك صح القول : «ان لخالق الا الله» و«لاموجد الا الله» و«لامؤثر في الوجود الا الله» . كما صح القول بان العبادهم يحدثون ما يريدون فعله ويتركون ما يكرهون وجوده من افعال اختيارية .

كما ان مسألة «الامر بين الامرين» عبارة عن هذا المعنى ، واليك توضيحها بالبيان التالى :

### مسألة الامر بين الامرين

ان مسألة «الامر بين الامرين» تعود فى أساسها حداثاً فاصلاً بين مسألة «الجبر الاشعري» ومسألة «التفويض الاعتزالي» ، ارشد اليها ائمة اهل البيت - عليهم السلام -



في نصوص وتصريحات كثيرة ، مما جعل مذهب الامامية طريقاً وسطاً بين المسلمين  
لاجبر ولاتفويض بل أمر بين امرين<sup>١</sup> .

هذه المسألة مرتبطة مع عدة مسائل متشابكة مع بعضها ، يصعب التوفيق بينها  
غالبياً ، الا من عصم الله ، وأجاد التفكير فيما اثر عن اهل بيت العصمة - عليهم السلام -  
منها : مسألة «التوحيد المطلق» . ومسألة «العدل المطلق» . ومسألة «الحكمة في  
التكليف» . ومسألة «الحسن والقبح العقليين» . ومسألة «استحقاق الثواب والعقاب» .  
الى غيرها من مسائل مشابهة .

وقد احتار القوم في التخرج عن هذه المسائل جميعاً بما لا يستلزم تناقضاً او  
معارضة مع بعضها . في رثام ووافق بسلام . ومن ثم اخذوا يمنة ويسرة ، في اعتراف  
ببعض ونكران لبعض ، بما ازدادوا شكاً في ريب .

اما الاشاعرة فزعمت انها أخذت بجانب مسألة التوحيد المطلق ، وقالت :  
لاخالق الا الله ، ولا مؤثر في الوجود الا الله ، ومن ثم نفت صحة استناد الافعال الى  
العباد . واسندتها الى الله . فلزمها القول بالجبر ، وان العباد مضطرون فيما يفعلون ،  
وبذلك خسرت مسألة العدل المطلق ، وانكرت الحكمة في التكليف ، ولم تدع  
مجالاً لمسألة الحسن والقبح العقليين وللمسألة استحقاق المثوبة والجزاء .

واما المعتزلة فاسندت الافعال الى العباد بصورة مطلقة ، وقالت : انهم مختارون  
في فعل ما يريدون وترك ما يكرهون . تحكيماً لمسألة العدل المطلق ، ومسألة الحسن  
والقبح والثواب والعقاب ، وتحقيقاً لمسألة الحكمة في التكليف وبعث الرسل وانزال

---

١ - بهذا لفظ ورد مستفيضاً عن ائمة الهدى عليهم السلام . راجع : الكافي الشريف  
- الاصول - ج ١ ص ١٦٠ حديث ١٣ باب الجبر والقدر والامر بين الامرين . وكذا باب  
الاستطاعة . وراجع : بحار الانوار للعلامة المجلسي ، باب نفى الظلم والجور عنه تعالى وابطال  
الجبر والتفويض ، واثبات الامرين والاثبات الاختيار والاستطاعة . ج ٥ ص ٢-٦٧ .

الكتب .. لكنهم اسرفوا فى القول بالاستطاعة المطلقة ، حتى نفوا كل تأثير لارادة الله وحوله وقوته فى افعال العباد ، ومن ثم لزمهم القول بالتفويض ، وان العبادهم المحدثون لافعالهم باختيارهم وارادتهم وقدرتهم الخاصة . وان القدرة وان كانت منحة من الله منحها لعباده ، لكن أعمال هذه القدرة وتأثيرها فى الابداعات والاحداث منوطة كل الاناطة باختيارهم واستقلالهم فى الارادة والافتدار .

واختارت الامامية - فى ضوء تعاليم ائمة الهدى - مذهباً وسطاً فى مسألة القدرة والاستطاعة . فلم يعترفوا للعبد استقلاله الكامل فى الخلق والابداع ، ولم ينفوا عنه القدرة والاختيار رأساً ، قالوا: لاشك ان كل ما فى الوجود واقع تحت ارادته تعالى ، فلا يحدث أمر ولا يوجد شيء الا باذن الله ، لكن ارادته تعالى قد تعلقت بأن توجد الأشياء وفق قوانين كلية ركبها فى طبيعة الموجودات ، فهى تتفاعل مع بعضها ، اما بنفسها كما فى الأمور الطبيعية - حسب تعبيرنا - مثل دورة الماء فى الطبيعة ، تبخيراً وتكاثفاً وتقاطراً وخزناً ثم جرياناً وأخيراً عوداً الى البحر . وفق نظام رتيب لا يتخلف عبر الدهور . واما بعلاج كيمياوى او فيزيائى تزاولها يد بشرية حسب مآربه فى الحياة .

كل ذلك واقع تحت قوانين عامة فى سلسلة من العلل والمعلولات « قانون العلية العامة » .

مثلا اذا بذر الانسان حبة فى الارض الصالحة ، واهتم بشأنها من تسميد وسقى ودفع آفات ، فانها تنبت ، لكن بفضل تفاعلها مع املاح الارض وغيرها من مواد كامنة فى التراب والماء وما يصل اليها من شعاع الشمس وهبوب الرياح وما الى ذلك ، فاذا ما اجتمعت الأسباب المؤاتية لنبتات الزرع ونمائه ، حصل الزارع على نتيجة ، لم تكن هى وليدة يده فحسب ، وانما ساعده على ذلك عوامل طبيعية كثيرة لاتحصى ، كان لها القسط الأوفر ، بل علة العلل لهذا الاثمار والانتاج .

ومع ذلك فانا ننسب الزرع اليه ، فنقول : هو الذى بذر الحبة وزرع النبتة  
وغرس الشجرة وأثمرها ، ونطلق عليه اسم الزارع والفلاح اطلاقاً حقيقياً ، من  
غير عناية مجاز او استعارة . فى حين انالودقنا النظر لوجدنا الفضل الاكبر بل كل  
الفضل يعود الى عوامل آخر كانت هى المؤثرة لهذا الاثر والمنتجة لهذه النتيجة .  
وعليه فبما ان هذه العوامل - التى نعبر عنها بعوامل طبيعية - ليست سوى قوانين  
كلية ركبها الله فى ذوات الأشياء ، فاذامتفاعلت مع بعضها انتجت تلكم النتائج العظام ،  
فهى فى ذات وجودها وفى بقاءها على التأثير رهن قدرته وارادته تعالى ، ومن ثم فان  
نسبة الانبات والزرع والاثمار وماشاكل ، اليه تعالى اولى من نسبتها الى ذلك الانسان  
الذى لم يكن حظه منها سوى تقارب وتؤالف بين عدة عوامل قليلة لتتفاعل هى بنفسها  
مع البعض ، وتستمد من قوى اخرى كثيرة اودعها الله فى هذا الكون .

قال تعالى : «أفرأيتم ماتحراثون ، أنتم تزرعونه ام نحن الزارعون» . وقال :  
«أفرأيتم الماء الذى تشربون ، أنتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون» . وقال :  
«أفرأيتم النار التى تورون ، أنتم أنشأتم شجرتها ام نحن المنشؤون . نحن جعلناها  
تذكرة ومتاعاً للمقوين - الواقعة : ٦٤ - ٧٤ .

واوضح مثال لذلك هى ظاهرة الولادة ، لم يكن حظ الوالد والوالدة من  
تكوين الولد ، سوى تلقيح النطفة ، وليس تحقيقه - ايضاً - واقعاً تحت اختيارهما  
الكامل وقدرتهما ، ومع ذلك فان الولد فى وجوده منسوب الى والديه ، فى حين ان  
جميع العوامل التى أثرت فى اللقاح والانعقاد وقضاء المراحل الجنينية الى مرحلة  
التولد ، كانت طبيعية مودعة فى ذات الرحم والنطفة بقدره الله ، وبارادته فى اصل  
التأثير والبقاء على التأثير . قال تعالى : «أفرأيتم ماتمنون ، أنتم تخلقونه ام نحن  
الخالقون - الواقعة : ٦٠ .

والخلاصة : ان ما يوجد ويتحقق فى عالم الوجود ، انما يوجد بفضل تفاعل  
القوى المودعة فى هذا الكون ، وان حظ الانسان من ذلك هو مجرد تقارب ما بين هذه



القوى لتتفاعل هي مع بعضها . وبعبارة أوجز : ان الانسان انما يوجد شرط التفاعل اما اصل الابداع فهو من فعل العوامل والقوى الطبيعية ، وهي بدورها مجعولة ومنتظمة بارادة الله وحوله وقوته ابدياً .

\* \* \*

وبذلك نستطيع ان ندرك وجه انتساب الأفعال الاختيارية الى فاعليها ، في حين صحة انتسابها الى الله والى القوى الطبيعية التي اودعها الله في هذا الكون .  
اما وجه انتسابها الى العباد : فلانهم هم اوجدوا شرائط وجودها باختيارهم وقصدهم الخاص ، ولولا ذلك لما وجدت . فان الزارع انما عمد الى الحرث والزرع بمحاولته الخاصة للحصول على الثمرة . فقد تصور الفائدة اولا واشتاقتها نفسه ، فعمد - باختياره وارادته الخاصة - الى ترتيب المقدمات المنتجة لما كان يتوخاه . وهذا دليل اختياري العمل .

ومن ثم تقع تبعات كل عمل اختياري على عاتق العامل ، ويكون هو المسؤول عنها مدحاً او ذمماً ، مثوبة او عقوبة . حتى في مثل الايلاد ، لولا انه واقع امراته لما حصل الولد ، ويكون حصول الولد منتسباً اليه بالذات .

فلو فرضنا ان عملاً خارجياً يوصف بالقبح او الحسن ، فان المسؤول عن ذلك هو العامل ، ولا يمكنه الاعتذار بأن اكثر القوى العاملة في تكوينه كانت خارجة عن اختياره ، حيث كانت تلك القوى بانفسها معدات ومقتضيات ، اما الذي وافق بينها واوجد شرط تفاعلها مع البعض ، فهو هذا العامل الذي عمد باختياره الى ايجاد شرط الوجود .

واما وجه انتسابها الى الله تعالى ، فمن جهة ان القوى العاملة في تكوين الاشياء ، كلها مخلوقة ومقدرة بقدره الله ، وهو الذي اكسبها تلك الخاصيات بحيث اذا تقاربت مع بعضها تفاعلت في الابداع والتكوين وهو تعالى لا يزال يمدّها بتلك الخاصيات

وفق مامنحها اولاً ، فهو تعالى كما افاض عليها حدوثاً ، هو يمدّها بالافاضة بقاء ،  
فلاتزال تلك القوى تستمد - في تأثيراتها المتواصلة طول وجودها - من فيوضه تعالى  
المتواصلة ، سنة الله التي جرت في الخلق .

وهذا هو الذي يعبر عنه بـ « اذن الله » في لسان الشريعة المقدسة . فلولا انه تعالى  
يمد القوي في تأثيراتها آنأ فأناً ، لما امكنها التأثير شيئاً اصلاً .

وليس معنى ايداعه تعالى الخاصة في شيء : أنه اودعها فيه وتر كها تعمل بذاتها  
وتؤثر بنفسها فيما بعد . ان هذا الا التفويض الذي يتحاشاه مذهب اهل الحق . بل كما  
اودعها الله حدوثاً ، فهو تعالى لا يزال يمدّها بتلك الخاصة والتأثير بقاء حسب الآتات  
باستمرار .

فكل قوة من القوى الطبيعية اذا اثرت في شيء ، فان هذا التأثير يعود  
الى اذنه تعالى ، حيث امدّها بخاصية ذلك التأثير في نفس الوقت ولولاه لما امكنها  
التأثير اطلاقاً . قال تعالى - بشأن تأثير سحر السحرة - : « وما هم بضارين  
به من أحد الا باذن الله - البقرة : ١٠٢ » . حيث الساحر يسخر خواص الاشياء  
في سحره ، لكن هذه الخواص مما اودعها الله في ذوات الاشياء ، ان لم يشألم يمدّها  
فينقطع اثرها ، غير ان سنته تعالى جرت في امداد القوي وان كانت مستخدمة في تأثير  
الفساد في الارض . وهكذا قوله تعالى : « والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه - الاعراف :  
٥٨ » . وقوله : « كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى اكلها كل حين  
باذن ربها - ابراهيم : ٢٥ » .

حتى انه تعالى ليضيف فعل العباد الى اذنه « واذتخلق من الطين كهيئة الطير باذني -  
المائدة : ١١٠ » - حيث خاصية تشكل الطين وتماسك اجزائه ، مما اودعها الله في الطين ولم  
يزل يمدّه بهذه الخاصية ابدياً ولم يكن من عيسى عليه السلام سوى جعل اجزاء الطين على بعضها في  
نسبة معينة ، اما نفس التماسك فكان بفعل الله ، كما ان نفس عمل عيسى - ايضاً - كان باقداره  
تعالى وافاضته القدرة عليه آنذاك ، ومن ثم كان جميع ما وقع انما وقع باذن الله .

واقرب ما يمثل هذه القاعدة في مثل المقام ، انك اذا عرضت يدك للنار ، فانها

تحترق . ولكن هذا الاحتراق لا يكون الا باذن الله ، فالله هو الذى اودع النار خاصية الحرق ، ولا يزال يمدّها بتلك الخاصية ، كما اودع يدك خاصية الاحتراق بالنار . ولا يزال يمدّها بتلك الخاصية ، وهو قادر على ان يوقف تلك الخاصية حين لا يمدّها ولا يأذن ، لحكمة خاصة يريدّها ، كما فعل فى قصة ذبح اسماعيل ، سلب السكين خاصية القطع ، وسلب حلقوم اسماعيل خاصية الانقطاع ، اى لم يمدّها فى هذه الخاصية فلم يأذن لهما فى القطع والانقطاع ، فلم يتحقق الذبح .

ومثال آخر تمثل به سيدنا الاستاد - دام ظله - قال : ان الأشياء ( الممكنة بالذات ) كما تفترق فى حدوثها الى افاضة المبدأ تعالى ، كذلك فى بقائها - الذى هو حدوث فى آن ثان - فلا بد فى بقائها واستمرارها من استمرار افاضة الوجود عليها من المبدأ تعالى . فلو انقطعت الافاضة عليها فى آن لانعدمت من فورها . بدهاء استحالة بقاء الممكن بالذات ( وهو المقتدر فى وجوده الى مبدء يفيض عليه الوجود وحدوثاً وبقاءً ) بدون تلك الافاضة المستمرة .

نظير وجود النور داخل الزجاج الكهر بائية ، تشع به مادامت الطاقة الكهر بائية تتصل اليها من مركز التوليد عبر الاسلاك ، لا يمكن تحقيق هذا الوجود النورى - داخل الزجاج - وحدوثاً وبقاءً الا باستمرار ذلك الاتصال المفاض عليها من المركز ومتى ما انقطعت تلك الافاضة او انقطع السلك ، فان النور ينقطع فى آنه .  
 وحينئذ لو فرضنا ان انسانا وضع يده على زر الكهرباء ، كانت اشارة الزجاج واقعة تحت اختياره بالمباشرة ، ان شاء ضغط على الزر فتنور الزجاج ، وان شاء رفع يده فتنطفى . وصحت نسبة اشارة الغرفة واظلامها اليه بنفس هذا الاعتبار ، وان كان حظه من ذلك هو نفس القطع والوصل لا اكثر . وهكذا حظ الانسان فى احداث ما يريد من اعمال وايجادها ، فتدبر جيداً .



وبعد ، فقد تبين - في ضوء ما قدمنا - صحة اسناد حدوث جميع المحدثات الى الله سبحانه ، واطلاق القول بأن لاخالق الاالله ولا مؤثر في الوجود الاالله . اذ ترجع جميع القوى في تأثيراتها الى امداد فيضه تعالى باستمرار .

كما صحت نسبة الأفعال الاختيارية الى فاعليها وارادتهم الخاصة ، بما وجدوا من جو صالح لذلك التفاعل الطبيعي والتأثيرات والتأثرات .

ومن ثم فان مضاعفات الاعمال السيئة تعود الى مرتكبيها بالذات ، حيث استخدموا من القوى الصالحة ، في سبيل العيث والفساد . واما نتائج الاعمال الحسنة فان القسط الاكبر من فضلها يعود الى الله سبحانه ، نظراً لاعداده سبل الخير والسلام ، واقداره العباد على الاستفادة منها والاستخدام . فكان حقاً توجيه المحامد كلها الى الله ، « سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين - الزخرف : ١٣ » . « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله - الاعراف : ٤٣ » .

وبهذا المعنى جاءت الآثار عن ائمة اهل البيت - عليهم السلام - فقد روى ثقة الاسلام الكليني عن الحسن بن علي الوشاء ، قال : سألت ابا الحسن الرضا عليه السلام فقلت : الله فوض الأمر الى العباد ؟ قال : الله اعز من ذلك . قلت : فجبرهم على المعاصي ؟ قال : الله اعدل واحكم من ذلك . ثم قال الامام عليه السلام : « قال الله : يا ابن آدم ، انا اولي بحسناتك منك ، وانت اولي بسيئاتك مني ، عملت المعاصي بقوتي التي جعلتها فيك » .

وعن الامام الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من زعم ان الله يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله . ومن زعم ان الخير والشر بغير مشيئة الله فقد أخرج من سلطانه . ومن زعم ان المعاصي بغير قوة الله فقد كذب على الله . ومن كذب على الله ادخله الله النار » . وقوله صلى الله عليه وآله : « بغير قوة الله » يعني الامداد بافاضة القوى ، حسبما ذكرنا .

وسأل رجل الامام الصادق عليه السلام : أجبر الله العباد على المعاصي ؟ فقال عليه السلام :

لا . قال : ففوض اليهم الامر ؟ فقال : لا . قال : فماذا ؟ قال : لطف من ربك بين ذلك .  
 يعنى **إِقْتِيَارًا** الامداد والاقدار بما يجعل العباد مستقلين فى الارادة والاختيار .  
 وعن الامامين الباقر والصادق - عليهما السلام - قالوا : « ان الله ارحم بخلقه من  
 ان يجبرهم على الذنوب ثم يعذبهم عليها ، والله اعز من ان يريد امرأ فلا يكون ، قيل : فهل  
 بين الجبر والقدر (التفويض) منزلة ثالثة؟ قالوا : نعم ، اوسع مما بين السماء والارض .  
 وسئل الامام الصادق **عليه السلام** عن الجبر والقدر <sup>١</sup> . فقال : « لا جبر ولا قدر ولكن  
 منزلة بينهما فيها الحق ، لا يعلمها الا العالم او من علمها اياه العالم » . يعنى **إِقْتِيَارًا** :  
 العالم من اهل بيت العصمة .

وقال له رجل : جعلت فداك ، أجبر الله العباد على المعاصى ؟ فقال : الله اعدل  
 من ان يجبرهم على المعاصى ثم يعذبهم عليها . فقال له : جعلت فداك ، ففوض الله  
 الى العباد ؟ فقال : لو فوض اليهم لم يحصر بالأمر والنهى . قال له : جعلت فداك ،  
 فبينهما منزلة ؟ فقال : نعم ، اوسع مما بين السماء والارض <sup>٢</sup> .

### اختيارية الارادة

قالوا : دليل اختيارية كل عمل هو ان يصدر عن ارادة فاعله وعن اختياره الخاص  
 فلا يوصف عمل بالاختيارية الا اذا سبقته ارادة ، فرقاً بينه وبين الآثار المتولدة من  
 اشياء لا ارادة لها ولا اختيار فى التوليد .

وعليه فقد يستشكل فى نفس الارادة ، هل هى اختيارية ام غير اختيارية ، نظراً لانها  
 لو كانت اختيارية لوجب ان تسبقها ارادة اخرى ، وهذا يتسلسل الى غير نهاية ،  
 ومن ثم انكر بعض المتفلسفين ان تكون الارادة بنفسها اختيارية ، وان كانت هى السبب  
 لاختيارية سائر الافعال الاختيارية <sup>٣</sup> . وبذلك ربما انتقضت القاعدة المعروفة « فاقد

١ - كثيراً ما يطلق « القدرية » - فى روايات اهل البيت - على اهل التفويض .

٢ - الاحاديث مستخرجة من الكافى الشريف - كتاب التوحيد - باب الجبر والقدر

والامر بين الامرين ج ١ ص ١٥٥ - ١٦٠ رقم : ٥٣ و ٥٦ و ٥٩ و ١٠ و ١١ .

٣ - راجع : كفاية الاصول - للمحقق الخراسانى - بحث الطلب والارادة ج ١ ص ١٠٠

الشيء لا يعطى»!

قلت: كل ما بالغير لا بد ان ينتهي الى ما بالذات، والالتسلسلت حلقات الحاجة والافتقار. فاختيارية كل عمل انما هي بمسبوقيته بارادة الفاعل المختار، والارادة هي التي تكسبه وصف الاختيارية. هذا صحيح، غير ان نفس الارادة توصف بالاختيارية ذاتاً، لا بسبب غير ذاتها. كما ان ملوحة الاشياء مكتسبة من الملح، اما ملوحة الملح فذاتية له، وكذا تنور الاشياء بالنور، وتنور النور ذاتي. وهكذا الارادة بذاتها اختيارية، واما سائر الافعال فانما تكون اختيارية اذا كانت تحت الاختيار، وكانت تصدر عن ارادة الفاعل المختار.

وايضاً فان معنى اختيارية الافعال الاختيارية - على ما اسلفنا - انها تتحقق باذن الله و ارادته ان توجد عند ارادة فاعليها واختيارهم الخاص. اما نفس الارادة والاختيار من العباد فانهم مستقلون فيها عند تحقق مباديها، من تصور العمل وفائدته والشوق اليها وما الى ذلك. فالارادة من العباد انما تتحقق بتكوين نفسى منهم، وتنبعث بذاتها من داخل كيانهم وباطن وجودهم بالذات، وليست معلولة لشيء آخر، من قبيل جوهر النفس اللااختياري - كما ذهب اليه المحقق الخراساني - او ارادة الواجب تعالى - كما ذهب اليه مجبرة الفلاسفة - اذ كل ذلك نقض لاساس الاختيار ورجوع ملتو عن القول باختيارية الافعال.

### ارادة الله الحادثة

تقدم ان الارادة من صفات الفعل<sup>١</sup> ومن ثم فهي حادثة وقائمة بمتعلقاتها، كما هو الشأن في سائر الصفات الفعلية كالخلق والرزق والاحياء والاماتة. وهذه الارادة من الله بالنسبة الى أفعال العباد الاختيارية واقعة في رتبة التابع من



المتبوع ، حيث جرت سنته تعالى على نحق ما يريد العباد فعله ، وقد عبر عنها في القرآن بالأذن . فما يريد العباد ايجاده من افعال اختيارية ، فانه تعالى يأذن في تحقيقها وفق ما يريدون - حسبما تقدم - وعليه فلم تكن ارادة العبد معلولة لارادته تعالى ، ولا منبعثة عنها ، كما توهمه بعض المتفلسفين . وانما ارادته منبعثة عن داخل ذاته عند حصول مقدماتها السالفة ، لاعن شيء آخر . وبذلك اثبتنا اختيارية الارادة من العباد اختيارية تامة . هكذا جعل الله العباد مختارين تمام الاختيار في الارادة ، لئلا يكون اجبار او اضطرار الى هذا النمط من الافعال ، ومن ثم صح التكليف ، وجازت المؤاخذة ، وحسن المدح والذم .

### انتساب الحوادث الى الله

في كثير من تعابير القرآن الكريم جاءت نسبة الحوادث ، سواء أكانت ذوات علل وعوامل طبيعية ، ام كانت وليدة صنع الانسان وعمله<sup>١</sup> .  
قال تعالى : «انالما طغى الماء حملناكم في الجارية - الحاقة : ١١» . وقال :  
«وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام - الرحمان : ٢٤» . وقال : «والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الانعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم - الى قوله - وجعل لكم من الجبال اكناناً وجعل لكم سراييل تقيكم الخر وسراييل تقيكم بأسكم - النحل : ٨١» .

وقال تعالى : «جعلنا لاهدما جنتين من اعناب وحفناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً - الكهف : ٣٢» . وقال : «والذى اخرج المرعى فجعله غثاء احوى - الاعلى : ٥» . وقال : «الم تر ان الله يزجى سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً - النور : ٤٣» . وقال : «الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً - الروم : ٤٨» . وقال : «ثم يهيح فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً - الزمر : ٢١» .

١ - راجع في ذلك : اوائل المقالات للمفيد ص ٨٦ - ٨٧ .

والآيات من هذا القبيل كثيرة جداً. وسبب ذلك يعود الى ما ذكرنا : ان جميع ظواهر هذا الكون، سواء أ كانت طبيعية ام اصطناعية، فانها تتكون وفق قوانين عامة جعلها الله في جلبة الاشياء، وهى تتفاعل مع بعضها في نظام متسق، من غير ان تستغنى عن امداد افاضته تعالى في كل آن. فمن ألقى حطبا في النار واحترق الحطب، صح القول : انه تعالى أحرقه ، لما أودع في طبيعة النار من خاصية الاحراق وفي طبيعة الخشب من خاصية الاحتراق ، وهو تعالى يمدهما بابقاء تلك الخاصية فى كل آن . كما صح القول بأن الملقى فى النار هو الذى احرق الحطب ، لانه اوجد شرط هذا التفاعل الكيماوى بين النار والخشب .

### حل شبهات المجبرة

وبعد فقد حان وقت التعرض لما تشبث به اهل الجبر (الاشاعرة واذنابهم) من آيات وروايات حسبوها دالة على نفى استطاعة العبد وسلب قدرته و ارادته فى الفعل والترك... وماهى الاشبهات تنقشع على ضوء ما قدمنا من بيان. واليك الاجابة- تفصيلا- على ما لفقوها ، تباعاً حسب الأرقام المتقدمة :-

١- اما قوله تعالى : «والله خلقكم وما تعملون - الصافات : ٩٦» فسواء اريد الاصنام ام الأعمال ذاتها، فانها مخلوقة لله بالمعنى المتقدم، حيث لم يكن صنع البشر سوى ايجاد شرط التفاعل بين قوى التكوين ، ولم يكونوا هم مستقلين فى تحقيق اى صنع او عمل مادامت القوى الطبيعية هى التى تتجاذب وتتماسك مع بعضها باذن الله فهى بالانتساب الى الله اولى من انتسابها الى العباد ، غير ان مضاعفات السبب تعود عليهم حسب ارادتهم واختيارهم للعمل ، وبالفعل هم اوجدوا شرط تحققه بارادتهم الخاصة . ومن ثم قال المفسرون : « وما تعملونه ، فان جوهرها بخلقه ، ونحتها باقداره » .

وقال القاضى : ظاهر الآية كون «ما» موصولة ، لان ظاهر قولهم : «اعطيتك

ماتاً كل وماتشرب» هو ارادة المأكول والمشروب ، لانفس الأكل والشرب . نظير قوله تعالى : «تلقف ماياًفكون - الاعراف : ١١٧» . وقوله : « تلقف ما صنعوا - طه : ٦٩» . وذلك لان الكلام ظاهر فى التعليل ، وهو يتناسب وكونه تعالى خالقاً لانفسهم ولما نحتوه ، اما كون نفس النحت فعله تعالى ، فهو يصلح تبريراً لفعلهم وعذراً لهم ، اذ حينئذ تكون عبادتهم ايضاً من فعله تعالى ، فلم يصح توجيه اللائمة اليهم بالذات<sup>١</sup> .

٢- الى ٦- والآيات من سورة الفرقان : ٢ . وسورة الانعام : ١٠٢ . والرعد : ١٦ . والزمر : ٦٢ . وغافر : ٦٢ . ايضاً بنفس المعنى ، ولاسيما والتعقيب فى سورة الفرقان : «فقدرة تقديرأ» شاهد على ارادة ايداع القوى التى تماسك مع بعضها فى نظام واتقان . وهكذا التعقيب فى سورة الزمر : «وهو على كل شىء وكيل» دليل على ذلك النظم والتدبير ، وافاضة القوى الفاعلة عبر الوجود .

وقال القاضى : «ظاهر (خلق) - هنا - يقتضى انه قدرودبر» . قال ابن منظور - فى لسان العرب - : «والخلق : التقدير . وخلق الأديم يخلقه خلقاً : قدره لما يريد قبل القطع ، وقاسه ليقطع منه مزادة او قربة او خفا» . وقال ابن قتيبة - فى تأويل مشكل القرآن ص ٣٨٨ - : «وأصل الخلق : التقدير . ومنه قيل : خالقة الأديم» .

قال القاضى : ولذلك قال الشاعر<sup>٢</sup> :

ولأنت تفرى ما خلقت وبع ض القوم يخلق ثم لا يفرى<sup>٣</sup>  
قال : ومتى حمل الكلام على هذا الوجه كان حقيقته : انه تعالى قد قدر

١- مشابهات القرآن ج ٢ ص ٥٨٠-٥٨٦

٢- هو : زهير بن ابي سلمى . راجع : ديوان زهير ص ٥٤ ط دار الكتب . ولسان العرب

وشرح الاصول الخمسة ص ٣٨٠ .

٣- قال ابن منظور فى معنى البيت : انت اذا قدرت امرأ قطعته وأمضيته ، وغيرك يقدر

مالا يقطعه ، لانه ليس بماضى العزم ، وانت مضاء على ما عزم عليه .



افعال العباد ودبرها وبين احوالها . فكان الخلق خلق تدبير لخلق ايجاد واحداث .  
قلت : حتى ولو كان بمعنى الاحداث والايجاد ، صح ايضاً على ما بينا من  
صحة اضافة الأحداث والمولدات اليه تعالى حقيقة ، وان كان الفاعل لها غيره باعتبار  
خلق الجو الملائم لذلك التفاعل والتناسك الطبيعي العام .

قال : ووجه آخر : ان هذه اللفظة ليست للتعميم : كقول القائل : اكلت من  
كل شيء . وتحدثنا بكل شيء ، وفعلت كل شيء . وقد قال تعالى : « تبياناً لكل شيء . -  
النحل : ٨٩ » . وقال : « ما فرطنا في الكتاب من شيء - الانعام : ٣٨ » . وقال :  
تدمر كل شيء بأمر ربها - الاحقاف : ٢٥ » . وقال : « يجبي اليه ثمرات كل شيء -  
القصص : ٥٧ » . الى غيرهن من آيات . حيث المقصد بذلك هي المبالغة في الكثير  
من ذلك النوع المذكور <sup>١</sup> .

وروى الصدوق في الخصال عن الامام الباقر عليه السلام وكذا في عيون الاخبار  
عن الامام الرضا عليه السلام : « ان افعال العباد مخلوقة خلق تقدير لخلق تكوين . والله  
خالق كل شيء ، ولانقول بالجبر والتفويض » <sup>٢</sup> .

وايضاً فان الآية بذاتها تعبير صريح عن هذا المعنى ، قال تعالى : « بديع  
السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شيء وهو بكل شيء  
عليم . ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل -  
الانعام : ١٠١-١٠٣ » . انظر الى هذه الدقة في التعبير ، ذكر خلق كل شيء اولاً  
ثم عقبه بعلمه بكل شيء . ثم ذكر خلق الاشياء ثانياً وعقبه بكفالته لحفظها وتدبير  
شؤونها . . . فلو فرضنا الآية تشمل خلق افعال العباد ايضاً ، فان ذلك خير قرينة  
على ارادة علمه الشامل وتدبيره العام لشؤون المحدثات على الاطلاق .

١- مشابهاً القرآن ج ١ ص ٢٥١-٢٥٤ .

٢- تفسير الصافي ج ١ ص ٥٣٦ نقلاً عن الخصال و عيون اخبار الرضا

٧- الى ١١- وقوله «أفمن يخلق كمن لا يخلق - النحل : ١٧» يريد الخلق بمعنى الابداع والابداع ، الذى لاحظ لمخلوق فى ذلك سوى خلق الجوامع الملائم وفعل الشرط لاكثر . وهكذا بقية الآيات التى تنفى قدرة غيره تعالى على الخلق يعنى الاستقلال التام فى الخلق والتكوين . الذى هو شأن المعبود تعالى وتقدس .

١٢ - وقوله : «خلق السماوات والارض وما بينهما - الفرقان : ٥٩» ظاهر فى الموجودات العينية ، لمناسبة السخية الملحوظة بين المتعاطفات : السماء والارض وكل موجود جسمانى واقع بينهما . والدليل على ذلك تمام الآية : «الذى خلق السماوات والارض وما بينهما ستة أيام ثم استوى على العرش - الفرقان : ٥٩» . ولو كانت تشمل افعال العباد أيضاً لوجب حملها على ارادة التقدير والتدبير ، لان الافعال متدرجة الحدوث بعد الستة الايام التى تم فيها خلق السماوات والارض وما بينهما من موجودات . ويشهد لذلك التعبير بالرب فى آيات مماثلة : « رب السماوات والارض وما بينهما - الشعراء : ٢٤» . وفى قوله تعالى : «وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما الا بالحق - الحجر : ٨٥» لدليل على اخبار خلق سبق وجود العباد وفعالهم ، وشاهد صدق على ارادة الموجودات العينية .

١٣ - والارادة فى قوله تعالى : «فعال لما يريد - هود : ١٠٧» ارادة تكوين . اى يفعل ما يريد ان يفعله هو تعالى «انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كنى فيكون - يس : ٨٢» . وهذا هو الظاهر من امثال هذا الكلام عند حذف المتعلق .. اما ارادته تعالى المتعلقة ببعض افعال العباد ، فهى ارادة تشريعية قد تتخلف عن المراد على ما سبق البحث عن ذلك اجمالاً .

١٤- وقوله : «ما أصاب من مصيبة فى الارض (كجذب وآفة) ولا فى انفسكم

( كمرض وعاهة) الافى كتاب من قبل ان نبرأها - الحديد : ٢٢ . اشارة الى مسألة القضاء والقدر ، التى ليست سوى علمه تعالى بما سيحدث وعلى الصفة التى يحدث فى علمه القديم . من غير ان يكون علمه تعالى علة لتكوين المعلوم ، حيث لاشأن للعلم ان يكون مؤثراً فى تحقق المعلوم ، سواء تعلق به قبل حدوثه ام بعده ام مقارناً له . وسبحث عن هذه المسألة فى فصل قادم ، ان شاء الله .

١٥- وقوله : «واختلاف ألسنتكم- الروم : ٢٢» لايعنى تكلماتهم فيما ينطقون ، وانما عنى اختلاف لهجاتهم ، واقدارهم على النطق بمختلف اللغات . وقدفسر باختلاف نبرات الصوت ، حتى لانتشبه نغمات صوتين ، كما لانتشبه لمحات وجهين حتى ولو تشابهت الالوان .

قال القاضى : وذلك ان اللسان آله فى الكلام ، وبحسبه يختلف الكلام ، فاراد تعالى ان يبين انه خالف بين الألسنة لكى تختلف الأصوات والنغم فى الكلام ، فيفصل بين متكلم ومتكلم ، كما خالف بين الالوان ، ليقع للمشاهد التمييز<sup>١</sup> .

١٦ - وقوله : « واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور - الملك : ١٤ » كان المشركون يتكلمون فيما بينهم بأشياء فيخبر الله نبيه ، فقال بعضهم : اسروا قولكم لئلا يسمعه إله محمد ، فنزلت : انه لا فرق عندالله بين الجهر والاخفات ، انه يعلم ما تختلج به صدوركم قبل النطق به . ثم جاء التعقيب معللاً : « الا يعلم » - اى خفايا جوانحك - « من خلق » - اى من خلقكم ، فهو اعرف بخباياكم قبل مظاهركم - « وهو اللطيف الخبير - الملك : ١٥ » فلا يعزب عنه شىء وان دق ولطف .

اذن فلادلالة فى الآية الكريمة انه تعالى خلق الخواطر والالفاظ ، كما زعمه الاشعري واذنابه ممن يحاولون تحريف الكلم عن مواضعه .

١- متشابهات القرآن ج ٢ ص ٥٥٣-٥٥٤ . وتفسير الصافى ج ٢ ص ٢٩٨ .



١٧- وقوله : «ربنا واجعلنا مسلمين لك - البقرة : ١٢٨» اى وفقنا لنكون مسلمين لك ، وذلك بافاضة ألطاف خاصة يفيضها الله على من استهدى من عباده وجاهد فيه ، «والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم - محمد: ١٧» . «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - العنكبوت : ٦٩» وستكلم عن مراتب الهداية ، وانها عامة وخاصة ، منها ماعم الناس جميعاً ابتداء منه تعالى . ومنها ماخص المستر شدين المستهدين ممن ساروا على مذهب الهدى وكانت لهم سابقة جد واجتهاد .  
والدليل على ذلك ما جاء فى تعقيب الآية : «ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم - البقرة : ١٣٠» . فهو دعاء وابتهاال الى الله ان يمنحهم بلطفه ومعونته وتأيدته الخاص . لان يخلق فيهم الاسلام ديناً قهرياً مجبرين عليه ، كما زعمه الاشعري .

١٨ - وهكذا قوله : «وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة - الحديد : ٢٧» تعبير عن لطفه وعنايته الخاصة بشأن متبعى المسيح ﷺ جزاء بما صبروا وصدقوا ما عاهدوا الله عليه . «ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اتنزل عليهم الملائكة الاتخافوا ولا تحزنوا واابشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن اولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة - فصلت : ٣١» .

١٩ - وقوله : «وانه هو أضحك وابكى - النجم : ٤٣» كناية عن مناشىء الأفرح والسرور . وعوامل الأحزان والغموم . وبدليل ما بعدها من آيات : «وانه هو أمات وأحى» . «وانه هو أقتنى وأغنى» . «وانه اهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى» . اذ لو كان المقصود : انه تعالى هو يخلق الضحك والبكاء - جموداً مع ظاهر اللفظ - لتنافى مع قوله : «وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى - النجم : ٤٢» قبل هذه الآية ، الصريحة فى ان للعباد نشاطات

ومساعى هم يحاولونها عن ارادة واختيار ، وتعود عليهم بالذات مضاعفات اعمالهم  
فى هذه الحياة .

٢٠- وقوله : «ام خلقوا من غير شىء ام هم الخالقون - الطور : ٢٥» . لايعنى  
سلب قدرة العباد عن الاحداث والايجاد حتى لمثل افعالهم الاختيارية ، لان وجه  
هذه الاية الى غير هذه الجهة ، وانما تعنى نفى انهم خالقون لانفسهم ، بصدد اثبات  
انه تعالى هو خالق الارض والسماء وجميع الخلائق ، ببرهان السبر والتقسيم :  
اذ يدور أمر الخلق بين ثلاث : الاولى - انهم خلقوا من غير شىء ، فلم يكن هناك مبدع  
ولاصانع ، وانما وجدوا صدفة من العدم المحض . الثانية - انهم هم الذين خلقوا  
انفسهم . الثالثة - ان الله خلقهم كما خلق سائر المخلوقات .

قال تعالى : «ام خلقوا من غير شىء ، ام هم الخالقون ، ام خلقوا السماوات  
والارض بل لايقنون - الطور : ٣٠» .

وبما ان الصدفة والخروج عن العدم المحض من غير علة ولاسبب موجود  
مستحيلة ، فى بداهة العقل الرشيد ، وكذا ان يكون موجود هو أو وجد نفسه فيكون  
بذاته علة لذاته وفى نفس الوقت معلولاً عن ذاته ، ليتحد العلة والمعلول ، هذا ايضاً  
مستحيل . فثبتت الثالثة ، وان هناك صانعاً مدبراً هو الذى خلق وقدر .

٢١- وقوله : «شركاء خلقوا كخلقهم - الرعد : ١٦» نفى ان يكون من زعموه  
شريكاً مع الله فى العبادة ان يكون شريكاً معه فى الخلق . فاذا لم يكونوا شركاء فى  
الخلق ، فكيف اصبحوا شركاء فى العبادة ؟! والخلق المنفى هنا هو الاستقلال والاستبداد  
فى الاحداث والابداع ، الامر الذى لايتنافى واختيارية افعال العباد ، الذين هم غير  
مستقلين فيها ، فلم يكونوا شركاءه تعالى فى الخلق والتدبير التام . اذن نسبة الفعل  
الى فاعله - باعتبار انه موجود لشرطه - لا تقتضى استقلاله فى الاحداث .

٢٢- والاجماع على انه لا خالق الا الله ، كآيات المتقدمة ، ينفى استقلال غيره

في الاحداث والايجاد، اما ايجاد شرط الشيء لتفاعل القوى الطبيعية مع بعضها تماشياً وتجاذباً ، وفق سنة الله التي جرت في الخلق ، فهذا شيء لا ينفبه الاجماع المذكور ولا الآيات السابقة . وقد تقدم الكلام في ذلك . واطلاق الخلق على هذا النمط من الاحداث والصنع ليس شيئاً ينكر ، قال تعالى - خطاباً مع عيسى عليه السلام : « واذتخلق من الطين كهيئة الطير - المائدة : ١١٠ » اى تصنع . فاسند الخلق الى عيسى ذاته . وقال تعالى : « فتبارك الله احسن الخالقين - المؤمنون : ١٤ » . « اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين - الصافات : ١٢٥ » . اى احسن الصانعين ، حيث استقلاله واستغناؤه في الصنع والاحداث . وافتقار غيره من الصانع الى فعل القوى التي اودعها الله في جبلة الأشياء .

٢٣- اما عدم اجتماع قدرتين على مقدور واحد ، فان اريد قدرتان مستقلتان على ايجاد الشيء خارجاً . فحق . ولا كلام لنا في ذلك ، انما الكلام في قدرتين احدهما على ايداع القوى في طبيعة الاشياء والافاضة عليها في خط البقاء . والثانية على ايجاد شرط التفاعل بين هذه القوى . كما في مثال الاحراق والاحتراق بالنار وهذا شيء بديهى لا غبار عليه .

٢٤- واما التشريك في الخلق فانما يلزم لوقيل بتأثير قدرتين مستقلتين كل على مقدور غير مقدور الأخرى ، كما ذهب اليه الثنوية . اما لو كانت هناك قدرتان احدهما في طول الأخرى وفي امتدادها . وفق سنة الله التي جرت في الخلق . لحكمة التكليف والاختبار ، فلاشرك ، بل هو توحيد خالص ، كما لا يخفى على اولى النهى .

٢٥- اما العلم بتفاصيل المصنوع فواجب لو كانت جميع تلك التفاصيل من صنعته وواقعة تحت اختياره وعن قصده ، اما لو كانت جملة المصنوع اجمالياً واقعة عن قصده ، لكن لزمها بعض الخصوصيات لاعن اختياره ، فلا يجب تعلق علم



الصانع بها .

ففى مثال المشى ، كان الذى قصده الماشى هو : رفع رجله ووضعها الى الامام فى اتجاه خاص . وهذا المقدار هو الذى ينسب اليه ويكون عن اختياره وقصده و ارادته الخاصة . اما قدر ما بين قدميه من مسافة . وكم خطوة يريد تخطيها ، فهذا لم يقصده ولا واقع تحت ارادته ، ولا هو منسوب اليه كعمل اختياري . وهكذا حركات اعضائه عند الإخذ والبطش ، ومد الاعصاب والايعازات العصبية ، وما اليها كلها خارجة عن اختياره و ارادته الخاصة ، ولا ينسب اليه شىء من ذلك <sup>١</sup> .

٢٦ - واما قوله تعالى : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس - الاعراف : ١٧٩ » فهو كقوله : « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً - القصص : ٨ » . كانت اللام فى امثال هذا الكلام للعاقبة والنتيجة ، كقول الامام امير المؤمنين عليه السلام : لدوا للموت وابنوا للخراب . اى كل ولادة لا بد ان تنتهى الى الموت . وكل بناء لا بد ان ينتهى الى الخراب . وهكذا كثير ممن خلقهم الله تؤول عاقبة امرهم الى جهنم . بدليل التعليل فى ذيل الآية : لهم قلوب لا يريدون ان يفقهوا بها . ولهم اعين لا يحاولون الابصار بها . ولهم آذان لا يستمعون الاستماع بها . وقد جعلوا من انفسهم كالانعام بل اضل . الامر الذى هم طلبوه ومهدوا السبيل الى تحقيقه ، كأنهم يجتهدون مساعيهم لدخول النار وبئس المصير .

وأخيراً فالذى يدلنا بوضوح على ان دخولهم النار كان لسوء اختيارهم - لانه تعالى خلقهم لذلك بحيث اراد منهم فعل المعاصى ليدخلوا جهنم ، كما زعمه الاشعري واذنابه الاغبياء - قوله تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون - الذاريات : ٥٦ » . وهذه الآية صريحة ومحكمة ، فيجب رد غيرها من متشابهات اليها .

١- راجع - بالخصوص - محاضرات سيدنا الاستاد - دام ظله - ج ٢ ص ٤٤-٤٥ .

٢٧ - وقوله : « ولوشئنا لآتيننا كل نفس هداها - السجدة : ١٣ » . المشيئة فيها تكوينية ، اى لو اردنا اجبارهم على الهدى لفعلنا ، غير انه « لا اكره فى الدين » . اذ حكمة التكليف تقتضى منح المكلفين اختيارهم فى الاهتداء او البقاء على الضلال . و لولا ذلك لم يحصل اختبار ولا تمييز الخبيث من الطيب . و لثلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

وقوله - بعد ذلك - : « ولكن حق القول منى لأملئن جهنم من الجنة والناس اجمعين » لا يدل على انه تعالى حتم عليهم الكفر والعصيان ليدخلوا جهنم . بل المعنى : انه تعالى حق القول منه ان لا يكره الناس على الطاعة والايان ، بل يجعلهم مختارين فى الاهتداء والبقاء على الضلال تحقيقا لحكمة التكليف . ومن ثم فمنهم من يؤمن ومنهم من يكفر « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر - الكهف : ٢٩ » ، الامر الذى ينتهى بامتلاء جهنم من العصاة والكفار ، لسوء اختيارهم الفسوق والظغيان . وتدلنا على ذلك الآية بعدها : « فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ، انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون - السجدة : ١٤ » فكان استحقاقهم العقاب ، لسوء تصرفاتهم فى هذه الحياة ، وتناسيهم لقاء يوم الحساب . الامر الذى يتنافى ومقصود الاشعري فى الجبر على الكفر والعقاب .

٢٨ - والآيات التى جاء فيها تعليق الايمان على مشيئة الله ، انما تعنى ارادته التكوينية للايمان المتنافية مع حكمة التكليف : « ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعاً - يونس : ٩٩ » . لكنه تعالى لم يشأ ذلك ، بل حول الناس اختيارهم فى الكفر والايمان « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة - الانفال : ٤٢ » . وبذلك اتضح تفسير قوله تعالى : « ما كانوا ليؤمنوا - اى باختيارهم - الا ان يشاء الله - ان يجبرهم على الايمان . لكنه تعالى لا يفعل ما يخالف حكمته فى التكليف - الانعام : ١١١ » .

٢٩ - وقوله : « وما تشاؤون الا ان يشاء الله - الانسان : ٣٠ » يعنى اذنه فى

تحقق الاشياء - على ماسلف تحقيقه - فكل مايريده العباد فعله ، لايقع الا باذن الله ،  
وبارادته الحادثة . الواقعة اثر ارادة العباد ، وفق سنته الجارية فى الخلق .

٣٠ - ٣١ - وكل آية جاء فيها تعليق الايمان او عدم الشرك او عدم القتال  
على مشيئة الله تعالى ، فانما هى المشيئة التكوينية ، بنفس التقريب المتقدم  
برقم : ٢٨ .

٣٢ - وتأويل الاشعري آية الذاريات : ٥٦ بأنه تعالى انما عنى المؤمنين ،  
فهو تخصيص لحكم عام من غير مخصص ، ولا يعدو تأويلا باطلا وتحريفاً بالكلم  
عن مواضعه من غير مبرر . اذلم يخلق الله خلقاً لجهنم - كما زعمه اهل الزيغ  
والانحراف - ليكون ذلك تخصيصاً فى آية الذاريات . وقد تقدم الكلام عن آية  
الاعراف : ١٧٩ برقم : ٢٦ .

٣٣ - وهكذا تأويله آية النساء : ٧٩ بالحمل على الاستفهام الانكارى تأويل  
غير مستند ، وتحريف بظاهر الكلام لا يعمد اليه غير الذين فى قلوبهم زيغ ، ابتغاء  
الفتنة وطلب الفساد بين العباد .

قال القاضى - معرضاً بالاشعري - : فاما من حرف التنزيل لكيلا يلزمه بطلان  
مذهبه ، وزعم ان المراد به : فمن نفسك ؟! على جهة الانكار ، فقد بلغ فى التجاهل ،  
ورد التلاوة الظاهرة الى حيث يستغنى عن مكالمته .

\* \* \*

(ملحوظة) قديزعم البعض وجود التنافى بين الآيتين التاليتين :  
الاولى - قوله تعالى : « وان تصبهم حسنة يقولوا : هذه من عند الله . وان  
تصبهم سيئة يقولوا : هذه من عندك . قل : كل من عند الله . فما لهؤلاء القوم لا يكادون

---

١ - مشابهات القاضى ج ١ ص ١٩٩ .



يفقهون حديثاً - النساء : ٧٨» .

الثانية - قوله تعالى - بعقب الاولى - : «ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك

من سيئة فمن نفسك - النساء : ٧٩» .

حيث الاولى دلت على ان كل من الحسنة والسيئة من عند الله ، ودلت الثانية

ان الحسنة خاصة من عند الله ، واما السيئة فمن العباد انفسهم . فما وجه التوفيق ؟

وتخلص الاشعري بنفسه بحمل الاولى على الاستفهام الانكارى ، وقد تقدم

برقم : ٣٣ فيما سبق وهنا . وقد شنعوا عليه هذا التأويل الذى لا يعدو تحريفاً ظاهراً

لامبرر له سوى قلة الورع وعدم المبالاة بالدين .

وقد جاء مثل التعبيرين فى قصة موسى عليه السلام ، قال تعالى : «فاذا جاءتهم الحسنة

قالوا : لنا هذه . وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه - الاعراف : ١٣١» .

فقال تعالى مكذباً لهم فى ذلك : «وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون -

الاعراف : ١٦٨» . فبين انه تعالى هو الذى يفعل الامرين بلاء ومصالحة ، لكى يرجع

العاصى ويقتلع عن كفره ومعصيته .

وتفسيرهما الصحيح : ان الحسنة هنا : الرخاء ووفور النعم . والسيئة : الجذب

والقحط والبلايا . فكلتاها من عند الله ابتلاء لعباده بالنعم شكر أم كفرانا ؟ وبالبلايا

ارعواء ام زيادة طغيان ؟ . وقد تكون النعم تفضلاً ومزيداً فى الاحسان جزاء لشكرهم

«لئن شكرتم لازيدنكم - ابراهيم : ٧» . وتكون البلايا نعمة وعقاباً « ولو ان اهل

القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم

بما كانوا يكسبون - الاعراف : ٩٧» . «فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست

قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون - الانعام : ٤٣» .

فالسيئة - كالحسنة نازلة من عند الله لحكمة الرجوع الى الرشد والارعواء

عن الباطل لطفاً . اونكالا وعقاباً على المرود والطغيان . غير ان السبب الموجب

لتزول البلاء عليهم هم انفسهم جزاء بما كسبوا .

وبهذا يجمع بين قوله - بشأن الحسنه والسيئه - : « كل من عند الله » . وقوله - بشأن السيئه - : « فمن نفسك » . نعم لما كانت الحسنه ( النعم والرخاء ) تفضلاً من الله محضاً ، حيث لاستحقاق ذاتياً للجزاء على الحسنات الاما وعد الله من المشوبه والاحسان والتفضل والرضوان .

٣٤- وما أفصح قول الأشعري : انه تعالى لم يرد ان يظلم العباد بنفسه وان كان

قد اراد ان يظلم بعضهم بعضاً !!

وقد قال هذا القول الشنيع تبريراً لمذهبه الباطل ، أن افعال العباد منسوبة الى الله لاتأثير لارادتهم ولالقدرتهم في تحقيقها . فهو تعالى اراد ظلم الظالمين وعيث الفاسدين !!

لكن ذهب عنه اولم يستطع فهم هذه الحقيقه : ان الله تعالى وان كان قد اقدر الظالم على ظلمه ، وجعل له الاختيار فيما يريد فعله ، لحكمة التكليف والاختبار . لكنه تعالى لم يرد هذا الظلم بارادته التشريعيه ، حيث نهاه ونهره عن الظلم والفساد فكيف يجبره - بما يخرج عن استطاعته - على الظلم والعصيان ؟!

٣٥- ولاندرى كيف جازلهم تفسير الخلق بالتقدير في آيتي المائدة : ١١٠ .

والمؤمنون : ١٤ . ونسوه فيما دل على انه تعالى خالق افعال العباد « خالق كل شيء » ؟!

وقد تقدم <sup>١</sup> ان الخلق في قوله « احسن الخالقين » . وقوله « تخلق من الطين » بمعنى الصنع والاحداث باعتبار ان العباد - فيما يصنعون - هم موجودون لشرائط الحدوث والتحقق بفعل القوى تجاذباً مع بعضها . وبذلك صح اطلاق الخالق - بمعنى الصانع للشيء - عليهم .

١- راجع صفحة ١٧٨ و ١٩١

٣٦ - وجوابهم - عن اعتراض لزوم الجبر ، بأنه تعالى اراد منهم الكفر والفسوق عن اختيارهما - كلام فارغ لامحصل له ، اذ كيف يريد تعالى منهم الكفر بارادته التكوينية التي لاتتخلف عن المراد ، وتكون علة تامة لتحقيق المراد ، ثم ينسب ذلك الى اختيارهم ، ولااختيار لهم مساكين الى جنب سلطان ارادةالله القديمة ، حسبما زعموا !!

واى معنى لارادة العباد الى جنب ارادةالله اذالم يكن لارادة العبد تأثير فى تحقيق المراد ، كما لاتأثير للعلم فى تحقيق العلوم ، حسب تصريح الاشعري؟!  
والغريب : انهم قاسوا ارادته تعالى المتعلق بافعال العبادبعلمه تعالى المتعلق بها؟! اذ لو كانت ارادته كعلمه ، كانت لاتأثير لها كما لاتأثير للعلم . وهم انما يرون ان كل التأثير لارادته تعالى ، تحقيقاً لقانون « لامؤثر فى الوجود الاالله » .  
وينفون أى تأثير لارادة العباد ، فكيف هذا التناقض المفصوح؟!

ولنختم الكلام بأصرح آية تقضى على مزعومة الجبر نهائياً ، وتنسب افعال العباد ومايرتب عليها من تبعات ومضاعفات الى انفسهم . وهى فى نفس الوقت تبكيت قاطع ومكافحة صارمة فى وجه امثال الاشعري ممن يجادلون فى الله بغير علم ، ويحاولون تحريف الكلم عن مواضعه زوراً وبهتاناً .  
قال تعالى : «ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولاهدى ولاكتاب منير .  
ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله ، له فى الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق .  
ذلك بماقدمت يدك<sup>١</sup> وان الله ليس بظلام للعبيد - الحج : ٧-٩ » .

---

١- انظر الى هذا التعبير الذى لايحتمل أى التباس فى ان العباد هم فاعلون لاعمالهم

ان حسنة وان سيئة .



## مسألة الهداية والتوفيق

اصل الهداية: الدلالة والارشاد ، غير ان انحاء الدلالة تختلف حسب نوعيتها ومرتبها في التأثير والبلوغ . فمن دل غيره على طريق يؤدي الى مقصده فقد هداه ، كما ان الذي أخذ بيده واوصله الى مطلوبه ايضاً هداه . ففي الاول يحتمل الضلال ، والثاني لا يحتمله . فقوله تعالى : « واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى - فصلت : ١٧ » ، هداية من النوع الاول . وقوله تعالى : « ومن يهدي الله فماله من مضل - الزمر : ٣٧ » هداية من النوع الثاني . وقد استعملت « الهداية » في القرآن على انحاء ودرجات ، نلخصها فيما يلي : -

الاولى : هداية فطرية مرتكزة في جيلة الاشياء ، سواء أكان حيواناً ام نباتاً ام جماداً . اذما من موجود الا وهو يهتدى - اهتداء ذاتياً - الى طرق الصلاح والفساد ، مما يتلائم وطبعه فيسعى في جلبه ، او ينافره بطبعه فيقوم في وجهه ، بدافع من فطرته التي فطره الله عليها « ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى - طه : ٥٠ » . والذي قدر فهدى - الأعلى : ٣ » . الامر الذي نشاهده - بوضوح - في مظاهر هذا الكون . كل يسعى الى كماله في الوجود ، واستجلاب المنافع ودفع المضار ، دارتنازع في البقاء .

الثانية - ركب تعالى في هذا الانسان قدرة تفكيرية جبارة (العقل) بها يستطيع التغلب على قوى الارض والسماء وتسخيرها في سبيل منفعه ، كما استخدم ما يمكنه من حيوان ونبات وجماد ، وسائر ما في الوجود من قوى وطاقات ، في سبيل تحضره

- ١- كما في قوله تعالى : « فاهدوهم الى صراط الجحيم - الصافات : ٢٣ » . وقوله : « أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر - اى بالاهتداء بالنجوم - النمل : ٦٣ » ، كما في قوله : « وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر - الانعام : ٩٧ » .

والصعود على مدارج الترقى والكمال المدنى ، ولايزال .

وبهذه المقدرة العقلية يستطيع تمييز الخير عن الشر والحق عن الباطل ، كما ميز بين المنافع والمضار والصلاح والفساد ، نعم اذالم يغلبه هواه ولم يستسلم لقيادة النفس الأمارة بالسوء !

قال تعالى : « ألم نجعل له عينين ولسانا وشفقتين وهديناه النجدين - البلد : ١٠ » . ومن ثم جاء في روايات اهل البيت - عليهم السلام - : ان العقل رسول باطنى ، وانما جاء الانبياء الى البشرية ليؤيدوا ما هداهم اليه نورالعقل ، وهو حجة الله ودليله المتركب فى صميم الانسان . ولولاه لم ينفذ هدى رسول ولا ارشاد نبي .

روى ثقة الاسلام الكلينى عن هشام بن الحكم ، قال له الامام موسى بن جعفر -عليهما السلام - : « يا هشام ، ان الله تبارك وتعالى اكمل للناس الحجج بالعقول ، ونصر النبيين بالبيان ، ودلهم على ربوبيته بالأدلة - الى ان قال - : يا هشام ، ان الله على الناس حجتين ، حجة ظاهرة وحجة باطنة ، فاما الظاهرة فالرسل والانبياء والأئمة - عليهم السلام - واما الباطنة فالعقول »<sup>١</sup> .

الثالثة : نصب الدلائل وبعث الرسل وانزال الكتب والشرائع ، هداية خارجية تؤيد تلك الهداية الباطنية ، كما فى الحديث الآنف .

وهذه الانحاء الثلاثة من الهداية عامة ، شاملة لجميع المخلوقين . ولعامية الناس على مختلف الأمم والطوائف . « انا هديناه السبيل اما شاكرأ - بالاجابة والعمل - او كفوراً - بالاعراض والتولى - الانسان : ٣ » . « وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات - الانبياء : ٧٣ » . « وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون - الاعراف : ١٨٦ » . « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل - الاحزاب : ٤ » . وقال تعالى مخاطباً لنبيه الكريم ﷺ : « وانك لتهدى الى صراط مستقيم - الشورى :

١ - الكافى الشريف - الاصول - ج ١ ص ١٣ - ١٦ .

٥٢ . وقال عن القرآن الحكيم : « ان هذا القرآن يهدى للتي هي اقوم - الاسراء : ٩ » . والهداية - في امثال الآيات - هداية بالدلالة والاشارة ، المصطلح عنها بالهداية التشريعية ، التي هي وظيفة النبي ﷺ الواجبة عليه . اما الهداية التي ينفيها تعالى عن نبيه ﷺ فهي من النوع الآتي ، المصطلح عنها بالتكويرية قال تعالى : « انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو اعلم بالمهتدين - القصص : ٥٦ » . وبذلك يرتفع التنافي بين هذه الآية وآية الشورى : ٥٢ . كما يحصل بذلك التوفيق بين كثير من آيات كانت بظاها متخالفة ، على ما سنبيه .

الرابعة : توفيق رحمانى وتسديد للخطى نحو الصواب ، منحة الهية خاصة ، لأولئك الساعين فى سبيل الاهتداء . « ومن يؤمن بالله يهد قلبه - التغابن : ١١ » . « الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ، اولئك الذين هداهم الله ، واولئك هم اولوا الالباب - الزمر : ١٨ » . « أولئك انذرين هدى الله فهداهم اقتده - الانعام : ٩٠ » . « والذين جاهدوا فىنا لهدينهم سبلنا - العنكبوت : ٦٩ » . « والذين اهدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم - سورة محمد : ١٧ » . « ويزيد الله الذين اهدوا هدى - سورة مريم : ٧٦ » . الى غيرهن من آيات جاءت الهداية فيهن بمعنى العناية الخاصة واللفظ الخاص ، يختص بها المؤمنون حقاً ، المتنورون بنور العقل ، السائرون على هدى الرسل بسلام . « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم - المائدة : ١٦ » .

واما المعاكسون لهدى الفطرة فلم يجيبوا دعوة الانبياء ، فقد حرموا على انفسهم سعادة هذا الاهتداء الرحمانى فعموا وضموا ، « ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم ولهم عذاب أليم - النحل : ١٠٤ » . « ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار - الزمر : ٣ » . « كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءتهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين - آل عمران : ٨٦ » .

\* \* \*



والهداية - بهذا المعنى الرابع - هي التي يمنحها الله من يشاء ، ويمنعها عن من يشاء . لا يمنحها الا لاولئك الذين جاهدوا في الله وحاولوا البلوغ الى كمال الاهتداء سيراً حثيثاً من مرحلة «علم اليقين» الى مرحلة «عين اليقين» . ومن جد وجد . «ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكوراً - الاسراء : ١٩» . وهكذا لا يمنعها الا عن اولئك الذين اعرضوا عن ذكره وسعوا في آياته معاجزين . «ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً ، ونحشره يوم القيامة اعمى ، قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها فكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى - طه : ١٢٥ - ١٢٧» .

وبذلك تفسر مشيئته تعالى المتعلقة بهداية من يشاء واضلال من يشاء «فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم - ابراهيم : ٤» . اي يخذل من اعرض عن ذكره ، ويهدي من سعى اليه . اذ ليست مشيئته تعالى اعتباراً متناً فلياً لمقام حكمته عز شأنه ، ولا يرضى لعباده الكفر<sup>٢</sup> ، وما الله يريد ظلماً للعالمين<sup>٣</sup> .

الخامسة : قدرة ايمانية عاصمة عن المخلط والزلل ، وعن الخطأ والانحراف ، هي عصمة ربانية تتحلى بها نفوس قدسية من عباد الله المصطفين الاخيار « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا ، وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة - فصلت : ٣٠» . وهذا جزاء استقامتهم على هدى الفطرة وصبرهم في جنب الله « وان لو استقاموا على الطريقة لا سقيناهم ماء غدقاً - الجن : ١٨» . ومن ثم فان العصمة

١ - وسنشرح - في فصل قادم - ان الاضلال من الله هو الخذلان بمعنى ترك المتمدود نفسه ، حيث أصر على العناد والاستكبار .

٢ - سورة الزمر : ٧

٣ - سورة آل عمران : ١٠٨

خاصة بالانبياء والائمة الأولياء ، هداهم الله اليها جزاء بما صبروا ، وجعلهم الأئمة  
المقتدى بهم فى الناس ، حيث «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون-التحرير:٦» .  
قال تعالى : «ووهبنا له (لإبراهيم) اسحاق ويعقوب كلا هدينا ، ونوحاً هدينا  
من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وإيوب ويوسف وموسى وهارون ، وكذلك نجزي  
المحسنين ، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس ، كل من الصالحين ، واسماعيل واليسع  
ويونس ولوطاً ، وكلا فضلنا على العالمين-الى قوله - اولئك الذين آتيناهم الكتاب  
والحكم والنبوة - الى قوله - اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده - الانعام : ٨٤  
- ٩٠ » .

وستنكلم عن مختلف جوانب هذه العصمة الرحمانية الخاصة فى فصل قادم  
ان شاء الله .

\* \* \*

وهناك هداية اخرى هى : هداية إلجاء ، لم يشأ الله - فيما عدا هدى الفطرة  
ونور العقل - ان يلجىء عباده عليها ، ولان يكرههم على الطاعة والايمان ، حيث  
هذه الحياة الدنيا داراختيار واختبار ، ولااختبار معاللاجء والاكراه . وبذلك نوه  
الذكر الحكيم ، قال تعالى : «فلو شاء لهداكم اجمعين - الانعام : ١٤٩ » . وقال :  
« أفلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً - الرعد : ٣١ » . لكنه  
تعالى لم يشأها ، حيث منافاتها للتكليف والاختبار .

\* \* \*

وقسم سيدنا الاستاد - دام ظله - انحاء الهداية الى ثلاثة :  
الاولى - هداية تكوينية عامة ، اعداها الله فى طبيعة الموجودات ، وهى تسيير  
بطبعها نحو الكمال ، وتهتدى بنفسها الى طرق الاستكمال « ربنا الذى اعطى كل  
شئ خلقه ثم هدى - طه : ٥٠ » .

الثانية - هداية تشريعية عامة ، أفاض على الانسان العقل وقدرة تمييز الحق

عن الباطل، وايدته بارسال رسل وانزال كتب وشرايع «انا هديناه السبيل اما شاكراً او كفوراً - الانسان : ٣» .

الثالثة - هداية تكوينية خاصة ، عناية ربانية حصص الله بها بعض عباده ممن وفقهم وسددهم نحو الصواب وفق اقتضاء حكمته ولطفه «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - العنكبوت : ٦٩» .

وبذلك فسر - دام ظله - طلب الهداية في قوله : «اهدنا الصراط المستقيم - سورة الفاتحة» . حيث المسلم بعدما اعترف بان الله قدم من عليه بهدايته العامة التشريعية ، يطلب من الله ان يمنحه هدايته الخاصة التي يختص بها من يشاء من عباده<sup>١</sup> .

\* \* \*

والهداية في كل مرتبة من مراتبها الخمس المتقدمة هي ذات درجات أعلفأعلا ، يتدرجها عباد الله النابهنون درجة بعد درجة ومرحلة بعد اخرى الى غير نهاية حيث لانهاية ولا غاية لرحمته تعالى الواسعة ، فكلماببلغ العبد منزلة رفيعة من رحمته تعالى تكون وراثتها مراتب ارفع واعلا واقرب الى فيض قدسه تعالى ، ولا يزال مثل نبينا ﷺ يرفع درجات الى قرب رضوانه تعالى ، كلما صلت عليه أمته عبر الدهور ، صلى الله عليه اكمل صلاة و ارفع تحيات ، وعلى آله الميامين الأطهار .

ومن ذلك يتضح لنا السبب في ترغيب وتكليف طلب الاهتداء عبر الساعات والأيام ، حيث تتواصل رحمة الله الواسعة ، الشاملة لعباده المؤمنين عبر الدقائق والآتات .

وإذا لاحظنا من درجات النور المتصاعدة الى الأقوى ، واعتبرنا كل درجة لاحقة هي اشد تنوراً من سابقتها ، كانت الدرجة السابقة فاقدة لهذا المقدار الأشد وكانت هذه بنفس النسبة مظلمة بالاضافة الى الدرجة اللاحقة ذات التنوير الاقوى

١- راجع : البيان - عند تفسير سورة الفاتحة - ص ٥٢٧ - ٥٢٩



وهكذا درجات الهداية التي هي نور في حقيقتها - فحيثما بتدرج العبد على مدارج الهداية صعوداً الى الأكمل ، فانما هو ينتقل من درجة هي ضلال بالنسبة الى تاليها وظلمة انتقل عنها بتوفيق الله وهديه الخاص الى نور هي درجة جديدة من نور هدايته تعالى .

وبهذا المعنى فسرنا قوله تعالى : «اللهم ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور - البقرة : ٢٥٧» ، حيث الفعل المضارع دل على استمرار وجودى لهذا الانتقال التدريجى ، وماذاك الاعنائه تعالى بشأن المؤمنين من عباده ، أخذاً بأيديهم صعوداً على مدارج الهداية والكمال ، من نور هي ظلمة نسبية الى أنور ، سيراً تقديمياً مع الأبدية . اما الكافر العنود فانه فى سيرته تقهقرى ، رجوعاً من نور عقله وهدى فطرته الى ظلمات الغى والجهالة المردية «والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات» عصمنا الله من غواية النفس وانقذنا من حبائل الشيطان ، وهدانا الى سبيل رشده هدياً متواصلاً مع الأبد ، آمين رب العالمين .

\* \* \*

### اضلال أم خذلان ؟

تلك هدايته تعالى بالمعاني الخمسة المتقدمة ، منها ما كانت اختيارية ، وهى المتوسطة بين سابق «فطرة وعقل» ولاحق «توفيق وتسييد» فاذا ما لبى العبد نداء فطرته وسار على رشد عقله ، انقاد لهدى الشريعة واطاع ربه ، ومن ثم أدركه توفيق ربانى وانشرح صدره فبلغ الحقيقة والصواب بعنايته تعالى ولطفه الخاص . اما اذا عاكس فطرته وخالف رشد عقله ، فانه لا يجيب الى دعوة الأنبياء ولا يمثل تكليف ربه ، ومن ثم لم يستعد بنفسه لشمول نفحات قدسه تعالى ، فأخطأه التوفيق وضاق صدره فلم ينل الاهتداء الى الصواب ، فكان قد حرم سعادة الحياة فى سقاء دائم .

وعليه فمعنى اضلاله تعالى لمن يشاء ، هو خذلان عبده المتمرد الطاغى ،  
 يتركه يعمه فى ظلمات غيه ، جزاء متناسباً مع عناده واصراره على الجهالة والظغيان .  
 كسائر على مزلق هاوية سحيفة ، لا يعرف درب النجاة وغمته ظلمات السماء والارض ،  
 فيناديه الدليل العارف : ناولنى من يدك لأهديك سواء السبيل ، واتبعنى اهدك صراطاً  
 سوياً ، لكنه لسوء اختياره يترفع بنفسه - علواً واستكباراً - ان ينخرط مع سائر المهتدين  
 اويسير مع ركب المؤمنين « واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما  
 آمن السفهاء »؟! « الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون - البقرة : ١٣ » . « اذ قال لهم  
 اخوهم نوح : ألا تتقون . انى لكم رسول أمين . فاتقوا الله واطيعونى » . « قالوا :  
 أنؤمن من لك واتبعك الأرذلون؟! - الشعراء : ١٠٦ - ١١١ » . « فقالوا : أبشراً منا واحداً  
 نتبعه إنا إذا لفى ضلال وسعر - القمر : ٢٤ » .

هكذا أطاحوا بحظهم وألقوا بأيديهم الى التهلكة « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم  
 والله لا يهدي القوم الفاسقين - الصف : ٥٠ » ، قال تعالى : « سأصرف عن آياتى الذين  
 يتكبرون فى الارض بغير الحق ، وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وان يروا سبيل الرشده  
 لا يتخذوه سبيلاً ، وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلاً ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا  
 عنها غافلين - الاعراف - ١٤٦ » .

هذا هو اضلاله تعالى بمعنى خذلانه الطغاة وتركهم فى ظلمات الغى يعمهون  
 معاكسة طبيعية وحنمية مع اتجاههم ذاك العاتى « وما الله يريد ظلماً للعباد - غافر : ٣١ »  
 « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ويضل الله  
 الظالمين - ابراهيم : ٢٧ » . وهو تفسير قوله : « يضل من يشاء » بدليل قوله : « قل ان الله  
 يضل من يشاء ويهدى اليه من أناب - الرعد : ١٣ » . فالذين يريد الله اضلالهم - اى  
 خذلانهم - هم الذين لا ينيبون الى الله مولاهم الحق ' وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون <sup>٢</sup> .

١ - مقتبس من قوله تعالى : « ثم ردوا الى الله مولاهم الحق - الانعام : ٦٢ » .

٢ - سورة آل عمران : ٢٤ .

«فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطاً مستقيماً - النساء : ١٧٤» .

قال سيدنا الطباطبائي - دام ظله - : قد وقع المؤمنون حقاً بين هديتين : هداية اولى فطرية وانصياع الى رشد العقل ، فشملتهم عناية ربانية في نهاية المطاف . كما ان الكافر وكذا المنافق ، واقع بين ضلالين : ضلال سابق هي معاكسة نداء الفطرة وهدى العقل ، فلحقهم ضلال وعمه عن سبيل الحق مع الأبدية ، « كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمى فهم لا يرجعون - البقرة : ١٧ » .

اذن فكما ان الهداية اللاحقة منحة الهية يكتسبها العبد بفضل جهوده في سبيل لقاء ربه . كذلك الضلال اللاحق خذلان من الله استوجبه العبد لنفسه ، مغبة اعراضه عن الحق وضموده على الغي والضلال ، وفي كلا الجانبين يكون العبد هو السبب العامل لما يصيبه من سعادة وشقاء في نهاية المطاف . « فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، وما انا عليكم بوكيل - يونس : ١٠٨ » .

\* \* \*

وزعم الأشعري ومن على شاكلته من اهل الجبر ، أن لا سبيل للعبد الى اختيار طرق الهداية او الضلال اطلاقاً ، وانما هي ارادته تعالى يهدي من يشاء بلا سبب ذاتي ، ويضل من يشاء بلا استحقاق موجب ، لانه تعالى يفعل ما يريد ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

قال : ان الله هدى البعض الى الايمان ولطف به واصلحه فكان مؤمناً ، وأضل البعض ولم يلفظ به ولم يصلحه فكان كافراً ، ولو اصلحه ولطف به لكان مؤمناً ، لكنه تعالى اراد ان يكون هذا كافراً ومن ثم خذله وطبع على قلبه .  
وتشبت في ذلك بظواهر آيات تنسب اليه تعالى الهدى والضلال مطلقاً « يهدي

١- راجع : تفسير الميزان ج ١ ص ٤٢ طدار الكتب الاسلامية .



من يشاء ويضل من يشاء». قال: الايمان والكفر كلاهما من فعله تعالى يخلقهما في من يشاء من عباده ، من شاء جعله مؤمناً ، ومن شاء جعله كافراً . والخلاصة : انه فسر الهداية - حيثما وردت في القرآن - بخلق الايمان مباشرة او القدرة عليه ، ومن ثم فهي خاصة بالمؤمنين وحدهم ، لانهم هم الذين أراد منهم الايمان ، فأقدرهم عليه ووقفهم له ، دون غيرهم من الكفار والمنافقين ، ولو كان اراد من هؤلاء الايمان ايضاً لأقدرهم عليه لكنه تعالى اراد ان يكونوا كافرين فلم يقدرهم على الايمان .

وقال - في قوله تعالى : « واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » - : ان الضمير في « هديناهم » يعود على المؤمنين من قوم ثمود خاصة ، والضمير في « فاستحبوا العمى » يعود على الكافرين منهم خاصة . ليكون المعنى : ان الله هدى البعض من قوم ثمود الى الايمان واقدرهم عليه فأمنوا ، كما لم يهد غيرهم ولم يقدرهم فاستحبوا العمى على الهدى وصاروا كافرين .

وقد تكلم الأشعري في ذلك بأسهاب ، في فصول عقدها من كتابه : « الابانة » فراجع<sup>١</sup> .

ورمى ابو محمد على بن احمد بن حزم الظاهري (ت ٤٥٦) القائلين بمثل هذه التفسيرات بالجهالة ، قال: وقال بعض من يتعسف القول بلاعلم - معرضاً بالأشعري - ان قول الله عز وجل : « واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » . وقوله تعالى : « انا هديناه السبيل » . وقوله تعالى : « وهدينا النجدين » : انما اراد تعالى بكل ذلك المؤمنين خاصة !

قال : وهذا باطل من وجهين ، احدهما : تخصيص الآيات بلابرهان ، وما كان هكذا فهو باطل . والثاني : ان نص الآيات يمنع من التخصيص - : ثم أخذ في الاستدلال بآيات رداً على تلك المزعومة<sup>٢</sup> .

١- من طبعة حيدرآباد الدكن عام ١٣٦٧ هـ صفحات : ٦-٧ و ٥٦ و ٥٩ و ٦١ - ٦٣ و

٦٥ - ٧٠ .

٢- الفصل في الملل والنحل ج ٣ ص ٤٥ - ٤٦

قلت : ونحن قد اسلفنا - في مقدمة الفصل - البحث عن الهداية والضلال وان  
لاموقع للالجاء مع التكليف ، كما لاملامة ولاذم ولاعقاب ولاجزاء مع عدم الارادة  
والاختيار . وان للهداية مراتب : اولى ووسطى ونهاية، والوسطى اختيارية محضة  
واقعة بين هدايتين كانتا منحيتين الهيئتين . وبذلك استطعنا التوفيق بين الايات الكريمة  
وله الحمد .

(ملحوظة) قديقال : لامانع من حمل قوله تعالى : «يضل من يشاء» على حقيقة  
الاضلال ، من غير تأويله الى معنى الخذلان والحرمان . وذلك لانه تعالى انما يزيد  
في ضلال العاتى المتمرد عقوبة على استكباره وعناده مع الحق الصريح . فهى عقوبة  
اكتسبها العاصى بيده ، فكان جديراً بهذا الجزاء المماثل «وجزاء سيئة سيئة مثلها  
- الشورى : ٤٠» .

لكننا اذا مالا حظنا من امداد التائه في تيهه - مهما كان السبب - قباحة يستنكرها  
العقلاء فى الاوساط المتحضرة ، ويستقبحون الاغراء بالجاهل المغرور ، زيادة فى  
غيه وجهالته ، حتى ولو كان هو السبب فى غروره و كان قد عاند الحق ولم يعر اهتمامه  
لنصح الناصحين . اذ ليس من حكمة العقل ان يقوم الدليل بدفع التائه المغرور الى  
مهاوى الهلكة بحجة جموحه عن قبول النصح والرشاد .

فلنفرض ان انسانا معجباً بنفسه لم يستسلم لقيادة من كان يدله على الطريق ،  
ولم ينصت لنصح من كان ينصحه ، فجعل يسير على مضلات الطريق و متعرجاته حتى  
وقف على حافة هاوية سحيقة حائراً فى ضلاله . فهل يجوز العقل حينئذ ان يعود  
الدليل فيدفع به الى السقوط فى فوهتها، او يزلق برجله حتى يقع هو فى قعرها؟!  
واذا كان العقل لايجوز امرأ فهو ظلم وقبيح ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً  
اذن لامحيص عن تفسير اضلاله تعالى بالخذلان والخيبة والحرمان ، بمعنى ترك  
العناية فى ظلمات غيهم يعمهون .

## عرض آيات الهداية والضلال

(التي وقعت موضع تشابه)

وبعد فلنتعرض الآن لآيات ربما وقعت موضع تشبث اهل الجبر في الهداية والضلال ، والاجابة عليها وفق ما سلفنا من البيان :-

١- قوله تعالى : «اهدنا الصراط المستقيم - الفاتحة : ٦» : قالت الاشاعرة: لو كان المراد بالهداية الدلالة لكانت حاصلة لهم ، فلم يكن لطلبها معنى ، فوجب ان يكون المراد : نفس الايمان او القدرة عليه .

والجواب: ان للهداية مراتب متلاحقة لا يقف المؤمن منها عند حد ، فعلى أية درجة كان فانه يطلب المزيد والبلوغ لدرجة اعلا . ولانهاية لرحمته تعالى مع الأبدية، «والذين اهدوا زادهم هدى - سورة محمد : ١٧» . «ويزيد الله الذين اهدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مردأ - مريم : ٧٦» .

وايضاً فانا قد بينا في التفسير : ان العبد يطلب من الله الاستقامة في جميع شؤون حياته المادية والمعنوية ، الامر الذي لا يستغنى عن هدايته تعالى بالتوفيق والتسديد الى الصواب مع الليالي والأيام .

٢- «هدى للمتقين - البقرة : ٢» . قالوا : ما وجه اختصاص الهداية بالمتقين ، لو كانت هي الدلالة والارشاد ؟

والجواب : وجه الاختصاص : انهم هم الذين استعدوا بانفسهم للاهداء بهذا الكتاب الذي جاء هدى للعالمين . قال تعالى : « شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس - البقرة : ١٨٥» . والآية نظيرة قوله تعالى : « انما انت منذر



من يخشاها - النازعات : ٤٥» . ولاشك انه ﷺ جاء منذراً للخلق كلهم ، كما قال تعالى : «وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً و نذيراً - سبأ : ٢٨» .

٣- «ان الذين كفروا سواء عليهم ء أنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون - البقرة :

٦» يدل على انهم لا يقدرون على الايمان .

والجواب : انه تيسر للنبي ﷺ عن تأثير دعوته ، بالنسبة الى اولئك

المردة العتاة ، فهو اخبار عن عدم وقوع ، لا اخبار عن عدم قدرة ، والالم يصح ذلك الذم والتوبيخ ، والوعيد بعذاب عظيم .

٤- «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة - البقرة : ٧» .

فاذا كان الله قد ختم قلوبهم ، كان ذلك من ادل دليل على انه تعالى هو الخالق للايمان والكفر ، وللاسباب الموجبة لها ! .

والجواب : ان ذلك تشبيه واستعارة ، وكناية عن ذلك الاعتياد على العنادم

الحق والصمود على التمرد والطغيان . كما جاء في تعبير انفسهم فيما حكى الله عنهم

«فاعرض عنهم فهم لا يسمعون ، وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ، وفي آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب ، فاعمل اننا عاملون - فصلت : ٥» .

انظر الى هذا التعبير الجافى ، جعلوا من انفسهم صخرة صماء وحجراً صلباً

لا يتأثر بشيء . وانما هي تعابير كناية عن تلك القسوة والجفاء العارم «ولكن قست

قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون - الانعام : ٤٣» . وقال تعالى - مخاطباً

لامثالهم في انكار لاذع - : «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد

قسوة - البقرة : ٧٤» . ومن ثم رد عليهم هذا التبرير الكاذب بقوله تعالى : «وقالوا

قلوبنا غلف ، بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون - البقرة : ٨٨» .

وانما اسند تعالى الختم الى نفسه ، في حين انهم في آية اخرى جعلوه من ذات

انفسهم «قلوبنا في اكنة» ، لانه تعالى باقداره لهم على فعل كل من الطاعة والعصيان ،

تمهيداً لصحة التكليف والاختبار ، فقد مكنتهم على هذا الجموح و تلك المقاومة

تجاه الحق .

وايضاً فان خذلانه تعالى لهم ومنعهم شمول لطفه الخاص، على اثر استكبارهم عن قبول الهدى ، جعله تعالى كأنه هو الذى ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وجعل على أبصارهم غشاوة . قال تعالى : «أفأريت من اتخذ الهه هواه ، وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه . وجعل على بصره غشاوة . فمن يهديه من بعد الله ، أفلا تذكرون - العجائية : ٢٢» . فقد جاء في هذه الآية الختم والغشاء تفسيراً لاضلاله تعالى الذى هو خذلان ، وترك لهم فى ظلمات لا يبصرون . قال تعالى : «ولا قطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطاً - الكهف . ٢٨» . والآيات يفسر بعضها بعضاً . وأخيراً فلو كان الله هو ختم على قلوبهم فلا يؤمنون الا قليلاً ، فما هو السبب المبرر لتوجيه الملامة اليهم وذلك الاستنكار فى قوله تعالى : «فما لهم لا يؤمنون - الانشاق : ٢٠» . وقوله : «وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى - الاسراء : ٩٤» . الى غيرهما من آيات !؟

٥- «فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً - البقرة : ١٠» يعنى : كفرأ وشكأ .

وذلك يدل على انه تعالى يخلق الشك والكفر فى قلوب الكافرين والمنافقين .  
والجواب : ان المقصود بالمرض فى الآية هو الانحراف والميل الى الفساد ، كما ان الجسم اذا انحرف عن استقامته فى الصحة كان مريضاً ، كذلك الروح اذا انحرفت عن جادة العقل واخذت فى معاكسة الفطرة ، فانها مريضة ، تشبيها لغير المحسوس بالمحسوس .

والسبب فى هذا المرض الروحى هو التفريط فى عدم تموين الروح بما يلائمها من غذاء سليم فى هدى العقل الرشيد . وكلما استبد صاحبه فى هذا الانعطاف غير الطبيعى ، ازداد اعوجاجاً عن الجادة الوسطى المستقيمة ، واقترباً الى ملتويات الطريق ، واخيراً الى سقوط هائل فى مهاوى الضلال السحيق . «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم - الصف : ٥» .

ولاشك ان الأخذ في زيادة الانحراف كان باصرارهم على العناد واللجاج ،  
وتمكن ابليس من قلوبهم واستحواذه على مشاعرهم فهم لايفقهون ، غير ان نسبة ذلك  
الى الله كانت بمناسبة انه - عز وجل - اقدرهم على ذلك لحكمة التكليف والاختبار  
«لثلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل - النساء : ١٦٥» .

ومن ثم قد نرى نسبة مايفعله الشيطان الى الله تعالى ، لنفس السبب . قال تعالى  
«ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زيناهم اعمالهم - النمل : ٤» ، مع انه قال تعالى : «وزين  
لهم الشيطان اعمالهم - العنكبوت : ٣٨ . والنمل : ٢٤» وقال : «فزين لهم الشيطان  
اعمالهم - النحل : ٦٣» . وقال : «واذ زين لهم الشيطان اعمالهم - الانفال : ٤٨» .  
الى غيرها من آيات .

٦- «الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون - البقرة : ١٥» . فذكر  
ان الطغيان من فعله تعالى فيهم ، مضافاً الى اسناد الاستهزاء الى نفسه تعالى ، دليلاً  
على انه يخلق فيهم هذه الافعال !  
والجواب : ان المد في الطغيان عبارة اخرى عن الخذلان الذي استوجبوه  
لانفسهم مغبة لجاجهم في الجموح . بدليل ما بعده من قوله : «اولئك الذين اشتروا  
الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين - ١٦» . اذ لا يصح هذا الوصف  
الا اذا كانوا هم اختاروا الضلالة على الهدى ، والافلو كان ذلك من فعل غيرهم لم  
يجز اطلاق لفظ «الاشترء» هنا ، كما لا يخفى .

واما نسبة الاستهزاء الىه تعالى فهي معاكسة طبيعية كانت على اثر تقصيرهم  
في العمل الانساني ، حيث المناق - في سلوكه المزدوج - يستهدف مصالح بيتغيها  
وراء اعماله الاجرامية ، ويظن انه يبلغها في ستار نفاقه المراوغ . غير ان الواقعية  
تعاكسه في كل ما يبتغيه من أهداف ، وتفضحه بين حين وآخر في سلوكه ذلك المزدوج  
الخبيث غير الانساني ، فضلا عن عيشته تلك القلقة المضطربة «يحسبون كل صيحة



عليهم - المنافقون : ٤ .

اذن فسلوك المنافق المزوج هو الذى جلب على نفسه الفشل ودوام الاضطراب فى عيشة غير هنيئة ، الامر الذى جعله سخرية الواقع وموضع استهزاء عارم . انها واقعية مرة يجابهها المنافق مغبة خطئه فى السلوك .

٧- «صم بكم عمى فهم لا يرجعون - البقرة : ١٨» يدل على انهم ممنوعين من الايمان .

والجواب : انه مبالغة وتشبيه ، لانهم لما لم ينتفعوا بهذه الحواس صاروا كأنهم فاقدين لها ، كما فى قوله تعالى : «انك لاتسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين - النمل : ٨٠» . وقال الشاعر :

لقد اسمعت لونا ديت حياً  
ولكن لاحياة لمن تنادى

٨- «يضل به كثيراً ويهتدى به كثيراً - البقرة : ٢٦» هلا يدل على ان الاضلال من فعله تعالى ؟

والجواب : ان هذا من كلام اولئك الذين كفروا ، ومن ثم جاءهم الرد والاستنكار على هذا الكلام : «وما يضل به الا الفاسقين» . اى لا ينحرف بالامثال التى يضربها الله ، الا الذين فى قلوبهم مرض ، فهم الذين تضجرهم الامثال ، حيث انها تفضحهم وتنهكهم من موقفهم الثانى . فمعنى الاضلال على ذلك : انه يزيد فى عتوهم وغيظا فى صدور .

٩- «واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم - البقرة : ٩٣» يدل على انه تعالى خلق الاشراك مزجاً فى قلوبهم .

والجواب : ان ذلك مبالغة فى تمكن حب الشىء من القلب ، كانه اشرب قلبه ذلك ، فهو كناية عن شدة تمسكهم بالعجل واعجابهم بعبادته .

١٠- «وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله - البقرة : ١٠٢» يدل على ان اضرار السحر انما هو بارادته تعالى .

والجواب : قد اسلفنا ان اذنه تعالى في التأثير والتأثر عبارة عن تحكيم قانون العلية ربطاً بين الحوادث، وفق سنة الله التي جرت في الخلق . فهو تعالى افاض على القوى تأثيراتها من فاعل وقابل ، وهو تعالى يمدها كذلك ، ولو شاء لأوقف تأثيراتها اذا قطع عنها افاضته الدائمة . وقد تقدم تفصيله<sup>١</sup> .

١١- « ربنا واجعلنا مسلمين لك - البقرة : ١٢٨ » يدل على ان الاسلام من فعله تعالى يجعله حيث يشاء .

والجواب : تقدم ان ذلك طلب التوفيق والتسديد وتمهيد السبل نحو المطلوب الحق ، بدليل «وأرنا منا سكننا وتب علينا» .

١٢- «يهدى من يشاء الى صراط مستقيم - البقرة : ١٤٢» ولو كان تعالى هدى الكل لم يستقم هذا الكلام .

والجواب : ان الهداية هنا بمعنى اللطف الخاص بمنحها للذين جاهدوا في الله واتبعوا رضوانه فهذا هم سبل السلام . وقد تقدم ذلك .

١٣- «ولو شاء الله ما اقتتلوا ، ولكن الله يفعل ما يريد - البقرة : ٢٥٣» .

المشيئة هنا تكوينية - حسبما أسلفنا - اي لو شاء ربك ان يمنعهم عن المقاتلة منع الجاء لفعل ، لكنه تعالى يفعل ما يريد ، اي يجعلهم مختارين فيما يشاؤون لحكمة التكليف والاختيار .

١٤- «الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور - البقرة : ٢٥٧» .

---

١- راجع : صفحة ١٧٧ و ١٨٣

تقدم : ان المهدي درجات متلاحقة ، وكل درجة فهي بالاضافة الى سابقتها نور . وبالاضافة الى لاحقتهاظلمة ، حسب درجات النور المتفاوتة . والمؤمن في سيره التصاعدي آخذ دائماً من مرحلة نورانية الى أنور ، بحيث لورجع اليها لكان رجوعاً من نور الى ظلام ، كما هو في الكافر - فعلاً - كذلك ، انه يسير سيراً قهقرياً من نور الى ظلمة والى اظلم وهكذا .

١٥- «والله لا يهدي القوم الظالمين - البقرة : ٢٥٨» .

تقدم : انه بمعنى انهم لا ينتفعون بهديه تعالى لتوغلهم في الضلال ومرورهم على العصيان والطغيان . فمنعهم الله لطفه الخاص لعدم استعدادهم وعدم قابليتهم للاستفاضة من ذلك المنهل الالهي العذب .

١٦- «ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء - البقرة : ٢٧٢» .

اي « فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر - الغاشية : ٢٢» . والآية تسلية للنبي ﷺ وبيان عدم مسؤوليته تجاه عدم قبول دعوته من هؤلاء العتاة الطغاة ، حيث هو مسؤول عن البلاغ والاداء . اما التأثير والقبول فهذا شيء لا يمسّه « فان عرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظاً ان عليك الا البلاغ - الشورى : ٤٨» . نعم لو شاء الله ان يهديهم بالجهاءم على الهدى لفعل ، لكنه تعالى جعل لهم الاختيار في قبول الدعوة ، لحكمة التكليف والاختبار . فالمشيئة على هذا تكوينية ويمكن ان تكون الهداية المقصودة هنا هو التوفيق والتسديد، وقد شاء ها الله لعباده المجاهدين في سبيله .

١٧- «ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذهبتنا - آل عمران : ٨» طلب للمزيد من التوفيق وتسديد الخطى نحو الصواب ، لئلا ينحرف بهم الهوى ونزعات هذه الحياة الدنيا الى مهاوى الضلال ، فتزيغ قلوبهم عن ذكر الله ، فلا يسلموا من شرور الشيطان



ووساوسة الخداعة ، نستعيد منه الى الله .

ويوضح هذا المعنى قوله تعالى بعد ذلك: «وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب» .

١٨- «والله يؤيد بنصره من يشاء - آل عمران : ١٣» . وهم الذين جاهدوا في سبيل الله ابتغاء وجهه وابتغاء رضوانه ، وليس اعتباراً كما زعم الخصم .

١٩- «زين للناس حب الشهوات - آل عمران : ١٤» . زينتها لهم انفسهم فرأوها جمالاً وزينة .

على ان في هذا التزيين حكمة ربانية ، ولولاه لما عمرت الارض ولما ازدهرت الحضارة الانسانية التي طبقت ارجاء العالم وتكاد تسرى الى جوار السماء . ولانقطع التناسل البشرى المتوسع عبر الساعات والأيام .

نعم حدد الشارع المقدس لاستعمالها حدوداً وموازين ، ان هم جاوزوها كانت وبالاً واعقبت آثاماً ، «انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم - التغابن : ١٥» .

٢٠- «قل ان الهدى هدى الله - آل عمران : ٧٣» اي الدلالة التي ينبغي السير في ضوءها هي دلالة الله التي جاءت في شرايعه واحكامه وتكاليفه ، على يدرسه وانبيائه . واما الدلالة على غير هذا السبيل فمسلكتها الى الضلال البعيد «أفغير دين الله يبغون؟!» (آل عمران : ٨٣) .

٢١- «قل ان الفضل بيد الله - آل عمران : ٧٣» هو التفضل بمزيد التوفيق ، وافاضة الفيوض القدسية ، لا يبتغيها احد من سوى الله عز شأنه .

٢٢- «أفغير دين الله يبغون وله اسلم من في السماوات والارض طوعاً وكرهاً

واليه يرجعون - آل عمران : ٨٣ . اى استسلم وخضع . وهذه مقايسة بين عبادة رب خضعت له ارجاء الكون . وعبادة اصنام يبول عليها الثعلبان ؟ !  
قال شاعرهم :

أرب يبول الثعلبان برأسه      لقد ذل من بالث عليه الثعالب

٢٣- « كيف يهذى الله قوماً كفروا بعد ايمانهم - آل عمران : ٨٦ » تقدم انها هداية توفيق وتسديد ومزيد لطف وعناية، لا يستأهلها اولئك الذى سعوا فى آيات الله معاجزين .

٢٤- « وما النصر الا من عند الله - آل عمران : ١٢٦ » اى بتوفيقه تعالى وتسديده ومزيد عنايته، بتقوية ايمان المنتصرين وارعاب جانبهم .

٢٥- « ليس لك من الأمر شيء - آل عمران : ١٢٨ » نفى لمسؤوليته صلى الله عليه وسلم تجاه الدعوة ، وتأثيرها فى قلوب القوم . « انما انت منذر ولكل قوم هاد - الرعد : ٧ » .  
« فلا تذهب نفسك عليهم حسرات - فاطر : ٨ » . « ان عليك الا البلاغ - الشورى : ٤٨ » .

والا فالرسول صلى الله عليه وسلم مسؤول عن تبليغ الدعوة والبيان : « وانك لتهدى الى صراط مستقيم - الشورى : ٥٢ » .

٢٦- « ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس، وليعلم الله الذين آمنوا منكم ويتخذ منكم شهداء، والله لا يحب الظالمين - آل عمران : ١٤٠ » .

اى ان الحروب لاتستمر على وتيرة واحدة، فربما كانت لهم وربما كانت عليهم ، وان كانت النصره على جميع الأحوال ، وفى نهاية المطاف تكون مع المؤمنين ، لانه تعالى لا يخذلهم، وهم ان غلبوا أحياناً فهو اختبار لايمانهم والمزيد

من مشوبتهم على الصبر والثبات ، وليعلموا ان هذه الحياة منغضة ، لاتستمر احوالها على سواء ، فلا ينبغي الركون اليها ، وانما الهناء المخلص مع الآخرة ، وانها هي التي يجب السعى اليها ، ومن ثم قال : وليعلم ... الخ اي ليتبين الثابت ايمانه عن الذي يعبد الله على حرف . وقوله : لا يحب الظالمين . بيان ان ما قد يحصل للكافر من الكرة له ، ليس اكراماً لجانبه ، وانما هو استدراج له فضلاً عما فيه من المصلحة للمؤمنين . فلم تكن تلك نصرة وحباً للظالم في الحقيقة .

٢٧- « ثم صرفكم عنهم ليبتليكم - آل عمران : ١٥٢ » تبين معناه من الآية المتقدمة . فضلاً عن كونه عقوبة لما بدر منهم من تنازع ووفشل ورغبة في حطام الدنيا يوم أحد .

٢٨- وهكذا قوله : « فأنا بكم غماً بغم - ١٥٣ » . وقد تقدم وجه نسبة ما يقع - خارجاً من حوادث ومظاهر - اليه تعالى ، حيث امداده القوى واستمرار الافاضة عليها عبر الآفات ، سنة الله التي جرت في الخلق .

٢٩- « قل ان الامر كله لله - ١٥٤ » يدل على ان الامور كلها بيد الله ، يدبرها كيف شاء وفق مصلحته الكبرى الشاملة وهورب العالمين . لكن ذلك لا يستدعي الاجبار والالغاء بعد ان كانت المصلحة تستدعي اختيار الناس فيما يزاولون ، لحكمة التكليف والاختبار . فالله تعالى جعل من الامور تترب بعضها على بعض حسب سلسلة المعاليل التي ركبها في طبيعة الاشياء . فاذا ما فعل الانسان امر افان له آثاراً تترتب عليه لامحالة فهو بذاته مسؤول عنها وان كان ذلكم الترتب هو صنيعه تعالى ، حسبما تقدم تحقيقه .

٣٠- « ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ، انهم لن يضروا الله شيئاً ، يريد الله ان لا يجعل لهم حظاً في الآخرة - آل عمران : ١٧٦ » .

قالت الاشاعرة : يدل على انه تعالى هو الذي يريد منهم الكفر وان يصيروا الى جهنم !



والجواب : انه تعالى انما يريد ان لا يجعل لهم حظاً في الآخرة ، بسبب كفرهم  
وهذا كقولنا : اريد معاقبة فلان لأنه خالف امرى . والا فلو كان تعالى هو الذى اراد  
منهم الكفر لم يصح كون الآية تسليية للنبي ﷺ ولا كونها انكاراً لاذعاً بمسارعتهم  
الى الكفر !

وغاية الامر ان فى الآية تلميحاً الى استدراجهم على الكفر معاقبة لهم ، ومعاكسة  
مع لجاجهم مع الحق .

٣١- وهكذا قوله : «ولا يحسبن الذين كفروا أن مانملى لهم خير لانفسهم ،  
انما نملى لهم ليزدادوا إثماً- آل عمران : ١٧٨» . ايضاً استدراج ، عقوبة على اصرارهم  
فى الغى والعناد .

واللام فى «ليزدادوا» لام العاقبة ، كما فى قوله : «فالتقطه آل فرعون ليكون  
لهم عدواً وحزناً - القصص : ٨» . اى يكون اثر هذا الاستدراج هى الزيادة فى الاثم  
والكفر . وسنبحث عن مسألة «الاستدراج» فى فصل خاص .

٣٢- «ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء - النساء : ٤٩» .  
استدلت الأشاعرة بهذه الآية على ان الايمان ليس اختيارياً ، وانما هو فعله تعالى يجعل  
من يشاء مؤمناً ومن يشاء كافراً .

والجواب : ان التزكية - هنا - اخبار عن طهارة النفس ومدح بحسن الأحوال  
فلا ينبغي لأحد ان يخبر عن نفسه بحسن النية وطيب السيرة ، بل الله هو الذى يعلم  
الخبث من الطيب .

٣٣- «أتريدون ان تهدوا من أضل الله ومن يضل الله فما له من هاد - النساء : ٨٨» .  
والاضلال - هنا - خذلان وعقوبة عاجلة على لجاجهم فى الكفر ، بدليل صدر  
الآية «فما لكم فى المنافقين فئتين والله ار كسهم بما كسبوا» .

٣٤- «ولو شاء الله لسلطهم عليكم - النساء : ٩٠» . المشيئة هنا تكوينية ، ولم يردھا الله بشأن هذه الحياة فيما يخص باب التكليف والتمحيص والاختبار .

٣٥- «ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ، ثم ازدادوا كفراً ، لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً - النساء : ١٣٧» . تمسك بها الأشعري على انه تعالى أضل الكافر ولم يهده السبيل .

والجواب : ان هذه المعاودة على الكفر واللعب بأمر الدين ، هو الذي جعلهم بمعزل عن جادة الهدى والطريق الوسطى ، فلم يهتدوا الى سبل السلام ، وحرموا غفرانه تعالى واستحقوا الخذلان .

٣٦- «فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف . بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلاً - النساء : ١٥٥» .  
تقدم ان الطبع والختم على القلوب كناية عن استغناءهم لقبول الحق ، فكأنهم يقول الحق شيثان متنافران أحدهما عن الآخر . وهى حالة جمود نفسى تحصل على أثر الانهماك فى الفساد والاصرار على الكفر والطغيان «فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم» . ومن ثم علل الطبع بكفرهم . وستكلم عن الطبع والختم فى فصل قادم .

٣٧- «ما يريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون - المائدة : ٦» .  
الارادة - هنا - تشريعية . ومن ثم قد تتخلف عن المراد ، حسبما اسفلنا البحث عنها .<sup>١</sup>

٣٨- «فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية - المائدة : ١٣» . قالت

الاشاعرة: ومعلوم من قسوة قلوبهم انه بالكفر ، فاذا كان الله قد جعلها قاسية فقد خلق فيها الكفر .

والجواب : ان هذا القساء والجفاء انما كان على اثر ذلك اللجاج والعناد مع الحق ، وقد عبر عن هذه القسوة في مواضع آخر من القرآن بالختم والطبع وفي غلاف وأمثال ذلك من تعابير ، كلها تنم عن حالة نفسية جافية كانت لليهود ، هم أوجدوها لأنفسهم بعد اعراضهم عن الحق واصرارهم على الباطل .

اما النسبة الى الله فقد تقدم انها باعتبار انه تعالى أقدرهم على رفض الحق كما أقدرهم على القبول لحكمة التكليف والاختبار ، فرفضه باختيارهم ، لانه تعالى اجبرهم على الرفض او اراد منهم الكفر ، سواء بارادة تكوينية ام بارادة تشريعية . لان ذلك يتنافى وتوجيه ذلك الانكار والذم اليهم بالذات .

ومعنى الآية : انهم نقضوا الميثاق وخالفوا عهد ربهم ، فلعنهم وابعدهم عن رحمته ، ومن ثم قست قلوبهم فجعلوا يحرفون الكلم عن مواضعه بهتاناً وزوراً .

٣٩- وعلى هذا النمط جاءت الآية التالية بشأن النصارى : «ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به ، فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة - المائدة : ١٤» .

اي بما انهم تركوا شريعة الله المستقيمة ، ونبذوا منها جه القويم ، اخذت دواعي الاختلاف والتكالب على حطام الدنيا ، تدب في اعراقهم وترسب جذوره في اعماقهم ، حيث مختلف النزعات والاهواء ، «فماذا بعد الحق الا الضلال - يونس : ٣٢» . ووجه النسبة اليه تعالى هو الوجه في الآية المتقدمة .

٤٠- «ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً ، اولئك الذين لم يرد الله ان يظهر قلوبهم ، لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم - المائدة : ٤١» : هؤلاء هم الذين عاندوا الحق وأخذوا في اتجاه معاكس للانسانية ، ومن ثم



ابتعدوا عن معالم الهدى وعن المنهج المستقيم فتحملوا اخزى الحياة واستحقوا سوء العذاب .

بدليل صدر الآية : «يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين ، لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه ...» .

والفتنة هى العقاب الصارم «يوم هم على النار يفتنون - الذاريات : ١٣» . او الامتحان بالتكليف «ان هى الافتنتك - الاعراف : ١٥٥» .

فمعنى الآية: ان من يرد الله ان يعاقبه لمعاندته ، للحق ولسوء اعماله الهدامة ، فلن تملك له من الله شيئاً . انهم ممن استحقوا الخذلان وسوء العذاب .

٤١- «ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ، ولكن ليلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم فينبؤكم بما كنتم فيه تختلفون - المائدة : ٤٨» .

المشيئة فى الآية تكوينية ، ومن ثم لم يشأها ، لمنافاتها الحكمة التكليف والاختبار يدل على ذلك نفس التعليل الوارد فى الآية «ولكن ليلوكم» اى لم يشأ الاجراء على الايمان لغرض الاختبار . ولذلك عقبها بالأمر - وهى ارادة تشريعية - بالاستباق الى الخيرات .

٤٢- «قل هل أنبؤكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ، من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل - المائدة : ٦٠» .

قالت الاشاعرة : تدل الآية انه تعالى هو خلق من عبد الطاغوت وجعله كذلك . والجواب : ان ذلك عقوبة على كفرهم ولجاجهم مع الحق ، ومدامتهم على الدسائس الفتاكة ، فخذلهم الله وأخزاهم وسلبهم الشعور بموقفهم الانسانى الكريم ، فذلوا وابتذلت شخصيتهم المنحطة ، واذا هم أمة منفورة فاقدة لحقوقها الاممية ، داخله فى طاعة امم اخرى ، متحملة نير المذلة عبر الحياة . الامر الذى هو من اشد

العقوبات أصابت اليهود طول التاريخ ولا يزال. انهم اليوم اصبحوا آلة صماء فى يد طواغيت الارض يعبتون بهم كيف شاءت اهو اؤهم الخبيثة فى العيث والفساد . هذا هو تفسير « عبد الطاغوت » بشأن اليهود العنود . وهى معجزة قرآنية خالدة .

٤٣- «وليزيدن كثيراً منهم ما انزل اليك من ربك طغياناً وكفراً - المائدة : ٦٤» . قالوا : انها تدل على ان القرآن يبعث على كفر كثير من المكلفين .  
والجواب : ان المعنى : انهم يزدادون كفراً وطغياناً غيظاً وحسداً ، عند ما يرون من رواج هذا الدين وازدهار شريعة سيد المرسلين «وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً - الاسراء : ٨٢» . «واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ، قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور - آل عمران : ١١٩» .

٤٤- «ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقراً وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها - الانعام : ٢٥» . وقدمر نظيرها ، وانها كناية عن القسوة والجفاء الذى مر نواعليه حتى صار كالطبع لهم . بدليل الاية بعدها : «وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الانفسهم وما يشعرون - ٢٦» . ولو كان ذلك من فعله تعالى لماصح هذا التعبير والتوبيخ اللاذع .

٤٥- «ولو شاء الله لجمعهم على الهدى - الانعام : ٣٥» . تقدم ان المشيئة هنا تكوينية . اما المشيئة التشريعية فقد شاء الله ان يكونوا جميعاً على الهدى، حيث ارسل رسله الى كافة الناس ووجه دعوته الى الجميع .

٤٦- «والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات . من يشاء الله يضلله ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم - الانعام : ٣٩» . اى كأنهم خشب مسندة

لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون . ومن ثم حرموا توفيق هدايته تعالى التي خصها الله لمن سعى اليه واستهدى لديه . فهذا هو الذي يشاء الله ان يجعله على صراط مستقيم ، اما الذي اعرض وتولى فهو الذي يشاء الله ان يضلله اى يخذله ، حيث هو مهتد لنفسه سبب هذا الخذلان ، وما الله يريد ظلماً للعباد (غافر : ٣١).

٤٧ - « قل ارأيتم ان أخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم - الانعام : ٤٦ » اى خذ لكم وترككم فى ظلمات الغى تعمهون ، على اثر هذا اللجاج والعناد الذى اتخذه تموه تجاه وضح الحق الصراح . وقد تقدم الكلام فى مثله .

٤٨ - « وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟! - الانعام : ٥٣ » .

كان - صلى الله عليه وسلم - يقرب فقراء المسلمين من نفسه ويلتزم مجالستهم ، وقد شق ذلك على اشراف العرب ، فألزمهم الاسلام بترك امثال هذه النزعات الجاهلية ، وكان ذلك امتحاناً لمبلغ رضوخهم لتعاليم الاسلام ، غير ان جماعة ممن تمكن فى قلوبهم حمية الجاهلية الاولى ، ولم يستطيعوا الانقلاع عن حبائل الشيطان ، كانوا لا يزالون يترفعون عن مجالسة فقراء المسلمين ، ويقولون : أهؤلاء من الله عليهم بالاسلام وبالهدى من بيننا ؟ ! .

وعليه فاللام فى الآية للعاقبة ، لا للتعليل .

٤٩ - « ولا أخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيئاً - الانعام : ٨٠ » . قالت الاشاعرة : الآية تدل على انه تعالى يجوز ان يشاء الشرك والكفر !

والجواب : ان ابراهيم - عليه السلام - استثنى من عدم مخاوفه ، فانه - ع - كان لا يهابهم ولا يهاب آلهتهم ، معتقداً انهم لا يضرونه شيئاً . الا ان يشاء الله فيأذن فى اضراره كما فى آية السحر .



٥٠- « واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم - الانعام : ٨٧ » . انها هداية توفيق وتسديد « انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى - الكهف : ١٣ » .

٥١- « ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده - الانعام : ٨٨ » . ايضاً كذلك .

٥٢- « وخلق كل شيء - الانعام . ١٠١ » . تقدم ان لاعموم في الآية بحيث تشمل افعال العباد ، وانما تعنى اعيان الموجودات ، كلها مخلوقة لله تعالى ، وعلى تقدير شمولها للافعال ايضاً ، فهو خلق تقدير وتدبير ، أو بمعنى اليجاد ، لكن تبعاً لارادة العبد حسبما تقدم تفصيله .

٥٣- « ولو شاء الله ما اشر كوا - الانعام : ١٠٧ » . انها مشيئة تكوين لم يشأها الله لدار التكليف والاختبار . وقد تقدم الكلام فى ذلك .

٥٤- « وكذلك زيننا لكل امة عملهم - الانعام : ١٠٨ » . اى زيننا لهم انفسهم و زين لهم الشيطان اعمالهم . واما الاستناد اليه سبحانه فلما تقدم بيانه من اسناد كل ما يقع فى الوجود الى الله ، حيث اقداره وامداده للقوى الفاعلة فى هذه الحياة . واخيراً فان هذا التعبير حكاية عن الاستدراج الذى هو عقوبة عاجلة للكافر المعاند المتمادى فى الغى والضلال .

٥٥- « وقلب أفئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون - الانعام : ١١٠ » . خذ لان للكافر المعاند على اثر لجاجه مع الحق .

٥٦- « ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله - الانعام : ١١١ » . تبييس للنبي

صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واخبار عن ذلك الجفاء الذى انطوت عليه قلوبهم القاسية عن ذكر الله .  
واما المشيئة فيها فنكوبينية المتنافية مع التكليف الاختيارى الذى هو تمهيد  
للاختبار .

٥٧- « وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً - الانعام : ١١٢ » . تسلية للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
واخبار عن ابتلاء الانبياء السلف - ايضاً - باعداء ألداء ، فصبروا وثبتوا على دعوة  
الحق . ووجه الاستناد اليه تعالى ماتقدم (ص ٢١٠) وسيجيبه نظير الآية برقم : ١٧٨ .  
٥٨- « ولو شاؤ ربك ما فعلوه - الانعام : ١١٣ » . اى بالالغاء المتنافى مع  
الاختيار فى التكليف .

٥٩- « وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها - الانعام :  
١٢٣ » . اللام فى الآية للعاقبة ، كما فى قوله تعالى : « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم  
عدواً وحزناً - القصص : ٨ » . ومعنى الآية : ان الاوضاع القائمة فى المجتمعات  
البشرية غير المهذبة ، جعلت من الناس طبقة اكابر هم يستغلون موارد طبقة  
الاصاغر ظلماً واجراماً ، ويحتالون فى الاستحواذ على مشاعر الناس وابقاء هم فى  
الجهل والضلال ، غير ان الظلم لا يدوم وسيدور عليهم الحق من حيث لا يشعرون  
« سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون -  
١٢٤ » .

والا فلو كانت اللام للغاية لتنافت الآية مع آية الذاريات : ٥٦ . وتلك محكمة ،  
ومن ثم يجب تأويل هذه على حسابها .

٦٠- « فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام . ومن يرد ان يضله يجعل  
صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء - الانعام : ١٢٥ » .  
الهداية والاضلال فى الآية : توفيق وخذلان ، ومن ثم جاء التعقيب بقوله :

« كذلك نجعل الرجس على الذين لا يؤمنون » .

« ويزيد الله الذين اهتدوا هدى - مريم : ٧٦ » . فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم

- الصف : ٥ » .

٦١- « ولو شاء الله مفعلوه - الانعام : ١٣٧ » . اى بالالغاء المتنا فى مع

الاختيار فى التكليف .

٦٢- وهكذا قوله تعالى : «فلو شاء لهداكم اجمعين - ١٤٩ » .

٦٣- « قال فيما اغويتنى لا فعدن لهم صراطك المستقيم - الاعراف : ١٦ » .

قال الاشعري - مدافعاً عن أخيه - : انه تعالى هو اغوى ابليس وواقعه فى المعاصى ، دليلاً على ان الكفر والعصيان من فعله تعالى وارادته . وقد تقدم نقل ذلك عنه (ص ٦٢ و ٧٠) .

والجواب : ان الغى جاء بمعان : الخيبة . الحرمان . حلول المضار . الهلاك . الضلال . الجهل عن فساد عقيدة . وقد استعمل فى القرآن بكل هذه المعانى ، وفى كل موضع اريد معنى غير ما اريد من المواضع الأخر . وليس هنا مجال تفصيل .

ومما جاء بمعنى الخيبة والحرمان ، شاهداً لهذا الموضع ، قول المرقش

الأصغر فى قصيدة مطلعها :

الا يا أسلمى لا صرم لى اليوم فاطماً  
ولا أبداً مادام وصلك دائماً  
الى ان يقول :

فمن يلقى خيراً يحمد الناس أمره  
ومن يغو لا يعدم على الغى لائماً  
اى من يخيب فى عيشه ايضاً يجد من يلومه .

وهكذا فى الآية الكريمة يكون المعنى : رب بما خيبتنى وحرمتنى من



فيض قدسك وطرردتني من بابك ، بسبب التكليف الذي كلفتنى به بشأن آدم وحسبته شاقاً على نفسى فعصيتك وخالفتك ، فكان ذلك سبباً لهذا الحرمان واللعنة الأبدية ، سأقوم بمقابلة المثل بشأن آدم وذريته ، وادبر لهم المكائدكى احرهمهم من رحمتك وابعدهم عن بابك .

٦٤- « فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة - الاعراف : ٣٠ » الهداية هنا هو التوفيق والمزيد من التسديد يختص به اولئك الذين جاهدوا فى الله سعياً وراء لقاءه الكريم . واما الفريق الآخر فهم الذين استحقوا الخذلان واستوجبوا لانفسهم الخيبة والحرمان .

٦٥- « ونز عنا ما فى صدورهم من غل - الاعراف : ٤٣ » . عناية ربانية يمنحها البارئ تعالى بشأن المؤمنين حقاً، والذين اهدوا زادهم هدى .

٦٦- « الاله الخلق والأمر - الاعراف : ٥٤ » . المراد من الامر هنا: شؤون التدبير والتقدير . بدليل تمام الآية : « ان ربكم الله الذى خلق السماوات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش ، يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، الاله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين - سورة الاعراف : ٥٤ » فبعد ان ذكر خلق العالم ذكر تدبير شؤونه المختلفة ، فقال : الاله الخلق والامر . ومن ثم ناسب التعقيب بذلك المدح اللائق « تبارك الله رب العالمين » .

٦٧- « قال الملا الذين استكبروا من قومه : لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا ، أولتعودن فى ملتنا . قال : أو لو كنا كارهين . قدا فترينا على الله كذباً ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها . وما يكون لنا ان نعود فيها ، الا ان يشاء الله ربنا ، وسع ربنا كل شئء علماً . على الله توكلنا - الاعراف :

فى هذه الآية مواضع من الكلام :-

الاول : « بعد اذ نجانا الله منها » . ماهذه التنجية ؟

الثانى : « وما يكون لنا ان نعود فيها » . دليل على سلب قدرة العباد على الكفر

والايمان ، وانما هم ملجأون على الدخول فى الكفر أو الايمان !

الثالث : « الا ان يشاء الله ربنا » . ما هذا الاستثناء ؟

والحل : انه تعالى نجاهم من الضلال بهدى التشريع لولا ثم بهدى التوفيق

والتسديد ، بعد ان أبدوا استعدادهم لمزيد عنايته تعالى . « الحمد لله الذى هدانا لهذا

وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله - الاعراف : ٤٣ » .

واما الذى كان منعهم من العود الى الضلال ، فكان هو الوازع النفسى وشهادة

وجدانهم الصريح ، اذ من وضع لديه الحق و شاهده بعيان ، لا يمكنه مخالفة

ضميره اذا كان متحرراً عن و شائج الانحراف وحب التقليد الاعمى . اذ كيف

يمكن لانسان حر العقيدة والاختيار ، وقد لمس الحقيقة ووجد الطريق الى سعادة

الحياة ، ان يتركها منعطفا الى مهاوى الضلال ؟ ! « ومن يهدى الله فما له من

مضل - الزمر : ٣٧ » . ومن ثم قالوا : « لقد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى

ملتكم !

نعم ، الا ان يشاء الله العود ظاهرياً ، عن اكراه عليهم أو اتقاء شرور الاعداء . قال

تعالى : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين . ومن يفعل ذلك

فليس من الله فى شىء الا ان تنقوا منهم تقاة - آل عمران : ٢٨ » . ومن ثم أحالوا

حكم ذلك الى سعة علمه تعالى بمصالح الامور ودقيق حكمته فى التكليف . « الا ان

يشاء الله ربنا ، وسع ربنا كل شىء علماً » .

لكنهم فى واقع ضميرهم كانوا يتوقعون النصره من الله والنجاة الكاملة من

برائث اهل الزيغ والضلال « على الله توكلنا ، ربنا افتتح بيننا وبين قومنا بالحق

وانت خير الفاتحين» . وكان الله قد وعد المؤمنين حقاً بالفتح والظفر فى نهاية المطاف « كتب الله لاغلبن انا ورسلى ان الله قوى عزيز - المجادلة : ٢١ . فكان منبعث قوتهم فى المقاومة تجاه اهل الشرك والاحاد .

وهنا نكتة أدق : إن من أدب العبد العارف بموقف مولاه الجليل ، ان لا يقطع فى أمر الا اذا علقه على ارادة مولاه ، حتى ولو كان واقفا على جلى الأمر . وهكذا الانبياء لم يبرموا فى كلام قاطع الا وقد أحالوه على مشيئة الله جل شأنه . « ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله - الكهف : ٢٤ .

٦٨- « ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة - الاعراف : ٩٥ . قالت الاشاعرة : انها دليل على انه تعالى هو الفاعل للحسنات والسيئات ، والا لم يصح التبديل منه . والجواب : أن السيئة والحسنة - هنا - هو الجذب والرخاء ، بدليل الآية قبلها : « وما ارسلنا فى قرية من رسول الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون - ٩٤ . والآية بعدها : « ولوان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحننا عليهم بركات من السماء والارض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون - ٩٦ .

٦٩- « تلك القرى نقص عليك من أنباءها ، ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات ، فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا من قبل ، كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين - الاعراف : ١٠٠ . قالوا : هذه الآية دليل على انه تعالى هو المانع من الايمان .

ولكن الاية قبلها تفند هذه المزعومة : « أو لم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون - ٩٩ . حيث كان هذا الطبع اثرأ طبيعيا لتلكم الذنوب التى اقترفوها ، وقد احاطت بهم خطيئتهم حجازاً مانعاً عن ادراك الحق فهم لا يسمعون .

وقد تقدم ان الطبع : قسوة فى القلب تحصل على أثر الاصرار على الذنب ، ومن ثم حرمان عن ألطافه تعالى الخاصة ، وخيبة عن فيوضه القدسية ، وخذلان فى



٧٠- « سأ صرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق - الاعراف : ١٤٦ » . انه صرف خذلان على أثر معاندة الحق والاصرار على اللجاج . بدليل ما بعدها : « وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وان يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا ، وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين » .

٧١- « ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى بها من تشاء - الاعراف : ١٥٥ » . الفتنة - هنا - امتحان واختبار . وبذلك يتضح مصير المهتدى عن الضلال ، فالذين اهتدوا زادهم الله من فضله . والذين غوا خذلهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون . هذا هو معنى الآية الكريمة الظاهر ، فلا موضع فيها لتثبيت القوم .

٧٢- « من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون - الاعراف : ١٧٨ » . هذه هى الهداية بمعنى التوفيق والتسديد . كما ان الاضلال هنا الخيبة والخذلان ، بعد اتمام الحجة عليهم بالتبليغ والى الدعاء . وقد تقدم ذلك غير مرة .

٧٣- « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس - الاعراف : ١٧٩ » تقدم ان اللام هنا للعاقبة ، مثلها فى قوله تعالى : « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً - القصص : ٨ » .

٧٤- « والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملى لهم ان كيدى متين - الاعراف : ١٨٣ » .

سنبحث عن معنى الاستدراج الذى هو خذلان للكافر المعاند ، على اثر لجاجه مع الحق و صموده على الغى والضلال .

٧٥- « من يضل الله فلا هادى له و يذرهم فى طغيانهم يعمهون - الاعراف : ١٨٦ » . لان الذى خذله الله فلم يوفقه فى سبيل الهدى - على اثر جموحه عن قبول الحق الصراح - لا يجد من يهديه الى السبيل أبداً . فما ذا بعد الحق الا الضلال - يونس : ٣٢ » .

« وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده - آل عمران : ١٦٠ » . « فان الله لا يهدى من يضل ( اى من استحق الضلال بسوء اختياره ) ومالهم من ناصرين - النحل : ٣٧ » .

٧٦- « قل لا املك لنفسى نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله - الاعراف : ١٨٨ » . احتضنت الاشاعرة هذه الآية دليلاً على عدم قدرة العباد على خير او شر ، لا يستطيعون شيئاً ، وهم المغلوبون على أمرهم تحت ارادة الله الغالبة !  
والجواب : ان النفع والضرر فى الآية عبارة عن الصحة والسقم والسلامة عن الحدوث والآفات ، فلا يملك اى انسان مصيره الحتم فى ثنايا ركب الحياة ، اما الى سلامة أو ابتلاء . « وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم - الاحقاف : ٩ » .

كانت العرب تزعم من لوازم النبوة هو العلم الذاتى بالغيب<sup>١</sup> . ومن ثم سألوا النبى ﷺ عن الساعة أيا ن مرساها ؟ فجاءهم الردع عن هكذا اقتراح جاهلى : « قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ، ثقلت فى السماوات والارض ، لا تأتيكم الا بغتة . يسألونك كانك حفى عنها ( اى خبير بها ) . قل انما علمها عند الله

---

١- الانبياء العظام والائمة الكرام - صلوات الله عليهم اجمعين - انما يعلمون الغيب بالافاضة من واهب الغيب « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً الا من ارتضى من رسول - الجن : ٢٦ » .

ولكن اكثر الناس لا يعلمون ( هذا الاختصاص ) . قل لا املك لنفسى نفعاً ( فى آجلها ) ولا ضرراً ، الا ما شاء الله ( من صلاح كل انسان ) . ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء . ان انا الانذير وبشير لقوم يؤمنون - الاعراف : ١٨٨ » .

٧٧- « وما النصر الا من عند الله - الانفال : ١٠ » اى النصر بالمبدء الحق وغلبة الحججة الظاهرة ، لا يكون الا بتوفيقه تعالى وتسديده الخطى نحو الصواب .  
والاية نزلت بشأن وقعة أحد اولى غزوة فى الاسلام ، حيث خشى المسلمون ضعف جانبهم تجاه قوة المشركين ، فاستجاب الله لهم بالامداد بالف من الملائكة مردفين . فكانت الغلبة مع المسلمين . وربما ظن بعضهم ان الملائكة باشرت القتال ، فى حين انها نزلت لتبعث فى نفوس المسلمين القوة والاطمئنان ليقع النصر والظفر على يدهم هم . اما الملائكة فلم تكن سوى منبعث الثبات والاطمئنان النفسى للمسلمين . « اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سالتى فى قلوب الذين كفروا الرعب - ١٢ » .

اذن لم يكن الغرض من نزول الملائكة سوى بعث روح الايمان فى نفوس المسلمين وخلق البشرى فى قلوبهم « وما جعله الله الا بشرى ولنطمئن به قلوبكم » اما واقع النصر فكان من عند الله بتقوية ايمانهم والقاء الروح فى نفوس المشركين « وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم » .

والخلاصة : ان الذين باشروا القتال هم المسلمون ، وكاد الاحساس بالضعف يكسر من جانبهم ، لولا ان الله أيدهم بالوعد بالنصر ، وتقوية جانبهم بما ازدادوا ثباتاً وايماناً وثقة بالله ، الامر الذى ضمن لهم النصر والظفر ، تجاه المشركين ذوى النفوس المضطربة غير المعتمدة الى ركن وثيق . « وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام - ١١ » .

وعليه فحقيقة النصر من الله هو توفيقه وتسديده بخلق الثقة والاطمئنان وبعث



قوة الايمان ، ليقع النصر على يد المسلمين انفسهم .

٧٨- وهكذا جاء قوله : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم . وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى - الانفال : ١٧ » .

حيث المسلمون بأنفسهم - لولا تأييده تعالى وتوفيقه بخلق الثقة في النفوس وتقوية الايمان - لم يستطيعوا المقاومة تجاه شوكة المشركين . فانما وقع النصر والظفر للمسلمين بحوله تعالى وقوته ، اولابشرى بنزول النصر . ثانياً بالربط على القلوب وتثبيت الاقدام . ثالثاً باللقاء الرعب في قلوب الكفار .  
وجاز اضافة الطاعة من العبد الى الله ، اذا وقعت بتيسره وألطفه ورعايته الخاصة .

وقد روى ان النبي ﷺ ناول كفاً من الحصى ذلك اليوم فحشى بها وجوه القوم وقال : « شامت الوجوه ، شامت الوجوه » . فما بقي أحد من المشركين هناك الا امتلات عينه من تلك الحصباء ، الامر الذى أوهى قلوبهم ووهن من عزائمهم ، فكان النصر حقاً للمسلمين باذن الله العزيز الحكيم .

فلم يكن ذات الرمي الذى رماه رسول الله ﷺ مما يوجب هزيمة المشركين ، لو لا تأييده تعالى بألطفه الخاصة . فقد صح اسناد الرمي المؤثر الى الله عز شأنه ، لانه تعالى هو الذى جعل فيه ذلك الأثر الباهر العظيم .

٧٩- « ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ، ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون - الانفال : ٢٣ » . تعلق الأشاعرة بهذه الآية دليلاً على انه تعالى هو منع الكفار من الايمان !

والجواب : ان الآية تبدأ بقوله تعالى : « ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون . ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ... الخ .

هذا تشبيه لحالة المشركين التعنتية المتمردة ، المتوغلة فى الغى والضلال ،

فلا ينفعهم نصح الناصحين . ان خطيئاتهم قد احاطت بهم ، فلا تدع مجالاً لتسرب وعظ أو ارشاد في قلوبهم القاسية .

ان حالتهم السلبية اسوأ من حالة الدواب . انهم جعلوا من انفسهم الصم البكم فهم لا يعقلون شيئاً أبداً . انهم منذ بدء أمرهم اخذوا في اتجاه معاكس لمنهج الهدى والصلاح ، فحسروا عنايته تعالى وألغوا الطافة الخاصة بالمؤمنين المسترشدين . وخلاصة معنى الآية : ان هؤلاء الكفار الملحدين قد افسدوا استعداداتهم الفطرية للتلقى والاستجابة فلم يفتح الله عليهم ما غلقوا هم من قلوبهم ، وما افسدوا هم من فطرتهم . ولو جعلهم الله بحيث يسمعون دعوة الحق ويعون حقيقة ما يدعون اليه ، ما فتحو قلوبهم له ولا استجابوا لما فهموا من حقيقته .

ولو علم الله فيهم خيراً ( اى منفذاً للحق الذى يدعون اليه ) لأسمعهم ( اى للطف بهم بعنايته الخاصة ) . ولو أسمعهم ( اى ولو جعلهم بحيث يفهمون حقيقة الدعوة ، والحالة هذه ، لا رغبة لهم فى الهدى ، وتشمئز نفوسهم من ذكر الله ، بسبب افساد استعداداتهم الفطرية ) لتولوا وهم معرضون .

\* \* \*

٨٠- « يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه ، وانه اليه تحشرون - الأنفال : ٢٤ » .  
هذه الآية الكريمة وقعت موضع نقاش حاد بين اهل الجبر ( الاشاعرة ) وفريق الاعتزال . وهى من جلائل الآيات القرآنية وأدقها تعبيراً عن موقف الدعوة الاسلامية الضافية ، تجاه الحياة البشرية المليئة بالأكدار .

هذه الآية تجعل من شريعة الله نبضة الحياة العليا السعيدة ، التى هى منشودة الانسان الكريمة ، فى صميم واقعها الأصيل . وانها لهى الحياة الحقيقية اذا ما تقبلتها النفوس واستسلمت لقيادتها الحكمية . امام عاكسة هذا الاتجاه فيهددها خطر الانعطاف الى تيه الجهل والضلال ، وسقوط فاضح عن مقام الانسانية الرفيعة .

غير ان الاشاعرة بالذات اعشى أعينهم بريق هذا المعنى اللامع . فحاولوا تحريفه الى مايلتئم ومذهبهم فى الجبر . الامر الذى جعل من الآية غريبة المفادعما اكتنفها من صدر وذيل .

قال الفخر الرازى : يختلف تفسير الآية بحسب اختلاف الناس فى الجبر والقدر . اما القائلون بالجبر ، فقال الواحدى - حكاية عن ابن عباس والضحاك - يحول بين المرء الكافر وطاعته ، ويحول بين المرء المطيع ومعصيته . فالسعيد من اسعده الله ، والشقى من اضله . والقلوب بيدالله يقلبها كيف يشاء . فاذا اراد الكافر ان يؤمن ، والله تعالى لا يريد ايمانه ، يحول بينه وبين قلبه . واذا اراد المؤمن ان يكفر ، والله لا يريد كفره ، حال بينه وبين قلبه .

قال الفخر - تعقيباً على ذلك - : وقد دللنا بالبراهين العقلية على صحة ان الأمر كذلك . وذلك لأن الأحوال القلبية اما العقائد واما الارادات والدواعى - ثم أخذ فى الاستدلال على انها جميعاً خارجة عن اختيار العبد - وقال أخيراً : فتعين ان يكون فاعل الاعتقادات والارادات والدواعى هو الله تعالى . قال : فنص القرآن دل على ان احوال القلوب من الله ، والدلائل العقلية دلت على ذلك ، فثبت ان الحق ما ذكرناه <sup>١</sup> وبهذه السفسطة المفسوحة حاول اثبات مذهب الجبر الأشعري .

ونحن سنبحث عن مسألة «السعادة والشقاء» فى فصل قادم . وعمدة مااستند اليه الفخر استدلالاته فى هذا المجال ، هو نظرية : «لاختيارية الارادة» . حسبما تقدم <sup>٢</sup> منهم : أن الارادة وان كانت هى الملاك لاختيارية الافعال الصادرة عن اختيار العباد ، غير ان الارادة بذاتها ليست باختيارية ، والالزم سبق ارادة اخرى فتتسلسل . وقد اجبنا عن ذلك بان اختيارية الارادة كملوحة الملح ذاتية ، واما غيرها فلا بد ان تنتهى اليها ، فراجع .

١- التفسير الكبير ج ١٥ ص ١٤٧ - ١٤٨

٢- فى صفحة : ١٨١ - ١٨٢



هذا جل محاولة الاشاعرة ، وفي مقدمتهم متفلسفوهم ولاسيما امام المشككين  
في التحريف بهذه الآية الكريمة . اما غيرهم ممن تخلوا عن تساويل الاشعري  
بالذات ، او كانوا في اتجاه معاكس معهم في الرأى والاختيار ، فلهم في تفسير الآية  
انظار دقيقة ، وربما آراء ثمينة ، نذكر منها الأهم .

\* \* \*

١- ان من سنة الله الحيلولة بين المرء وقلبه ، الذى هو مركز الوجدان والادراك ،  
ذى السلطان على ارادته وعمله . وهذا أخوف ما يخاف منه المتقى على نفسه ، اذا  
غفل عنها وفرط في جنب ربه . كما أنه أرجى ما يرجوه المسرف عليها اذا لم يأس  
من روح الله فيها .

فهذه الجملة اعجب جمل القرآن . ولعلها ابلغها تعبيراً ، واجمعها لحقائق  
علم النفس البشرية ، وعلم الصفات الربانية ، وعلم التربية الدينية ، التى تعرف  
دقائقها بما تثمره من الخوف والرجاء .

فبينما زيد يسير على سبيل الهدى ، ويتقى طرق الضلالة الموصلة الى مهاوى  
الردى ، اذا بقلبه قد تقلب بعصوف هوى جديد ، يميل به عن الصراط المستقيم ،  
من شبهة تزعزع الاعتقاد ، او شهوة يغلب بها الغى على الرشاد ، فيطيع هواه ويتخذ  
إلهه من دون الله «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً؟» . على انه  
فيه مختار ، فلا جبر ولا اضطرار .

ويقابل هذا من الحيلولة ما حكى بعضهم عن نفسه ، انه كان منهمكاً فى شهواته  
ولهوه ، تاركاً لهداه وطاعة ربه . فنزل يوماً فى زورق مع خلان له فى نهر دجلة  
للتنزه ، ومعهم النبيذ والمعازف فيبناهم يعزفون ويشربون ، اذ التقوا بزورق آخر  
فيه تال للقرآن يرتل سورة « اذا الشمس كورت » فوعت تلاوته من نفسه موقع  
التأثير والعظة : فاستمع له وانصت ، حتى اذا بلغ قوله : « واذا الصحف نشرت »  
امتلا قلبه خشية من الله ، وتدبراً لاطلاعه على صحيفة عمله يوم يلقاه ، فأخذ العود

من العازف فكسره وألقاه في دجلة ، وثنى ببند قناني النبيذ وكؤوسه فيها ، وصار  
يتردد الآية . وعاد الى منزله تائباً من كل معصية ، مجتهداً في طاعة ربه .

فتذكر الله تعالى ايانا بهذا الشأن من شؤون الانسان ، وهذه السنة القلبية من  
سنن الله تعالى في الارادات والاعمال ، وامره ايانا بأن نعلمها علم ايقان واذعان ،  
يفيدنا فائدتين لا يكمل بدونهما الايمان ، احدهما : ان لا يأمن الطائع من مكر الله  
فيغتر بطاعته ويعجب بنفسه . والثانية : ان لا ييأس العاصي من روح الله ، فيسترسل  
في اتباع هواه ، حتى تحيط به خطاياها . فمن لم يأمن عقاب الله ، ولم ييأس من رحمة الله ،  
يكون جديراً بأن يراقب قلبه ، ويحاسب نفسه على خواطره مجتنباً الافراط والتفريط ،  
بين خوف يحجزه عن المعاصي ، ورجاء يحمله على الطاعات .

ويتلخص هذا المعنى في ان في القلب نقطة تحولات مفاجئة ، قد تشرق على  
تائه الطريق بغتة ، فتعطف به الى المحجة البيضاء بعد مرارة وشقاء . كما انها  
قد تنطفئ عن سالك الطريق فتنجرف به الى مزالق ردى وهلاك بعد سعادة وهناء .  
فلا ينبغي لسالك سبيل - مهما كانت من طاعة او عصيان - ان يغفل من نفسه تلكم  
الحالات المفاجئة في حياته المغيرة للمسیر أحياناً . فلا يغتر مؤمن بايمانه ليأخذه  
العجب بنفسه فيزله عن الصراط بغتة . وان في قصة ذلك التحول النفسى الذى  
فاجأ بلعم باعورا ، لدرساً وعظة . وهكذا لا ييأس العاصي بتوافر خطيآته مهما كانت  
عظيمة ، ليأخذه القنوط من روح الله والشعور بالحرمان الأبدى ، ليسترسل فى  
طغيانه . بل العبد - سواء أكان مطيعاً ام عاصياً - فسانه دائماً بين خوف ورجاء ،  
لا يأس ولا اغترار .

ولعل هذا هو المراد فى الحديث المأثور : « ان قلوب بنى آدم بين اصبعين من  
أصابع الرحمن يصر فيها كيف شاء » . وفى لفظ آخر : « اذا شاء ازاغها واذا شاء  
أقامها » وقد روى ان النبى ﷺ كان يدعو : « يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك »

١- الشيخ محمد عبده - فى تفسير المنار ج ٩ ص ٦٣٤-٦٣٥

وفى سورة آل عمران ٨- : «ربنا لاتزع قلوبنا بعد اذهديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب» . وقال يعقوب منبهاً لبيته : «ولايأسوا من روح الله انه لايبأس من روح الله الا القوم الكافرون - سورة يوسف : ٨٧» وفى الحديث المستفيض « ان لربكم فى أيام دهر كم نفحات ، ألا فتعرضوا لها » . والآثار من هذا القبيل كثيرة جداً .

وهذا معنى لطيف ودقيق للغاية . غير ان تفسير الآية الكريمة بذلك ربما لايلتئم وكونها تهديداً بموقف المشركين ممن امتنعوا عن قبول الدعوة وعن اجابة الرسول .

\* \* \*

٢- ان الاية كناية عن سلطانه تعالى فى عالم الوجود ، وانه المتصرف فيه كيف يشاء «لاراد لقضائه» . «والارض جميعاً قبضته - الزمر : ٦٧» . فهو تعالى املك من كل انسان لقلبه ، الذى هو منبعث ارادته وقصوده فى كل مايعمل او يختار . فلايغتر أحد بزعم استقلاله فى متصرفاته بزاولها حسبما يريد . بل دون تحقق الأهداف والبلوغ الى مآرب الحياة ، ارادة رب العالمين القاهرة ، لايقع شىء ولايتحقق أمر الا باذنه تعالى «وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله - البقرة : ١٠٢» . حسبما تقدم فى مسألة «الامر بين الامرين»<sup>١</sup> .

فان كانت العصاة قد رفضوا الاستسلام لشريعة السماء رغبة فى مباحج هذه الحياة وزخارفها الخلابه ، وكانوا يرون من قبول الحق خسارة لذائد سفلى ومصالح وقتية زائلة ، فان العيش لا يأمن معه الهناء ، تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن . فلاينبغى لاي انسان ان يأمن صروف الزمان وتقلبات الاحوال ، وهى ترى على هذه الحياة المتنغصه بالآهوال والاكدار . الامر الذى جعل من نفوس غير مؤمنة وغير

١- صفحة : ١٧٣ فما بعد .



معتمدة الى ركن وثيق في توتر نفسى وقلق دائم . « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم  
الابذكر الله تطمئن القلوب - الرعد : ٢٨ » .

وهذا المعنى يمثله قول الامام امير المؤمنين عليه السلام : «عرفت الله بفسخ العزائم  
وحل العقود ، ونقض الهمم» .

ورجح كثير تفسير الآية بهذا المعنى . قال الزمخشري : وقيل : معناه ان الله  
قديمك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ، ويغير نياته ومقاصده ، ويبدل بخوفه أمناً  
وبأمنه خوفاً . وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكراً ، وما اشبه مما هو جائز على الله .

لكن التعبير بالقلب عن مشتبهات النفس تأباه فصاحة القرآن . القلب عضو  
شريف في الهيكل الانساني ، وقد جاء تعبيراً عن منبعث الادراكات الانسانية النبيلة  
«ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد - ق : ٣٧» . ومن  
ثم فان المعرض عن ذكر الله قد ختم على قلبه ، فلا يكاد يفقه شيئاً .  
نعم لو كان تعبير الآية هكذا «ان الله يحول بين المرء ونفسه» لاستقام هذا المعنى  
وصح تفسيرها بذلك من غير ريب .

\* \* \*

٣- ان الله يحول بين المرء والانتفاع بقلبه بسبب الموت . يعنى بادروا الى  
التوبة والانابة قبل فوات الفرصة ، فان الأجل يحول دون الأمل . والحياة فرصة ثمينة  
يتمكن العبد فيها من اخلاص قلبه ومعالجة ادوائه وعمله ، وردده سليماً كما يريد الله .  
فينبغي اغتنامها واخلاص القلوب لطاعة الله ورسوله .

٤- كناية عن شدة قربه تعالى من واقع الانسان ، فلا تخفى عليه نزعات مافى  
القلوب . يعلم سر كم وجهه كم وهو عليم بذات الصدور . فلا يخفى عليه اضممار  
كفر او نفاق وان كان فى الظاهر قد آمن بلسانه . «ونحن اقرب اليه من حبل الوريد

٢- شرح النهج لابن ابي الحديد ج ١٩ ص ٨٤ .

٥- والذي نرجحه ونرتأيه هو معنى خامس يلتئم مع ظاهر الآية تماماً : انها كناية عن اماتة القلب فلا يعى شيئاً بعد فقدان الحياة .

لاتعجبن الجهول حلتة فذاك ميت وثوبه الكفن<sup>١</sup>  
الاسلام دعوة الى الحياة العليا السعيدة، وفي رفضها رفض للحياة واماتة للقلب الذي هو منبعث الادراكات الانسانية النبيلة . فاذا مات قلب انسان فقد افتقد نابض الحيوية الفعالة، واصبح جماداً لحر الكله في عالم الوجود الانساني ولافعالية، وانما هودابة صماء ، بدلا من ان يمشى على اربع ، يمشى على رجلين في صورة انسان ، قال تعالى : « كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة - المدثر - ٥٠ » بعد قوله : « فمالهم عن التذكرة معرضين - ٤٩ » . وقال : « ونقلب افئدتهم وابصارهم كمالم يؤمنوا به أول مرة - الانعام : ١١٠ » تطابقاً مع آية الانفال تماماً !

والذي ارشدنا الى هذا الاختيار هي دلائل وقرائن من نفس الآية : -

اولا : التعبير بالحياة عن الدعوة ، فيقابلها الموت في رفضها . وما هو الاموت القلب بسلب ادراكاته الانسانية العليا . التي فيها الحياة الحقيقية الكريمة . قال تعالى « انك لاتسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين - النمل : ٨٠ » . فانك لاتسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين - الروم : ٥٢ . « انما يستجيب الذين يسمعون ، والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون - الانعام : ٣٦ » . هذه الأخيرة تتفق في نظمها مع آية الانفال شيئاً ما .

ثانياً : القلب عضو شريف في الهيكل الانساني البديع . ومن ثم يعبر به عن وعن واقع الانسان الكريم تارة ، وعن حيويته النابضة بالفعالية والوجود اخرى . وعن منشأ ادراكاته النبيلة الشاعرة بالمسؤولية ثالثة ، وهكذا .

١- الحلة فاعل للفعل المنهى عنه والجهول مفعول به . ومعنى البيت . لا يغتر الجاهل بجمال

ثيابه فانها لاتعدو كفننا على جسد ميت لاروح فيه ولاحركة ولا ادراك .

ومن ثم فإن المخالف لفطرته قد جعل من قلبه فى غشاء اوفى غلاف : او مريضاً ومنحرفاً عن وضعه الاصيل او مختوماً بطابع حجز دون بلوغ الهدى الى مساره ، وهكذا يجعل القرآن القلب هو المركز الاول لقبول الهداية والتكليف ، ويجعل من رفضها كآله لالقلب له ، قال تعالى : «ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد - ق : ٣٧ . «أفلا يتدبرون القرآن ان على قلوب افعالها - سورة محمد : ٢٤ . «ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم - البقرة : ٢٢٥ . «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة - البقرة : ٧ . «فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً - البقرة : ١٠ . «وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون - التوبة : ٨٧ . الى غيرها من آيات جاء بنفس التعابير وهى كثيرة جداً . ولم نر القلب وقع تعبيراً عن مشتهيات نفسية إطلاقاً .

ثالثاً : انها تهديد لاذع بأولئك الذين يرفضون قبول الدعوة ، فيعاكسون حظهم فى سعادة الحياة لنتحول الى موت ذريع لحيوية فيه ولا احساس ولا شعور . ومن ثم فانها سقوط من ذروة انسانية شامخة الى حضيض حيوانية ضارية تكالب على جيفة الحياة الدنيا الرذيلة ، مما يتناسب تهديداً مع رفض الدعوة فى صدر الآية . وانسجاماً مع الرجوع الى حكمه تعالى يوم لا حكم الا حكمه فى الذليل . وبذلك تلتئم جملات الآية بكاملتها فى تشابك ووثام وثيق . الامر الذى تستدعيه فصاحة كلامه تعالى البديع المعجز .

والخلاصة : ان الآية صدرأ وذيلاً ومضموناً تستدعى تفسير القلب هنا بمنشأ الادراكات النبيلة . لتكون الحيلولة بين المرء وقلبه تعبيراً آخر عن عمهه فى تيه الضلال . وهكذا ختم على قلبه فلا يكاد يفقه «فما لمؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً - النساء : ٧٨ . «وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون - التوبة : ٨٧ . «وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقراً - الانعام : ٢٥ . والاسراء : ٤٦ . «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة - البقرة : ٧ . «ونطبع على قلوبهم فهم يسمعون - الاعراف : ١٠٠ . «



« رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت - سورة محمد : ٢٠ . الى غيرهن من آيات كلها تعابير عن معنى واحد : من يرد الله ان يضلّه يسلب عنه لبه فلا يكاد يفقه قولاً ، ولا كان يدرك صلاحاً عن فساد ، وبذلك خرج عن حريم الانسانية الكريمة ، ليدخل في إطار البهائم البكم الذين لا يعقلون .  
وحصيلة البحث هي المقارنة التالية :-

« حال بينه وبين قلبه » : « ختم على قلبه » : « طبع على قلبه » : « جعل قلبه في غلاف » : « في غطاء » : « في غشاء » : « مرض قلبه » : « زاع قلبه » : « انحرف قلبه » : « صرف الله قلوبهم » الى امثالها من تعابير كلها تنم عن معنى واحد .

\* \* \*

٦- ولسيدنا الطباطبائي - دام ظلّه - هنا محاولة اخرى في تعميم مفاد الآية الكريمة لتشمل غالبية المعاني المتقدمة<sup>١</sup> . فقد فسر الحيلولة بسيطرته تعالى على قلب كل انسان ، كما هو مسيطر على سائر اعضائه وجوارحه ، بل وعلى كل موجود في هذا العالم الفسيح . فهو تعالى يتصرف في ملكه كيف يشاء ، ويدع للانسان تصرفاته حسبما يشاء تعالى . فهو المتوسط الحائل بين الانسان وبين كل جزء من اجزاء وجوده وكل لازم من لوازم شخصيته . بينه وبين قلبه . بينه وبين سمعه . بينه وبين بصره . بينه وبين بدنه . بينه وبين نفسه . يتصرف فيها بالايجاد ، ويتصرف فيها بتمليك الانسان ماشاء منها كيف شاء ، فقد يعطيه ما يشاء وقد يحرمه ما يشاء . وهكذا يفعل تعالى في سائر القوى المودعة في هذا الكون .

فالله تعالى اقرب الى الانسان من كل شيء ، قلبه وسائر ما يحوى عليه من اعضاء وجوارح ، بل وما يرتبط به نوع ارتباط ، لانه تعالى هو الحائل المتوسط بينه وبين سائر الاشياء اطلاقاً ، فهو اقرب اليه منها جميعاً . والى هذا المعنى - ايضاً - اشار

١- وهكذا حاول ابو جعفر الطبري تعميم مفاد الآية . وفسر الحيلولة بانه تعالى املك لقلوب

عباده منهم ... الخ فراجع : جامع البيان ج ٩ ص ١٤٣ س ٢٣ ، وستنقل كلامه في نهاية الفصل

برقم ٧ .

قوله تعالى : «ونحن اقرب اليه من حبل الوريد - ق : ١٦» .

قال : والى هذه الحقيقة يشير قوله : «واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه» فهو تعالى - لكونه مالكا لكل شيء ، ومن جملتها الانسان ، ملكاً حقيقياً ، لامالك حقيقة سواه - كان اقرب اليه حتى من نفسه ومن قوى نفسه التي يملكها الانسان ، لانه تعالى هو الذى ملكه اياها ، فهو الحائل المتوسط بينه وبينها ، اذا شاء ملكه اياها واذا شاء منعه منها . ولذلك عقبها بقوله : «وانه اليه تحشرون» حيث الملك الحق لله وحده لاشريك له انما يتجلى ذلك اليوم ، وعنده يبطل كل ملك ظاهرى وتنقش كل سلطنة صورية ، «لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار - المؤمن : ١٦» «يوم لاتملك نفس لنفس شيئا ، والامر يومئذ لله - الانفطار : ١٩» .

قال : فكأنه تعالى يقول : واعلموا ان الله هو المالك حقيقة لقلوبكم ، وانه اقرب اليكم من كل شيء ، وستحشرون اليه فتبدو لكم حقيقة ملكه وسلطانه الشامل فلا يغنى عنكم منه شيء . وبذلك لا يدع مجالاً لأى اعتذار عن رفض الدعوة ، وعدم الاستجابة لله ولرسوله اذ ادعاهم لما يحييهم . لانه تعالى اقرب اليه من قلبه المعترف فى صميمه بالله وحده لاشريك له . فان كان يشك فى شيء فانه فى واقع فطرته لا يشك فى الله الواحد الذى هورب كل شيء . ولن يضل فى معرفة هذه الحقيقة وتمييز كلمة الحق .

فاذا مادعاه داعى الحق الى قبول كلمة الحق فلاعذر له فى ترك الاستجابة ، مادام قلبه معترفاً بها ، من غير ان يختلط عليه حقيقة الأمر او يرتاب فى صميم الواقع كلا انها اجابة الى داعية الفطرة ، المنطوى عليها الضمير . وان كل ما يختلج قلبه من وساوس وشكوك فالله سبحانه هو المتوسط بينها وبين وجدانه الأصيل ، الامر الذى لايجعل للانسان سبيلا الى الجهل به تعالى او الشك فى توحده .

وعليه فليس لاي انسان - تجاه دعوة الحق - ان يضمرفى قلبه ما يخالف لسانه ، لانه تعالى يعلم ما فى نفسه ، وسيحشره اليه فينبؤه بما انطوت عليه جوانحه «يومهم



بارزون لا يخفى على الله منهم شيء - المؤمن : ١٦ . « ولا يكتُمون الله حديثاً - النساء : ٤٢ » .

قال : وايضاً فان الله تعالى لما كان هو المالك لقلب الانسان ، الحائل بينه وبين قلبه ، كان تعالى هو المتصرف في قلب الانسان بما يشاء . فكل ما يجده الانسان من حالات نفسية : ايمان او شك خوف او رجاء . طمأنينة او اضطراب . مما ينتسب الى اختياره او اضطرابه فان لها انتساباً آخر اليه تعالى لتصرفه بالتوفيق والخذلان وسائر انواع التربية الالهية ، وان كانت تبعاتها متوجهة الى الانسان ذاته « والله يحكم لامعقب لحكمه - الرعد : ٤١ » . « له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير - التغابن : ١ » .

فمن الجهل ان يثق الانسان بما يجده في قلبه من ايمان حق او نية حسنة او همة الى صلاح وتقوى ، بأن يرى استقلاله بملك قلبه وقدرته الخاصة على التصرف كيف يشاء . فان القلب بين اصبعين من اصابع الرحمان يصرفه كيف يشاء . وهو المالك له حقيقة والمحيط به احاطة « ونقلب أفئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة - الانعام : ١١٠ » .

فأجدر بهذا الانسان ان يؤمن بالحق ، ويعزم على الخير ، ويلتزم الرشد ، لكن على مخافة منه تعالى ان يصرف قلبه من سعادة الى شقاء ، او يحوله من استقامة الى انحراف : فلا يأمن مكر الله ، اذ لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون .

قال : وكذلك اذا وجد انسان من نفسه الاشمئزاز والنفرة عن قبول كلمة الحق او رفض الخير والاعمال الصالحة ، فعليه ان يبادر الى استجابة الله ورسوله في الدعوة الى ما يحبى القلوب ، لانه بهذه الحالة آخذ في موت قلبه ، فلا يستسلم لقيادة اليأس والقنوط . انه تعالى قادر على ان يحول حاله الى احسن الحال ، فان رحمة الله واسعة والأمر اليه « انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون - يوسف : ٨٧ » . « ومن يقنط



من رحمة ربه الاضالون - الحجر : ٦٠ .

قال : فالآية الكريمة - كما ترى - من أجمع الآيات القرآنية شمولاً لأصول معارف الهبة حقيقية ، جمعتها مسألة «الحيلولة» . انها تقطع عذر المتكاسل عن معرفة الله جلّت براهينه ، من جذوره . وتقلع غرة النفاق من اصولها . وتنبير على المسلمين الذين هم في طريق الايمان الصادق ، دربهم الى فهم حقيقة الامر بين الامرين ، لا استقلال بالذات ولا الجاء . ومن ثم فهم واقعون بين خوف ورجاء ، فلا اعجاب ولا غرور ولا بأس وقنوط .

قال : وبذلك نستطيع الجمع بين اقوال المفسرين التي هي بحسب ظاهرها متخالفة في تفسير الآية الكريمة . لكنها في حقيقة الامر متوافقة ، اذا ما دققنا النظر في فهم مسألة «الحيلولة» بالذات .<sup>١</sup>

\* \* \*

٧- اختلفت الروايات المأثورة عن أئمة المفسرين السلف في تخريج الآية الكريمة وتأويلها الوجيه ، وهي كثيرة نذكر منها نماذج :  
أ- روى ابو جعفر الطبري باسناده عن ابن عباس : «يحول بين الكافر والايمن وبين المؤمن والكفر» . وهكذا عن الضحاك : «يحول بين الكافر وطاعة الله ، وبين المؤمن ومعصية الله» .

هذا النمط من الروايات تؤيد مذهب الجبر ، على ما أسلفنا من كلام الفخر الرازي .

وحيث لا اكره في الدين ولا الجاء في التكليف ، بصريح الكتاب وضرورة العقل الرشيد ، فان امثال هذه الروايات ساقطة ، ولا سيما وانها غير مستندة الى نص معصوم .

١- السيد محمد حسين الطباطبائي - في تفسير الميزان ج ٩ ص ٤٤ - ٤٨ .

ب- وروى باسناده عن مجاهد: «يحول بين المرء وقلبه حتى يتركه لا يعقل». وهذا النمط يقرب من اختيارنا بالذات حسبما أسلفنا في خامس الوجوه . وهو اقرب المعانى الى ظاهر اللفظ ، وتناسباً مع دلائل . وقرائن موجودة في نفس الآية .

ج- وروى عن السدى : «يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ايماناً ولا كفرةً الاباذنه تعالى» .

د- وروى عن قتادة: «انه قريب من قلبه فيما يضممر ، فلا يخفى عليه سر ولا اظهار ونحن اقرب اليه من جبل الوريد» .

وحاول الطبرى نفسه تعميماً في مفاد الآية بما يجمع بين المعانى كلها . قال : «والاولى بالصواب عندى في ذلك ان يقال : ان ذلك خبر من الله عز وجل ، أنه املك لقلوب عباده منهم ، وانه يحول بينهم وبينها اذا شاء ، حتى لا يقدر ذو قلب ان يدرك به شيئاً ، من ايمان او كفر ، او يعى به شيئاً او يفهم الاباذنه ومشيئته . وذلك ان الحوول بين شىء وشىء انما هو المحجز بينهما ، واذا حجز - جل ثناؤه - بين عبد وقلبه فى شىء ان يدركه او يفهمه ، لم يكن للعبد الى ادراك ما قدمع الله قلبه سبيل . واذا كان ذلك معناه دخل فى ذلك قول من قال يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والايمان . وقول من قال : يحول بينه وبين عقله . وقول من قال : يحول بينه وبين قلبه حتى لا يستطيع ان يؤمن ولا يكفر الاباذنه . لان الله - عز وجل - اذا حال بين عبد وقلبه لم يفهم العبد بقلبه الذى قد حيل بينه وبينه ما منع ادراكه به ، على ما بينت» .

قال : « غير انه ينبغى ان يقال : ان الله عم بقوله : « واعلموا ان الله يحول بى المرء وقلبه » الاخبار عن انه يحول بين العبد وقلبه ، ولم يخص من المعانى التى ذكرنا شيئاً دون شىء . والكلام محتمل كل هذه المعانى . فالخبر على العموم

حتى يعلم بالتخصيص<sup>١</sup> .

\* \* \*

٥ - وروى على بن ابراهيم القمى فى تفسيره عن الامام ابى جعفر الباقر عليه السلام قال : « يحول بين المؤمن و معصيته التى تقوده الى النار . و يحول بين الكافر و بين طاعته ان يستكمل به الايمان . واعلموا ان الاعمال بخواتيمها<sup>٢</sup> . هذا فى المؤمن توفيق و تسديد ، رحمة من الله و لطفاً به . و فى الكافر خذلان و حرمان عقوبة بشأنه .

ويمكن تفسير الحديث بوجه آخر يلتئم مع ظاهر الجملة الأخيرة ، بأن يقال انه تعالى قد يحول بين المؤمن - الذى اعجبته نفسه و غره ايمانه - و بين المعصية التى لم يكن يرتكبها من ذى قبل فيرتكبها فى مؤخرة حياته رغم ارادته ، لشهوة غلبته او هوى نفس قادته الى الارتكاب . فتقوده تلك المعصية شيئاً فشيئاً الى النار . كما ان الكافر غير الآيس من رحمة تعالى قد يحول تعالى بينه و بين طاعة لم يكن يريد لها من ذى قبل ، فيمثلها رغم ارادته ، لظروف ساعدته على هذا التوفيق و بذلك ينجذب شيئاً فشيئاً الى ما يستكمل به ايمانه فى نهاية الأمر . و من ثم قال الامام عليه السلام : واعلموا ان الاعمال بخواتيمها .

و- وروى ابو النضر محمد بن مسعود العياشى فى تفسيره عن الامام ابى عبد الله الصادق عليه السلام قال : « هو ان يشتهي الشئ بسمعه و بصره و لسانه و يده . و اما انه لا يغشى شيئاً منها و ان كان يشتهي . فانه لا يأتيه الا و قلبه منكر لا يقبل الذى يأتى ، يعرف ان الحق ليس فيه » .

لفظ الحديث مشوش و لم أجد من شرحه ، و ان كثر من نقله كالمجلسى فى البحار ، و البحرانى فى البرهان ، و الطباطبائى فى الميزان ، و الفيض فى الصافى ،

١- تفسير الطبرى (جامع البيان) ج ٩ ص ١٤٢-١٤٣ .

٢- تفسير القمى (ط النجف) ج ١ ص ٢٧١ .



وغيرهم .

وظاهره : ان الانسان قد يرغب فى شىء من لذائذ المسموعات ، كالاستماع الى نغمات موسيقائية . او المبصرات كالنظر الى الأجنبية . او الكلاميات كالغيبة والفحش ، او الجارحيات كالضرب واللطم والبطش المحرم . لكنه مع ذلك ومع شدة رغبته فيه لا يقدم على فعله ، بل يتقاعس عنه تقاعس المتخاذل الممنوع .

وانما ذلك حوول لاشعورى بينه وبين مشتهياته النفسية ، كان لطفاً منه تعالى بشأنه ، بدليل ان الذى دعاه الى الاقدام ورغبه فيه كانت نفسه الامارة بالسوء . اما قلبه فقد انكره وثبط من عزمه ، اذ قد عرف ان الحق ليس فيه .  
هذا ما هدانى الله بتوفيقه الى شرح هذا الحديث الشريف .

ز- وروى عن الامام ابى جعفر الباقر عليه السلام قال : « هذا الشىء ، يشتهيهِ الرجل بقلبه وسمعه وبصره ، لانتوق نفسه الى غير ذلك . فقد حيل بينه وبين قلبه الا ذلك الشىء » .

اي الذى يرغب فى شىء خاص ولا رغبة له فى سواه ، فهذا هو الذى قد حيل بينه وبين غير ذلك الشىء ، ومن ثم لا رغبة له فى سواه . وقد فسر القلب فى هذا الحديث بالارادات والرغبات .

ح- وروى عن الامام الصادق عليه السلام - قال : « لا يستيقن القلب ان الحق باطل أبداً . ولا يستيقن ان الباطل حق أبداً » .

اي يحول تعالى بين الانسان وان يخطأ فى ادراك الحق وتمييزه عن الباطل ، فلا يكاد يشبه الحق بالباطل على أحد أبداً . وهذا من لطفه تعالى بعباده ، حيث هداهم النجدين واوضح لهم السبيل الى حق او باطل .

وقد تقدم - فى الجزء الاول من الكتاب (ص ٤٩) - حديث الامام الصادق عليه السلام

قال : « ابى الله ان يعرف باطلاً حقاً . ابى الله ان يجعل الحق فى قلب المؤمن باطلاً

لاشك فيه. وابى الله ان يجعل الباطل فى قلب الكافر المخالف حقاً لاشك فيه. ولو لم يجعل  
هذا هكذا ما عرف حق من باطل». وقال: «ليس من باطل يقوم بازاء الحق الاغلب  
الحق الباطل. وذلك قوله تعالى: بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق  
- الانبياء: ١٨ ».

ط- وروى عنه عليه السلام قال: «يحول بينه وبين ان يعلم ان الباطل حق». وهاتان  
الروايتان تضيفان وجهاً سابعاً الى الوجوه الستة التى تقدمت .

ى- وروى ابن بابويه الصدوق عن الامام الصادق عليه السلام قال: «يحول بينه وبين  
ان يعلم ان الباطل حق». وقال: «ان الله تبارك وتعالى ينقل العبد من الشقاء الى السعادة  
ولا ينقله من السعادة الى الشقاء<sup>٢</sup> » .

وهذا الأخير اشارة الى قوله تعالى: «اللهولى الذين آمنوا ويخرجهم من الظلمات  
الى النور». اما الذى يخرج الكافر من السعادة- التى مهدها الله لجميع عباده بالبلاغ  
والاداء - الى ظلمات الغى والضلال ، فهو الطاغوت « والذين كفروا اولياؤهم  
الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات » .

انه تعالى خير وجميل، ولا يريد الاخيراً وجمالاً. «الله نور السماوات والارض»  
ومن ثم فسرنا اضلاله تعالى بالخذلان والحرمان مما استوجبه العبد على نفسه «مما  
خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا ناراً - نوح: ٢٥» .

تلك نماذج عشرة من احاديث السلف بشأن تفسير الآية الكريمة . والآية تحتمل  
الجميع ، لان القرآن حمال ذو وجوه ، ولكل آية منه سبعة بطون من المعانى يعلمها  
اولوا البصائر فى الدين. ومن ثم لا اختلاف ولا تعارض بعدان كان اللفظ فى تعبيره العام

١- تفسير العياشى - ط العلمية الاسلامية - ج ٢ ص ٥٢ - ٥٣

٢- تفسير البرهان للسيد البحرانى (ط قم) ج ٢ ص ٧١ رقم ٦

يحتمل الجميع . وان كان بالنظر الى موقعية الآية الخاصة لا يحتمل سوى وجه واحد  
حسبما رجحناه .

\* \* \*

٨١- «ولكن ليقضى الله امرأ كان مفعولاً - الانفال: ٤٢» . قالوا : انه يدل على  
ان كل عمل يرتكبه العبد فانما هو بقضائه تعالى وتقديره ، لا ارادة للعبد في ذلك ولا  
اختيار .

والجواب : اناسنبحث عن مسألة «القضاء والقدر» في فصل قادم ان شاء الله .  
وان ليس ذلك سوى علمه تعالى القديم المتعلق بالأشياء قبل وقوعها ، من غير ان يكون  
ذاتاً يثير في تحققها خارجياً .

ثم ان ذيل الآية يتنافى صريحاً مع ما اراده هؤلاء من الجبر على الاعمال ، قال  
تعالى - بعد ذلك - : «للهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع  
عليم - ٤٢» .

اي ليكون ضلال من ضل ، باختياره بعد وضوح الحق لديه . وهكذا هداية  
من اهتدى تكون عن اختياره ، لا جبر ولا اكراه ، لثلا يكون للناس على الله حجة بعد  
الرسال .

وهكذا ماجاء بعد عدة آيات : « ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام  
للعبيد - ٥١» . صريح في الاستطاعة والاختيار .

٨٢- «هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم - الانفال: ٦٢» .  
هذا تأييد وتوفيق وليس بالمبتدأ به .

٨٣- «والله لا يهدى القوم الظالمين - براءة: ١٩» . «والله لا يهدى القوم الفاسقين  
- ٢٤» . «والله لا يهدى القوم الكافرين - ٣٧» . تلك هداية توفيق وتسد يد منحها  
للمؤمنين ممن جاهدوا في لقاء ربهم . ومنعها المردة العتاة ممن حرموا بأنفسهم تلقى



٨٤- «وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا - براءة ٤٠» .  
هذه الآية الكريمة عبارة اخرى عن قولهم : «الحق يعلو ولا يعلى عليه» . قال الامام  
الصادق عليه السلام ليس من باطل يقوم بازاء الحق الاغلب الحق الباطل . ثم تلا : « بل  
نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق - الانبياء : ١٨ » . وهذا من لطفه  
تعالى بعباده ، لئلا يشتهه حق بباطل أبداً . وقد تقدم بعض الكلام في ذلك .

٨٥- «ولو ارادوا الخروج لأعدوا له عدة ، ولكن كره الله انبعاثهم فبطهم  
- براءة : ٤٦ » .

هم المنافقون كذبوا في دعواهم الرغبة في الخروج مع الرسول صلى الله عليه وآله وانما هو  
تقاعس عن الجهاد ومراوغة خبيثة ، ومن ثم كان الأفضل ان لا يخرجوا ، لانهم لو  
خرجوا ما زادوكم الاخبالا واضطراباً في صفوفكم ، فلم يوفقهم الله لهذه المكرمة ،  
جزاء لنفاقهم ، ورحمة بالمؤمنين .

٨٦ - « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا فعلى الله فليتوكل المؤمنون  
- براءة : ٥١ » . اي لن يصيبنا من الشدائد والبلايا والمصائب والآلام ، سوى ما قدره  
الله تعالى لنا في هذه الحياة ، اختباراً وبلاء لانفسنا .

وليس المراد من ذلك هو سيئات اعمال اكتسبناها بأيدينا - كما زعمه الاشعري -  
وذلك بدليل الآية قبلها : « وان تصيبك حسنة تسؤم وان تصيبك سيئة يقولوا قد أخذنا  
أمرنا من قبل » اذ المقصود من الحسنه الظفر والغنيمه ، ومن السيئه : الانكسار والهزيمة .  
وللاية نظائر ، منها قوله تعالى : « ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم  
الا في كتاب من قبل أن نبرأها ، ان ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا

تفرحوا بما آتاكم - الحديد : ٢٣ . وقوله : «مأصاب من مصيبة الابدان الله . ومن يؤمن بالله يهد قلبه - التغابن : ١١» .

٨٧- «فلا تعجبك اموالهم واولادهم ، انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون - براءة : ٥٥» .

هذا هو الاستدراج الذى سنبحث عنه . وهى عقوبة عاجلة ينالها المعاندون مع الحق ، فلا تصيبهم محنة ولا ألم فى هذه الحياة ، تلك المحنة التى كانت ابتلاء للمؤمنين وامتحاناً لمبلغ صبرهم فى جنب الله . وذلك انها لا تنفع هؤلاء الذين مروا على العثر والطغيان ، ولا يثنيهم عن مسير الغى والجهالة شىء .  
والخلاصة : انهم لسوء اختيارهم فى الحياة استوجبوا حرمان رحمة تعالى ولطفه الخاص بالمؤمنين .

٨٨- «فاعتبههم نفاقاً فى قلوبهم الى يوم يلقونه - براءة : ٧٧» .

الضمير يعود الى سوء صنيعهم الذى جاء فى الآيات قبلها . قال تعالى : «ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله ( اى الثروة ) لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به ( فلم تطاوعهم نفوسهم فى الصرف فى سبيل الله واداء الواجب من الحق المفروض عليهم ) وتولوا وهم معرضون ( عن تذكير الله اياهم ) ٧٥-٧٦» .  
فاورثهم ذلك نفاقاً فى قلوبهم باظهار الاسلام وابطان الكفر بحدوده وتكاليفه .  
ومن ثم جاء التعقيب بقوله : «بما اخلفوا الله ما وعده و بما كانوا يكذبون - ٧٧» .

٨٩- «وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون - براءة : - ٨٧» كناية عن حالة الجفاء

التي كانت قد عرضت نفوسهم على اثر الاعراض عن ذكر الله ، والصمود على الغى والنفاق . وهو نظير قوله تعالى : «كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - المطففين : ١٤» .  
الرين : الصدأ . كأنه صدأت قلوبهم وزال صقلها وصفائها على اثر الخطيئات التي ارتكبوها .

٩٠- وهكذا قوله تعالى : « وطبع على قلوبهم فهم لا يعلمون - براءة : ٩٣ » .

٩١- « ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون - براءة : ١٢٧ » . هذا هو الخذلان ، عقوبة عاجلة لمن اعرض عن ذكر الله وعاكس فطرته في اتجاه المسير « فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم - الصف : ٥٠ » . « وجزاء سيئة سيئة مثلها - الشورى : ٤٠ » .

ووجه آخر : ان هذه الجملة دعاء على المنافقين ازاء اعراضهم عن القرآن . نظير قوله تعالى : « قاتلهم الله انى يؤفكون - براءة : ٣٠ » وغيرها وهى كثير فى القرآن .

٩٢- « يفصل الآيات لقوم يعلمون - يونس : ٥٠ » . « لآيات لقوم يتقون - ٦ » و امثال ذلك ، قد تقدم الكلام فيها عند قوله : « هدى للمتقين - البقرة : ٢ » . حيث المقصود : انهم هم الذين ينتفعون بها اعظم نفع .

٩٣- « فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون - يونس : ١١ » خذلان وعقوبة عاجلة ازاء صمودهم على النكران والعناد مع الحق الصراح .

٩٤- « كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون - يونس : ١٢ » . زينه لهم الشيطان « وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون - الانعام : ٤٣ » . بل سولت لهم انفسهم من بعد ماتبين لهم الهدى فسول لهم الشيطان واملى لهم ' ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا وما بانفسهم - الرعد : ١١ » .

٩٥- « ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون - يونس :

---

١- مقتبس من قوله تعالى : « ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى ، الشيطان سول لهم واملى لهم - سورة محمد : ٢٥ » .



١٩. « اى لولائه تعالى علم ان الصلاح فى التكليف هو الامهال و افساح المجال تجاه اختيار المكلفين ، لحكمة الاختبار والابتلاء ، لقضى عليهم بانزال العقوبة العاجلة.

٩٦- «هو الذى يسير كم فى البر والبحر - يونس : ٢٢» . اى جعلكم بحيث تستطيعون السير فى البر والبحر، حسبما تقدم التحقيق فى اسناد الحوادث والمولدات اليه تعالى .<sup>١</sup>

٩٧- «والله يدعوا الى دار السلام . ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم - يونس : ٢٥» . اى يزيد فى هداية من اهتدى توفيقا وتسديداً الى الحق والصواب.

٩٨- «كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون - يونس : ٣٣» . هذا اخبار عن واقعية مرة ، اى ولقد صرح هذا الاخبار عن حالة الفاسقين التعنتية ، والمقاومة العنيفة تجاه قبول الحق الصريح . وليس فى الآية أنه تعالى ألجأهم على الكفر والفسوق . اذ يلتزم الاجاء مع توبيخهم على الجموح الذى جاء فى الآية قبلها : « فذلکم الله ربکم الحق ، فماذا بعد الحق الا الضلال ، فأنى تؤفكون - يونس : ٣٢ » . فهو اخبار عن علم لا القضاء عليهم بالكفر . وستجىء نظيرتها برقم : ١٠٢ .

٩٩- «ومنهم من يستمعون اليك ، أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون . ومنهم من ينظر اليك ، أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون - يونس : ٤٢ - ٤٣» .

اى انهم وان كانوا يصغون اليك بآذانهم ، الا انهم لا يعون شيئاً من كلام الحق ، كما انهم وان كانوا ينظرون اليك بعيونهم ، الا انهم لا يبصرون شيئاً من آياته تعالى . اذ لا عبرة بالآذان والعيون اذ لم يكن ادراك بالقلب ، الامر

---

١- راجع صفحة : ١٧٧ فما بعد . وصفحة : ١٨٢

الذى لا يملكه هؤلاء المنافقون . حيث الخطايا والآثام حالت بينهم وبين قلوبهم ،  
فهم لا يفقهون .

١٠٠ - « ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين - يونس : ٨٥ » . اى سدد خطانا  
ووقفنا على مواكبة الحق فى طول المسير ، كى لانحرف ولانزلق الى مهاوى  
الضلال ، فنكون عبرة للظالمين . فهذا طلب توفيق من الله ليؤيدهم على تجنب  
الباطل ومخالفة الهوى طول الحياة .

١٠١ - « وقال موسى : ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة واموالا فى الحياة  
الدنيا . ربنا ليضلوا عن سبيلك - يونس : ٨٨ » . ليست اللام - هنا - للغاية ، وانما  
هى لام العاقبة ، كما فى قوله : « فالنقطة آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً - القصص :  
٨ » . اى ربنا انك املت لآل فرعون واستدرجتهم بالترفيه عليهم فى هذه الحياة ،  
عقوبة عاجلة ازاء تمردهم عن منهج الهدى والصلاح ، لكنهم استغلوا هذا الامهال  
والافساح فى اضلال عبادك . والافساد فى الارض . ومن ثم دعا عليهم بزوال تلك  
النعم وأخذهم اخذ عزيز مقتدر . « ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم  
فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم - ٨٨ » . اى انهم مع ذلك لا يؤمنون الا اذا عاينوا  
الموت وايقنوا بالهلاك .

وقد استجاب الله هذا الدعاء اتماما للحجة عليهم ، وبالفعل قد تحقق تنبوء  
موسى عليه السلام بعدم الفائدة . قال تعالى : « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من  
الثمرات لعلهم يذكرون - الاعراف : ١٣٠ » . وقال تعالى : « قد اجيب دعوتكما  
فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون . وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم  
فرعون وجنوده بغياً وعدواً ، حتى اذا ادركه الغرق ، قال : آمنت انه لاله الا الذى  
آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين . آلآن وقد عصيت من قبل وكنت من  
المفسدين - يونس : ٨٩ - ٩١ » . « فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا - غافر :

٨٥ . وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن - النساء : ١٨» .

١٠٢ - «ان الذين حقت عليهم كلمة ربك يؤمنون - يونس : ٩٦» . وقد تقدم الكلام فى نظيرتها برقم : ٩٨ . انها اخبار عن علم ، لاحكم بالقضاء . بدليل النهى عن التكذيب بآيات الله فى الآية قبلها : «ولاتكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين - ٩٥» .

١٠٣ - «ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعاً - يونس : ٩٩» . تقدم ان المشيئة فى مثلها تكوينية ، اى لو شاء الجائهم على الايمان لفعل ، لكنه تعالى اراد الاختبار فى التكليف ، ومن ثم افسح لهم مجال الاختيار . واما الهداية التشريعية فقد شاءها الله لكافة الناس « وان من امة الا خلافيها نذير - فاطر : ٢٤» .

١٠٤ - «وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله - يونس : ١٠٠» . تقدم (ص ١٨٢) ان الاذن تعبير عن ارادته تعالى الحادثة ، التابعة لارادة العباد ، سنة الله التى جرت فى الخلق ، فما يريد العباد ايجاده فان الله يأذن فى تحققها وفق ما يريدون ، تحقيقاً لاختيارية الافعال ، وليصح التكليف والاختبار .

ومعنى الآية : ان ايمان المؤمن متوقف على مقدمات يمهداها الله تعالى بلطفه وتوفيقه ، ولولا توفيقه تعالى بدءاً وختماً ، لم يستطع أحد ان يبلغ الهداية الحققة ، اويتهدى الى المحجة البيضاء بين محتلكات المسالك فى هذه الحياة « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله - الاعراف : ٤٣» .

١٠٥ - «ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون - هود : ٢٠» . قالت الاشاعرة : الاية تدل على انه تعالى هو الذى لم يقدر الكافر على الايمان . فلم يستطع



السمع ولا تمكن الابصار .

والجواب : ان هذه الاية توبيخ ولا توبيخ على العاجز . بل الذى حجز قلوبهم دون نفوذ الحق فيها ، هو القسوة والجفاء الذى اكتسبته قلوبهم على اثر الخطايا والذنوب ، فصدتهم عن ذكر الله «الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعاً - الكهف : ١٠١» .

ذلك ان المؤمن - حيث رغبته فى الاهتداء - يستطيع ان يستمع الى دلائل الهدى والارشاد ، بسهولة ويسر . واما الفاسق العاتى ، فان نفسه لاتطويعه للانصات الى دعوة الحق ، صم بكم عمى فهم لا يعقلون .

١٠٦ - «ولا ينفعكم نصحى إن اردت أن انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هوربكم واليه ترجعون - هود : ٣٤» .

الاغواء فى هذه الاية هو الخذلان وسلب التوفيق على اثر معاندتهم مع الحق ، ومتى بلغ الانسان هذه المرتبة من الجفاء العارم ، وسلب عنه التوفيق بما كسبت يده ، فلاموضع فى قلبه لنفاذ النصح والارشاد . فمعنى «يريد ان يغويكم» : «لا يريد ان يهديكم» لعدم صلاحية فى المحل وعدم استعداده للتلقى والقبول .  
والدليل على ذلك قولهم : «يانوح قد جادلنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين - ٣٢» . فهذا من التعنت واللجاج تجاه الحق بما يجعل تأثير الدعوة فيهم مستحيلاً .

١٠٧ - «فمنهم شقى وسعيد - هود : ١٠٢» . الشقاء والسعادة فى الآية بمعنى الضيق والسعة ، فالكافر ذاك اليوم مضيق عليه فى شدة وألم دائم . والمؤمن موسع عليه فى رفاة وسرور مستمر .

١٠٨ - «ان ربك فعال لما يريد - هود : ١٠٣» . الارادة - هنا - تكوينية وهى لاتتخلف عن المراد ، حسب ما اسلفنا توضيحه سابقاً (ص ١٦٧) .

١٠٩- «ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة . ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك . ولذلك خلقهم . وتمت كلمة ربك لأملان جهنم من الجنة والناس اجمعين- هود : ١١٨ - ١١٩» .

اي «ولو شاء ربك»-بمشيئة تكوين-«لجعل الناس امة واحدة» برفع اختلاف نزعاتهم واهوائهم واتجاهاتهم . وذلك بالجائهم على طريقة واحدة مسيرين عليها جبراً في نظام رتيب كعيشة النمل والنحل .

وهذا كقوله تعالى : « وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين - النحل : ٩» . وقوله : «أفلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً - الرعد : ٣١» .

ولكنه تعالى لم يشأ ذلك بشأن الانسان الذي منحه العقل والكفاءة والعبقرية ليقوم هو بتكفل شخصيته وتكوين ذاته الكريمة المفضلة على سائر المخلوقين .  
«و» من ثم «لايزالون مختلفين» في الأهواء والنزعات، دار تنازع في البقاء.

«الا من رحم ربك» من عباده المخلصين ساروا على نهج واحد مستقيم ، في وحدة متماسكة ، لا اختلاف بينهم ولا تجاذب في مطالب الحياة ، انهم عثروا على ناموس السعادة وسر النجاة ، هداهم اليه ربهم برحمة منه وفضل «فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء - آل عمران : ١٧٤» . «فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه - البقرة : ٢١٣» . «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً . والذي اوحينا اليك . وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه - الشورى : ١٣» . «وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله - الانعام : ١٥٣» .

«ولذلك خلقهم» اي لأن تسعهم رحمته الواسعة وفضله الشامل ، في ظل حياة سعيدة وهنيئة متماسكة ، لاتعب فيها ولا نصب ، لاتشاحن فيها ولا تطاحن ولا عطب . «يا قوم اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد - غافر : ٣٨» . «وان لو استقاموا على الطريقة

لاسقيناهم ماء غدقاً - الجن : ١٦ .

ولكن تلك ارادته تعالى التشريعية تخلفت عن المراد ، أنهم فسقوا عن امره تعالى فاستحقوا نار جهنم « وتمت كلمة ربك » اى صدق علمه السابق بشأن عصيان الانسان « لآملان جهنم من الجنة والناس اجمعين » بسبب فسوقهم وعصيان امر ربهم العزيز القهار .

١١٠- « واليه يرجع الأمر كله - هود : ١٢٣ » . اى هو منتهى كل مقصود وغاية كل مأمول . منه المبدأ واليه المعاد . « انالله وانا اليه راجعون - البقرة : ١٥٦ » . « الا الى الله تصير الأمور - الشورى : ٥٣ » . « يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد - فاطر : ١٥ » . الى غيرها من آيات كلها تهدف شيئاً واحداً : انه تعالى هو الغنى بالذات المفترق اليه سائر الموجودات « كل ما بالغير لا يد ان ينتهى الى ما بالذات » وفق قانون احتياج الممكن الى الواجب ، وهو الله الواجب الوجود . الامر الذى لاصلة بينه وبين سلب قدرة العباد على الايمان والعصيان ، كما يرومه الاشعري واذنابه وقد تقدم (ص ١٧٧) البحث عن وجه انتساب الافعال الاختيارية الى الله ، والى العباد انفسهم بالذات ، فى لحاظين وباعتبارين ، فراجع .

١١١- « كذلك لنصرف عنه السوء - يوسف : ٢٤ » بالتوفيق والتسديد ، وهو مزيد لطف وعناية يختص به عباده المكرمون ممن حاولوا الجهد فى سبيل هديه تعالى « والذين اهتموا زادهم هدى وآتاهم تقواهم - سورة محمد : ١٧ » .

١١٢- « والآنصرف عنى كيدهن أصب اليهن - يوسف : ٣٣ » . ابتهاج الى الله ان يمن عليه برحمته الخاصة فيوفقه على اجتناب معاصيه مزيداً من قوة ايمانه الراسخ « فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن - ٣٤ » حيث صدقه فى الطلب واخلاصه فى الاجتهاد الى رضوانه تعالى .

١١٣- « الامارحم ربي - يوسف : ٥٣ » بشمول توفيقه ومزيد عنايته الخاصة



١١٤- «ان الحكم الله - يوسف : ٦٧» . تقدم نظيرها برقم : ١١٠ .

١١٥- «واذا اراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له - الرعد : ١١» . تلك ارادة تكوينية بنزول العقوبة بعدما سجلت عليهم اللعنة وسوء العذاب، وذلك بما اغلقواهم على انفسهم ابواب رحمته تعالى فلا منفذ اليهم أبداً . بدليل صدر الآية «ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم» ، فلا تتغير حالة سعادة الى حالة شقاء الا اذا كانوا هم مهتدوا السبيل الى احدهما بالذات .

١١٦- «ولله يسجد من فى السماوات والارض طوعاً او كرها - الرعد : ١٥» . السجود هنا هو الخضوع والاستسلام المحض لفرامينه تعالى . فكل ما بالوجود من جماد وذى حياة ، هورهن قوانين وانظمة واحكام ان طبيعية كانت - كما فى الجماد والنبات واكثر الحيوان - او تشريعية ، كما فى الانسان فيما يخص جانب تكاليفه ووظائفه الوضعية . والاستسلام طوعاً ينظر الى هذا النوع الاقل . وكرهاً الى النوع الاكثر . ولذلك جاء فى بقية الآية : «وظلالهم بالغدو والآصال» يعنى حتى الظلال خاضعة لنظمه تعالى صباحاً ومساءً . وجاء فى سورة النحل - ٤٩ - «اولم يروا الى ما خلق الله من شىء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داحرون» . والآية نظيرتها فى سورة الحج - ١٨ - «الم تر ان الله يسجد له من فى السماوات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب» (الى هنا كان السجود قهرياً وطبيعياً على حد تعبيرنا) «وكثير من الناس» (وهو خضوع اختياري لم يقم به جميع بنى الانسان ومن ثم هذا التعبير) «وكثير» (من الناس) «حق عليه العذاب» (بسبب امتناعه عن الاستسلام لقيادته تعالى) .

١١٧- «قل الله خالق كل شيء - الرعد : ١٦». تقدم الكلام فيه بتفصيل<sup>١</sup>.

١١٨- «لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً - الرعد : ١٧» تقدم الكلام فيه ايضاً

برقم : ١٠٣ و ١٠٩ .

١١٩- « لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم - ابراهيم : ١ » .

اذلايقع شيء في الوجود الا باذنه تعالى، حتى ولو كانت افعالاً اختيارية واقعة تحت ارادة فاعليها. فانها ايضاً لا تتحقق الا بعد اذنه تعالى. وهي ارادته الحادثة المتعلقة بتحقيق الأشياء وفق سنن وعوامل اودعها الله في طبيعة هذا الكون. وقد تقدم تحقيقه في مسألة الأمر بين الأمرين وغيرها من مسائل مرتبطة بالموضوع . ونظيرها الآية :  
١٦ من سورة المائدة . وقد تقدمت.

١٢٠- «فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء - ابراهيم : ٤». تقدم في غير موضع

ان الهداية في مثلها توفيق وتسديد . والاضلال خذلان وحرمان ، وفق ما استعدوا  
بأنفسهم من تلقى الدعوة ورفضها .

١٢١- «ولكن الله يمن على من يشاء من عباده - ابراهيم : ١١» وذلك باجتهائه

نبياً مرسل الى الناس ، لما وجد فيه من استعداد وصلاحية القيام بهذه المهمة العظيمة .  
وليس اعتباراً في الاختيار .

١٢٢- «ومالنا ان لانوكل على الله وقد هدانا سبلنا - ابراهيم : ١٢» . هذه قولة

الشاكر لأنعم الله، الواعى لعظيم لطفه تعالى بعباده ، واجدر بها من نعمة كبرى ان

١- راجع : مسألة التوحيد في الافعال ص ١٧٢ . ومسألة الامر بين الامرين ص ١٧٣

١٨١ . ومسألة ارادة الله الحادثة ص ١٨٢ . ومسألة انتساب الحوادث الى الله ص ١٨٣ .

واخيراً نفس الآية وماشاكلها ص ١٨٥ - ١٨٧ . وص ١٩٠ - ١٩١ .

هداهم النجدين . وهداهم السبيل . ولزم على نفسه المزيد من الطافه انهم أجابوا  
دعوته واسلموه قيادتهم . « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهdy به الله من اتبع  
رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم  
- المائدة : ١٦ » .

١٢٣- « قالوا لو هدانا الله لهديناكم - ابراهيم : ٢١ » تلك قولة المستكبرين ،  
زعموا انه تعالى خذلهم واضلهم عن سواء السبيل، وذهب عنهم انهم هم كانوا السبب  
فى هذا الحرمان والخيبة عن رضوانه تعالى . « انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل  
عنهم ما كانوا يفترون - الانعام : ٢٤ » .

ومن ثم كذبهم الشيطان فى هذا الزعم الباطل « وقال الشيطان لما قضى الأمر  
ان الله وعدكم وعد الحق . ووعدتكم فاخلفتكم . وما كان لى عليكم من سلطان  
الا ان ادعوتكم فاستجبتم لى ، فلالتوهمونى ولو موأنفسكم . ما انا بمصرخكم وما انا  
بمصرخى . انى كفرت بالذى اشر كنتمون من قبل - ابراهيم : ٢٢ » .

وهكذا كذبهم الله فى آية اخرى نظيرتها: « وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم  
ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون - الزخرف : ٢٠ » .

١٢٤- « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .  
ويضل الله الظالمين - ابراهيم : ٢٧ » .

هذا هو التوفيق الربانى الذى يمنحه لعباده المؤمنين الذين قالوا ربنا الله ثم  
استقاموا « يهديهم ربهم بايمانهم - يونس : ٩ » . كما هو خذلان للذين سعوا فى  
آياته معاجزين « اولئك لهم عذاب من رجز اليم - سبأ : ٥ » .

١٢٥ - « وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره - ابراهيم : ٣٢ » اى  
باذنه . وقد تقدم وجه انتساب الافعال مطلقا الى الله حتى ولو كانت اصطناعية واختيارية



صادرة عن ارادة العباد بالذات<sup>١</sup> .

١٢٦- «واجبني وبنى ان نعبد الأصنام - ابراهيم: ٣٥» . ابتهاج اليه تعالى ان يمنحه التوفيق والتسديد ، والمزيد من عناية أطفاه الخاصة بالمؤمنين .

١٢٧- وهكذا قوله : «رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي - ابراهيم : ٤» .  
اي ثبتني على القول الثابت في الحياة الدنيا . فهو سؤال التوفيق وتأيدته على الاستقامة والثبات . راجع الرقم ١٢٤ .

١٢٨- «وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم - الحجر : ٢١» .  
قالت الأشاعرة ومن على شاكلتهم من مجبرة الاسلام : ان هذه الآية تدل على أن المعاصي من عند الله .

والجواب : ان المراد بالآية هي رحمته تعالى ويركاته على الارض ، بدليل تمام الآية :

«والارض مددناها وألقينا فيها رواسي ، وانبتنا فيها من كل شيء موزون . وجعلنا لكم فيها معاش ، ومن لستم لها برازقين . وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم . وارسلنا الرياح لواقح ، فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه ، وما انتم له بخازين - الحجر : ١٩ - ٢٢» .

واين هذا من افعال العباد ، فضلا عن الآثام التي يرتكبونها ، مما قد نهى الله؟! كيف يجبرهم على المعصية وهو ينهاهم عنها ويعاقبهم عليها ، انها نعمة لاتناسب بينها وبين فحوى الآية التي هي بصدد تعداد نعمه تعالى على الانسان .

١٢٩- «قال رب بما اغويتني لازين لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين - الحجر : ٣٩» . تقدم الكلام في نظيرتها من سورة الاعراف : ١٦ . وكان الاغواء

١- راجع مسألة «انتساب الحوادث الى الله» ص ١٨٣

- انصح التعبير - بمعنى الخذلان وعدم المزيد من عذابته الخاصة . والافكيف التوفيق  
بينه وبين ذمه تعالى لابليس في امتناعه عن السجود لآدم واستكباره عن أمر ربه !؟

١٣٠- «ونزعنا ما في صدورهم من غل، اخواناً على سرر متقابلين - الحجر :  
٤٧» . تلك مثوبة رحمانية تطهر قلوبهم عن أدران منافسات دنيوية لامجال لها في دار  
الآخرة ، «وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً - الانسان : ١٢» .

١٣١- «الامرأته . قدرنا انها لمن الغابرين - الحجر : ٦٠» . اي علمنا في  
الازل انها من الباقيين الهالكين ، فهو اخبار عن واقع قبل وقوعه ، وليس قضاء عليها  
بالجبر رغم ارادتها ، بدليل آيات غيرها كان التعبير فيها مجرد اخبار عن واقعية  
مرة «فانجيناه واهله الامرأته كانت من الغابرين - الأعراف : ٨٣» - «لننجينه  
واهله الامرأته كانت من الغابرين - العنكبوت : ٣٢» - «اذنجيناه واهله اجمعين  
الاعجوزاً في الغابرين - الصافات : ١٣٥» . نعم جاء التعبير في سورة النمل - ٥٧ -  
بمثل التعبير في سورة الحجر .

١٣٢- «وقضينا اليه ذلك الامر : ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين - الحجر :  
٦٦» . اي علمنا وأخبرناه به . ويطلق القضاء على الاخبار بالحثم ، لانه في اللغة  
بمعنى الفراغ من الشيء والبلوغ نهايته . فناسب اطلاقه على كل أمر قاطع للشك ،  
كالخبر الحتم . اورافع للنزاع ، كحكم القاضي العدل . ومن ثم يطلق على انقضاء  
الأجل بالموت ايضاً . وقد جاء جميع هذه الاستعمالات في القرآن بكثير .

١٣٣- وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر . ولو شاء لهداكم اجمعين - النحل :  
٩» . هذه الاية الكريمة تعنى هدايته تعالى العامة ، الشاملة للخلق كلهم : «ان علينا  
للهدى - الليل : ١٢» . «الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هوى - طه : ٥٠» .  
«وهديناه النجدين - البلد : ١٠» . «انا هديناه السبيل اما شاكر أو اما كفوراً - الانسان :

٣ . الى غيرهن من آيات تدل على انه تعالى تكفل لهذا الانسان هدايته الى طرق  
الصلاح والفساد ، وان كان قد أمره باتباع طرق الخير والنجاح .

فعليه تعالى ان يهدى قاصد السبيل اطلاقاً ، غير ان منها جائز نهى عن اتباعها  
وان كان قد أقدر على الاختيار لحكمة التكليف والاختيار .

اما الجملة الأخيرة « ولو شاء لهداكم اجمعين » فقد تقدمت وتقدم الكلام في  
نظائرها . راجع الفقرة : ١٠٣ و ١٠٩ .

١٣٤ - « وقال الذين اشر كوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا

آباؤنا ولا حرمانا من دونه من شيء - النحل : ٣٥ » .

احتج الاشعري بما حكاه تعالى عن المشركين ، فيما زعموا من الجائهم  
على الكفر ، حسبما زعمه الاشعري ايضاً خلفاً عنهم . وقد تقدم نظير الآية برقم :  
١٢٣ ص ٢٦٣ .

وقد كذبهم الله على هذه المزعومة في آية اخرى نظيرتها : « وقالوا : لو شاء  
الرحمان ما عبدنا هم . ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون - الزخرف :  
٢٠ » . « انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون - الانعام : ٢٤ » .

١٣٥ - « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا منهم ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت .

فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة - النحل . ٣٦ » .

اي فممنهم من استجاب لدعوة الحق فهداه الله الى سبيل السلام . ومنهم من رفض  
الدعوة واعرض عن قبول الحق ، فخذلهم الله وتركهم في ظلمات الغي يعمهون ، ومن  
ثم تمكن الضلال من قلوبهم فأصمهم وأعمى أبصارهم فلا يفقهون شيئاً ولا يعقلون .

١٣٦ - « ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل - النحل : ٣٧ » .

هدايتيس للنبي - ﷺ - وأن هؤلاء قد حقت عليهم الضلالة وبذلك قد سدوا على



على انفسهم المنفذ الى الهدى. مما خطبياً تهتم اغرقوا فادخلونا ناراً - نوح: ٢٥. ونظيرتها قوله تعالى: «انك لاتهدى من احببت (ممن فصلته عنك خطبياً تهتم التي احاطت من كل الجوانب - انك لاتسمع الموتى - فلم يستعد بنفسه لقبول نصيح او ارشاد) ولكن الله يهدى (بتوفيقه وألطافه الخاصة) من يشاء - القصص: ٥٦» ممن استوجبوا الانفسهم التأييد والتسديد وجاهدوا في الله حق جهاده .

١٣٧- «وما بكم من نعمة فمن الله - النحل: ٥٣» . قالوا : وهذا يدل على ان الايمان - وهو من اكبر النعم - من عند الله .

قلنا : نعم ، ولكن لادلالة فيها على انه كان بالالغاء . بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان - الحجرات : ١٧ . ولم يقل : انه الجأهم على الايمان من غير ان يكونوا على اختيار فى الرفض والقبول .

وقد تقدم الكلام عن مراحل الهداية ، منها مرحلتان تكوينيتان سبقتا مرحلة الهداية التشريعية الواقعة تحت اختيار المكلفين فى القبول والامتناع . فى حين انها بجميع مراحلها نعمة كبرى من عند الله العزيز الحكيم .

١٣٨- «ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شىء - النحل : ٧٥» . قالوا : وهذا - ايضاً - يدل على نفي الاستطاعة وان لاقدرة للعباد على الاختيار .

قلنا : هذا نفي لقدرة تشريعية فيما لم يخوله مولاه . وليس نفياً لمطلق قدرته على شىء . فهلا كان العبد المملوك غير قادر على المشى والتكلم والاختيار والارادة فيما يخص من افعاله الخاصة ؟!

نعم هو غير متمكن تشريعاً من تصرفات مالية وفيما يخص شؤون مولاه . الامر الذى لانكره بشأن العبيد الحقيقيين تجاه المولا الحقيقى الكريم .

١٣٩- « ولو شاء لجعلكم امة واحدة . ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء

- النحل: ٩٣». تقدم نظيرها في عدة مواضع<sup>١</sup>. انهامشيئة تكوينية لم يشأها الله بشأن المكلفين . لتنا فيها مع حكمة التكليف والاختبار .

ولكن يضل - بالخذلان - من يشاء - ممن استوجب لنفسه الحرمان - ويهدى - بالتوفيق والتسديد - من يشاء من استحقوا مزيد عنايته تعالى بفضل جهاتهما في سبيل الله .

١٤٠- « ان الذين لا يؤمنون بآيات الله » ( باصرارهم على منابذة الحق ) « لا يهديهم الله » ( بتوفيقه والمزيد من ألطافه الخاصة ) - النحل : ١٠٤ . حيث لم يدعوا مجالاً لشمول عنايته تعالى اياهم ، وألقوا بأنفسهم الى التهلكة .

١٤١- « وقضينا الى بنى اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علواً كبيراً - الاسراء : ٤ » .

وهذا القضاء اخبار من الله تعالى لهم بما سيكون منهم ، حسب ما وقع في علمه الأزلي من مآلهم ، لأنه قضاء قهري عليهم تنشأ منه افعالهم . فالله سبحانه لا يقضى بالافساد على أحد « قل : ان الله لا يأمر بالفحشاء - الاعراف : ٢٨ » . وما سيكون فهو بالنسبة الى علمه تعالى كائن ، وان كان بالقياس الى علم البشر لم يكن بعد ولم يكشف عنه الستار . ومن ثم عبر بالقضاء وهو الابرام القاطع .

١٤٢- « بعثنا عليكم عباداً لنا اولى بأس - الاسراء : ٥ » . اى هم انبعثوا بارادتهم الخاصة . واما النسبة الى الله فلانه مودع القوى المحركة في هذا الكون ، ولا يزال يفيض عليها بالامداد على طول البقاء . وقد تقدم الكلام في ذلك بتفصيل<sup>٢</sup> وقال بعضهم : انه تعالى خلى بينهم وبين القوم ولم يمنعهم من محاربتهم ، الأمر الذى يعبر عنه باذنه تعالى فى الامور ، ومن ثم جاز ان يقول : بعثنا . كما قال : انارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا - سورة مريم : ٨٣<sup>٣</sup> .

١- راجع بالخصوص الفقرة ، ١٠٣ و ١٠٩ و ١١٨ .

٢- راجع صفحة : ١٨٣ .

٣- مشابهاً القاضى ج ٢ ص ٤٥٧ نهاية الفقرة : ٤١٦ .

١٤٣- «وكل شيء فصلناه تفصيلاً - الاسراء : ١٢» قالوا : انه يدل على انه تعالى هو الفاعل لكل شيء .

قلنا : انه تفصيل لآيات الكون ومظاهره الطبيعية ، وهي تجرى على سنن ونظم رتيب لا عوج فيه ولا اختلاف .

اما ما يرجع الى افعال الانسان الاختيارية فهي الآية بعدها : «وكل انسان ألزمنه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً : ١٣ - ١٤» . فلولا انه المسؤول عن افعاله ، وانه مختار في فعل ما يريد وترك ما يكره ، لما كان لمثل هذا الكلام في مثل هذه اللهجة المهددة موضع صحيح .

ولاسيما وتعقيبها بآية هي اشد صراحة في مسؤولية الانسان ذاته عما يرتكبه من اعمال : «من اهتدى فانما يهتدى لنفسه . ومن ضل فانما يضل عليها . ولا تزر وازرة وزر اخرى . وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا - ١٥» .

\* \* \*

١٤٤ - «واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً - الاسراء : ١٦» .

وقد قامت الاشاعة حول هذه الآية الكريمة وقعدت وطبلت وزمرت ، زاعمة صراحتها في انه تعالى هو الذي يريد الكفر والفسوق ويأمر بهما لغرض هلاك من يريد اهلاكه ابتداء ومن غير ما سبب مبرر<sup>١</sup> .

والجواب : اولاً - وقوع هذه الآية اثر الآية المتقدمة الصريحة في اختيار العباد وتحملهم المسؤولية ، مما يحتم توجيه هذه الى ما يلتزم مع قرائنها والوجود معارضوا القرآن الى اختلاف آياته سبيلاً .

---

١- سننقل نص كلامهم في تأويل الآية - وفق مذهبهم في الجبر - عن الرازي في تفسيره في التعليق الاتي .



قال الكعبي : ان سائر الآيات دلت على انه تعالى لا يبتدىء بالتعذيب والاهلاك ،

لقوله : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - الرعد : ١١ » .

وقوله : « ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم و آمنتم - النساء : ١٤٧ » . وقوله : « وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون - القصص : ٥٩ » . فكل هذه الآيات تدل على انه تعالى لا يبتدىء بالاضرار . وايضاً ما قبل هذه الآية يدل على هذا المعنى ، وهو قوله : « من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، ولا تزر وازرة وزر اخرى - الاسراء : ١٥ » . ومن المحال ان يقع بين آيات القرآن تناقض . فثبت ان الآيات التي تلونها محكمة ، وكذا هذه الآية ، فيجب حملها على تلك الآيات . حملاً للمتشابه على المحكم . التفسير الكبير ج ٢٠ ص ١٧٥ - ١٧٦ .

وثانياً - للآية تأويل صحيح ، وفي نفس الوقت منسجم مع ظاهر التعبير تمام

الانسجام :

وذلك ان الارادة في الآية ليست بمعنى انه تعالى قد يريد بقوم سوءاً لا موجب له ، فيعمد - لتبريره - الى التماس حجج ومعاذير هو يتكلفها ويمهد أسبابها ! كلا ، بل الارادة - هنا - تعبير عن واقعية محضه عملت في تكوين ذاتها عند توفر شروط التحقق والعوامل لمستدعية للتكوين . كقوله تعالى : « فوجدنا فيها جداراً يريد ان ينقض - الكهف : ٧٧ » . حيث لا ارادة ولا قصد وانما هو اقتضاء

---

١- قال الفخر الرازي - وهو اشعري - : احتج اصحابنا بهذه الآية على مذهبهم من وجوه ، الاول : ان ظاهر الآية يدل على انه تعالى اراد ايصال الضرر اليهم ابتداء ، ثم توسل الى اهلاكهم بهذا الطريق . الثاني : ان ظاهر الآية يدل على انه تعالى انما خص المترفين بذلك الامر ، لعلمه بأنهم يفسقون . وذلك يدل على انه تعالى اراد منهم الفسق . الثالث : انه تعالى قال « فحق عليها القول » بالتعذيب والكفر ، ومتى حق عليها القول بذلك امتنع صدور الايمان منهم ، لان ذلك يستلزم انقلاب خبر الله الصادق كذباً ، وذلك محال ، والمفضى الى المحال محال .

واقع الامر . وهكذا فى الآيه الكريمة كانت الارادة بمعنى اقتضاء واقعهم السىء للهلاك والدمار .

وعليه فمعنى الآيه : انه متى ما حان وقت هلاك قوم ، فاراد الله ان ينزل بهم العقاب حسب اقتضاء واقعهم المنفسخ المنهار . كان من علامة ذلك ان يقوم كبارؤهم المنعمون وزعماءؤهم المتبعون ، بطغيان عارم واستهتار بالمعاصى والفجور ، فعند ذلك تحق عليهم كلمة العذاب .

فقوله : « أمرنا مترفوها ففسقوا فيها » يعنى : كان من علامة ذلك انه كلما أمرناهم بشىء خالفوا أمرنا واستعصوا عن الامثال ، وأخذوا فى معاكسة معالم الهدى والصلاح .<sup>١</sup>

فاذا مارأيتم قوماً سيطرت عليهم الميوعة والاستهتار بمقدسات الشريعة ، وتفشى بينهم الفساد والفحشاء ، فاعلموا ان البلايا قدوافتهم ، واقرب منهم الهلاك والدمار .

وهذا كما قيل : اذا ارادت السماء ان تمطر تغيثت . اى اذا دنا وقت الامطار ، كان من علامة ذلك ان تتقيم السماء بالسحاب .

هذا ما فهمناه من ظاهر تعبير الايه بعد تعمق ، وبلا تكلف فى التخريج ، الامر الذى لا يكاد يخفى على من دقق النظر فى جوانب الايه بامعان .

\* \* \*

وهذا اختيار اكثر المفسرين السلف والخلف حيث أخذوا من الأمر متعلقاً بالطاعة دون الفسق ، نظير قولهم : أمرته فخالف . ودعوته فأبى . قال ابو جعفر الطبرى - بعد ان ذكر عدة روايات فى تأويل الايه ، وصوب قراءة « أمرنا » بالقصر والتخفيف ، لاجماع الحجة من القراءة على تصويبها - :  
فأولى التأويلات به هو تأويل من تأوله « أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا

١- نظراً لان الفسق هو الخروج عن الاطار المضروب حداً للشىء .

فيها فحق عليهم القول». لان الأغلب من معنى «أمرنا» الامر الذى هو خلاف النهى دون غيره . وتوجيه معانى كلامه -جل ثناؤه- الى الأشهر الأعراف من معانيه اولى ، ما وجد اليه سبيل ، من غيره . ومعنى قوله «فسقوا فيها» : «فخالقوا امر الله فيها وخرجوا عن طاعته». «فحق عليها القول» يقول: «فوجب عليها بمعصيتهم الله وفسوقهم فيها، وعيد الله الذى اوعد من كفر به وخالف رسله ، من الهلاك بعد الاعذار والانذار بالرسل والحجج» . «فدمرناها تدميراً» يقول : «فخربناها عند ذلك تخريباً وأهلكنا من كان فيها من اهلها اهلاكاً» ...<sup>١</sup> .

ولم يرتض الزمخشري هذا الوجه باطلاق، وقال فى ذلك كلاماً دقيقاً نقله بنصه :-

قال : فان قلت : هل ازعمت ان معناه : امرناهم بالطاعة ففسقوا ؟ قلت : لا، لان حذف ما للدليل عليه غير جائز ، فكيف يحذف ما للدليل قائم على نقيضه ! وذلك ان المأمور به انما حذف لان «فسقوا» يدل عليه ، وهو كلاً مستفيض ، يقال : أمرته فقام ، وأمرته فقرأ ، ولا يفهم منه الا ان المأمور به قيام او قراءة . ولو ذهبت تقدره غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب .

ولا يلزم على هذا قولهم : أمرته فعصاني او فلم يمتثل امرى ، لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الأمر مأموراً به ، فكان محالاً ان يقصد اصلاً ، حتى يجعل دالاً على المأمور به ، فكان المأمور به فى هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوى ، لأن من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوى لأمره مأموراً به، وكأنه يقول : كان منى أمر فلم تكن منه طاعة<sup>٢</sup> .

١- جامع البيان للطبرى ج ١٥ ص ٤٣ .

٢- هذا هو بالذات مقصود من يقدر فى الكلام «الطاعة» اى امرته بشىء يستدعى طاعة،

لكنه خالف وعصى . ولا يقصد «أمرته بنفس الطاعة» . اذ الامر بالطاعة يكون بلفظ «أطع» .



كما ان من يقول : فلان يعطى ويمنع ، ويأمر وينهى ! غير قاصد الى مفعول .  
فان قلت : هلا كان ثبوت العلم بأن الله لا يأمر بالفحشاء ، وانما يأمر بالقصد والخير  
دليلاً على ان المراد : أمرناهم بالخير ففسقوا ؟ قلت : لا يصح ذلك ، لان قوله :  
«فسقوا» يدافعه ، فكأنك اظهرت شيئاً وانت تدعى اضمار خلافه ، فكان صرف الامر  
الى المجاز هو الوجه .

واما الوجه الذى اختاره هو فهو ما اشار اليه أخيراً من صرف الأمر الى المجاز ،  
قال - فى قوله تعالى «واذا اردنا ..» - : واذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان  
امهالهم الا قليل ، أمرناهم «فسقوا» اى امرناهم بالفسق ففعلوا ، والامر مجاز ، لان  
حقيقة أمرهم بالفسق ان يقول لهم : أفسقوا ، وهذا لا يكون ، فبقى ان يكون مجازاً .  
ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صباً ، فجعلوها ذريعة الى المعاصى واتباع الشهوات  
فكأنهم مأمورون بذلك ، لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا او يعملوا  
فيها الخير ، ويتمكنوا من الاحسان والبر ، كما خلقهم اصحاء اقوياء وأقدرهم على  
الخير والشر ، وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فأثروا الفسوق . فلما فسقوا حق  
عليهم القول ، وهو كلمة العذاب فدمرهم .<sup>١</sup>

\* \* \*

واحسن من تكلم فى الآية على وجه يوافق مذهب الاعتزال : القفال ، فانه ذكر  
فى تأويلها وجهين :

الاول : أنه تعالى أخبر انه لا يعذب احداً بما يعلمه منه ما لم يعمل ، اى لا يجعل  
علمه حجة على من علم انه ان أمره عصاه ، بل يأمره ، فاذا ظهر عصيانه للناس فحينئذ  
يعاقبه . فقوله : «واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا متر فيها» معناه : واذا اردنا امضاء

→ مسبوقة بأمر آخر تعلق بشيء آخر . فالأمور به فى الآية لا مقدر ولا منوى ، وانما المقصود مجرد  
توجه أمر اليهم بما يستدعى وجوب امتثالهم والقيام بما لى اليهم من وظائف وتكاليف ، لكنهم لم  
يمثلوها وقاموا فى مخالفتها ومعاستها . كما فى «دعوتها فأي» و«أمرته فصي» .

١- راجع : الكشاف ج ٢ ص ٦٥٤

ماسبق من القضاء باهلاك قوم، أمرنا المتنعمين المتعززين - الظانين أن اموالهم واولادهم وانصارهم ترد عنهم بأسنا - بالايمان بى والعمل بشرائع دينى ، على ما بلغهم عنى رسولى ، ففسقوا . فحينئذ يحق عليهم القضاء السابق باهلاكهم ، لظهور معاصيهم . والحاصل : أن المعنى : واذا اردنا ان نهلك قرية بسبب علمنا بانهم لا يقدمون الاعلى المعصية ، لم نكتف فى تحقيق ذلك الاهلاك بمجرد ذلك العلم . بل امرنا مترفيها ففسقوا ، فاذا ظهر منهم ذلك الفسق ، فحينئذ نوقع عليهم العذاب الموعود به .

الثانى : ان نقول : واذا اردنا ان نهلك قرية بسبب ظهور المعاصى من اهلها ، لم نعالجهم بالعذاب فى اول ظهور المعاصى منهم ، بل امرنا مترفيها بالرجوع عن تلك المعاصى . وانما خص المترفين بذلك الأمر ، لأن المترف هو المتنعم . ومن كثرت نعم الله عليه ، كان قيامه بالشكر اوجب ، فاذا امرهم بالتوبة والرجوع مرة بعد أخرى ، مع انه تعالى لا يقطع عنهم تلك النعم ، بل يزيدها حالا بعد حال فحينئذ يظهر عنادهم وتمردهم وابتعادهم عن الرجوع من الباطل الى الحق ، فحينئذ يصب الله البلاء عليهم صبأ .

ثم قال الففال : وهذان التأويلان راجعان الى : أن الله تعالى أخبر عباده أنه لا يعاجل بالعقوبة امة ظالمة حتى يعذر اليهم غاية الاعذار ، الذى يقع منه اليأس من ايمانهم ، كما قال فى قوم نوح : « ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً - نوح : ٢٧ » . وقال : « انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن - هود : ٣٦ » . وقال فى غيرهم : « فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل - الاعراف : ١٠١ » .

فأخبر تعالى اولاً أنه لا يظهر العذاب الا بعد بعثة الرسول . ثم أخبر ثانياً فى هذه الآية انه اذا بعث الرسول ايضاً فكذبوا لم يعاجلهم بالعذاب ، بل يتابع عليهم النصائح والمواعظ ، فان بقوا مصرين على الذنوب ، فهناك ينزل عليهم عذاب

---

١ - فى قوله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » قبل الآية المبحوث عنها .

قال الامام الرازى : وهذا التأويل الذى ذكره القفال فى تطبيق الآية على قول المعتزلة ، لم يتيسر لأحد من شيوخ المعتزلة مثله <sup>١</sup> .

وقال الجبائى : ليس المراد من الآية انه تعالى يريد اهلاكم قبل ان يعصوا ويستحقوا ، وذلك لانه ظلم وهو على الله محال . بل المراد من « الارادة » قرب تلك الحالة ، فكان التقدير : واذا قرب وقت اهلاك قرية ، امرنا متر فيها ففسقوا فيها ، وهو كقول القائل : اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة ، واذا اراد التاجر ان يفقر اتاه الخسران من كل جهة ، وليس المراد : ان المريض يريد ان يموت ، والتاجر يريد ان يفقر ، وانما يعنون انه سيصير كذلك ، فكذا هاهنا .

وهذا الوجه الذى ذكره الجبائى هو الذى اخترناه ، ومن ثم فان مراجعة اختيارنا تذهب بمواقع الابهام من هذا الكلام .

\* \* \*

ولعل ما ذكره الشريف المرتضى بهذا الصدد أجمع وأوفى من الجميع ، فقد ذكر فى تأويل الآية وجوهاً اربعة . كل منها يبطل الشبه الداخلة على المبطلين فيها ، ممن عدلوا بتأويلها عن وجهه ، وصرفه عن بابه - على حسد تعبيره - واليك : -

أولها : ان الهلاك قد يكون حسناً وقد يكون قبيحاً ، فاذا كان مستحقاً أو على سبيل الامتحان كان حسناً . وانما يكون قبيحاً اذا كان ظلماً ، فتعلق الارادة به لا يقتضى تعلقها به على الوجه القبيح ، ولا ظاهر للاية يقتضى ذلك . واذا علمنا بالأدلة تنزه القديم تعالى عن القبائح ، علمنا ان الارادة لم تتعلق الا بالاهلاك الحسن . وقوله تعالى : « أمرنا متر فيها » الأمور به محذوف ، وليس يجب ان يكون

١ - التفسير الكبير ج ٢٠ ص ١٧٦



المأمور به هو الفسق ، وان وقع بعسده الفسق ، ويجرى هذا مجرى قول القائل :  
أمرته فعصى ، ودعوته فأبى . والمراد : أننى أمرته بالطاعة ، ودعوته الى الاجابة  
والقبول .

قال : ويمكن ان يقال على هذا الوجه : ليس موضع الشبهة ما تكلمتم عليه ،  
وانما موضعها ان يقال : أى معنى لتقدم الارادة ؟ فان كانت متعلقة باهلاك مستحق  
بغير الفسق المذكور فى الاية ، فلا معنى لقوله تعالى : اذا اردنا امرنا ، لأن أمره  
بما يأمر به لا يحسن ارادته للعقاب المستحق بما تقدم من الافعال . وان كانت  
الارادة متعلقة بالا هلاك المستحق بمخالفة الأمر المذكور فى الاية ، فهذا الذى  
تأبونه ، لانه يقتضى أنه تعالى يريد لاهلاك من لم يستحق العقاب !

والجواب عن ذلك : أنه تعالى لم يعلق الارادة الا بالاهلاك المستحق بما تقدم  
من الذنوب ، والذى حسن قوله تعالى : واذا اردنا امرنا ... هو ان فى تكرار الأمر  
بالطاعة والايان اعداراً الى العصاة ، وانذاراً لهم ، وايجاباً واثباتاً للحجة عليهم  
حتى يكونوا متى خالفوا واقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرار الوعيد والوعظ  
والانذار ، ممن يحق عليه القول ، وتجب عليه الحجة .

ويشهد بصحة هذا التأويل قوله تعالى - قبل هذه الاية - : « وما كنا معذبين  
حتى نبعث رسولا » .

والوجه الثانى : ان يكون قوله تعالى : « امرنا مترفيها » من صفة القرية  
وصلتها ، ولا يكون جواباً لقوله تعالى : « واذا اردنا » ويكون تقدير الكلام : واذا  
اردنا ان نهلك قرية من صفتها انا امرنا مترفيها ففسقوا فيها . وتكون « اذا » على  
هذا الجواب لم يأت لها جواب ظاهر فى الاية ، للاستغناء عنه بما فى الكلام من  
الدلالة عليه . ونظير هذا قوله تعالى فى صفة الجنة : « حتى اذا جاءوها وفتحت  
ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . وقالوا الحمد لله

الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين -  
الزمر : ٧٣ - ٧٤ . ولم يأت لاذا جواب فى طول الكلام ، للاستغناء عنه <sup>١</sup> .  
ويشهد بصحة هذا الجواب قول الهذلى :

حتى اذا اسلكوهم فى قنائة      شلا كما تترد الجمالة الشردا <sup>٢</sup>  
فحذف جواب « اذا » ولم يأت به ، لان هذا البيت آخر القصيدة <sup>٣</sup> .  
والوجه الثالث : ان يكون ذكر الارادة فى الاية مجازاً أو اتساعاً <sup>٤</sup> أو تنبيها على  
المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم ، وانهم متى امروا فسقوا وخالفوا . وذكر  
الارادة يجرى هاهنا مجرى قولهم : اذا اراد الناجر ان يفنقر أتته النواثب من كل  
جهة ، وجاءه الخسران من كل طريق ، وقولهم : اذا اراد العليل ان يموت خلط فى

---

١- فى حاشية الامالى : « كان التقدير : اذا جاءوها وحضرها وفتحت . او هو ابدخولها .  
وما اشبه ذلك ، والله العالم » .

٢- هولعبد مناف بن ربع الهذلى فى آخر قصيدة أولها :  
ماذا يغير ابنتى ربع عويلهما      لا ترقدان ولا يؤسى لمن رقدا  
قنائة : موضع . والجمالة : اصحاب الجمال ، كالبغالة والحمار . وانتصاب «شلا»  
على المصدر . ودل على فعل مضمّر يحصل بظهوره جواب « حتى اذا سلكوهم » المنتظر .  
وتلخيصه : حتى اذا سلكوهم الى هذا الموضع شلوهم شلا مثل مطاردة الجمال اذا تزاومت  
على الماء . انظر : ادب الكاتب ص ٤٢٤ .

٣- فى حاشية الامالى : « جواب الشرط جزء لا يتم المشروط دونه ، فاذا حذف  
كان أهول للكلام ، كقوله تعالى : « وان قرآنا سيرا به الجبال - الرعد : ٣١ » ، وكقول  
القائل : « لورأيت علياً بصفين » . وكقولهم : « لوذات سوارلطمتنى » .

٤- هذا بعينه اختبار الزمخشري (ت ٥٢٨) الآنف ، ولعله اخذه من الشريف المرتضى  
«ت ٤٣٦» عليه الرحمة .

مآكله ، وتسرع الى كل ماتتوق اليه نفسه . ومعلوم ان التاجر لم يرد في الحقيقة شيئاً ، ولا العليل ايضاً . لكن لما كان المعلوم من حال هذا الخسران ، ومن حال هذا الهلاك ، حسن هذا الكلام ، واستعمل ذكر الارادة لهذا الوجه <sup>١</sup> .

وكلام العرب وحي و اشارات واستعارات ومجازات <sup>٢</sup> ، ولهذه الحال كان كلامهم في المرتبة العليا من الفصاحة ، فان الكلام متى خلا من الاستعارة ، وجرى كله على الحقيقة كان بعيداً من الفصاحة ، برياً من البلاغة ، وكلام الله تعالى افصح الكلام .

والوجه الرابع : ان تحمل الآية على التقديم والتأخير ، فيكون تلخيصها : اذا امرنا متر في قرية بالطاعة فعصوا واستحقوا العقاب اردنا اهلاكم ، والتقديم والتأخير في الشعر وكلام العرب كثير .

ومما يمكن ان يكون شاهداً لصحة هذا التأويل من القرآن ، قوله تعالى : «يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم - المائدة : ٦» والطهارة انما تجب قبل القيام الى الصلاة . وقوله تعالى : «واذا كنت فيهم فاقمت

---

١- في حاشية الامالي : «تصوير المجاز في الاية على أن التقدير: اذا قرب هلاك قرية أمرنا متر فيها ففسقوا. وكذلك قولهم: اذا اراد المريض ... التقدير: اذا قرب موت المريض خلط. وكذلك التاجر اذا قرب افتقاره أته النوائب . وهذا كقوله تعالى : « فوجدنا فيها جداراً يريد ان ينقض» اي يقرب ان ينقض . وانما كنى بالارادة عن القرب في هذه المواضع ، لان المريد للشيء ، المخلى بينه وبينه ، ولا مانع هناك ، ما أقرب ما يقع مراده . والله اعلم .

٢- في حاشية الامالي : «الارادة قد تستعمل في الجماد ، فضلاً عن العقلاء . كقوله تعالى : جداراً يريد ان ينقض ، وكقول الراعي النميري .

في مهمه قلقت به هاماتها قلق الفؤوس اذا أردن نصولاً  
المهمه : المغازة البعيدة المقفرة . والقلق : الاضطراب . وفأس اللجام : الحديدية القائمة في الحنك . والنصول : الخروج .



لهم الصلاة فلتقم طائفة معك - النساء : ١٠٢ . وقيام الطائفة معه يجب ان يكون قبل اقامة الصلاة، لأن اقامتها هي الاثيان بجمعها على الكمال<sup>١</sup>.

قال : واما قراءة من قرأ الآية بالتشديد ، فقال : « امرنا »<sup>٢</sup> ، وقراءة من قرأها بالمد والتخفيف ، فقال : « آمرنا »<sup>٣</sup> ، فلن يخرج معنى قراءتهما عن الوجوه التي ذكرناها<sup>٤</sup> . الا الوجه الاول ، فان معناه لا يليق الابأن يكون ماتضمنته الآية هو الأمر

---

١- وزاد شيخ الطائفة ابو جعفر الطوسي : « ومثله قوله : ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة - القصص : ٧٦ » . والتقدير : ما ان مفاتحه لتنوء بها العصبة اي يتقلون بها . ومثله قول الشاعر :

ذعرت القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين

اراد : مقام الذئب اللعين . وقد فصلوا بين المضاف والمضاف اليه ، قال الشاعر :

بين ذراعى وجبهة الاسد . اراد بين ذراعى الاسد وجبته . ( تفسير التبيان ج ٦ ص ٤٦٠ ) .

٢- بتشديد الميم من باب التفعيل ، هي قراءة ابي عثمان النهدي . وقراءة الليث عن ابي

عمرو . وابان عن عاصم ( القراءات الشاذة ، لابن خالويه ص ٧٥ ) .

٣- هي قراءة خارجة عن نافع ( المصدر )

٤- قال الشيخ في التبيان : « امرنا » - بتشديد الميم - من التأمير بمعنى التسليط ، وقد يكون

بمعنى اكثرنا . ويجوز ان يكون المعنى اكثرنا عددهم او مالهم . و « آمرنا » - ممدوداً - بمعنى

اكثرنا مترفيها . وانما قيل في الكثرة : آمر القوم ، لانهم يحتاجون الى أمير يأمرهم وينهاهم

فقد آمروا لذلك ، قال لييد :

ان يغطوا يهبطوا وان آمروا يوماً يصيروا للهلاك والكند

( التبيان ج ٦ ص ٤٦١ ) يعني : ان افنقروا بحيث تمنوا مثل حال غيرهم قل عددهم . واما

اذا كثروا واذا دادوا نعماً ، فانهم يصيرون الى الابادة وكفران النعم .

الذى يستدعى به الفعل<sup>١</sup> .

وقد نقل الشيخ ابو جعفر الطوسى - رحمه الله - (ت ٣٦٠) هذه الوجوه الاربعه فى تفسيره «التبيان» باختلاف يسير جداً، الامر الذى يدل على استجواده لها بشأن الاية الكريمة . وهكذا الشيخ ابو على الطبرسى فى «مجمع البيان» على عادته فى اقتفاء اثر الشيخ فى التفسير . وهكذا تجد مقتضبها فى «متشابهات القرآن ومختلفه» لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٨٤ .

\* \* \*

١٤٥- «من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد - الاسراء : ١٨» لا يدل على انه تعالى يريد - بارادته التشريعية - الفساد والقبائح . وانما تعنى الاية ان «من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك ليس لهم نصيب فى الآخرة - هود : ١٥» . فمن كانت همته الدنيا فحظه ما تمتع منها مشوباً بالأكدار ، ولاحظ له فى سعادة الحياة الخالصة الباقية .

١٤٦- «وقضى ربك ان لاتعبدوا الاياه وبالوالدين احسانا - الاسراء : ٢٣» .  
القضاء - هنا - بمعنى الحكم التشريعى ، بدليل التخلف .

١٤٧- «واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً - الاسراء : ٤٥» . قالوا : انها تدل على انه تعالى هو - منع الكفار من الايمان .

قلنا : الآيه الكريمة خصت اولئك الذين مردوا على الكفر والعصيان فلا يؤمنون ابدأً ، بهذا الحجاب ، وهو حجاب القسوة والجفاء والتعامى عن معاينة الحق

---

١ - أمالى المرتضى (غرد القوائد ودرر القلائد) للشيخ على بن الحسين الموسوى

العلوى (علم الهدى) ج ١ ص ١٠٥ - المجلس الاول .

«فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية - المائدة : ١٣» .

وانماهم اوجدوا هذا الحجاب وعملوا في تغليظه والمزيد من تكاثفه على أثر مبالغتهم في ارتكاب الخطايا والآثام، فأبعدتهم عن رحمة الله الواسعة. فقوله «جعلنا...» اى كان بينك وبينهم حجاب . كما فى قوله - بعد هذه الاية- : «وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقراً» وقوله - فى سورة فصلت : ٥- : «وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقراً» وانما ينسب تعالى الى نفسه، لانه هو الذى منح القوى وجعل لهم الاختيار فى الرضى والايمان ، وأقدرهم على العمل ان خيراً وان شراً ، حسبما تقدم .

١٤٨- «فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً - الاسراء : ٤٨» . قالوا : هذا صريح فى نفي استطاعة العبيد .

قلنا : عدم الاهتداء الى السبيل - فى الاية - مترتب على الضلال . فانهم بفعل خطيئتهم وعصيان تعاليم الرسول ﷺ ضلوا السبيل اولاً ، فلم يستطيعوا بعد ذلك من الاهتداء الى الطريق .

١٤٩- «ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً - الاسراء : ٧٤» .  
تمسكت الأشاعرة بهذه الاية تدليلاً على ان ثبات المطيع على الطاعة انما هو بفعل الله ، ولولا لم يكذب يثبت كما كان لم يؤمن .

قلنا: ثلاث آيات (٧٣ و ٧٤ و ٧٥) نزلن بشأن مشركى قريش ، عرضوا على النبى ﷺ مسالته مع آلهتهم فلا يذكروهم بسوء ، فيوافقوا معه ولا ينادوا به فى دعوته . فنزلت الايات ردعاً لاذعاً لمثل هذا الاقتراح المنافق ، وتبيساً قاطعاً لأهل المشركين ، فلا يطمعوا فى رسول الله ﷺ وهو داعية التوحيد الخالص ، وببذالك وعبادة الأصنام قطعاً فى جذورها . فلا يجامل فيما يناقض دعوته الى الله وحده لا



شريك له<sup>١</sup>.

ذكر الشيخ ابو على الطبرسى وجوهاً فى سبب نزول الآيات ، منها : ان قريشاً أتوا النبى ﷺ فقالوا له : كف عن شتم آلهتنا وتسفيه أحلامنا<sup>٢</sup> واطرد هؤلاء العبيد والسقاط<sup>٣</sup> الذين راثحتهم رائحة الصنان<sup>٤</sup> حتى نجالسك ونسمع منك. فطمع النبى ﷺ فى اسلامهم ان وافقهم على بعض ما يقولون . فنزلت الآيات ردعاً له ﷺ فلا ينبغى لنبى ان يجامل فى دينه او يدهن احداً فى مقترحه المخالف لاصول التعليم الدينى الحنيف<sup>٥</sup>.

وهذا التشديد فى لحن الآيات يستهدف قطع أمل المشركين فى اى مساومة مع النبى ﷺ قطعاً صارماً . كما هو تهديد صريح بمن يهجم مع اعداء الدين أياً كان وأياً كانوا ، من باب « اياك اعنى واسمعى يا جارة » كماورد فى حديث الامام على بن موسى الرضا عليه السلام مع المأمون - الخليفة العباسى - بشأن عصمة الانبياء عليهم السلام فذكر الآية ، وقال : هذا مما نزل باياك اعنى واسمعى يا جارة، خاطب الله تعالى بذلك نبيه والمراد به أمته<sup>٦</sup>.

١- راجع الجزء الاول من كتابنا ص ١٥٩

٢- الاحلام: جمع اللحم - بكسر الحاء - وهو العقل.

٣- السقاط: جمع الساقط - كطلاب و طالب - بمعنى المبتذل الفاقد للشخصية

الاجتماعية .

٤- الصنان - كغراب - ذفر الابط ، والتتن عموماً .

٥- مجمع البيان ج ٦ ص ٤٣١ . وانما اخترنا هذا الوجه - وهو ثانى وجوده خمسة ذكرها الطبرسى - لقوته وموافقته مع ظاهر القرآن . والثامه مع موقف النبى -ص- المعصوم من الخطأ والزلل لا فى عقيدته ولا فى سلوكه اطلاقاً .

٦- راجع تفسير الصافى ج ١ ص ٩٨٣ نقلاً عن العيون . وهكذا عن الكافى الشريف

وغيره .

١٥٠- « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً - الاسراء : ٨٢ » . هذه الآية كآية البقرة « هدى للمتقين » اختصاص من جانب القابل لا الفاعل . ان فى القرآن شفاء ورحمة لاولئك الذين خالطت قلوبهم بشاشة الايمان ، فأشرقت وتفتحت لتلقى ما فى القرآن من روح وطمأنينة وامن . اما المنهمكون فى كبرياء الشقاق واللجاج ، فلايزيدون الا عتواً ونعوراً ، وعناداً مع الحق وشفاء مع الأبد .

قال تعالى : « واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايماناً ، فأما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً وهم يستبشرون . واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم وماتوا وهم كافرون - براءة : ١٢٥ » .

١٥١- « انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم - الكهف : ١٣-١٤ » . انه توفيق ومزيد من أطفاف وعتايات خاصة بالمؤمنين حقاً .

١٥٢- « من يهد الله فهو المهتد . ومن يضلل فلن تجدله ولياً مرشداً - الكهف : ١٧ » .

هذا توفيق وعناية ربانية للذين استعدوا بأنفسهم لتلقى فيض رحمته الواسعة . كما هو خذلان وحرمان لمن اعرض عن ذكر ربه ونسى الآخرة .

١٥٣- « ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غداً . الا ان يشاء الله - الكهف : ٢٣ - ٢٤ » . اى الا ان يأذن الله تعالى حسب ما تقدم تحقيقه ، اذ لولا اذنه تعالى لم يقع شيء ، وليس هذا دليلاً على انه تعالى هو الفاعل لأفعال العباد ، نعم هو تعالى خالق لأفعالهم بمعنى ان سنته جرت فى ايجاد ما يريد العباد ايجاده ، بارادة حادثة اثر ارادة العباد . ومن ثم صحت نسبة الافعال الى الله كما صحت نسبتها الى العباد

انفسهم نسبة حقيقية لا استعارة ولا مجاز<sup>١</sup> .

١٥٤ - « ولا تطع من اغفلنا قلبه - الكهف : ٢٨ » . قالوا : هذا يدل على انه تعالى هو يخلق في قلب العبد الجهل والغفلة ويمنعه من الايمان !  
قلنا : لو كان كذلك لما صح توجيه الملامة اليه والاستنكار . والآية الكريمة  
توبخ لاذع وطعن وتقبيح .  
والمراد : من تغافل عن قبول الهدى فخذله الله ، « فلما زاغوا ازاغ الله  
قلوبهم » . ومن ثم كان تعقيب الآية : « واتبع هواه وكان أمره فرطاً » اى سرفاً  
وتضييعاً .

١٥٥ - « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤ من و من شاء فليكفر -  
الكهف : ٢٩ » . قالوا : هذا يدل على ان الكفر والايمان كليهما من قبله تعالى .  
قلنا : بل على العكس ادل . لان صريح الآية : ان الله يهدى الى الحق ،  
فمن شاء قبل ومن شاء رفض ، حيث لا اكراه في الدين ولا الجاء في التكليف . فدلالة  
الاية على اختيارية الايمان والكفر اوضح .

١٥٦ - « انا جعلنا على قلوبهم اكنة - الكهف : ٥٧ » تقدم الكلام عنها في  
نظائر في عدة مواضع سابقة . منها الأخير برقم : ١٤٧ ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

١٥٧ - « الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكرى و كانوا لا يستطيعون سماعاً -  
الكهف : ١٠١ » تقدم الكلام في نظيرتها برقم : ١٤٨ ص ٢٨١ .

١٥٨ - « واجعله رب رضيعاً - مريم : ٦ » . طلب المزيد من عنايته

---

١- راجع مسألة التوحيد في الافعال ص ١٧٢ . ومسألة الامرين الامرين ص ١٧٣

فما بعد . ومسألة ارادة الله الحادثة ص ١٨٢ . وغيرهما من مسائل مرتبطة



١٥٩ - « وحنانا من لدنا وزكاة و كان تقياً - مريم : ١٣ » . اخبار عن لطف خاص يجعله تعالى في محل قابل حسب علمه الازلي .

١٦٠ - وهكذا قوله تعالى بشأن عيسى عليه السلام خطاباً لمريم - عليها السلام - :  
« لآهب لك غلاماً زكياً - مريم : ١٩ » .

١٦١ - ونظيرهما قوله تعالى : « وجعلني مباركاً اين ما كنت و اوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً . وبرا بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً - مريم : ٣١ - ٣٢ » .

١٦٢ - « ألم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا - مريم : ٨٣ » .

لا شك ان ليس المراد : ارسال الشياطين للاضلال كارسال الانبياء للهداية . اذ لو كان كذلك لكانت الشياطين رسل الله كالانبياء ، تعالى الله عن ذلك ، وحاشاه من رب رؤوف رحيم !! .

وذلك بدليل انه متى اريد من الارسال هو معناه المعهود : ( البعث للتبشير والانذار) تعدى بـ «الى» : «ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه - هود : ٢٥» . او بـ «فى» : «كما ارسلنا فيكم رسولا - البقرة : ١٥١» . او باللام : «وارسلناك للناس رسولا - النساء : ٧٩» . ولم يأت متعدياً به «على» . اما قوله : «فما ارسلناك عليهم حفيظاً - النساء : ٨٠» او قوله : «وما ارسلناك عليهم وكيلا - الاسراء : ٥٤» . فـ «على» متعلقة بالوصف المتأخر .

اما اذا تعدى الارسال بـ «على» فانه يخرج عن معناه الحقيقي ، ويكون بمعنى مطلق التحريك واثارة الاسباب المؤاتية للشيء ، ان طبيعية كانت ام اصطناعية .

ولو مجازاً وبالغناية . واكثر استعماله في القرآن حينئذ يكون في مواضع ارادة الشر والنعمة المردية<sup>١</sup> .

قال تعالى : « وفي عاد اذارسلنا عليهم الريح العقيم - الذاريات : ٤١ » .  
« فارسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات - فصلت : ١٦ » . « فارسلنا عليهم رجراً من السماء - الاعراف : ١٦٢ » . « فارسلنا عليهم سيل العرم - سبأ : ١٦ » . « وارسل عليهم طيراً ابابيل - الفيل : ٢ » . الى غيرها من آيات .

وهكذا « ارسلنا الشياطين على الكافرين - مريم : ٨٣ » عقوبة عاجلة وافتهم في هذه الحياة ، اصطلاحنا عنها بالخذلان ، وحرمانهم عن أطفاه تعالى الخاصة بأهل الايمان .

ومعنى الآية - على ذلك - انا خليتنا بين الشياطين وبين الكافرين يضلونهم ويمنونهم ويهدوهم الى سواء الجحيم<sup>٢</sup> . جزاء متناسباً مع لجاجهم واصرارهم على منابذة الحق ، والسعي في اطفاء نورالله عن وجه الارض .

١٦٣ - « ويزيد الله الذين اهدوا هدى - مريم : ٧٦ » هو توفيق ومزيد عناية

وأطاف .

١٦٤ - قال رب اشرح لي صدري ويسرلي امرى - طه : ٢٥ - ٢٦ . سؤال وابتهاج الى الله ان يمنحه عنايته ولطفه الخاص الذي اختص به عباده المتقون

---

١ - اما قوله : « وارسلنا السماء عليهم مدراراً - الانعام : ٦ » « على » متعلقة بـ « مدراراً » .  
٢ - قال القاضي : والمراد عندنا : انه تعالى خلى بينهم وبين الكافرين . مع قدرته على المنع والحيلولة من كل وجه . فقبل توسعاً : انه ارسلهم . كما يقال - فيمن يمكنه ان يمنع كلبه من الاقدام على الاضرار بالغير اذا تركه وذلك - : انه ارسل كلبه على الناس . وكما يقال - في الملك اذا امكنه ضبط جنده وكفهم عن الناس فلم يفعل - : انه ارسلهم على الناس : (المتشابهات ج ٢ ص ٤٨٦ - ٤٨٧) .

المجاهدون في سبيله ، فما هو الاطلب توفيق منه تعالى ، لا الجاء ولا اكراه على غير مقدور .

١٦٥ - « قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى - طه : ٥٠ » . القراءة الصحيحة المعروفة هي بسكون اللام في « خلقه » ليكون بمعنى « خلقته » اي صورته وشكله ووجوده ، مفعولاً ثانياً لأعطى . فمعنى الآية : ربنا الذي افاض على الاشياء وجوداتها اولا ، ثم هداها الى طرق معاشها . وهي هداية تكوينية جعلت في جبلة الأشياء - حسبما تقدم .

والمقصود من الاشياء - هنا - هي الموجودات العينية بقريئة « ثم هدى » . الامر الذي يتنافى وشمول « كل شيء » للافعال الاختيارية ، كما زعمه الاشعري ضارباً على وتره .

١٦٦ - « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون - الانبياء : ٢٣ » . طال ما تشبث الاشعري بهذه الآية لنفي لزوم الحكمة فيما يفعله تعالى ، زاعماً دلالتها على عدم مسؤوليته تعالى تجاه أفعاله ، ان حسناً وان قبيحاً اذ لا حسن ولا قبح ذاتيين ، وانما هما بالوجوه والاعتبارات .

قالوا : القبيح منه تعالى حسن ، وانما يقبح اذا كان من غيره .  
والجواب : انه قد ثبت بالبرهان القاطع وبالضرورة من الدين ، انه تعالى حكيم لا يفعل عبثاً ولا يخلق ما لا فائدة وراءه ولا غرض في الابداد : « وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ، لو اردنا ان نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون - الانبياء : ١٦ - ١٨ » .

اذن فانما لا يسأل تعالى عما يفعل ، للقطع بان جميع ما يفعله صواب وكان



وفق الحكمة والمصلحة الداعية الى الابداع ، فكل ما يفعله تعالى حسن بل اريب .  
وانما يسأل عن السبب الداعي ، اذا كان الفاعل ممن يصدر عنه قبيح الى جنب  
اعماله الحسنة . الامر الذى لا يحتمله افعال الحكيم على الاطلاق .

وهذه الآية الكريمة كناية عن كمال عزته تعالى «يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد» .  
لكنها عزة مشفوعة بالحكمة والعدل ، ومن ثم فهو تعالى عزيز حكيم . عزيز لا يغلب على أمره  
ولا يعجز عن تنفيذ ارادته . حكيم لا يفعل الا الصواب ولا يحكم الا بالحق ولا يهدى  
الا الى سواء الطريق .

قال اهل العدل : لما كان تعالى عالماً بقبح القبائح ، و كان غنياً عن فعل  
القبيح اطلاقاً ، استحال ان يقع منه قبيح . فقد عرفنا - اجمالاً - بان كل ما يفعله  
تعالى حكمة وصواب . وبعد هذا العلم لاموضع للسؤال الكاشف عن جهل فى  
نفس السائل . اللهم الاعن تفاصيل يريد ان يعرفها فى ذات المسؤول عنه .

وقال المفسرون : السؤال عن الفعل هو قولنا لفاعله : « لم فعلت كذا ؟ » .  
وهو سؤال عن جهة المصلحة فى الفعل اذا كانت مجهولة للسائل . اما الفعل المعلوم  
مقارنته مع المصلحة ، فلماؤاخذة عليه عند العقلاء . والله تعالى لما كان حكيماً على  
الاطلاق - كما وصف به نفسه فى مواضع من كلامه - والحكيم هو الذى لا يفعل  
فعلاً الا للمصلحة مرجحة ، لم يكن موضع للسؤال عن فعله ، وهذا على خلاف غير  
الحكيم ، الذى يحتمل بشأنه العبث والصواب والصلاح والفساد ، فجاز فى حقه  
ان يسأل عما يفعله ليؤاخذ على عمله ان ذماً او عقاباً اذا لم يكن مقروناً بمصلحة .

وروى الصدوق فى كتاب «التوحيد» عن الامام محمد بن على الباقر عليه السلام

« سئل : كيف لا يسأل عما يفعل ؟ فقال : لأنه لا يفعل الا ما كان حكمة وصواباً » .

١- الجملة الاولى مقتبسة من قوله تعالى : « كذلك الله يفعل من يشاء - آل عمران : ٤٠ »

والثانية من قوله تعالى : « ان الله يحكم ما يريد - المائدة : ١ » .

٢- تفسير الصافى للحكيم الفيض ج ٢ ص ٨٨

قال الزمخشري: اذا كانت عادة الملوك الجبابة ان لا يسأل عن أفعالهم تهيباً  
لجانبهم واجلالاً لعزتهم ، مع جواز الخطأ والزلل عليهم ، كان ملك الملوك ورب  
الآرباب اولى بان لا يسأل عن أفعاله ، مع ما علم واستقر فى العقول ان ما يفعله تعالى  
كله مقرون بدواعى الحكمة ، لا يجوز عليه خطأ ولا فعل قبيح .

ومن الغريب جداً ما كتبه الشيخ محمد عليان المرزوقى تعليقاً على كلام  
الزمخشري أخيراً «لا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح» . قال الشيخ عليان : «هذا  
عند المعتزلة . اما عند اهل السنة - يعنى الاشاعرة - فهو - تعالى - الفاعل للخير  
والشر ، كما بين فى علم التوحيد» .

قلت : فض الله تلکم الافواه التى تستطيع التفوه بهكذا كلام قبيح تشويهاً  
لساحة قدسه تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً . « انكم - ايها الاشاعرة الفئة  
الفاقدة لشعورها - لتقولون قولاً عظيماً - الاسراء : ٤٠ » . « ام تقولون على الله  
ما لا تعلمون !؟ - البقرة : ٨٠ » . واخيراً «ولكم الويل مما تصفون - الانبياء : ١٨» .

١٦٧- «وبلواكم بالشر والخير فتنة - الانبياء : ٣٥» . قالوا : وهذا دليل  
على ان كلا من الخير والشر من فعله تعالى .

قلنا : الخير والشر - هنا - هما : الرخاء والجذب ، والرفاه والضيق . يعثوران  
حياة الأمم ابتلاء لهم ، واختباراً لمبلغ ثباتهم أمام البلايا والمحن ، أم كانوا  
يعبدون الله على حرف ، فان أصابهم خير اطمأنوا به ، وان أصابتهم فتنة انقلبوا  
على وجههم !؟ (سورة الحج : ١١) .

ونظير الاية قوله تعالى : «وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون -  
الاعراف : ١٦٨» . اى اختبرناهم بالرفاه والتوسعة تارة ، وبالضيق والتشديد اخرى .  
كقوله تعالى : «وانه هو اضحك وابكى - النجم : ٤٣» .

ومن ثم قال المفسرون : «ونبلوكم» : نخبركم « بالشر والخير » : بالبلايا  
والنعم «فتنة» : ابتلاء وامتحاناً «والينا ترجعون» فنجازيكم حسبما ابدىتم من ثبات  
وانهيار .

١٦٨- «وكلا جعلنا صالحين - الانبياء : ٧٢ . اى وجدناهم على استعداد  
من مناشىء الصلاح فزدناهم هدى وشملتهم عنايتنا بالتوفيق والتسديد الى الصواب  
والصلاح طول الحياة .

١٦٩- «ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه - الانبياء : ٩٠ . لا يدل على ان  
كل صلاح من افعال العباد فانما هو فعله تعالى . وذلك لان الاصلاح فى الاية لا يرجع  
الى فعلها بالذات ، وانما هو اصلاح جسمها ، كانت لاحتياض فحاضت<sup>١</sup> - كما  
فى تفسير القمى ج ٢ ص ٧٥ - او اصلاح شأنها عن الغى والفساد ، توفيقاً وتسديداً ،  
لابالاكراه والالغاء .

١٧٠- «انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم - الانبياء : ٩٨» .  
اى وما تعبدونه من أصنام وأوثان ابتدعوها . وهذا لا يشمل من عبده من الانبياء  
والملائكة ، نظراً لمكان «ما» الموصولة الخاصة بغير ذوى العقول .  
على انه لو كانت للشمول فيخصصها قوله فيما بعد : «ان الذين سبقت لهم  
منا الحسنى اولئك عنها مبعدون - الانبياء : ١٠١» .

١٧١- «ان الله يفعل ما يريد - الحج : ١٤» .

١٧٢- «وان الله يهدى من يريد - ١٦» .

١٧٣- «ان الله يفعل ما يشاء - ١٨» .

---

١- اى كانت عقيماً فأصبحت ولوداً . مجمع البيان ج ٧ ص ٦١



كلها نظائر ، وقد سبق برقم ١٦٦ : انه تعالى لا يريد الاما يتوافق مع حكمته  
وعدله . ولا يهدى بتوفيقه وتسديده سوى من أناب اليه وسعى في لقاء وجهه الكريم .  
وقد تعلقت الاشاعرة بأمثال هذه الايات تدليلاً على انه تعالى هو الفاعل لافعال  
العباد اذ لا يقع فعل الا اذا اراده الله ! واجاب المعتزلة بانه تعالى - وفق هذه الايات -  
يفعل ما يريد هو ، ولادلالة فيها على انه يفعل ما يريد غيره !

قلنا : انه تعالى بالنسبة الى افعال نفسه هو الفاعل لها بلا كلام . واما بالنسبة  
الى افعال غيره ، فانه تعالى يأذن لها ويوجد لها بارادته الحادثة اثر ارادة العباد ،  
وفق سنته التي جرت في الخلق ، فهي ايضاً من فعله تعالى لكن بهذا المعنى التبعية ،  
الامر الذي يصحح نسبتها الى فاعليها والى الله جميعاً ، حسبما تقدم ( ص ١٧٧ )  
تحقيقه .

١٧٤ - « ولكل امة جعلنا منسكاً - الحج : ٣٤ » . اي بينا كيفية تعبدهم .  
ولادلالة لها على انه تعالى هو خالق العبادة . وهذا نظير قوله - فيما بعد - : « والبدن  
جعلناها لكم من شعائر الله - ٣٦ » اي نحن فرضناها وبينناها لكم .  
ومن ثم فان الآية بنفس التعبير جاءت في موضع آخر مع زيادة هي ضاربة على  
ايدى المتطاولين لتحريف الكلم : « لكل امة جعلنا منسكاً هم ناسكوه - الحج : ٦٧ » .

١٧٥ - « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض - الحج : ٤٠ » . لا يدل على انه  
بالمباشرة والالغاء . و انما هو بتمهيد مقدماته من تشريع وترغيب وأخيراً توفيق  
وتسديد لمن يريد الله غلبه ، وخذلان المغلوب وحرمانه عن أطفاه الكريمة .  
وهكذا انتصر المؤمنون على الكافرين بفضلته تعالى ومنه .

١٧٦ - « رب فلا تجعلني في القوم الظالمين - المؤمنون : ٩٤ » . ابتهاج  
الى الله ان يمن عليه بأطفاه الخاصة ويسد خطاه الى الصواب أبداً . وهذا طلب

توفيق لا الجاء فيه البتة .

١٧٧- «ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكرو كانوا قوماً بوراً - الفرقان : ١٨». هذا خذلان واستدراج ، عقوبة عاجلة ومماثلة مع ذلك الاستكبار واللجاج مع الحق .

١٧٨- «وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً - الفرقان : ٣١» . هذه الآية تسلية للنبي ﷺ اذ لم يكن بدعاً من الرسل ، فكما له اعداء ينايذونه ويسدون في وجهه طرق الدعوة الى الله ، كذلك كان للانبياء السلف اعداء . وهذا اخبار عن واقعية مرة يجابهها كل قائم باصلاح .  
اما نسبة ذلك الى الله - جل شأنه - فهي مجاز ، باعتبار أنه تعالى ختم على قلوبهم وأخزاهم وخذلهم وربما املى لهم ليزدادوا اثماً ، فعتوا واستكبروا واستكباراً جزاء متناسباً مع ذلك العناد المستمر مع الحق والطغيان العارم .  
ولو كان ذلك على حقيقته لم يحسن توجيه اللائمة اليهم بالذات .

١٧٩- « كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً - الفرقان : ٣٢ » . اى كان نزول القرآن تدريجياً أثبت لموقفك واطمئنان قلبك ، حيث تواصل ذلك الارتباط مع المبدأ الأعلى ، فلا تزال تتصل بعالم الغيب بين آونة واخرى ، فيزيد من قوى عزمك ويؤكد نشاطك في دعوتك الى الاصطلاح . انه شعور مستمر بالحجة البالغة كلما فتمحوا له بابا من الجدل او اعترضوا له اعتراضاً .  
وهذا - ايضاً - من توفيقه تعالى وتأيدته لنبيه الكريم ﷺ . وليس فيه من الالجاء على الايمان شيء ، كما زعمه الاشعري واذنابه .

١٨٠- « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ؟ ! إن هم إلا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلاً - الفرقان : ٤٤» .

استدل الاشعري بهذه الآية ونظائرها على نفي استطاعة العباد على الكفر  
والايمان .

قلنا : اذن كانت الآية اعداراً لهم ، فى حين انها استنكار وتوبيخ صريح .  
ولا استنكار على غير المقدور كما لا مؤاخذة ولا عقاب .  
انهم قد اमतوا قلوبهم باعراضهم عن ذكر الله ، واصرارهم على الخطايا  
والآثام : « حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً - الفرقان : ١٨ » . « انك لاتسمع  
الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين - النمل : ٨٠ » . وقد تقدم الكلام  
فى نظائر الآية ' .

١٨١- « واجعلنا للمتقين اماماً - الفرقان : ٧٣ » . مسألة وابتهاال الى الله  
ان يمنح بلطفه الخاص وتوفيقه فى تمهيد السبل نحو المطلوب الحق ، حسبما تقدم  
نظير الآية برقم : ١١ .

١٨٢- « فوهب لى ربي حكماً - الشعراء : ٢١ » . عناية خاصة بعباده المؤمنين  
حقاً ، « والذين اهدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم - سورة محمد : ١٧ » . « وان  
لو استفاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً - الجن : ١٦ » .

١٨٣- « وأزلفنا ثم الآخرين - الشعراء : ٦٤ » اى تركنا فرعون وملائه  
يقربون من الغرق والهلاك ، حيث صمودهم على منابذة الحق والرشاد . فقد  
اخزاهم الله وخذلهم فأسرعوا الى عقاب عاجل وألقوا بايديهم الى التهلكة .

١٨٤- « الذى خلقنى فهو يهدين - الشعراء : ٧٨ » هداية تشريعية عامة .

١٨٥- « رب هب لى حكماً وألحقنى بالصالحين - الشعراء : ٨٣ » . تقدم

١- راجع صفحة : ٢١١ و ٢١٣ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٣٠ وغيرها .



١٨٦- « كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين لايؤمنون به حتى يروا العذاب

الآليم - الشعراء : ٢٠٠-٢٠١ » .

اى ان هذا القرآن قد أخذ طريقه الى قلوب المجرمين ايضاً فسمعوه ووعوه ، وان كانوا قد عارضوه ولم يؤمنوا به ، فقوله : « كذلك سلكناه » اى على انحراف قلوبهم واعوجاج مسالكها ومع علمنا بأنهم لا يؤمنون به ، ولكن اتماماً للحجة عليهم جعلنا من نفوذ القرآن ما يقهر كل الحواجز ولا يحول دون اشراق انواره أى مانع ، لطفأ بالناس « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل - النساء : ١٦٥ » .

وعليه فالضمير فى « سلكناه » يعود الى القرآن . والكناية فى « كذلك » تشير

الى المعلوم من حال المجرم انه صمود على عناده ورفض الحق .

وربما اعاد بعضهم الضمير الى نفس التكذيب ، والكناية ترجع الى هيئة عدم الايمان بالقرآن ، فعلى هذه الهيئة نظمناه فى قلوب المجرمين واجرنا ، فهو لا يجرى فيها الا مكذبا به ، ويظل على هيئته هذه حتى يروا العذاب الآليم . وبهذا الوجه تمسك الأشعرى لاسناد كفر الكافر الى الله سبحانه فلا يستطيع الا هتداء الى الاسلام « ومن يضل الله فماله من هاد - الزمر : ٢٣ » .

وقد تقدم الجواب عن أمثال هذه التثبيات المنحرفة ، حيث هذه التعابير فى الآيات الكريمة لا تعدو مسألة « الخذلان » الذى استوجبوه على انفسهم بسبب اصرارهم على رفض الحق والاطاحة بحظهم الى المهوى السحيق<sup>١</sup> .

١٨٧- وهكذا قوله تعالى : « كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين ، لايؤمنون

به - الحجر : ١٢-١٣ » ، يحتمل التفسيرين . والاجابة على الوجه الثانى هى الاجابة

١- راجع صفحة : ٢١٠-٢١١ و ٢٢٠-٢٢١ وغيرها .

١٨٨- «وما تنزلآ به الشفاطفر؁ وما فنبغى لهم وما فستطفون؁ انهم عن السمع

لمعزولون - الشعراء : ٢١٠-٢١٢» .

ارجع الاشعرى ضمفر الجمع الى المجرمفر فدللا على عدم استطاعتهم

على قبول الحق .

لكنه تحرف فضع بكلامه تعالى؁ فف فعود الضمفر الى الشفاطفر؁

وانهم لا فستطفون التنزل بالقرآن؁ وانما نزل به الروح الامفر؁ على قلبك

لتكون من المنذرفر . بلسان عربى مففر - الشعراء : ١٩٣-١٩٥ .

كانآ العرب تزعم ان محمداً - ﷺ - كاهن؁ وان ما فتنزل عليه هو

من جنس ما فتنزل به الشفاطفر على الكهنة؁ فنزلآ الآفاآ (١٩٢ - ٢١٢) من

سورة الشعراء؁ ففنفداً لهذه المزعومة .

قال تعالى «وانه لتنزفر من رب العالمفر . نزل به الروح الامفر» الى قوله:

«وما تنزلآ به الشفاطفر» - «ما» ناففة - «وما فنبغى لهم» اى لفر من شأنهم

ذلك «وما فستطفون» اى هم اعجز عن القفام بهذه المهمة الملكوتفة . «انهم»

اى الشفاطفر «عن السمع» اى عن الاستماع الى الملاء الاعلى «لمعزولون» اى

مرجومون بالشهب والقذائف . «لا فسمعون الى الملاء الاعلى فققفون من كل

جانب - الصافات : ٨» .

ثم قال تعالى - فأكفداً لرد المزعومة - : «هل أنبؤكم على من تنزل

الشفاطفر ؟ . تنزل على كل أفاك أنفم : ٢٢١-٢٢٢» لاعلى مثل محمداً الصادق الامفر!

ان الطفور على أشكالها تقع .

١٨٩ - «ان الذفر لا فؤمنون بالآخرة زفنا لهم أعمالهم - النمل : ٤» .

تقدم الكلام فى نظير الاية<sup>١</sup> وان المراد : ان أنفسهم هى التى زينتها لهم ، وزينها لهم الشيطان . فقد أخزاهم الله وخذلهم مغبة صمودهم على نكر ان الحق ونسيان الآخرة . « أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً ، فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون - فاطر : ٨ » .

١٩٠- « وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون - النمل : ٢٤ » ، لا يدل على الاجاء بحيث خرج الاهتداء الى سبيل الحق عن استطاعتهم . اذ لا سلطان للشيطان الا على الغاوين<sup>٢</sup> ، وليس سوى وساوس ودعوة الى الفساد . « انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون - النحل : ٩٩-١٠٠ » .

« وقال الشيطان - لما قضى الامر - : ان الله وعدكم وعد الحق او وعدتكم فأخلفتكم ! وما كان لى عليكم من سلطان ، الا ان دعوتكم فاستجبتم لى ! فلا تلومونى ولو موأ أنفسكم ! ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخى ! انى كفرت بالذى اشركتمون من قبل ، ان الظالمين لهم عذاب اليم - سورة ابراهيم : ٢٢ » .

١٩١- « ومكروا مكراً ومكراً مكرأوهم لا يشعرون - النمل : ٥٠ » . تأمر قوم صالح على أن يبيتوه وأهله ويقتلوهم عن آخرهم ، ثم يقولوا لوليه : ماشهدنا مهلك اهله<sup>٣</sup> ! لكنهم قبل ان ينفذوها قد اخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين<sup>٤</sup> « فارادوا به كيداً فجعلناهم الاسفلين - الصافات : ٩٨ » . فانظر كيف كان

١- وهى الاية ١٠٨ من سورة الانعام برقم ٥٤ ص ٢٢٥ . وراجع - ايضاً - الصفحة

٢١١-٢١٢ برقم : ٥ .

٢- سورة الحجر : ٤٢ .

٣- من الاية قبلها (٤٩) .

٤- من الاية ٧٨ من سورة الاعراف .



عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم اجمعين - النمل : ٥١ .

وعليه فكان قوله تعالى : «ومكرنا مكرأ» من باب التشاكل في التعبير ، على سبيل الاستعارة . كما في قوله : «تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك - المائدة : ١١٦» .

١٩٢- « انك لاتسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء - النمل : ٨٠ » . قد تقدم انه كناية عن تلکم القسوة والجفاء التي انطوت عليها قلوبهم القاسية . ومن ثم عقبها بقوله : «اذا ولوا مدبرين» . فلا يعدو مثل هذا التعبير استعارة وتشبيهاً ، والا كان اعذاراً لهم لا توبيخاً واستنكاراً !

١٩٣- وهكذا الآية بعدها : «وما انت بهاد العمى عن ضلالتهم ، ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون - النمل : ٨١» .

انه عمى القلب حجز دون رسوخ الوعظ فيه ، وانما توثر دعوة النبي ﷺ في من لان قلبه واستسلم لقيادة الناصحين .

ان امثال هذه التعابير تسلية للنبي ﷺ ورفع لمسؤوليته عن التأثير والاعتاظ . واخبار عن واقعية مرة كان ارباب الجحود والطغيان قدمهدوا هم من اسبابها وعملوا في تكوينها ، بما عرضوا عن ذكر الله ونسوا لقاء ربهم .

١٩٤- «ولولا ان ربطنا على قلبها - القصص : ١٠» تعبير كناية عن توفيقه تعالى وعنايته الخاصة بعباده المؤمنين المتوكلين عليه . كما في قوله تعالى - بشأن اصحاب الكهف لم يهابوا سطوة ملكهم الجبار- : «انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم ، اذ قاموا فقالوا : ربنا رب السماوات والارض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا اذا شططاً - الكهف : ١٣ - ١٤» .

١- برقم : ١٨٠ الآية ٤٤ من سورة الفرقان ص ٢٩٢-٢٩٣ .

وهكذا قوى من عزائم ام موسى ومنحها عنايته صبراً وثباتاً فى موقفها ذلك الحرج ، فألقت بولدها وفلذة كبدها فى البحر متوكلة على الله .  
وعليه فلم يكن الربط على القلوب سوى تعبير مجازى عن تلك الثقة والايمان الراسخ بالله العظيم .

١٩٥- « فأخذناه وجنوده ونبذناهم فى اليم - القصص : ٤٠ » . ليس ظاهر التعبير مقصوداً قطعاً ، وانما هو كناية عن خذلانه تعالى لهم ، فتركهم يهرعون الى مهاوى الهلكة بسوء اختيارهم ولجاجهم فى رفض الحق والهدى .

١٩٦- « وجعلناهم أئمة يهدون الى النار - القصص : ٤١ » . اى بسبب مرودهم على الطغيان تركناهم وضلالتهم فأصبحوا دعاة الى الجحيم . وهذا هو وجه النسبة اليه تعالى . كما امر نظيره فى قوله تعالى : « انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً - مريم : ٨٣ » اى خلبنا بينهم وبين الكافرين . والالو كان على حقيقته كان ذلك اعذاراً لهم ، ولم تتوجه اليهم لائمة ولا استنكار .

١٩٧- « انك لانهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء - القصص : ٥٦ » . اى الهداية المؤثرة النافذة . وهى ليست من فعله صلى الله عليه وسلم لان الذى عليه هو البلاغ ، ليس عليهم بمسيطر انما هو منذر . لكنه تعالى يهدى بتوفيقه وعنايته الخاصة من يشاء من عباده الذين سعوا فى لقاءه الكريم . وقد تقدم الكلام فى أمثال الآية فى عدة مواضع .<sup>١</sup>

١٩٨- « وربك يخلق ما يشاء ويختار - القصص : ٦٨ » . تقدم تفصيل الكلام فى نظائره .<sup>٢</sup> . وانه تعالى لا يختار الا ما فيه حكمة وصلاح .

١- انظر الاية ٢٧٢ من سورة البقرة برقم : ١٦ ص ٢١٥

٢- انظر الاية ١٦٩ و ١٦٦ و ١٨١ من سورة الحج برقم : ١٧١-١٧٣ ص ٢٩٠

١٩٩- «ولقد فتنا الذين من قبلهم - العنكبوت :٣». قالوا : يدل على انه تعالى حمل أما على الكفر والمعصية.

قلنا: الفتنة هي الامتحان والاختبار بالمحن والمصائب والآلام. ومن ثم ابتدأت السورة بقوله تعالى: «الم . أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون» ثم قال -دفعاً لتوهم اختصاص هذه الامة بذلك -: «ولقد فتنا الذين من قبلهم» وتعقيباً على ذلك بين وجه الحكمة : «فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين» . وهذا اعلام بما سيصيب هذه الامة من بلاء وامتحان . وبالفعل قد تحقق ذلك مدة بقاءهم في مكة وبعد ما هاجروا الى المدينة، على ما جاء في سورة براءة: ١٢٦ : «اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين !؟» .

٢٠٠- «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - العنكبوت : ٦٩» . اختصاص بهدايته التي هي عناية ومزيد أطفاف يخص بها عباده المخلصين . اما هدايته التي هي دلالة وارشاد الى معالم الحق والطريقة الوسطى فهي عامة شاملة لجميع المكلفين على ما سبق تحقيقه غير مرة<sup>١</sup> .

٢٠١- «كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون - الروم : ٥٩» . تقدم انه اخبار عن واقعية سوادهم اکتسبوا بمرودهم على الطغيان والاستكبار عن قبول الحق . وجاء التعبير استعارة ومجازاً عن تلك الحالة القاسية التي انطوت عليها قلوبهم الجافة . وقد صرح بهذا التشبيه في قوله تعالى : «واذا تلى عليه آياتنا ولى مستكبراً، كأن لم يسمعها ، كأن في اذنيه قرأ - لقمان : ٧» . في حين انه تعالى ذكر في كثير من الآيات : انهم لا يسمعون . وفي آذانهم قر . فعلمنا ان جميع ذلك من المجاز في التعبير ، وسنبحث عن معنى الطبع والختم والوقر وماشاكل في فصل قادم ان

١- راجع - بالخصوص - : مسألة الهداية والتوفيق في مراحلها الخمس ص ١٩٨

فما بعد .



شاء الله . كما تقدم وجه نسبة ذلك الى الله <sup>١</sup> .

٢٠٢- «ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها - السجدة : ١٣» . اى هداية تكوينية  
بالالغاء على الهدى . الامر الذى يتنافى مع دار التكليف والاختبار . وقد تقدم ذلك  
ص ١٩٣ برقم : ٢٧ .

٢٠٣- كما تقدم هناك ايضاً تأويل قوله تعالى - بعد ذلك :- «ولكن حق القول  
منى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين - ١٣» . اى حق القول منى ان لا اكره  
احداً على التكليف والطاعة ، بل ادعهم مختارين فى الطاعة والعصيان ، تحقيقاً للحكمة  
التكليف الذى هو الاختبار ، ولا اختبار مع الالغاء . الامر الذى يؤول فى نهاية المطاف  
الى دخول كثير من الجنة والناس النار بسوء اختيارهم وقبيح تصرفاتهم فى هذه  
الحياة <sup>٢</sup> .

بدليل الآية قبلها : «ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم . ربنا  
ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً . انا موقنون - ١٢» . هذا ابداء مرير لغاية الندم  
على ما فرطوا فى جنب الله . الامر الذى يكشف بوضوح انه لم يكن الجاء على كفر  
ولا اكره على عصيان ، ولا انه تعالى خلق أحداً ليدخل جهنم . وانما يدخلها من  
استحقها بنفسه واكتسبها بجهدته وألقى بيده الى التهلكة .

وهكذا جاءت الآية بعدها : «فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ، انا نسيناكم  
وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون - ١٤» صريحاً فى القاء تبعات الأمر على عاتقهم  
فكانوا هم المسؤولين عن موقفهم هذا الفضيع !

٢٠٤- « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً

١- واجع الصفحة ٢١٠ - ٢١١

٢- راجع الصفحة ١٩٣

- الاحزاب : ٣٣ . يعنى مزيدعناية وألطف ، وهو تكريم خاص منح الله لأهل بيت نبيه - صلى الله عليهم - حيث استعدادهم لتلقى هذا الفيض القدوسى الجليل . الامر الذى لا يرتبط ومسألة الجبر فى الهداية كما يرومه الاشعري بالذات . والكلام عن هذه الآية الكريمة يستدعى استيفاء لايسعه هذا المجال .

٢٠٥ - « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً ان يكون لهم الخيرة - الاحزاب : ٣٦ . القضاء فيها بمعنى الحكم التشريعى من ايجاب او الزام تكليفى ونحو ذلك .

٢٠٦ - « ليخرجكم من الظلمات الى النور - الاحزاب : ٤٣ » . تقدم الكلام فى نظيرتها برقم : ١٤ ص ٢١٤ - ٢١٥ .

٢٠٧ - « و كان امر الله مفعولاً - الاحزاب : ٣٧ » . اى قضاؤه المبرم فى التكوين الامر الذى لا يمس مسألة الهداية فى التشريع .

٢٠٨ - وهكذا قوله : « و كان امر الله قدراً مقدوراً - الاحزاب : ٣٨ » .

٢٠٩ - « فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء - فاطر : ٨ » . تقدم الكلام عن نظائرها من عدة مواضع . وان المقصود : خذلان من يستحقه ، والعناية بشأن من يستأهله .

٢١٠ - « ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من فى القبور ، ان انت الانذير - فاطر : ٢٣ » . تقدم الكلام فى نظائرها . وانها نفى لمسؤوليته صلى الله عليه وآله عن قبول الدعوة ، وانما عليه البلاغ . اما الذى اعرض عن ذكر ربه ونسى لقاء الآخرة وجعل على بصره غشاء التعمية فلا يكاد يفقه حديثاً فهو كميم فى القبر « انك لاتسمع الموتى » .

لكنه تعالى يعلم من الناس المحل الصالح ، من استعدوا بانفسهم لتلقى فيوضاته  
القدسية ، فيضع فيهم حكمته ويفتح عليهم ابواب بر كاته .

٢١١- «اناجعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا  
من بين ايديهم سداً ومن خلفهم سداً . فاغشيناهم فهم لا يبصرون - يس : ٩» .  
هذا تشبيه لحالتهم التعنتية تجاه الحق ، بالمغلول الممنوع بالسد والحجب ،  
من حيث لم ينتفع بما سمع ، واعرض عن الاستدلال . وقد تقدم الكلام عن مثله  
برقم : ٥٤ ص ٢١٠-٢١١ .

٢١٢- «أفمن حق عليه كلمة العذاب . أفأنت تنقذ من في النار - الزمر :  
١٩» .

حق عليه كلمة العذاب ، بسبب صموده تجاه قبول الحق واصراره على  
المعاصي والآثام ، فقد أحاطت به خطيئاته وقادته الى الجحيم حيث مثوى الظالمين .  
الامر الذي حال دون تأثير الدعوة فيه فلا يتعظ أبداً .  
وهذا من تشبيه عاجله بأجله ، وتأسيس للنبي ﷺ فلا تذهب نفسه الكريم عليهم  
حسرات .

٢١٣- « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه - الزمر : ٢٢ »  
تلك عناية ربانية وتوفيق إلهي خاص ، ينعم به اولئك الذين جاهدوا في الله وسعوا  
في لقاء وجهه الكريم .

٢١٤- «ومن يضل الله فماله من هاد . ومن يهد الله فماله من مضل - الزمر :  
٣٧» . ذلك خذلان وحرمان وهذا وتوفيق وتسديد ، كل حسب استعداده والصلاحية  
التي اكتسبها لنفسه .



٢١٥- «وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصدعن السبيل - المؤمن : ٣٧» .  
زينته له نفسه وصدته خطيئاته . وتقدم مثله برقم : ١٨٩-١٩٠ .

٢١٦- «وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا قر ومن بيننا وبينك حجاب - فصلت : ٥» . هذا تشبيه وتمثيل ، واخبار عن واقعية سوداء مظلمة اكتسبها بما اقترفوه من خطايا واثام ، فجعلتهم صخرة صماء فى غاية قسوة وجفاء . وقد صرح بهذا التشبيه فى آية اخرى : «واذا تنلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها ، كأن فى أذنيه قرأ - لقمان : ٧» . وتقدم الكلام فى نظائرها . وتقدمت هى بالذات فى صفحة ٢١٠ .

٢١٧- «وقيضنا لهم قرناء . فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وحق عليهم القول - فصلت : ٢٥» .

اي خليتنا بينهم وبين ابالسة الجن ، هذاخذلان مريب استوجبه لانفسهم بما اقترفوا من آثام ووقفوا فى وجه الحق وكافحوه .

وقد تقدم الكلام فى نظائر الآيه من سورة مريم ، آيه : ٨٣ برقم : ١٦٢ ص ٢٨٥  
وسورة النمل ، آيه : ٢٤ برقم : ١٩٠ ص ٢٩٦ .

٢١٨ - «والذين لا يؤمنون ، فى آذانهم قر ، وهو عليهم عمى - فصلت :  
٤٤» . تقدم الكلام فى نظيرتها برقم : ٢١٦ .

٢١٩- « ولوشاء الله لجعلهم امة واحدة - الشورى : ٨» . هى مشيئة إلهاء لم يشأها الله بشأن هذه الحياة التى هى دار تكليف واختبار . الامر الذى لا يتناسب مع سوى الاختيار .

٢٢٠- « لاجحة بيننا وبينكم - الشورى : ١٥» . قالوا : انه يدل على ان

لاحجة على الذين كفروا ، وانما هم معذرون على الكفر والعصيان !

قلنا : هذا باطل من ضرورة الدين ، اذ الحجة تمت على الكفار والعصاة جميعاً .  
« قل فله الحجة البالغة - الانعام : ١٤٩ » . اما الحجة المنفية فى الآية فقد فسرها  
مجاهد بالخصومة . لانها لازمها ، ففسر الشيء بلازمه .

والصحيح ان المقصود : ان الحجة قدمت حيث ظهر الحق بيننا وبينكم . ولم يبق  
مالاتعلمونه لنحتج به عليكم ، سوى اللجاج والعناد ، ومن ثم فاننا نكف عنكم الآن  
لنلتقى جميعاً على صعيد القيامة ، فيحكم الله بيننا وبينكم . والاية - بطولها - تدل  
على هذا المعنى ، قال تعالى : « وقل آمنت بما انزل الله من كتاب . وامرت لأعدل  
بينكم . الله ربنا وربكم . لنا اعمالنا ولكم اعمالكم . لاحجة بيننا وبينكم . الله يجمع  
بيننا واليه المصير . والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له ، حجتهم داخضة  
عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد : ١٥-١٦ » ومن ثم قال ابو على الطبرسى :  
الآية غاية فى التهديد .

٢٢١- « ومن يضل الله فماله من ولى من بعده - الشورى : ٤٤ » اى من يخذله الله  
على اثر معاندته مع الحق . وقد تقدم ذلك فى مسألة « الخذلان - ص ٢٠٤ » .

٢٢٢ - « ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا . وانك لتهدى الى  
صراط مستقيم - الشورى : ٥٢ » .

الهداية من الله - فى الاية - هى التوفيق والمزيد من اللطافة الخاصة يختص بها  
المؤمنون من عباده الذين جاهدوا فى سبيل لقاء ربهم . واما التى يقوم بها النبى  
ﷺ فهى هداية ارشاد ودلالة ، تعم جميع المكلفين ، على ما سبق تفصيله راجع :  
مسألة « الهداية والتوفيق - ص ١٩٨ » .

٢٢٣ - « وقالوا : لو شاء الرحمان ما عبدناهم - الزخرف : ٢٠ » . وقد ضمت

١- راجع : مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥

الاشاعرة اصواتها الى اصوات المشركين في مزعومة الجبر في التكليف .  
لكنه تعالى رد عليهم بقوله : «مالهم بذلك من علم ان هم الايخرون - ٢٠» .  
وقد تقدمت الاية برقم : ٣٥ ص ١٦٥ - ١٦٦ .

٢٢٤- «ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين - الزخرف :  
٣٦» . قد تقدم الكلام في نظير الاية برقم : ١٦٢ ص : ٢٨٥

٢٢٥- «افأنت تسمع الصم او تهدى العمى ؟! - الزخرف : ٤٠» . ايضاً تقدم  
الكلام في نظائرها الكثيرة منها برقم ١٩٧ ص ٢٩٨ .

٢٢٦- وهكذا قوله : «أفرأيت من اتخذ له هواه واضله الله على علم . وختم  
على سمعه وقلبه . وجعل على بصره غشاوة . فمن يهديه من بعد الله ؟! - الجاثية :  
٢٣» . تقدم الكلام في الاضلال والختم والطبع وما شاكل في عدة مواضع .

٢٢٧- «واذصرنا اليك نفرأ من الجن يستمعون القرآن - الاحقاف : ٢٩» .  
لا يدل على انه تعالى ارسلهم ليستمعوا ، وانما لطف بهم واعانهم بتمهيد السبل  
ليحضروا هم باختيارهم عند النبي ﷺ ويستمعوا القرآن .

٢٢٨- «اولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم» انه خذلان استوجبه  
على انفسهم بالذات ، ومن ثم كان التعقيب : «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب  
أقفالها ؟! - سورة محمد : ٢٤» بصورة استنكار وتوبيخ !

٢٢٩- «ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله أضغانهم ؟! -  
سوره محمد : ٢٩» .

نزلت بشأن المنافقين ، كانوا قد استسروا عداوة الرسول ﷺ وتواطأوا



على النكايه به ، لكنه تعالى فضحهم وأظهر ماحاولوا كتمانهم من نفاق ومراوغة خبيثة .

٢٣٠- «وكف ايدي الناس عنكم - الفتح : ٢٠» .

٢٣١- «وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم - الفتح : ٢٤» .  
اي مهد الاسباب التي يحصل معها الكف المذكور . فقد منع المسلمين من مقاتلة الكفار بالنهي والزر . ومنع الكفار من منابذة المسلمين بالقاء الرعب في قلوبهم ، وهكذا .

٢٣٢- «ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ، وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان - الحجرات : ٧» .

حبيب الايمان بنصب الدلائل على حسنه وصحته ، كما وعد الثواب عليه والرضوان . وزينه بالطافه الخاصة وعناياته الكريمة . وكره الكفر بنصب الدلائل على قبحه وبالنهي عنه والوعيد عليه .

وهذا عام بالنسبة الى جميع الناس ، غير ان الذين استجابوا لهذه الدعوة هم الذين وعت نفوسهم وانصاعوا لنداء الفطرة الاولى وبقي المنحرفون يهيمنون في وادي الضلالة تائهين .

قال تعالى : «ولكن الله يمن عليكم ان هداكم للايمان - الحجرات : ٢٧» .

٢٣٣- «والذين آمنوا واتبعتم ذريتهم بايمان ، ألحقنا بهم ذريتهم - الطور : ٢١» . قالوا : يدل على ان الابن يصبح مؤمنا بايمان الأب . الامر الذي يشف عن لاختيارية الايمان بعض الشيء .

قلنا : الآية بصدد تعداد النعم التي يفيضها الله في دار الآخرة على المؤمنين . فمنها : ان الاولاد سوف يهدون الى آباؤهم في الجنة لتقراعينهم . لكن بشرط ان

يكون الاولاد قد تبعوا الآباء في الايمان . اى يكونوا مؤمنين كما كان آباؤهم مؤمنين .  
الامر الذى لا يدل على الجاء او خروج عن الاختيار .

نعم قد يكون عمل الآباء وحسن تصرفاتهم من العوامل التى دعت الى ايمان  
الاولاد ، وهذا لاضير فيه ، ومن ثم فقد يعود ثواب الاولاد الى الآباء باعتبار كونهم  
السبب ، وبهذا اللحاظ ربما صح اطلاق المتابعة ، واثابة الآباء بايمان الاولاد .

لكن من غير ان ينقص من ثواب الاولاد شىء . كما لا ينقص من ثواب المؤمنين  
الذين استجابوا لله وللرسول ، مع ان الفضل فى ايمانهم يعود الى الرسول ، وهو  
الذى يثاب على دعوتهم للايمان . والى هذا المعنى ، واستدراكاً لما قد يتوهم  
خلافه ، يشير قوله تعالى تعقيباً على ذلك : « وما ألتناهم من عملهم من شىء » ثم قال  
- تأكيداً - : « كل امرء بما كسب رهين » . فلا ينقص من ثواب الابناء ، ثواب إيمانهم  
و ثواب اعمالهم الصالحة ، شىء . اذ كل امرء بما كسب من خير او شر رهين .

٢٣٤- « وانه هو اضحك وابكى - النجم : ٢٣ » اى ما يوجب السرور والحزن  
من رخاء وجذب . وقد تقدم ذلك (ص ١٨٩) .

٢٣٥- « ليخرجكم من الظلمات الى النور - الحديد : ٩ » بهدايته التشريعية .

٢٣٦- « وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة - الحديد : ٢٧ » . بتوفيقه  
والمزيد من عنايته وألطافه .

٢٣٧- « لئلا يعلم اهل الكتاب ألا يقدر على شىء من فضل الله - الحديد :

٢٩ » .

زعمت الأشاعرة دلالة الآية على نفى القدرة . اى ليعلم اهل الكتاب انهم  
غير قادرين على الاهتداء الا ان يشاء الله .

قلنا : فسرت الآية على ثلاثة وجوه :

الاول : ان تكون « لا » زائدة وضمير الجمع في « ان لا يقدرين » يعود على اهل الكتاب ، اى ليعلم اهل الكتاب انهم لا يقدرين على احتجاز شىء من رحمته تعالى ، « وان الفضل بيد الله يؤتية من يشاء » ممن استحقه و مهد لذلك الاسباب .

وهذا كبح صارم لما كان اهل الكتاب يتشدقون به من اختصاصهم بفضله تعالى : « قالوا : كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا - البقرة : ١٣٥ . » وقالوا : لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى - البقرة : ١١١ . فالفضل بيد الله يؤتية من يشاء من عباده ، غير مقصور على قوم ولا محجور لطائفة ، ولا محدود ولا قليل « والله ذو الفضل العظيم - الحديد : ٣٠ . »

الثانى : ان يعود ضمير الجمع الى المؤمنين ، اى انما وعدنا المؤمنين كفلين من رحمتنا لئلا يعتقد اهل الكتاب ان المؤمنين لا يقدرين على شىء من فضل الله . وعليه ف « لا » أصلية . فمفاد الآية على ذلك هو اثبات قدرة المؤمنين على تحصيل فضله تعالى ورحمته بفعل الاسباب الموجبة لها .

الثالث : انه نفى لليأس والقنوط الذى كاد يمتور اهل الكتاب ممن لم يؤمنوا ، فحسبوا من انفسهم الابتعاد عن رحمته تعالى حيث غضب عليهم ولعنهم وجعل منهم القردة والخنازير وعبدالطاغوت .

فجاءت الآية مسلية وباعثة فى نفوسهم الرجاء والامل فى فضله تعالى ، وان المجال امام الراغبين فى شمول رضوانه تعالى واسع ، حيث الاسباب المؤاتية لذلك موفورة بالدخول فى حوزة الاسلام والرضوخ لتكاليفه القيمة .

ويشهد لصحة هذا المعنى ، ان الايات المتقدمة على هذه الاية جاءت ترغيباً للمؤمنين بالمسارعة الى مغفرة من ربهم وجنة عرضها السماوات والارض . اعدت للذى آمنوا بالله ورسله - ٢٣ - ثم تعرضت الى امم سالفة فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون . - ٢٨ - ثم قفى على آثارهم بعبسى بن مريم ، وكان قد جعل الله فى



قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة و رهبانية فما رعوها حق رعايتها ، « فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم ، وكثير منهم فاسقون - ٢٩ » .

هذا تفصيل لبيان احوال أمم غابرة وحاضرة . ثم وجه ندائه العام الى من آمن و اتقى و وعدهم كفلين من رحمته ونوراً يهتدون به فى ظلمات الحياة . - ٣٠ -

قال المفسرون : هذا الخطاب الأخير يعنى المؤمنين من أهل الكتاب خاصة ، الذين آمنوا بالله ورسوله : « يا ايها الذين آمنوا » بأنبياء سابقين ايماناً صادقاً « اتقوا الله و آمنوا برسوله » الحاضر محمد ﷺ « يؤتكم كفلين » اى نصيبين « من رحمته » نصيباً لا يمانكم السابق القديم . ونصيباً لا يمانكم اللاحق الحديث .

وهذه الزيادة من عنايته تعالى بشأن هؤلاء المؤمنين من أهل الكتاب ، لدليل واضح على ان ابواب رحمته تعالى مفتحة للراغبين فى شمول رضوانه والدخول تحت فضله ولطفه ، مهما كانت جنسية الطالبين المجاهدين فى سبيل لقاء تعالى .

اذن فكان هذا اللطف والعناية الخاصة « لئلا يعلم اهل الكتاب » ممن تخلفوا عن الايمان برسول الاسلام « أن لا يقدر على شىء من فضل الله » . فلا يذهب وهمهم انهم قد أيسوا من رحمته ، أو ان لعنته تعالى شملتهم الى الأبد ، وحالت دون امكان التوبة والرجوع الى فضله تعالى ورحمته !! كلا .

فليأخذوا من ايمان اخوانهم الذين اسلموا دليلاً على امكان ايمانهم متى شاؤوا ووافقهم التوقيع .

« وان الفضل بيد الله يؤتية من يشاء » من عباده المؤمنين فى أى وقت وأى مكان ومن أى جيل او أية طائفة . « والله ذو الفضل العظيم » فلا يقصره على قوم دون قوم ولا جيل دون جيل . وفى ذلك ترغيب جميل لمن شاء ان يتخذ الى ربه سبيلاً - الانسان : ٢٩ - وتزهد لطيف فى اليأس والقنوط عن رحمته تعالى

الواسعة .

وهذا المعنى الاخير هو اختيارنا بالذات ، ونراه الأصح والأوفق بسياق الآية ، فتدبر .

٢٣٨- « اولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه - المجادلة :

٢٢ » .

اي علم الله انهم يؤمنون حقاً فأيدهم بروح منه ، وزاد في عنايته لهم .

٢٣٩- « هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم - الحشر :

٢ » اي مهد اسباب خروجهم ، بتأييد المسلمين ونصرهم ، والقاء الرعب في قلوب اهل الكتاب من بنى النضير ، فانجلوا من ارض يثرب الى اذرع الشام ، اخرجهم رسول الله ﷺ في قصة طويلة .

٢٤٠- « ولو لا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة

عذاب النار . ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ، ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب - الحشر : ٤ » .

اي علم منهم ذلك . وفي الحقيقة لولا انهم انجلوا ، وكانوا يحاولوا البقاء ومخالفة

امر الرسول ﷺ في الخروج ، لانزل عليهم العذاب بالقتل والاستئصال على أيدي المسلمين . كما فعل بنى قريظة .

٢٤١- « هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن - التباين : ٢ » . لا يدل على

انه تعالى خلقهم كفاراً أو مؤمنين . والالكان الواجب - حسب قواعد الأدب - النصب « فمنكم كافر أو مؤمناً » . قال ابو علي : فلما ذكر تعالى بالرفع دل على ان الكفر والايمان من فعلهم لا من خلق الله فيهم <sup>١</sup> اي فمنكم من كفر ومنكم من آمن .

١- مشابهاً القاضى ج ٢ ص ٦٥٥ الفقرة : ٧٧٤

لان الرفع يدل على فعلية النسبة حال التكلم اذا لم تقم قرينة قطعية على خلافها .

٢٤٢- «لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين -التين : ٤-٥» ، اى بمخالفته لنظام الفطرة والشريعة أخذ في التسافل . والانحطاط عن منزلة الانسان الكريمة . ومن ثم قال تعالى على جهة الاستثناء : «الالذين آمنوا وعملوا الصالحات -٦» . واما الاسناد الى الله فمن جهة انه تعالى أقدره على اختيار السوء والفساد . حسبما تقدم غير مرة .

٢٤٣- «لكم دينكم ولى دين -الكافرون :٦» . لايدل على الترخيص ، وانما هو على سبيل اللوم والتوبيخ لهم على التمسك بما هم عليه من الباطل ، الامر الذى يشف عن قدرتهم على الاقلاع والعدول عنه الى دين محمد صلى الله عليه وسلم .

\* \* \*

### مسألة الاستدراج

الاستدراج مأخوذ من الدرج وهو المشى فى أناة خطوة خطوة ، يقال : درج الصبى اى مشى على حيطه وحذر فى خطى قصيرة . والام تستدرج ولدها : تجعله يمشى كذلك ، اى تواكبه فى المشى المذكور تدريجاً له . وقد اصطلح استعماله فى امهال العصاة ليزدادوا غياً وجهالة . كأن النعم المتوافرة عليهم تواكبهم فى مسيرهم الى الضلال فيحسبوا انهم على هدى وأنهم يحسنون صنعا . الامر الذى يزيد فى ضلالهم والابتعاد عن الحق فلا ينكفون الى طريق الرشد والصلاح ابدأ . ومن ثم فسره اهل اللغة بالخدعة . وهذا التفسير صحيح الى حد ما ، اذا ما لاحظنا المبدأ القائل : «خذ الغايات ودع المبادئ» . فالله تبارك وتعالى انما يفعل بالكافر المعاند ما يستحقه من عقوبة عاجلة . وكاد يشبه فعل المخادع الذى يحاول خداع غريمه . والكافر هو الذى ينخدع بوفرة النعمة عليه ، لفرط حمقه وجهالته



وليس الله بالذى حاول خدعه .

والاستدراج هو نوع خذلان استحققه العاصى المتمرد، واستوجه لنفسه على اثر صموده فى الغى والضلال، فلاتكاد تؤثر فيه الموعظة اطلاقاً، ومن ثم يتركه الله ونفسه فى غياهب هذه الحياة المغرية، المغررة بالمفتتن بها .

ان المغترر بهذه الحياة الدنيا ، المعجب بلذائذها السفلى ، لايزال يزداد نهماً وانهماكاً فى مطالب مبتذلة وخسيسة الى حد بعيد. الامر الذى يزيده ابتعاداً عن معالم الانسانية العليا ، وعن الاستقامة على الطريقة المثلى الكريمة .

وقديبلغ به التيه الى حيث لايرعوى وانبلغ به الجهد مبلغه فى العطب والعناء، فقد تمكن الشيطان من نفسه وغلبه هواه وصرعته الخطايا والآثام، الامر الذى افتقد معه جميع دلائل الحياة<sup>١</sup>، فلافعالية له ولا ارادة ولا ادراك ولا احساس: «ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون . ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم - والحال هذه - لتولوا وهم معرضون - الانفال: ٢٣» .

اذن فلافائدة فى التضييق على مثل هذا الهائم فى بيداء الضلال «انك لاتسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين - النمل: ٨٠» فيوفر الله عليه نعمه فى هذه الحياة<sup>٢</sup>، فلايمدبداً الى حاجة الاوقد نالها، ولاينطلق فى جهة الاوقد وافته الأمانى واقبلت عليه الدنيا بكل زخارفها، فلايزداد الا اغتراراً وابتعاداً عن رضوانه تعالى، فانقلبت نعم الله عليه نقماً وخذلاناً، كما كانت البلايا بالنسبة الى المؤمن الصالح نعماً وألطافاً .

قال ابو عبد الله الامام الصادق عليه السلام: «ان الله اذا اراد بعبد خيراً فأذنب ذنباً ،

---

١- تقدم تفسيرنا لاية الحيلولة : ٢٤ من سورة الانفال ص ٢٤١ . بهذا المعنى ، فقد

حالت الخطايا بينهم وبين قلوبهم فلايكادون يفقهون شيئاً .

٢- لان فى التضييق قد يكون انقلاع عن المعصية ورجوع الى الله بالانابة اليه ، فهو

لطف - أحياناً - وتوفيق ، يمنعه تعالى عن المتمرد العنود ، حيث العلم بعدم التأثير .

اتبعه بنعمة ويذكره الاستغفار . واذا اراد بعبد شراً فأذنب ذنباً ، اتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادى بها ، وهو قول الله عز وجل : «سنستدرجهم من حيث لا يعلمون» . قال: بالنعمة عند المعاصي .

وسئل عليه السلام عن الاستدراج ، فقال : «هو العبد يذنب الذنب فيملى له ويجدد له عندها النعم فتلهيه عن الاستغفار من الذنوب ، فهو مستدرج من حيث لا يعلم» . وفي رواية اخرى : قال : «هو العبد يذنب الذنب فتجدد له النعمة معه . تلهيه تلك النعمة عن الاستغفار من ذلك الذنب» .

وقال : «كم من مغرور بما قد انعم الله عليه؟! وكم من مستدرج بستر الله عليه؟! وكم من مفتون بثناء الناس عليه؟!» .

\* \* \*

واليك من الآيات الكريمة ما يخص مسألة « الاستدراج » اما بتصريح او تلويح :-

١ - قال تعالى : « والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملى لهم ان كيدى متين - الاعراف : ١٨٢ » .  
الاملاء : الامهال . والكيد - فى الآية - يعنى حصيلته ، تشبيهاً بمن يحاول الخداع . وفى الآية تصريح بأن الاستدراج على المعاصي انما يخص اولئك الذين كذبوا بآياته تعالى وسعوا فى آياته معاجزين .

٢ - « فذرني ومن يكذب بهذا الحديث . سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملى لهم ان كيدى متين - القلم : ٤٤ » . وهذه الاية - بملاحظة سياقها - أصرح فى الاختصاص المذكور .

١ - الاحاديث مستخرجة من الكافى الشريف ج ٢ ص ٤٥٢ (الاصول) .

٣- « ولا يحسن الذين كفروا أن مانملى لهم خير لأنفسهم . انما نملى لهم ليزدادوا إثمأ ولهم عذاب مهين - آل عمران : ١٧٨ » .  
اللام فى « ليزدادوا » للعاقبة . اى كانت وفرة النعم عليهم وغفلتهم عن الآخرة مما تنتهى الى الازدياد من الاثم والاجرام .

٤- « ولقد أستهزىء برسل من قبلك فأملت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب - الرعد : ٣٢ » . الاملاء هو الاستدراج عقوبة عاجلة .

٥- « فأملت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير - الحج : ٤٤ » .

٦- « وكأين من قرية أملت لها وهى ظالمة ثم أخذتها والى المصير - الحج : ٤٨ » .

٧- « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شىء حتى اذا فرحوا بما أتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون - الانعام : ٤٤ » .

٨- « ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون - براءة : ٨٥ » . هذه الارادة هى تكوينية ، اخبار عن واقعية سوداء اكتسبوها لانفسهم بسوء اختيارهم .

٩- « لا يغرنك قلب الذين كفروا فى البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد - آل عمران : ١٩٧ » .

١٠- « وامم ستمتعهم ثم يمسه مناعذاب أليم - هود : ٤٨ » .

١١- « فذرهم فى غمرتهم حتى حين . أيحسبون ان مانمدهم به من مال وبنين ،



نسارع لهم في الخيرات؟! بل لا يشعرون - المؤمنون : ٥٥» .

١٢- «ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون - الحجر : ٣» .

١٣- «كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون - المرسلات : ٤٦» .

١٤- «انهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً . فمهل الكافرين أمهلهم وريداً -

الطارق : ١٧» .

١٥- «ولولا ان تكون الناس امة واحدة - ( كافرة ) - لجعلنا لمن يكفر بالرحمان لبيوتهم سققاً من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيووتهم ابواباً وسرراً عليها ينكثون ، وزخرفاً . وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ، والآخرة عند ربك للمتقين - الزخرف : ٣٣- ٣٥» .

وذلك لان اكثرية الناس ذوا ايمان ضعيف ، وانما تبهرهم زبارج هذه الحياة وزخارفها ، فاذا ما وجدوها خاصة بالكافرين لهب اكثرهم الى الكفر ونسوا الآخرة .

والآيات من هذا القبيل في القرآن كثير ، ذكرنا منها نماذج عن البقية ، وهي في مجموعها لا تتجاوز المئة آية .

### الاستهزاء والخديعة

جاء في القرآن تعابير : «الاستهزاء» و «السخرية» و «الخديعة» و «المكر» و «الكيد» . وانما هي افعال تنم عن قبح وسفاهة لا يرتكبها الحكيم ، ومن ثم لما قال بنوا اسرائيل : «أنتخذنا هزوا؟! » قال موسى - مستكراً لهذه النسبة - : «أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين - البقرة : ٦٧» .

وقد تناول العلماء لذلك تأويلات لطيفة وتخريجات ادبية بديعة! - قال الامام جار الله

الزمخشري : والخدع : ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه . الامر  
الذى لا يصح من الله ولا من المؤمنين . لان العالم الذى لا تخفى عليه خافية لا يخدع .  
والحكيم الذى لا يفعل القبيح لا يخدع غيره . والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا لم  
يجزان يخدعوا ، الا ترى الى قول الشاعر :

واستمطر وامن قر يش كل منخدع ان الكريم اذا خادعته انخدعا

فقد جاء النعت بالانخداع ولم يأت بالخدع !

ثم اخذ فى تأويل قوله تعالى : « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون  
الا انفسهم وما يشعرون - البقرة : ٩ » . وذكر وجوها ، منها : ان يقال : كانت صورة  
صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون ، صورة صنع الخادعين .  
وصورة صنع الله معهم - حيث أمر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده فى  
عداد شرار الكفرة واهل الدرك الأسفل من النار - صورة صنع الخادع . وكذلك  
صورة صنع المؤمنين معهم حيث امثلوا امر الله فيهم فأجروا احكامهم عليهم<sup>١</sup> .  
قلت : فى التعبير اولا بـ « يخادعون » ، و بـ « يخدعون » ثانياً ، نكتة لطيفة ،  
وهى : انهم يحاولون خداع الله والمؤمنين ، لكنهم لا يخدعون فتصبح محاولاتهم  
فاشلة ، اما حقيقة الخديعة فانها تقع بهم بالذات ، حيث انهم هم الذين يخدعون  
بما يتوهمون من تأثير محاولاتهم الفاشلة .

انهم يدبرون المكائد بالمسلمين ويبطنون كفرأ فى ظاهر اسلام ، زاعمين  
انهم بهذه الاساليب الجهنمية سوف يعبرون بأهدافهم على عقول المؤمنين . غير  
ان الله يفضحهم بين آونة واخرى وتصبح مكائدهم تفشل واحدة تلو اخرى . اما  
عيشتهم فعيشة قلقه مضطربة ، « يحسبون كل صيحة عليهم - المنافقون : ٤ » . اما  
المؤمنون ففى هناء من العيش آمنين مطمئنين . كما ان احكام الاسلام برمتها تجرى

١- تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٦-٥٧ ط بيروت .

على المنافقين وعلى المؤمنين على سواء ، فى حين ان المؤمنين يقومون بها عن  
يسر ورحابة صدر ، ويقوم المنافقون بها عن كراهية وعن مشقة شديدة حيث فقد العقيدة  
الميسرة للتكاليف . «واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى - النساء : ١٤٢ . «ولا  
يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون - براءة : ٥٤ .

والمخالصة : ان المنافق المراوغ يحاول الخداع بالمؤمنين ، ويقوم بأساليب  
هوية خداعية ، غير ان الواقعية تعاكسه ويكون هو المنخدع بالذات :-

اولا : لان دسائسه تفتضح على الملا ويعود وبالها عليه فى نهاية المطاف ، «ولا  
يحيق المكر السوء الا بأهله - فاطر : ٤٣ .»

وثانياً : لانه متحمل صعوبة التكليف مع فقد العقيدة الميسرة .

وثالثاً : عيشته الفلقة لا يغمض جفنيه عن ارتياح نفسى ابدأ ، خوف الفضح وانكشاف  
واقعه الخبيث .

\* \* \*

وهكذا صح التعبير بالاستهزاء لهم ، انهم يحاولون الاستهزاء بالمؤمنين ،  
غير ان الله هو الذى يستهزى بهم باقرارهم على اسلامهم الظاهرى فيحملهم تكاليف  
الاسلام الشاقة عليهم بالذات ، فى حين ارعابهم بين حين وآخر بفضح دسائسهم  
ومكائدهم بين الاشهاد ، وجعلهم فى اضطراب نفسى دائم ، وفى الآخرة لهم عذاب  
أشد وأبقى .

فالتعبير بالاستهزاء من جانبه تعالى تعبير مجازى ، رعاية للمشكلة اللفظية التى  
هى من فنون البديع ، ولانه تعالى يفعل بهم ما يشبه فعل المستهزئين ، حيث يدعهم  
يخبطون على غير هدى ، فى طريق لا يعرفون غايته ، واليد الجبارة تلتفهم فى نهايته ،  
قال سيد قطب : كالفئران الهزيلة تتواثب فى الفخ ، غافلة عن المقبض المكين .  
وهذا هو الاستهزاء الرعيب ، لا كاستهزائهم الهزيل الحقيق .

« واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن . الله يستهزىء



بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون - البقرة: ١٥.

انها معاكسة طبيعية تجابهم في اشد وقتها « خذ الغايات و اترك المبادئ »  
انه تعالى وان كان لا يخذع احداً ولا يستهزىء باحد ، لكنه يرد كيد الخائنين في  
نحورهم ويجعل من الواقعية بحيث تعاكس اهدافهم وتخيب آمالهم الى ما يناقضها  
في نهاية المطاف .

قال الزمخشري : معنى استهزاه تعالى بهم انزال الهوان والحقارة بهم ،  
لان المستهزىء غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به ، وادخال  
الهوان والحقارة عليه وقد كثر التهكم في كلامه تعالى بالكفرة ، والمراد به تحقير  
شأنهم وازدراء امرهم ، والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون  
ويضحك الضاحكون . وايضاً فقد سمي جزاء الاستهزاء باسمه ، كقوله : « وجزاء  
سيئة سيئة مثلها - الشورى : ٤٠ » وقوله : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما  
اعتدى عليكم - البقرة : ١٩٤ » . فان قلت : كيف ابتدء قوله : « الله يستهزىء بهم »  
من غير عطف على كلام قبله ؟ قلت : هو استثناء في غاية الجزالة والفخامة . وفيه  
أن الله عز وجل هو الذي يستهزىء بهم الاستهزاء الأبلغ ، الذي ليس استهزأؤهم  
اليه باستهزاء . ولا يؤبه له في مقابلته ، لما ينزل بهم النكال ويحل بهم من الهوان والذل .

\* \* \*

ومن ثم جاء تفسير قوله تعالى : « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين - آل  
عمران : ٥٤ » في آية اخرى بهدم بنيانهم من الأساس ، تجاه ما قاموا به من دسائس  
وخيانات ، قال تعالى : « قدمكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد - النحل :  
٢٦ » اي عاكستهم الواقعية ، اذ « وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون - الانعام : ١٢٣ » .  
« ولا يحق المكر السىء الا بأهله - فاطر : ٤٣ » . وقال تعالى موضعاً لموقفه مع  
المنافقين الماكرين : « سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا  
يمكرون - الانعام : ١٢٤ » .

١ - الكشف ج ١ ص ٦٦ - ٦٧

وانت اذا قارنت بين قوله تعالى : « قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد - النحل : ٢٦ » . وقوله : « وقد مكر الذين من قبلهم فله المكر جميعاً - الرعد : ٤٢ » عرفت - بوضوح - ان المقصود من مكره تعالى هي المعاملة بالمثل بما يناقض اهدافهم ويهدم اساس بنيانهم المنهار ، وكانت التسمية من باب التشاكل في التعبير لاغير .

وكذلك « كيده تعالى » لايعدو الجزاء بمماثلة اعمالهم « انهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً فمهل الكافرين أمهلهم رويداً - الطارق : ١٥ - ١٦ » انهم يدبرون المكائد المفضوحة العائد وبالها على أنفسهم بالذات ، فربما كان تعالى يستدرجهم بالنعم والموفقية في شيء من دسائسهم ، غير ان الله سوف يأخذهم أخذ عزيز مقتدر « أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون ! - الطور : ٤٢ » . « ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين - الانفال : ١٨ » . « واملى لهم ان كيدى متين - الاعراف : ١٨٣ » و« القلم : ٤٥ » .

\* \* \*

وقس على ذلك سائر الآيات التي جاء فيها ذكر الخداع والاستهزاء والسخرية والكيد والمكر ، منسوبة الى الله سبحانه . فانها تخرج جميعاً على نسق واحد حسبما تقدم . قال تعالى : « ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم - النساء : ١٤٢ » اى يفعل بهم فعل المخادع حسبما تقدم في كلام الزمخشري .

وقال تعالى : « فيسخرن منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم - براءة : ٧٩ » . « قال ان تسخرنونا منا فانا نسخر منكم كما تسخرن - هود : ٣٨ » . وهذه السخرية المماثلة يفسرها قوله تعالى : « فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن - الانبياء : ٤١ » . فقد كان الكفار يستهزؤن من المؤمنين ، قيامهم بتكاليف واعمال عبثية - حسبما كانوا يرون - لكنهم اصبحوا موضع سخرية المؤمنين بما فاجأهم من العذاب المهين .

وقال تعالى : « كذلك كدنا ليوسف - يوسف : ٧٦ » . اى دبرنا له اسباب النجاح والموفقية بما كان يخفى على اخوته ، وقد حاولوا ان يكيدوا به كيداً ، غير ان محاولتهم فشلت فاصبحوا من الصاغرين .

وقال تعالى : « ومكروا مكراً ومكرونا مكراً وهم لا يشعرون - النمل : ٥٠ » . اى دبروا ووقدروا ودبرنا ووقدرونا وهم لا يشعرون ان لهم الصفقة السفلى الخاسرة ، وان يدالله هى العليا . « قل الله اسرع مكراً - يونس : ٢١ » . « ومكر اولئك هو بيور - فاطر : ١٠ » . « ولا يحق المكر السىء الا بأهله - فاطر : ٤٣ » .

وقوله تعالى : « وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليكفروا فيها - الانعام : ١٢٣ » . اللام فيها للعاقبة . اى ان المجتمعات البشرية غير المهذبة تجعل من الناس طبقة اكابر هم يستلمون موارد طبقة الاصاغر بحيل وتدبير شيطانية ظالمة ، غير ان حياة الظلم بترء ، لا يدوم معها عيش هنىء ويوشك ان يدور عليهم الرحى فينقلبوا هالكين . ومن ثم جاء تعقيب الآية بقوله : « وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون » ثم قال : « سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون - الانعام : ١٢٣ - ١٢٤ » .  
وقد تقدمت الآية برقم : ٥٩ ضمن آيات الهداية والاضلال . ص ٢٢٦ .

وقوله تعالى : « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين - الانفال : ٣٠ » اى يدبرون ويدبر الله ، غير ان يدالله فوق ايديهم . « وقد مكروا مكراً وهم وعند الله مكراً - ابراهيم : ٤٦ » اى مكشوف لديه لا تخفى عليه خافية . اما تدبيره تعالى فانها خافية عليهم وسوف تفاجؤهم وهم لا يشعرون . « أفأمنوا مكر الله؟! فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون - الاعراف : ٩٩ » .



## الختم والطبع

التعبير بالختم او الطبع على القلوب ، او ماشا كلهما من تعابير -وهى كثيرة ومتنوعة فى القرآن - تعبير كئائى ، تشبيها لتلكم القلوب القاسية الجافة بصورة صلدة مظلمة جامدة. فلاتصل اليها حقيقة هدى ولاينفذ فيها بصيص نور . كأن بينها وبين ذلك ضخامة حجاب ،

١- قال تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة -البقرة : ٧٧» .

٢- وقال : «قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتىكم به -الانعام : ٤٦» .

٣- وقال : «أفرأيت من اتخذ الهه هواه واصله الله على علم وختم على سمعه وقلبه - الجاثية : ٤٥» .

قال الزمخشري : «لاختم ولا تغشية ثم على الحقيقة ، وانما هو من باب المجاز . ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه (اى نوعى المجاز) وهما الاستعارة والتمثيل . اما الاستعارة فان تجعل قلوبهم - لان الحق لاينفذ فيها ولايخلص الى ضمائرها ، من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده ، واسماعهم لانهاتمجه وتنبوعن الاصغاء اليه ، وتعاف استماعه - كأنها مستوثق منها بالختم . وابصارهم - لانها لاتجتلى آيات الله المعروضة ، ودلائله المنصوبة ، كما تجتليها عين المعبرين المستبصرين - كانما غطى عليها وحجبت ، وحيل بينها وبين الادراك . واما التمثيل ، فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها فى الأغراض الدينية التى كلفوها ، وخلقوا من اجلها ، بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستفاح بها ، بالختم والتغطية<sup>١</sup> .

١- الكشاف ج ١ ص ٤٨-٤٩ .

وقال البيضاوى : الختم الكتم ، سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه ، لانه كتم له والبلوغ آخره ، نظراً الى انه آخر فعل يفعل فى احرازه . والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه ، بنيت لما يشتمل على الشيء ، كالعصابة والعمامة .

قال : ولاختم ولاتغشية على الحقيقة ، وانما المراد بهما : أن يحدث فى نفوسهم هياة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصى واسقباح الايمان والطاعات ، بسبب غيهم وانهما كهم فى التقليد ، واعراضهم عن النظر الصحيح ، فتجعل قلوبهم بحيث لاينفذ فيها الحق ، واسماعهم تعاف استماعه ، فتصير كأنها مستوثق منها بالختم ، وابصارهم لاتجتلى الآيات المنصوبة لهم فى الانفس والآفاق ، كما تجتليها عين المستبصرين ، فتصير كأنها غطى عليها وحيل بينها وبين الابصار . وسماه - على الاستعارة - ختماً وتغشية . او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها ، بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستفاعة بها ، ختماً وتغطية .

قال : وقدعبر عن احداث هذه الهياة بالطبع فى قوله تعالى : «اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم - النحل : ١٠٨» . وبالاغفال فى قوله تعالى : «ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا - الكهف : ٢٨» . وبالاكساء فى قوله تعالى : «وجعلنا قلوبهم قاسية - المائدة : ١٣» .

وقال - فى وجه نسبة ذلك الى الله - : وهى من حيث ان الممكنات بأسرها مستندة الى الله تعالى ، واقعة بقدرته ، اسندت اليه . ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه - بدليل قوله تعالى : «بل طبع الله عليها بكفرهم - النساء : ١٥٥» . وقوله تعالى : «ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم - المنافقون : ٣» - وردت ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم<sup>١</sup> .

\* \* \*

وهكذا الآيات جاء فيها ذكر الطبع على القلوب ، تعبيراً آخر عن نفس تلك

١- انوار التنزيل واسرار التأويل للامام البيضاوى ج ١ ص ٧٠-٧٢

الحالة الجافة الجافية، التي تعرض نفوس اولئك الجاحدين للحق المعاندين له ،  
ممن أصروا على منابذة طرق الهدى والصلاح ، وصمدوا على العتو والاستكبار..  
انها حالة قسوة هم عملوا فسى تكوينها وتربيتها فى نفوسهم العاتية ، مما خطيئاتهم  
اغرقوا .

٤- قال تعالى : «وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون - براءة : ٨٧» .

٥- وقال : « ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون

- المنافقون : ٣» .

٦- وقال : «وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون - براءة : ٩٣» .

٧- وقال : « كذلك نطبع على قلوب المعتدين - يونس : ٧٤» .

٨- وقال : « كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين - الاعراف : ١١» .

٩- وقال : « كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون - الروم : ٥٩» .

١٠- وقال : « كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار - غافر : ٣٥» .

١١- وقال : « اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم - النحل :

١٠٨» .

١٢- وقال : « اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم - محمد :

١٦» .

١٣- وقال : « بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا - النساء : ١٥٥» .

١٤- وقال : « ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون - الاعراف : ١٠٠» .

تلك آيات الطبع ، وقد اسنده تعالى الى نفسه ، نظراً لأن الله تعالى هو الذى  
أقدرهم على ذلك ، وجعل لهم الاختيار فى الرفض والقبول ، تحقيقاً لحكمة التكليف  
والاختبار ، حسبما تقدم تفصيله . وفى الحقيقة انه اخبار عن واقعية سوداء هم عملوا  
فى تكوينها وفى تمهيد اسباب وجودها ، بما عرضوا عن ذكر الله ونسوا الآخرة .  
وفى الآيات ما يشف عن هذا الجانب السلبي فى ذوات انفسهم ، كان هو السبب



العامل لتكوين الحالة المذكورة .

\* \* \*

وعلى نفس المنهج تعابير آخر ، كالرین على القلوب، والأكنة عليها، والحوول  
دونها ، وتقليبها ، واغفالها ، وتعميتها ، وما اشبه من مثل كونها غلفاً او مقفلة او  
محتجبة او مريضة او زائغة . . . الخ ، كلها تعابير عن تلكم القسوة والجفاء التي  
انطوت عليها قلوب جاحدة ماتت حيوبتها ووقفت نبضاتها عن الفعالية والادراك  
الانسانى النبيل . ومن ثم جاء التعبير بالاموات وبالخشيب المسندة من الجماد ايضاً ،  
فضلا عن التعبير عنهم بالحيوانات البهيم : « كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة  
- المدثر : ٥١ » . وفيما يلي عرض نماذج من تلكم الآيات مضافة الى ما سبق :-

١٥- قال تعالى : « وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقراً - الانعام -

٢٥٠ .

١٦- « والاسراء : ٤٦ » .

١٧- وقال : « انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقراً - الكهف :

٥٧٠ .

والدليل على أنها تعابير كنائية واخبار عن واقعية سوداء هم اكتسبوا ، قوله

تعالى - حكاية عن انفسهم :-

١٨- « وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك

حجاب فاعمل اننا عاملون - فصلت : ٥٠ . هذه الاية مسبوقة بقوله تعالى : « فاعرض

اكثرهم فهم لا يسمعون » . وملحقة بقوله : « قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم

اله واحد . فاستقيموا اليه واستغفروه . وويل للمشركين - ٦٠ » . فلولا انه من صنيع

انفسهم بالذات لما صح تكليفهم ولا توجيه الملامة والتوبيخ اليهم ، لو كانوا غير

## قادرين على الايمان واتيان الاعمال الصالحة !

١٩- وهكذا قوله تعالى : « وقالوا قلوبنا غلف » تعبير تعنتى ، تهكماً بمقام الانبياء العظام ، ومن ثم جابههم تعالى بقوله: « بل لعنهم الله بكفرهم قليلا ما يؤمنون - البقرة : ٨٨ » .

٢٠- وقال : « فيما نقضهم ميثاقهم ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الانبياء بغير حق ، وقولهم قلوبنا غلف (تهكماً) بل طبع الله عليها بكفرهم ، فلا يؤمنون الا قليلا . وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ، وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ... النساء : ١٥٦ » .

هذه الآية عددت كبائر آثام ارتكبوها ، مضافة الى تهكمهم اللثيم وعقيدتهم الكاذبة فى الجبر - كاخوانهم الاشاعرة - ومن ثم رد عليهم تعالى بأنها الخطيئات والاجرامات حالت بينهم وبين نفوذ دعوة الحق فى قلوبهم العاتية .

٢١- وقال تعالى : « واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه - الانفال : ٢٤ » . وقد تقدم (ص ٢٣٥ - ٢٥١) الكلام فى هذه الآية بتفصيل . ونظيرتها الآية التالية :

٢٢- « وما يشعر كم انها اذا جاءت لا يؤمنون . ونقلب أفئدتهم وابصارهم (اى نحول بينهم وبين ادراكاتهم الانسانية النبيلة ليتحولوا الى جمادات او حيوانات بهم) كما لم يؤمنوا به اول مرة (فكان اعراضهم عن الحق وعنادهم على الغى والضلال هو السبب لهذا الخذلان والحرمان عن رحمته تعالى ولطفه العميم ) ونذرهم فى طغيانهم يعمهون - الانعام : ١١٠ » .

٢٣- وقوله تعالى : « ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه و كان امره فرطاً - الكهف : ٢٨ » ايضاً خذلان وحرمان عن فيوض قدسه تعالى ، عقوبة عاجلة

استوجبوها لانفسهم بما كسبت أيديهم من آثام و كبائر .

٢٤- وهكذا قوله تعالى : «ولكن تعمى القلوب التي فى الصدور - الحج :

٤٦» تعبير آخر عن الاغفال المذكور . وفى الحقيقة اخبار عن غفلة مسببة عن جهل  
وعناد .

٢٥- وقال تعالى : «انهم كانوا قوماً عمين - الاعراف : ٦٤» نظيرة آية الحج

المتقدمة .

٢٦- وقال : «فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها - الانعام : ١٠٤» . دليلاً على

ان هذا العماء من فعل انفسهم واختيارهم بالذات . والآيات جاء فيها التعبير بعمى  
القلوب كثيرة : (المائدة : ٧١) . (فصلت : ١٧ - ٤٤) . (النمل : ٦٦) . (الاعراف :  
٦٤) . (الاسراء : ٧٢) . (فاطر : ١٩) : البقرة : ١٨ و ١٧١) . (يونس : ٤٣) . (النمل  
: ٨١) . (الروم : ٥٣) . (الزخرف : ٤٠) . وغيرهن من آيات .

٢٧- قال تعالى : «واما الذين فى قلوبهم زيغ - آل عمران : ٧» اى لهم ميل

فى الانحراف ، كأنهم جبلوا على معاكسة الفطرة ، بسبب ما ألفوه من الفساد و ارتكاب  
الشروع . اذا ما سرع ما تنقلب طبيعة الانسان عن فطرته الاولى الى طبيعة ثانية ، اذا  
ما استرسل بنفسه فى أجواء مظلمة وانهمك فى الاجرام والفساد فى الارض . فيصبح  
وهو متخلق بأخلاق ربما كانت غريبة عن خلقه الأصيل الذى فطره الله عليه .

ويعبر عن هذا الانحراف الخلقى بمرض القلب ، تشبيهاً للانحراف الروحى

بالانحرافات الجسمانية ، كما تقدم .

٢٨- «فلما زاغوا اذاغ الله قلوبهم - الصف : ٥» اى فلما أخذت نفوسهم فى

الانحراف عن جادة الهدى والصلاح ، وكان ذلك على اثر لجأهم مع الحق ،



وصمودهم على رفض الدعوة ، خذلهم الله وتركهم فى ظلمات غيهم يعمهون ، اذ لم يك ينفعهم نصح الناصحين .

٢٩- وعلى هذا النمط جاء قوله تعالى: «فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً -البقرة : ١٠» . وهكذا الايات التالية .

٣٠- «فترى الذين فى قلوبهم مرض -المائدة : ٥٢» اى ذوى مرض روحى الذى هو تعبير عن ذلك الانحراف الخلقى ، المعاكس مع متجه الانسانية الكريمة.

٣١- «اذيقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض: غرهؤلاء دينهم! - الانفال: ٤٩» . هذا من عطف العام على الخاص ، اى من على شاكلتهم من ذوى الانحرافات الخلقية الرذيلة ، المنافية مع أصالة المجتمعات الانسانية الكريمة التى كانت وفق الفطرة الاولى النزيهة .

٣٢- «واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم -براءة : ١٢٥» اى ان هذا الانحراف الذى اكتسبوه لأنفسهم لياخذ بهم من حالة سيئة الى أسوأ وهكذا الى غير نهاية . فلايزالون يتخبطون فى مفاصد اخلاقية وفى أجواء مظلمة ، من فاسد الى أفسد ومن ظلام الى اظلم ، استمراراً مع الأبدية .

٣٣- «ليجعل مايلقى الشيطان فتنة (امتحاناً) للذين فى قلوبهم مرض (فيظهر الله اضغانهم) - الحج : ٥٣» . وذلك لان تسويلات الشيطان انما تؤثر فى عقول من كان على شاكلته ، ان الطيور على اشكالها تقع .

٣٤- «أفى قلوبهم مرض (قديم) ام ارتابوا (حالياً)؟ -النور : ٥٠» . اى هذا الانحراف الذى أبدوه كان عن منشأ قديم انطوت عليه قلوبهم القاسية ، ام كان شيئاً

عرض لهم لشكوك اعترضتهم اثناء المسير ؟

وهكذا بقية الآيات عبرت عن تلك الحالة النفسية المنحرفة الجافة الجافية بالمرض ، فى سورة الاحزاب : ١٢ و ٣٢ و ٦٠ . وسورة محمد : ٢٠ و ٢٩ . وسورة المدثر : ٣١ .

وكذا سائر الآيات التى عبرت بالرین (المطففين : ١٤) . او فاصل حجاب ( فصلت : ٥ ) و(الاسراء : ٤٥) . او على قلوب أفعالها (محمد : ٢٤) . وماشابه . كلها تعابير كناية عن معنى واحد اوضحه قوله تعالى : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة - البقرة : ٧٤ » . وقوله : « ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون - الانعام : ٤٣ » . وقوله : « فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم - الحديد : ١٦ » . اى طال امهالهم فى التنعم بهذه الحياة السفلى . وغيرهن من آيات .

### مسألة القضاء والقدر

من المسائل الكلامية العويصة هى مسألة « القضاء والقدر » . واختلفت فيها انظار ارباب الكلام من ذوى المشارب المختلفة فى الجبر والاختيار . وقد اخذت الأشاعرة - بالذات - فى هذه المسألة طريقها الى الجبر المحض ، وزعموا من القضاء والقدر هو الحتم والالغاء . ومن ثم اسندوا افعال العباد كلها خيرا وشرها ، صلاحها وفسادها حتى الايمان والكفر ، والاطاعة والعصيان ، الى الله سبحانه ، وانه الفاعل لها حقيقة وان كان المباشر فى الظاهرهم العباد انفسهم . ولذلك صحت تسميتهم بالقدرية انطباقا عليهم بالحديث المأثور عن النبى ﷺ : قال : « لعن الله القدرية على لسان سبعين نبيا ، قيل : من القدرية ، يارسول الله ؟ قال : الذين يعصون الله تعالى ، ويقولون : كان ذلك بقضاء الله وقدره » .

١- راجع : شرح الاصول الخمسة للقاضى عبدالجبار ص ٧٧٥

والايمان بالقدر بهذا المعنى الباطل ، هي عقيدة عربية جاهلية امتدت حتى مابعد ازدهار الاسلام، ورغم مكافحة النبي ﷺ والائمة الهداة من بعده لهذه العقيدة الجاهلية الاولى . قال الامام الحسن بن علي - عليهما السلام - : «بعث الله محمداً الى العرب وهم قدرية يحملون ذنوبهم على الله تعالى<sup>١</sup>» . ودليلاً على ذلك قول المشركين : «لو شاء الله ما شركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء - الانعام : ١٤٨» . ومن ثم كذبهم الله في هذه العقيدة الفاسدة المخالفة لصريح الوجدان ، قال تعالى - تعقيباً على قولتهم تلك - : « كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا . قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ ان تتبعون الا الظن ، وان انتم الاتخرون » .

والغريب ان الاشاعرة استسلمت قيادتها - بكل جرأة وصراحة - لهذه العقيدة المنافية للفطرة ولتعاليم الاسلام النزيهة ! قال امامهم المتفلسف : «اعلم ان افعال العباد امور ممكنة الوجود . والممكن لا يترجح وجوده على عدمه الاسبب» . ثم أخذ في الاستدلال على وجوب كون هذا السبب ضروري الوجود، والا لزم المحال (التسلسل الباطل) . وبذلك حاول اثبات انتهاء افعال العباد في علل وجوداتها وفي سلسلة الحاجة ، الى ذاته المقدسة الواجب الوجود . وأخيراً قال : « فثبت : ان افعال العباد ، بقضاء الله تعالى وقدره ، وان الانسان مضطر في اختياره ، وانه ليس في الوجود الا الجبر » . هذانص عبارته في باب القضاء والقدر من كتابه « المباحث المشرقية<sup>٢</sup> » . واما « تفسيره الكبير » فقد ملاه باحكام قواعد الجبر على اصول مذهب ابي الحسن الأشعري واتباعه الاشاعرة<sup>٣</sup> .

\* \* \*

١- راجع : اللطائف الغيبية للمير احمد العلوي تلميذ المير محمد باقر داماد ص ٢٠١

٢- الفصل الخامس من المجلد الثاني ص ٥١٦ - ٥١٧

٣- وقد بالغ في ذلك حتى قال بشأن سورة الانعام : ان هذه السورة من اولها الى آخرها

تدل على صحة قولنا ومذهبنا (في الجبر) . التفسير الكبير ج ١٣ ص ٢٢٧



اما الفلاسفة الاسلاميون الكبار فقد فسروا مسألة «القضاء والقدر» بعلمه تعالى الازلى بالاشياء قبل وقوعها . قالوا : القضاء هو علمه الاجمالي بالاشياء وبالامور الجارية عبر الوجود . والقدر هو علمه التفصيلي بذلك ، اى علمه تعالى بتفاصيل ماسيقع من الذوات والافعال <sup>١</sup> .

قالوا: ولم يكن العلم القديم علة لحدوث الاشياء، لا الاجمالي منه ولا التفصيلي حسبما فصلوه وبينوه دفعا لشبهة الجبر .

وفسر بعضهم « القضاء » بعلمه تعالى بالاشياء ، على ما ينبغي ان يكون عليه الوجود ، حتى يكون على احسن نظام وابدع تشكيل . وهو المسمى عندهم بالعناية الربانية ، التى هى مبدء فيوضاته القدسية ، المفاضة على الموجودات من حيث جملتها على احسن وجه واكمل صورة . و«القدر» عبارة عن خروج تلك الاشياء الى عالم « الوجود العيني » بأسبابها وعللها ، وفق الوجه الذى قرره القضاء القديم <sup>٢</sup> .

قال الفيلسوف الحكيم صدر الدين الشيرازى - بصدد تفصيل علمه تعالى بالاشياء فى مراتبه الثلاث ، وهى «العناية» و«القضاء» و«القدر» - : أما «العناية» فهى علمه تعالى بالاشياء فى مرتبة ذاته المقدسة ، علماً مقدساً عن شوب الامكان والتركيب فهى عبارة عن وجوده ، بحيث ينكشف له الموجودات الواقعة فى عالم الامكان على نظام اتم . مؤديا الى وجودها فى الخارج ، مطابقاً له اتم تأدية ، لاعلى وجه القصد والروية . وهو علم بسيط ، واجب لذاته ، قائم بذاته . خلاق للعلوم التفصيلية العقلية والنفسية . «على انها عنه ، لاعلى انها فيه !» <sup>٣</sup> .

١- اللطائف الغيبية ص ١٩٧-١٩٨

٢- بنقل العلامة المجلسي عن شرح المواقيف . بحار الانوار ج ٥ ص ١٢٨

٣- فى هذه الجملة الاخيرة نكتة دقيقة . هى رد على مزعومة الاشعري فيما زعم ان علمه

تعالى صفة قديمة قائمة بذاته حالة فيها ومقترنة بها ، فلزمه القول بتعدد القدماء .

واما «القضاء» - ويقال له : ام الكتاب» فهو . - عندهم - عبارة عن وجود الصور العقلية لجميع الموجودات ، فائضة عنه تعالى - على سبيل الابداع - دفعة بلا زمان . قال : واما عندنا فعبارة عن صور علمية لازمة لذاته المقدسة ، بلا جعل ولاتأثير ولاتأثر ، وهي صور قديمة بالذات باقية ببقاء الله .

واما «القدر» - وهو : لوح المحو والاثبات - فهو عبارة عن وجود صور الموجودات في العالم النفسى السماوى ، على الوجه الجزئى ، اما انطباعاً - كما عليه المشائون - او على سبيل المظهرية - كما عليه الاشراقيون - مطابقة لما في موادها الخارجية الشخصية ، مستندة الى اسبابها وعللها ، واجبة بها ، لازمة لاوقاتها المعينة وامكنتها الخاصة .

قال : و«العناية» تشمل «القضاء» ، كما ان «القضاء» يشمل «القدر»<sup>١</sup> .

\* \* \*

واما المتكلمون من اصحابنا الامامين - قدس الله ارواحهم - فقد أوضحوا من هذه المسألة احسن ايضاح ، وعرضوها على صعيد عقلى نزيه ، مستعينين بدلالة الكتاب المجيد والسنة القطعية ، وكلمات ائمة الهدى علماء اهل البيت - عليهم السلام - فجاءت المسألة مدللة فى ابداع صورتها اللامعة ، يتلقاها - بلاشك - أذهان متفتحة وعقول سليمة فى رحابة وارتياح ، واليك اجمالياً : -

\* \* \*

القضاء - فى اللغة - جاء بمعنى الأمر الحتم والحكم الفصل ، النافذ نفوذاً قاطعاً يكون هو منتهى الشئ فلا تعلق بعده . قال الزهرى : القضاء فى اللغة على وجوه مرجعها الى انقطاع الشئ وتمامه ، وكل ما احكم عمله او أتم او ختم

---

١- راجع : كتاب «الاسفار الاربعة» ج ٦ ص ٢٩٠ - ٢٩٣ . وراجع - ايضاً - فيما افاده - قدس سره - فى شرح عنايته تعالى ورحمته الواسعة لكل شئ بحسب القضاء الربانى والتقدير الالهى . الفصل الاول من الموقف الثامن ج ٧ ص ٥٥ - ٥٧

او أدى اداء او اوجب او اعلم او انفذ او امضى فقد قضى .

فالتكليف اذا كان الزاماً كان قضاء . ومنه قوله تعالى : « وقضى ربك ان

لاتعبدوا الا اياه وبالوالدين احساناً - الاسراء : ٢٣ » .

وكذا حكم القاضى قضاء ، لكونه الفصل القاطع للدعوى . ومنه قوله تعالى

« ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً - النساء : ٦٥ » .

وهكذا الاخبار الحتمى والاعلام بشىء يقينى لامرد له - ايضاً - قضاء . ومنه

قوله تعالى : « وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض ولتعلن علواً

كبيراً - الاسراء : ٤ » . وقوله : « وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين

- الحجر : ٦٦ » .

وكذلك انتهاء الأجل المضروب قضاء . ومنه قوله تعالى : « فلما قضى موسى

الأجل وسار بأهله - القصص : ٢٩ » وقوله : « هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا

- الانعام : ٢ » اى عين اجلا محددأ لا ينقص ولا يزيد .

ومن ذلك سمي الموت قضاء ، اذ به ينتهى أمد العمر انتهاء قاطعاً لامرد له .

ومنه قوله تعالى : « فوكزه موسى فقضى عليه - القصص : ١٥ » . وقوله : « فمنهم من

قضى نحبه ومنهم من ينتظر - الاحزاب : ٢٣ » . وقوله : « يا مالك ليقتض علينا ربك

- الزخرف : ٧٧ » اى بالموت .

وايضاً فكل أمر نافذ قطعى لاتعلل فيه ولا تريت هو قضاء ، وهكذا العمل المبرم

لا يقف فى وجهه شىء قضاء . ومنه قوله تعالى : « واذا قضى أمراً فانما يقول له كن

فيكون - البقرة : ١١٧ » . وقوله : « فقضاهن سبع سماوات - فصلت : ١٢ » اى انفذ

ارادته فى جعلها سبعاً ، او اتم خلقهن كذلك . وكذا الحكم النافذ تشريعاً كقوله

تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لهم الخيرة

من أمرهم - الاحزاب : ٣٦ » .

ومنه قضاء الحاجة اى انفاذاها ، كقوله تعالى : « الا حاجة فى نفس يعقوب



قضاها - يوسف : ٦٨ .

وكذلك الانتهاء من أمر الشيء فلم تعد لصاحبه حاجة فيه ، كقوله تعالى :  
« فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها - الاحزاب : ٣٧ . ومنه قوله تعالى - ايضاً :  
« فاذا قضيتم مناسككم - البقرة : ٢٠٠ . وقوله : « فاذا قضيتم الصلاة - النساء : ١٠٣ »  
اي اتمتموها كملاً وفرغتم منها .

ويتخلص معنى « القضاء » فى « نفاذ الامر والانتهاء منه حتماً » .

اما القدر - بفتح الحين - فهو بمعنى تقدير الشيء والتعرفة الى كنهه وحدوده من  
زمان ومكان وسائر الجهات المحددة لوجود الشيء . ومنه التعريف الى هندسة  
الشيء والعلم بالظروف والاجواء المؤاتية له ، وشرائط وجوده كماً وكيفاً وجهة  
وغيرها . الأمر الذى يقتضى احاطة بخصوصيات الشيء وجهاته المكتنف بها ، سواء  
أكان عملاً يريد ايجاده ام كلاماً يريد النطق به ام حكماً يريد انفاذه ام تكليفاً يريد تشريعه  
فاذا عرف جهاته وملايساته وموقعيته من زمان ومكان وسائر الاحوال ، فقد قدره  
تقديراً صالحاً للنفاذ .

ومنه قوله تعالى : « وقدر فيها اقواتها فى اربعة أيام - فصلت : ١٠ . وقوله :  
« انه فكر وقدر - المدثر : ١٨ . وقوله : « والذى قدر فهدى - الاعلى : ٣ . اي  
قدر الاشياء تقديراً فهداها على قدر استعدادها وحظها من عالم الوجود .

وقوله تعالى : « والقمر قدرناه منازل - يس : ٣٩ » اي جعلنا له منازل على قدر  
معلوم . وكذا قوله : « وخلق كل شيء فقدره تقديراً - الفرقان : ٢ » اي جعله على  
نمط خاص وعين شرائطه ومبلغ استعداده من حظ الوجود . وهو الذى نعبر عنه  
بالهندسة ، اي هندسه هندسة كاملة .

ومنه ليلة القدر التى يفرق فيها كل امر حكيم ، اذ فيها تقدر الاشياء التى ستجرى  
طول ذلك العام . « والله يقدر الليل والنهار ، المزمّل : ٢٠ » فى تعاقبهما وطولهما  
وقصرهما على مر الايام والدهور . وهكذا قوله : « قدرنا فيها السير - سبأ : ١٨ » اي

تعيّنت فيها مقادير السير ليل نهار .

واما قوله تعالى : «الامرأته قدرنا انها لمن الغابرين - الحجر : ٦٠» . فقد تقدم ان المعنى : علمنا من شأنها انها من الباقيين الهالكين .  
ويتلخص معنى «القدر» في «تقدير الشيء وهندسته هندسة تامة» .

\* \* \*

وعلى ضوء هذا البيان نستطيع تخليص القول في مسألة القضاء والقدر بما يلي :

«انه تعالى اذا تعلق ارادته بخلق شيء وتكوينه او تشريع حكم ونفاذه ، فانه يقدره اولاً تقديراً ، ثم يقضى بوجوده وينفذه تنفيذاً» . ومن ثم فكان الأجدر ان يقال القدر والقضاء . لان القدر - على هذا البيان - متقدم على القضاء والنفاذ .

وعليه فقضاء الله بالنسبة الى افعاله الخاصة ، هو خلقها وابدائها وتكوينها : «اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون - آل عمران : ٤٧» . وبالنسبة الى افعال العباد ، هو امره والزامه تكليفاً : «وقضى ربك ان لا تعبدوا الاياه - الاسراء : ٢٣» اي أمر تكليفاً ووجب ذلك . «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لهم الخيرة من أمرهم - الاحزاب : ٣٦» . اي حكم وشرع . فالمؤمن تجاه احكام الشريعة مستسلم لارأى له سوى الطاعة والامتثال . وهذا لايعنى سلب قدرته وانما هو بعث على التسليم المحض .

وهكذا قدره تعالى هو تقديره لما يريد انفاذه من خلق او تشريع . اي علمه بمايحتمى عليه من صلاح او فساد ، فيوجده تكوينياً أو يأمر به تكليفاً ، وفق ذلك الملاك الواقعى الكامن وراء الاشياء والتكاليف .

قال الشيخ ابو عبد الله المفيد - عميد المذهب - : «والوجه عندنا في القضاء والقدر ، ان لله تعالى في خلقه قضاء وقدرأ . وفي افعالهم (افعال العباد) ايضاً قضاء

وقدرأ معلوماً . ويكون المراد بذلك : انه قضى فى افعالهم الحسنة بالأمر بها ، وفى افعالهم القبيحة بالنهى عنها، وفى انفسهم بالخلق لها ، وفيما فعله فيهم بالايجادله . والقدر منه - سبحانه - فيما فعله : ايقاعه فى حقه وموضعه . وفى افعال عباده : ما قضاه فيها من الامر والنهى والثواب والعقاب ، لان ذلك كله واقع موقعه وموضوع فى مكانه ، لم يقع عبثاً ولم يصنع باطلاً<sup>١</sup> .

وقال العلامة جمال الدين يوسف بن على بن المطهر الحلى : « واعلم ان امير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام قديين معنى القضاء والقدر ، وشرهما شرحاً وافياً ، فى حديث الاصبح بن نباتة عند منصرفه من صفين ، قال : قام اليه شيخ ، فقال : اخبرنا يا امير المؤمنين عن مسيرنا الى الشام ، أكان بقضاء الله تعالى وقدره . فقال امير المؤمنين عليه السلام : والذى فلق الحبة وبرىء النسمة ، ما وطننا موطأ ، ولا هبطنا وادياً ولا علونا تلعة ، الا بقضاءه وقدره !

الشيخ : أعند الله أحتسب عنائى ؟ ما أرى لى من الأجر شيئاً ! .

الامام : مه ، ايها الشيخ ، بل عظم الله اجركم فى مسيركم وانتم سائرون وفى منصرفكم وانتم منصرفون ، ولم تكونوا فى شىء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين .

الشيخ : كيف ، والقضاء والقدر ساقانا ؟

الامام : ويحك ، لعلك ظننت قضاء لازماً ، وقدرأ حتماً ! لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والأمر والنهى ، ولم تتأت لائمة من الله لمذنب ولا محمداً لمحسن ، ولم يكن المحسن اولى بالمدح من المسىء ولا المسىء اولى بالذم من المحسن ! تلك مقالة عبدة الأوثان<sup>٢</sup> و جنود الشيطان ،

١- تصحيح الاعتقاد (اشرح عقائد الصدوق) ص ٢٠ .

٢- اشارة ان الاعتقاد بالقضاء والقدر بالمعنى المذكور الباطل، هي عقيدة جاهلية اولى

قد رفضها الاسلام .



وشهود الزور ، واهل العمى عن الصواب<sup>١</sup> وهم قدرية هذه الامة ومجوسها . ثم قال الامام : ان الله أمر تخييراً ، ونهى تحذيراً ، وكلف يسيراً . ولم يعص مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يرسل الرسل عبثاً ، ولم يخلق السماوات والارض وما بينهما باطلا . ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار .

الشيخ : فما القضاء والقدر الذى ذكرته ، يا امير المؤمنين ؟  
الامام : هو الامر من الله تعالى والحكم . ثم تلا قوله تعالى : «وقضى ربك ان لاتعبدوا الاياه» .

وفى رواية اخرى : الامر بالطاعة ، والنهى عن المعصية ، والتمكين من فعل المحسنة وترك المعصية ، والمعونة على القربة اليه ، والخذلان لمن عصاه ، والوعيد والوعيد ، والترغيب والترهيب . كل ذلك قضاء الله فى افعالنا وقدره لاعمالنا . اما غير ذلك فلا تظنه ، فان الظن له محبط للاعمال .

فقال الشيخ : فرجت عنى - يا امير المؤمنين - فرج الله عنك ثم نهض مسروراً وأنشأ يقول :

|                                  |  |
|----------------------------------|--|
| انت الامام الذى نرجو بطاعته      | يوم النجاة من الرحمان غفراناً              |
| اوضحت من ديننا ما كان ملتبساً    | جزاك ربك بالاحسان احساناً                  |
| فليس معذرة فى فعل فاحشة          | قد كنت راكبها فسقاً وعصياناً               |
| لا ، لا ، ولا قابلاً ناهيه اوقعه | فيها عبدت اذا يا قوم شيطاناً               |
| ولا احب ولا شاء الفسوق ولا       | قتل الولي له ظلماً وعدواناً                |
| انى يحب وقد صحت عزيمته           | ذوالعرش اعلن ذاك الله اعلاناً <sup>٢</sup> |

١- هذا الكلام المعجز ينطبق تماماً على مذهب الاشعري كما نبهنا سابقاً

٢- شرح تجريد الاعتقاد (ط بومباي) ص ١٧٥ - ١٧٦ . وكنز القوائد للكراجكى

ص ١٧١ - ١٧٢ . والكافي - الاصول - ج ١ ص ١٥٥ . وشرح النهج لابن ابى الحديد

ج ١٨ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ . والاحتجاج للطبرسى ج ١ ص ٣١٠ - ٣١١ . وبحار الانوار ج ٥ ←

قال الشيخ المفيد - بعد ايراد الحديث - : هذا الحديث موضح عن قول امير المؤمنين عليه السلام في معنى العدل. ونفى الجبر، واثبات الحكمة في افعال الله تعالى ونفى العبث عنها .

وللسيد عبد الله شبر في تفسير هذا الكلام الزاهي بيان وتحقيق ، راجع : «مصاييح الانوار - في مشكلات الاخبار» ج ١ ص ١١٣ - ١٢٣ .

\* \* \*

وخلاصة مذهبنا في القضاء والقدر: ان «القدر» عبارة عن علمه تعالى بمصالح الامور . وذلك يمثل حكمته تعالى في الخلق والتكليف . و«القضاء» عبارة عن نفاذ ارادته في تكوين شيء او تشريع تكليف . والذي يرتبط بافعال العباد هو القضاء بمعنى التشريع والالزام تكليفياً، فلا جبر ولا الجاء . وهو يمثل مبدأ الاختيار في التكليف . هذه كانت خلاصة ما استفدناه من كلام الامام امير المؤمنين عليه السلام ودلت عليه الآثار المروية عن النبي صلى الله عليه وآله والائمة الهداة المرضيين - عليهم صلوات الله - وسنشير الى بعضها بعد عرض نماذج من آيات مرتبطة بالمقام .

\* \* \*

١- قال تعالى : « وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله ، كتاباً مؤجلاً - آل عمران : ١٤٥ » . هذا من قضائه في التكوين .

٢- « ولكن ليقضى الله امرأ كان مفعولاً - الانفال : ٤٢ » . ايضاً قضاء تكوين .

٣- « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا - براءة : ٩ » اي قدر لنا . بمعنى

علمه تعالى بما هو صلاح لانفسنا ، فينفذه فينا ان شاء ، وفق حكمته تعالى .

٤- « و كان امر الله مفعولاً - الاحزاب : ٣٣ » .

٥- « و كان امر الله قدراً مقدوراً - الاحزاب : ٣٨ » . هو قضاءه الحتم وقدره

ص ١٣ - ١٤ . و ص ٩٥ - ٩٦ . و ص ١٢٥ - ١٢٦ . و الارشاد للشيخ المفيد ص ١٢٠ - ١٢١

وقد صححنا الحديث بمقابلة بعض المصادر مع البعض .

٦- «وماتحمل من انثى ولا تضع الابعلمه ، ومايعمر من معمر ، ولاينقص من عمره ، الا في كتاب . ان ذلك على الله يسير - فاطر : ٣٥ » .  
الكتاب في الآية عبارة اخرى عن علمه الأزلى ، وهو قدره تعالى بمعنى احاطته بمزايا الامور وخبايها قبل ان تتكون في عالم الوجود . اذ ذاك بالنسبة الى علمه تعالى المحيط شىء ضئيل .

٧- «ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم - فصلت : ٤٥ » اى لولا حكمه تعالى بالتأخير والامهال لعجل لهم العذاب .  
٨- «ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم - الشورى : ٢١ » كذلك .  
٩- «انا كل شىء خلقناه بقدر - القمر : ٤٩ » اى بتقدير سابق .  
١٠- «وكل شىء فعلوه فى الزبر . وكل صغير وكبير مستطر - القمر : ٥٢ -  
٥٣ » . اى مقدر فى علمه تعالى بالحكم والمصالح .

١١- «ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير - الحديد : ٢٢ » : تقدم نظيرها برقم : ٦ . والكتاب هو علمه تعالى بالحكم والمصالح . و«نبرأها» اى نوجدها ونخلقها ، لأن التقدير قبل القضاء على ما سبق .

وقوله - بعد ذلك - : «لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - الحديد : ٢٣ » يعنى اذلو عرفتم من أحداث هذا الكون هى ذوات مصالح مدروسة من قبل ، لما فزعتم تجاه آلامها او فخرتم بحظوظها ، اذ كل ذلك انما يجرى على حكم ومصالح ومقتضيات مدروسة من ذى قبل ، وليست مفاجئة اتفاقية كما يزعمها قاصروا النظر فى مظاهر هذه الحياة .



١٢- «ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله - الحشر : ٥»  
أي باقذاره وامتداده لكم ، ولولا أنها مصلحة لما امتدكم بالقوى ولكنتم اعجز من  
فى الوجود . والآية نظيرة مامر من قوله : «ومارميت اذرميت - الانفال : ١٧» فراجع  
(ص ٢٣٤) .

١٣- « ما أصاب من مصيبة الا باذن الله - التغابن : ٦٤ » تقدم نظيرها برقم :

١١ و ٦ .

١٤- «يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شىء قدير وان الله قد أحاط  
بكل شىء علماً - الطلاق : ١٢» أي علما بالحكم والمصالح ، وهذه اشارة الى جانب  
تقديره تعالى للامور .

١٥- «فيمسك الذى قضى عليه الموت - الزمر : ٤٢» أي نفذ فيه الحكم بالموت  
والانتهاء من اجله المحتوم .

١٦- «اذ قضينا الى موسى الامر - القصص : ٤٤» أي انفذناه نفاذاً حتماً . والامر  
فى الآية يراد به الشريعة التى انزلها الله على موسى ﷺ .

١٧- «والله يقضى بالحق - غافر : ٢٠» أي يحكم بالحق او ينفذ ما قدره وفق  
الحكمة .

١٨- «من قبل ان يقضى اليك وحيه - طه : ١١٤» أي ينتهى ويكتمل الى تمام  
الآية .

١٩- « ياليتها كانت القاضية - الحاقة : ٢٧ » . أي قاطعة لحياتى فلم ابعث  
بعدها .

٢٠- «وكان امرأ مقضياً - مريم : ٢١» . هذا تبييس لمريم - عليها السلام -  
وان حملها بعيسى - عليهما السلام - كان أمراً مدروساً من ذى قبل ذاك حكمة ومصلحة  
داعية الى الابداد ، وقد نفذ بشأنه حكم الله بالخلق والتكوين ، فلامررد لقضائه تعالى .

٢١- وهكذا قوله تعالى : «ان منكم الاواردها (مشرف عليها فيوقف فيها او يمر عليها) كان على ربك حتما مقضياً - مريم : ٧١ . اي اذا مصلحة داعية الى ذلك ومن ثم اوجبه تعالى على نفسه وفقاً لحكمته في ذلك .

\* \* \*

والاحاديث المأثورة عن اهل بيت العصمة - عليهم السلام - بشأن مسألة «القضاء والقدر» مختلفة ، منها : الآمرة بها ، وان الناكر للقدر ليس بمسلم . ومنها : الناهية عن التعرض لمسألة القدر ، وانها سر من اسراره تعالى فلا تتكلفوه . ومنها : الشارحة لحدود المسألة اما اجمالياً او بتفصيل . وعليه فيمكننا تنويع هذه الأحاديث الى طوائف :

الاولى - الآمرة بالايان بمسألة القدر : -

١ - قال رسول الله ﷺ : « لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربعة : حتى يشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له . وانى رسول الله بعثنى بالحق . وحتى يؤمن بالبعث بعد الموت . وحتى يؤمن بالقدر » .

انظر الى هذا الحديث ، يجعل من الايمان بالقدر ، فى عداد أوليات اصول العقيدة الاسلامية : الشهادة بالتوحيد . الشهادة بالرسالة . الاعتقاد بالمعاد . الاعتقاد بالقدر .

وهذا - على التفسير الذى قدمنا للقدر - واضح ، اذ الايمان بالقدر - على ذلك - ايمان بسلطان الله القاهر وتدبيره الشامل ، « الحمد لله رب العالمين » . « وقالت اليهود : يدالله مغلولة ! غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا . بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء - المائدة : ٦٤ . قال رسول الله ﷺ : « ان الله عز وجل - قدر المقادير ودبر التدابير قبل ان يخلق آدم بألفى عام » ٢ .

١ - الخصال للصدوق فصل الاربعة ص ١٨١ (ط نجف) والبحار ج ٥ ص ٨٧

٢ - عيون اخبار الرضا ص ٨٠ . والبحار ج ٥ ص ٩٣ رقم ١٢ .

ويتخلص الايمان بالقدر في «الاعتقاد بأن الله هو المدبر لشؤون هذا العالم والمنفذ لما يتكون في الوجود». لكن بالملاحظة التي قدمنا بما لا يستلزم جبراً أو إلهاء فيما يخص افعال العباد الاختيارية ، فراجع مسألة الأمرين الأمرين ( ص ١٧٥ ) ومسألة انتساب الحوادث الى الله (ص ١٨٣).

٢- وقال ايضاً عَلَيْهِ السَّلَام : « اربعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة : عاق . ومنان . ومكذب بالقدر . ومدمن خمر »<sup>١</sup> .

٣- وقال عَلَيْهِ السَّلَام : « ستة لعنهم الله ... الزائد في كتاب الله . المكذب بقدر الله . التارك لسنتي . المستحل من عترتي . المتسلط بالجبروت . المستأثر بفيء المسلمين »<sup>٢</sup> .

\* \* \*

الطائفة الثانية : الأحاديث الناهية عن التعرض لمسألة القدر ، مخافة الزلة فيها . وذلك لان الايمان بالقدر كان من اصول العقائد الجاهلية بانحراف في فحواها ، كانوا يعتقدون من تقديره تعالى لحوادث هذا الكون وتسييره لشؤون الخليقة ، جبراً للعباد فيما يزاولون من اعمال اختيارية . اذ لا يقع شيء في عالم الوجود الا بتقدير الله ، فلاموقع لارادة العباد واختيارهم في ذلك من شيء !

هذا في حين ان مسألة القدر تعنى شيئاً آخر لاصلة بينه وبين الاله والاضطرار . اذ علمه تعالى الازلي بمصالح الاشياء ومفاسدها ، خيرها وشرها ، ليكون خلقه وايجاده للاشياء عن مصالح وملاكات كامنة وراء وجوداتها ، تحقيقاً لجانب حكمته تعالى وعدله ، لامساس له بمسألة الجبر واضطرار العباد على افعالهم الاختيارية .

ولعلك بمراجعة ما اثبتنا في مسألة الامر بين الأمرين عرفت مدى دقة هذه المسألة المنطوية على سر الوجود على الاطلاق ، اذ معرفة ما بين وجود الموجودات

١- الخصال باب الاربعة ص ١٨٤ . والبحار ج ٥ ص ٨٧ رقم ٣ .

٢- الخصال باب الستة ص ٣٠٧ - ٣٠٨ . والبحار ج ٥ ص ٨٧ رقم ٤ .



طراً ، وتأثيره تعالى في ذلك ، من ادق المعارف الاسلامية العليا ، قد كابد العلماء  
الأميرين حتى عثروا على حقيقتها ووقفوا على كنهها ، على ما نبهنا . وهذا هو السر  
في النهي عن ولوجها ، ولكن نهياً موجهاً الى اولئك القاصري النظر من ذوى المعلومات  
الهابطة او الضئيلة فى مجالات العلوم الاسلامية الاصولية ذلك العهد . واليك  
نماذج منها :

١/٤ - سأل رجل الامام امير المؤمنين عليه السلام عن القدر ، فقال : «بحر عميق  
فلا تلجئه» . فسأله ثانية ، فقال : «طريق مظلم فلا تسلكه» . فسأله ثالثة ، فقال : «سر الله  
فلا تتكلفه»<sup>١</sup> .

٢/٥ - وفي نهج البلاغة : قال - وقد سئل عن القدر - : «طريق مظلم فلا تسلكوه  
وبحر عميق فلا تلجوه ، وسر الله فلا تتكلفوه»<sup>٢</sup> .

٣/٦ - وقال - ايضاً - : «الان القدر سر من سر الله ، وحرز من حرز الله ،  
مرفوع فى حجاب الله ، مطوى عن خلق الله ، مختوم بخاتم الله ، سابق فى علم الله ،  
وضع الله عن العباد علمه ، ورفع فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم» .

هذا النهي الوارد فى كلام الامام عليه السلام ينظر الى اولئك المستضعفين . ممن  
تقصر افهامهم عن الخوض فى مسائل الوجود . وفى خلق اعمال العباد ، فانه ربما  
افضى ذلك بهم الى القول بالجبر ، لما فى ذلك من غموض ومزلق ، تحتاج السلامة  
منها الى دقة ومعرفة كاملة ، كان ابناء ذلك العهد يعوزونها البتة .

ومن ثم قال عليه السلام تعقيباً على كلامه المذكور : « لانهم لا ينالونه بحقيقة  
الربانية ، ولا بقدر الصمدانية ، ولا بعظمة النورانية ، ولا بعزة الوجدانية . لانه بحر  
زاخر مواج ، خالص لله عز وجل ، عمقه ما بين السماء والارض ، عرضه ما بين المشرق

١ - كتاب التوحيد للصدوق ص ٣٧٤ . والبحار ج ٥ ص ٩٧ و ١١٠ .

٢ - شرح النهج لابن ابي الحديد ج ١٩ ص ١٨١ رقم ٢٩٣ .

والمغرب ، اسود كالليل الدامس ، كثير الحيات والحيتان ، تعلق مرة وتسفل اخرى» .

ثم قال : «فى قعره شمس تضىء ، لا ينبغي ان يطلع عليها الا الواحد الفرد»  
اي الا الاوحدى من الناس ممن وقف على حقيقة الدين وعرف اسسه المحكمة .  
وهذا دليل على ان النهى عن الولوج فيه انما كان لمعرفة بالتفصيل قصور اهل زمانه فى ادراك امثال هذه الحقايق العليا .

وأخيراً ندد بالتفصيل باولئك القاصرين ما لو حاولوا التكلف فى مسألة القدر ،  
فقال : « فمن تطلع عليها » اي حاول التطلع على تلك الشمس التى هى شمس  
الحقيقة ، وهوليس من أهلها « فقد ضاد الله فى حكمه ، ونازعه فى سلطانه ، وكشف  
عن سره وستره ، وباء بغضب من الله ، وماواه جهنم وبئس المصير »<sup>١</sup> .

٤/٧- وعن ابن أذينة قال : قلت للإمام الصادق عليه السلام : جعلت فداك ، ماتقول  
فى القضاء والقدر ؟ قال : اقول : ان الله تعالى اذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عما  
عهد اليهم ، ولم يسألهم عما قضى عليهم !<sup>٢</sup> .

٥/٨ - وقال الامام الصادق عليه السلام لزراعة بن اعين : يا زراة اعطيك جملة  
فى القضاء والقدر ؟ قال : نعم ، جعلت فداك . قال : اذا كان يوم القيامة ، وجمع الله  
الخلائق ، سألهم عما عهد اليهم ، ولم يسألهم عما قضى عليهم<sup>٣</sup> .

هكذا كلام من الامام عليه السلام بالنسبة الى هذين العلمين الجليلين ، لعله من باب  
« اياك اعنى واسمعى يا جارة » فى امرهما الامام ان يكفا عن التعرض لمثل هذه المسألة

١- كتاب التوحيد للصدوق ص ٣٩٢ . والاعتقادات ص ٧١ . والبحار ج ٥ ص ٩٧ .

٢- كتاب التوحيد للصدوق ص ٣٧٣-٣٧٤ . والبحار ج ٥ ص ١١٢ رقم ٣٨ .

٣- كنز الفوائد للكراچكى ص ١٧١ . والبحار ج ٥ ص ٦٠ رقم ١١١ .

الدقيقة في الأوساط العامة ، ولا سيما والبحث والجدل في هكذا أمور عقائدية غامضة كان دارجاً ذلك العهد ، وأكثرهم كان في تعبط وتخليط .

وخلصه هذا الكلام : ان على العوام ان يبحثوا عن التكاليف المعهودة اليهم ، ليتبينوا ماهى وظيفتهم في العمل ، اما البحث عن مسألة القضاء والقدر فهو بحث عن وظيفة الله في الخلق ، وليس مما يسأل العباد فهمه . فهو تدخل فيما لا يعنى .

\* \* \*

الطائفة الثالثة : احاديث مفسرة لمسألة القضاء والقدر ، وشارحة لفحواها ، غير انها جاءت بتعابير وألسن متفاوتة ، ولعله حسب اختلاف مستوى الأوساط التي صدرت تلك الاحاديث اليها .

فمنها اشارات عابرة وفي تعابير اجمالية ، ومنها مفصلة وبعبارات توضيحية متلاحقة ، ولندكر من كلا النوعين نماذج : -

١/٩- قال الامام ابو عبد الله الصادق عليه السلام : «ان الله اذا اراد شيئاً قدره ، فاذا قدره قضاه ، واذا قضاه امضاه»<sup>١</sup> .

٢/١٠- وقال الامام ابو جعفر الباقر عليه السلام : «لا يكون شيء في الارض ولا في السماء الا بهذه الخصال السبع : بمشية ، واردة ، وقدر ، وقضاء ، واذن ، وكتاب واجل ... الخ»<sup>٢</sup> . وروى قريباً منه الصدوق في الخصال في باب السبعة<sup>٣</sup> .

٣/١١- وسئل امير المؤمنين عليه السلام عن القضاء والقدر . فقال : «لاتقولوا : وكلهم الله الى انفسهم فتوهنوه . لاتقولوا : اجبرهم على المعاصي فتظلموه .

١- محاسن البرقى ص ٢٤٣ . والبحار ج ٥ ص ١٢١ .

٢- نفس المصدر ص ٢٤٤

٣- راجع البحار ج ٥ ص ٨٨ برقم ٧ .



ولكن قولوا : الخير بتوفيق الله . والشر بخذلان الله . وكل سابق في علم الله .  
 هذا الحديث الشريف من جلائل كلمات الامام امير المؤمنين عليه السلام يشرح  
 مسألة «الامر بين الامرين» . ومسألة «القضاء والقدر» في افعال العباد الاختيارية بأوجز  
 كلام وارفى تعبير بليغ . يقول عليه السلام : ليست الامور موكولة الى العباد كاملة ،  
 لتكون خارجة عن سلطان الله ، وهذا هو التفويض الباطل في مذهبنا .  
 وهكذا ليس العباد مضطربين فيما يعملون ، لتكون افعالهم واقعة لاعن ارادتهم  
 ولاعن اختيارهم رأساً ، وهذا هو الجبر الباطل ايضاً . بل الامر بين الامرين ، لا جبر  
 ولا تفويض . فان الافعال وان كانت لاتقع الا بايقاعه تعالى وايجاده ، لكنها انما تقع  
 بارادة تبعية لارادة العباد . فيما يخص الافعال الاختيارية - تحقيقاً لمبدء الاختيار  
 وكان هذا هو المعبر عنه بالاذن منه تعالى ، الامر الذي لا ينبغي اشتباهه بمبدء الجبر  
 ولا التفويض . حسبما تقدم تفصيله .

نعم هناك في الاعمال الصالحة لا يعدم العباد توفيقه تعالى بالتسهيل والتسديد  
 كما لا يعدم القائمون بالشر خذلانه وحرمانه عن اطاقه تعالى الخاصة .  
 هذا ما يستفاد من الحديث الشريف اجمالياً ، فأجدر به من كلام بليغ بديع !  
 ١٢/٤ - وللإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام كلام تفصيلي عن مسألة القضاء  
 والقدر ، وصلتها بمسألة علمه تعالى الأزلي ومشيته ، نذكره في تقاطيع متلاحقة  
 حسب الترتيب الطبيعي الذي رتبه الامام عليه السلام :-

قال : علم وشاء . وأراد وقدر . وقضى وأمضى !  
 فأمضى ما قضى . وقضى ما قدر . وقدر ما اراد !  
 فبعلمه كانت المشيئة . وبمشيته كانت الارادة . وبارادته كان التقدير .  
 وبتقديره كان القضاء . وبقضاءه كان الامضاء .  
 فالعلم متقدم على المشيئة . والمشية ثانياً ، والارادة ثالثة . والتقدير واقع

١ - الاحتجاج للطبرسي ص ١١٠ . والبحار ج ٥ ص ٩٥ .

## على القضاء .

فله تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء . وفيما اراد لتقدير الاشياء . فاذا وقع القضاء بالامضاء فلا بداء .

فالعلم بالمعلوم قبل كونه . والمشية في المشاء قبل عينه . والارادة في المراد قبل قيامه . والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً وقياماً (ووقتاً خل). والقضاء بالامضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الاجسام المدركات بالحواس من ذى لون وريح ، ووزن وكييل ، وما دب ودرج ، من انس وجن ، وطير وسباع ، وغير ذلك مما يدرك بالحواس . فله تبارك وتعالى فيه البداء ، مما لعين له . فاذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء ، والله يفعل ما يشاء .

وبالعلم علم الأشياء قبل كونها<sup>١</sup> . وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها ، وأنشأها قبل اظهارها . وبالارادة ميز أنفسها في ألوانها وصفاتها وحدودها . وبالتقدير قدر أوقاتنا ، وعرف<sup>٢</sup> أولها وآخرها . وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلهم عليها . وبالامضاء شرح عللها ، وأبان امرها . ذلك تقدير العزيز العليم<sup>٣</sup> .

ولعلنا في هذا التقطيع سهلنا على القارى فهم فحوى الحديث بعض الشيء ، اما شرحه المستوفى فخارج عن نطاق الكتاب . وقد شرحه العلامة المجلسى - قدس سره - في موسوعته القيمة « بحار الانوار » ج ٥ ص ١٠٢ - ١٠٤ . ونقل عن بعض الافاضل هناك بياناً علمياً لا بأس به . وان شئت فراجع تجد فيه ما يروى الغليل ويشفى الغليل .

---

١- لا يشته هذا التعبير بمذهب الأشعري القائل بقيام مبدء الصفات بذاته تعالى. اذ مراد الامام - عليه السلام - بيان اثبات نفس الصفات من غير نظرا الى مبادئها . كما يظهر من بقية الجمل .

٢- بالتشديد من باب التفعيل

٣- كتاب التوحيد للصدوق ص ٣٤٥-٣٤٦ . والبحار ج ٥ ص ١٠٢

والسيد عبدالله شبر- ايضاً - مقال ضاف حول تفسير هذا الحديث ، تكلم فيه بتفصيل وتحقيق في كتابه القيم الخالد «مصاييح بالانوار - في حل مشكلات الاخبار» ج ١ ص ٤٨- ٥٨ .

١٣/٥- قال امير المؤمنين - عليه السلام - : ماغلاً أحد في القدر الاخرج من الايمان<sup>١</sup> .

الغلو في القدر هو القول بالجبر ، بجعل افعال العباد خارجة عن اختيارهم . وواقعة تحت ارادته تعالى تقع حيثما يشاء لاشأن للعباد في ذلك رأساً . وهذا هو مذهب العرب الجاهلي الذي كافحه الاسلام بشدة .

وللحديث تفسير آخر : يكون الغلو في عقيدة التفويض ، ليكون الله قد قدر الاشياء وتركها تتحقق بذواتها وفق تقدير الله القديم . ولاشأن لاذنه تعالى في تحقق الافعال والموجودات . وهذا مذهب اهل التفويض . جاءت تسميتهم في احاديث اهل البيت بالقدرية .

ويدل على هذا المعنى الثاني ما رواه الصدوق عن الامام الصادق عليه السلام قال : «ان القدرية مجوس هذه الامة ، وهم الذين ارادوا ان يصفوا الله بعدله فأخرجوه من سلطانه»<sup>٢</sup> .

١٤/٦ - وسئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الرقي<sup>٣</sup> يستشفى بها ، هل ترد من قدر الله؟ فقال : انها من قدر الله !<sup>٤</sup> :

١- ثواب الاعمال للصدوق ص ٢٠٥ . والبحار ج ٥ ص ١٢٠ رقم ٦٠ .

٢- كتاب التوحيد للصدوق ص ٣٩٠ .

٣- الرقية : العوذة ، وهي دعاء يشد على المريض لاستشفائه من عند الله . على شريطة ان تكون مأثورة بالاثر الصحيح .

٤- قرب الاسناد ص ٤٥ . والبحار ج ٥ ص ٨٧ رقم ١ .



وهذا كالدعاء والاستغفار يرد القضاء وقدا براماً - كما فى الحديث -  
 قال تعالى : « يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب - الرعد : ٣٩ » . فالتقدير  
 الاول - مثلاً - ان يشتد مرض فلان على اثر عمله كذا . ثم اذا شرب الدواء الناجح  
 او ابتهل الى الله فى شفاؤه ، فقد قدر شفاؤه لذلك . فكما ان الاول تقدير كذلك الثانى  
 تقدير . وهذا واضح اذا ما رجعت تفسيرنا للقدر ، وهو العلم بالملاكات والمقتضيات  
 هل تتصادم مع الموانع ام لا ؟ .

٧/١٥- وعن ابن نباتة ، قال : ان امير المؤمنين عليه السلام عدل من عند حائط  
 مائل الى حائط آخر فقيل له : يا امير المؤمنين ، تفر من قضاء الله ؟ قال : أفر من  
 قضاء الله الى قدر الله عز وجل <sup>١</sup> .

ولعل عمله عليه السلام ذلك كان امثالاً لدستور اسلامى « وجوب التحفظ على  
 النفس » . قال الامام الصادق عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « خمسة لا يستجاب لهم ،  
 أحدهم رجل مر بحائط مائل ، وهو يقبل اليه ، ولم يسرع المشى ، حتى سقط  
 عليه » <sup>٢</sup> .

اما بالنسبة الى علمه الخاص - فى مقام ولايته التكوينية - فجاز ان يعمل  
 وفق علمه ، كما فى الحديث عن الامام الصادق عليه السلام قال : ان امير المؤمنين عليه السلام  
 جلس الى حائط مائل ، يقضى بين الناس . فقال بعضهم : لاتقعد تحت هذا الحائط  
 فانه معور . فقال امير المؤمنين : حرس كل امرء أجله . فلما قام سقط الحائط .  
 قال الامام الصادق : وكان امير المؤمنين عليه السلام يفعل هذا واشباهه . وهذا  
 اليقين <sup>٣</sup> .

١- كتاب التوحيد للصدوق ص ٣٧٧ . والبحار ج ٥ ص ١١٤ رقم ٤١ .

٢- الخصال للصدوق باب الخمسة ص ٢٧٢ برقم ٧١ والبحار ج ٥ ص ١٠٥ .

٣- الكافي الشريف ج ٢ ص ٥٨ . والبحار ج ٥ ص ١٠٤-١٠٥ رقم ٣٠ .

وقال امير المؤمنين عليه السلام لسعيد بن قيس الهمداني عندما نصحه ليقى بنفسه عن غيلة الاعداء : «ياسعيد، انه ليس من عبد الاوله من الله - عزوجل - حافظ وواقية . معه ملكان يحفظانه من ان يسقط من رأس جبل ، او يقع في بئر . فاذا نزل القضاء خليا بينه وبين كل شيء»<sup>١</sup> .

وللعلمة المجلسي - هنا<sup>٢</sup> - بيان لطيف في توجيه موقف الامام امير المؤمنين من قضية الحائط المعور ، حيث احتاط في مورد ولم يعبه به في مورد آخر . فراجع .

\* \* \*

### السعادة والشقاء

من المسائل المستعصية في الاصول هي مسألة «السعادة والشقاء» : هل السعيد من كتب له السعادة في الأزل ، والشقى من كتب له الشقاء في بطن امه وقبل ان يولد؟! اذن فماموقف السعيد من سعاده ، وموقف الشقى من شقاه ؟ اذا كانت السعادة والشقاء امرين خارجين عن اختيار المكلف ذاته ، وانما هما مفروضان عليه رغم ارادته ومساغيه في هذه الحياة ؟!

قلت : «السعادة» قد تطلق ويقصد بها معنى نفسى ، وهى حالة استقامة للنفس تجعلها ترغب - دائماً - فى الخير وفى مناشىء الصلاح ، ولا تميل فى ذاتها الى شر او فساد . وفى مقابلة ذلك «الشقاء» : حالة نفسية منحرفة تميل بها الى الشر والفساد ، ولا ترغب فى خير ولا فى صلاح . وتسمى هذه الحالة بالخباثة النفسية ، وصاحبها «شقى» اى «خبث» . كما تسمى الحالة الاولى بطيب النفس ، وصاحبها «سعيد»

١- نفس المصدر ص ٥٨-٥٩ .

٢- بحار الانوار ج ٥ ص ١٠٥ تحت الرقم : ٣١ .

٣- كما فى قوله تعالى : «ولم يجعلنى جباراً شقياً - مريم : ٣٢ . وقوله : «كذبت

ثمود بطنواها ، اذ انبعث اشقاها - الشمس : ١٢» .

اي «طيب النفس» .

وللسعادة والشقاء معنى آخر يرتبط وحالة الانسان الظاهرية مما يمس عيشته في هذه الحياة . اذ تكون السعادة حينذاك بمعنى الرفاه في العيش ، والشقاء بمعنى الضيق والشدة .

قال تعالى : «طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى» اي لتضيق على نفسك بكثرة العبادة وبذلها اذ الحياة رأساً . وقال : «فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى - طه: ١١٧» اي فتتعب وتقع في عناء العيش بعد هذا الرغد والمرفهية .

كما ورد في الحديث : «من سعادة المرء سعة داره ، ومن شقاءه ضيق داره» اي من قدر له الرفاه في هذه الحياة كان من دلائله ان ينعم بسعة في داره . ومن قدر له الضيق في الحياة ، كان من دلائله ان يرزق بدار ضيقة . اذ ليست سعة الدار ولا ضيقها مما يرتبط ومسألة السعادة والشقاء بمعنى طيب النفس وخيبتها ، ومن ثم جاء في رواية اخرى : «من شقاء العيش ضيق المنزل» . اي من سوء الحظ في الحياة ان تكون دار سكنى الانسان ضيقة<sup>١</sup> .

اذن فالسعيد - على هذا التفسير - هو صاحب الحظ الوفير في هذه الحياة

والشقى : المحروم التعيس .

ونحن قد فسرنا الحديث المأثور «السعيد من سعد في بطن امه ، والشقى من شقى في بطن امه<sup>٢</sup>» . في بعض المجالات - بهذا المعنى الثاني<sup>٣</sup> . اي من قدر له الرفاه في هذه الحياة فان دلائله تبدو من حين انعقاد نطفته ، فانه ينعم برفاه في نفسه وفي أمه فتقضى دور حملها به في ارتياح ورغد من العيش الهنيء . اما التعيس المحروم

١- مكارم الاخلاق للطبرسي ، والوسائل ابواب احكام المساكن ج ٣ ص ٥٥٧-٥٦٠ .

٢- بحار الانوار ج ٥ ص ١٥٣ رقم ١ نقلا عن أمالي الصدوق .

٣- وللحديث تفسير آخر سيأتي في حديث ابن ابي عمير مع الامام موسى بن جعفر

- عليه السلام - .



فان تعاسته لتسرى الى حالة امه ، لتتضى دور حملها فى عناء وعطب وقلق نفسى واضطراب .

ولعل الاطلاق الاول من السعادة والشقاء ، استعارة من هذا المعنى ، تشبيها لغير المحسوس بالمحسوس ، فالسعيد الطيب النفس مرفه عليه نفسياً ، انه يعيش فى آفاق متسعة الأبعاد . فى طمأنينة من الحياة وارتياح . « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم » والشقى الخبيث يعيش فى قلق وخرج واضطراب نفسى ، فى إطار ضيق من الحياة الدنيا الحالكة ، المليئة بالأكدار والأخطار .

اما السعادة والشقاء بالمعنى الاول ، فلم يقدر لأحد ان يكون شقياً خبيثاً لان الله تعالى لم يخلق أحدًا للنار ، وانما خلقهم ليكونوا مؤمنين مطيعين ، ولينعموا برضوانه فى جنة عدن مجبورين . وانما يخبث من يخبث بسوء اختياره وانهماكه فى شهوات دنيا ولذائد وقتية سفلى ، ثم تحيط به خطيئاته ، وتحول دون نور عقله آثامه ، فيعمى قلبه ويعشى بصره ويصم اذنه ، واخيراً يفقد شخصيته الانسانية الكريمة . ومن ثم صح التعبير فى شأنه : قد غلبت عليه شقوته ، فأمسى من السافلين .

قال الامام ابو عبد الله الصادق عليه السلام فى قوله تعالى « قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا - المؤمنون : ١٠٦ » قال : « بأعمالهم شقوا » . هذا الحديث الشريف يؤكده على ان الشقاء امر مكتسب من قبل العبد نفسه ، وليس امراً مفروضاً عليه من قبل الله سبحانه . حيث عدله وحكمته تأبى فرض الشر على أحد اطلاقاً .

وسأل ابن ابى عمير - المحدث العلامة العملاق - ابا الحسن الامام موسى ابن جعفر عليهما السلام عن تفسير قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشقى من شقى فى بطن امه ، والسعيد من سعد فى بطن امه » . فقال الامام عليه السلام : « الشقى من علم الله - وهو فى بطن امه - انه سيعمل اعمال الأشقياء . والسعيد من علم الله - وهو فى بطن امه - انه سيعمل

١ - كتاب التوحيد للصدوق ص ٣٦٦ . والبحار ج ٥ ص ١٥٧ رقم ١٠ .

فسأله ثانية : فما معنى قوله ﷺ : «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»<sup>١</sup> . فقال الامام : «ان الله - عزوجل - خلق الجن والانس ليعبدوه ، ولم يخلقهم ليعصوه . وذلك قوله - عزوجل - وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون» . فيسر كلا لما خلق له فالويل لمن استحب العمى على الهدى»<sup>٢</sup> .

هذا من جلائل احاديث اهل البيت عليهم السلام - وهم أدري بما فى البيت - وهو يؤكّد تماماً ما ذكرنا : ان احداً لم يقدر له ان يكون شقيماً او خبيثاً .

وقوله - اخيراً : «فيسر كلا لما خلق له» اشارة الى قوله تعالى : «ثم السبيل يسره - عبس : ٢٠» اى ان الله تبارك وتعالى انما خلق العباد ليعبدوه وليختاروا طاعته على معصيته ، ومن ثم أقدرهم على كلا الأمرين ويسر لهم طرق الامتثال لتكون اطاعتهم عن اختيار وعبادتهم عن رغبة وارادة ، وهكذا كانت منحة الاختيار لحكمة التكليف والاختبار ، الا ان من العباد من يستغل هذه المنحة الالهية فى اغراض مخالفة فيستعمل من قدرته وقواه ، فى اتجاه معاكس لغرضه تعالى . فويل له من هذه الاستفادة السيئة .

وقد جاء هذا المعنى فى احاديث كثيرة ، منها : مارواه البزنطى عن الامام

١- هذا الحديث رواه اهل السنة بعدة اسانيد ، منها مارواه البخارى فى جامعه باب قول الله تعالى : «ولقد يسرنا القرآن للذکر» . عن عمران قال : قلت : يا رسول الله ، فيما يعمل العاملون ؟ قال : «كل ميسر لما خلق له» . وهكذا رووا عن على - ع - قال : «اعملوا فكل ميسر» . (صحيح البخارى ج ٩ ص ١٩٥) . وقد أخذت الاشارة - وهم جل اهل السنة - من هذه الاحاديث دليلاً على مذهبهم فى الجبر ، حسبما يأتى . ومن ثم فان الامام - ع - مع اقراره لاصل الحديث يخطئهم فى فهم معناه وان له تفسيراً يتوافق مع عدله وحكمته تعالى . على ما بينه الامام - ع - .

٢- كتاب التوحيد للصدوق ص ٣٦٦ . والبحار ج ٥ ص ١٥٧ رقم ١٠ .

ﷺ فيما نقله من الحديث القدسي : « يا ابن آدم ، بمشيئتي كنت انت الذي تشاء (اي الاذن منه تعالى) وبنعمتي ادبت الى فرائضي ، وبقدرتي قويت على معصيتي خلقتك سمياً بصيراً . انا واولي بحسناتك منك ، وانت اولي بسيئاتك مني ... الخ<sup>١</sup> .  
 وفي حديث الزنديق ، سأل الامام ابا عبد الله الصادق ﷺ فقال : اخبرني عن الله ، كيف لم يخلق الخلق كلهم مطيعين ؟ قال : لو خلقهم مطيعين لم يكن ثواب ، لان الطاعة اذا لم تكن من فعلهم لم تكن جنة ولا نار . لكنه تعالى خلقهم فامرهم ونهاهم ، ليكونوا هم الذين يطيعون ويعصون .

الزنديق : أليس العمل الصالح والعمل الشر من فعل العبد ؟

الامام : العمل الصالح يفعله العبد والله أمره به ، والعمل الشر يفعله العبد والله نهاه عنه .

الزنديق : أليس فعل العبد بالآلة التي ركبها الله فيه ؟

الامام : نعم . ولكن بالآلة التي عمل بها الخير ، قدر بها على الشر الذي نهاه ... الخ<sup>٢</sup> .

\* \* \*

وبعد فاليك من آيات السعادة والشقاء نماذج :

١- قال تعالى : «يوم يأت لاتكلم نفس الا باذنه ، فمنهم شقى وسعيد - هود :

٠٢١٠٥

زعمت الاشاعرة - وهم جبرية خالصة على ما اسلفنا<sup>٢</sup> - ان هذه الآية الكريمة تدل على مذهبهم في الجبر ، وان السعيد من كتبت له السعادة فلا يستطيع غيرها ، والشقى من كتب له الشقاء فلا يستطيع غيره ، ومن ثم اخبر سبحانه بان من يدخل الجنة

١- قرب الاسناد ص ١٥١ . والبحار ج ٥ ص ٤-٥ رقم ٣ .

٢- الاحتجاج للطبرسي ص ١٨٦ . والبحار ج ٥ ص ١٨-١٩ رقم ٢٩ .

٣- راجع : ص ٦٨ فيما اثبتناه عن ابي الحسن الاشعري في قوله بالجبر .



هم السعداء ، وان من يدخل النار هم الأشقياء !

قال مفسرهم وامامهم المتفلسف الفخر الرازى - بشأن دلالة الآية - : « اعلم انه تعالى حكم الآن على بعض اهل القيامة بأنه سعيد ، وعلى بعضهم بأنه شقى ، ومن حكم الله عليه بحكم وعلم منه ذلك الامر ، امتنع كونه بخلافه . والازم ان يصير خبر الله تعالى كذباً وعلمه جهلاً ، وذلك محال . فثبت ان السعيد لاينقلب شقياً ، وان الشقى لاينقلب سعيداً » . قال : وتقرير هذا الدليل مر فى هذا الكتاب ( يعنى تفسيره الكبير ) مراراً لا تحصى .

قال : وروى عن عمر بن الخطاب انه قال : لما نزل قوله تعالى « فمنهم شقى وسعيد » قلت : يا رسول الله ، فعلى ماذا نعمل ؟ على شىء قد فرغ منه ، ام على شىء لم يفرغ منه ؟ فقال : « على شىء قد فرغ منه يا عمر ، وجفت به الأقلام ، وجرت به الأقدار ، ولكن كل ميسر لما خلق له »<sup>١</sup> .

ثم قال : وقالت المعتزلة : « نقل عن الحسن انه قال : فمنهم شقى بعمله وسعيد بعمله » .

واجاب بأن الدليل القاطع ( الذى اقامه - فيما زعم - على اثبات الجبر ) لا يدفع بهذه الروايات !

وقال - اخيراً - وايضاً فلانزاع انه انما شقى بعمله ، وانما سعد بعمله ، ولكن لما كان ذلك العمل حاصلًا بقضاء الله وقدره ، كان الدليل الذى ذكرناه باقياً<sup>٢</sup> .

قلت : اما الرواية التى رووها عن ابن الخطاب فلانعتمدها نحن بالذات ، اولاً - لضعف الاسناد ، لان فى طريقها سليمان بن سفيان عن عبد الله دينار . وقد ضعفه

١- هذه الرواية رواها جميع ارباب التفسير وغيرهم من محدثى العامة . انظر : الطبرى

- التفسير - ج ١٢ ص ٧٠ .

٢- التفسير الكبير ج ١٨ ص ٦٠ - ٦١ .

ثانياً - لمخالفتها لاصول العدل والحكمة في ذاته تعالى المقدسة .

ثالثاً - وعلى فرض تسليمها فلا بد من تفسيرها بما لا يتنافى مع مذهب العدل . قال الشيخ محمد عبده : ومعناه - الذى غفل عنه او جهله الكثيرون على ظهوره - : ان الله يعلم الغيب ، وعلمه بان زيدا يدخل الجنة او النار ، ليس معناه انه يدخلها بغير عمل يستحقها به بحسب وعده وحكمته ، ولا انه لافرق فيما يعمله فى الجزاء ، وانما يعلم الله المستقبل كله بجميع اجزائه واطرافه ، ومنه عمل العاملين وما يترتب على كل عمل من الجزاء بحسب وعده ووعيده فى كتابه المنزل و كتابته للمقادير ، ولاتناقض ولاتعارض بينهما . ونحن لانعلم الغيب ، ولكن النبى ﷺ علمنا ما نعلم به ماسيكون فى الجملة ، وهو «ان الجزاء بالعمل» وان كل انسان ميسر له ومسهل عليه ما خلقه الله لأجله من سعادة الجنة وشقاوة النار ، وان ما وهبه للانسان من العزم والارادة يكون له من التأثير فى تربية النفس ما يوجهها به الى ما يعتقد ان فيه سعادته<sup>٢</sup> .

وهذا المعنى الذى تنبه له الشيخ عبده هو الذى نقله اصحاب الاعتزال عن الحسن وانكره الرازى الاشعري .

وهكذا تقدم فى روايات اهل بيت العصمة - عليهم السلام -<sup>٣</sup> ما يتوافق ومذهب العدل ، تفسيراً لما روى عن النبى ﷺ بهذا الشأن .

ولسيدنا الطباطبائى رد لطيف على تليفقات الامام الرازى ، على اصول فلسفية حكيمة ، بين فيها اوجه المغالطة التى ارتكبها امام المشككين ، فراجع<sup>٤</sup> .  
من ذلك قوله - اخيراً - : كان العمل حاصلًا بقضاء الله ... الخ . اذ ليس

١- انظر : المغنى فى الضعفاء للذهبي ج ١ ص ٢٨٠ برقم ٢٥٩٠ .

٢- تفسير المنار ج ١٢ ص ١٥٩ .

٣- صفة : ٣٤٠-٣٤٩

٤- تفسير «الميزان» ج ١١ ص ١٨

هذا الكلام سوى تكرار لكلامه الاول ومصادرة على المطلوب ، لانا قد بينا ان ليس معنى القضاء والقدر سوى علمه تعالى بمقادير الأشياء وامضاء الوجود وفقها، من غير ان يكون علمه تعالى علة في التأثير .

اذ لو لاحظنا من السعادة والشقاء امرين مفروضين على العباد، فان مسؤوليتهما تقع على الذى فرض عليهم - وهو الله تعالى حسب مزعومة الاشعري - وهذا بعينه الجبر . اما اذا اعتبرنا انهما من عمل العباد انفسهم، وانهم بالعمل يسعدون أو يشقون ، فمعناه ان المسؤولية ترجع اليهم بالذات لا الى الله ، كما عليه مذهب اهل العدل والتنزيه . اذن فارجاع الاعمال الى الله حينئذ ، ليكون الله هو المسؤول عن افعال العباد - كما يرومه القائل بالجبر - يكون ذلك عوداً الى القول الاول ، و سلب المسؤولية عن العباد تجاه اعمالهم وما يستتبعها من سعادة وشقاء ، لاشيء آخر !

و كم لامام المشككين وشيخه الاشعري امثال هذه المغالطات المفصوحة !! .

\* \* \*

اما مدلول الآية الكريمة بالذات فان الشقاء والسعادة فيها يعينان سوء الحال وحسنه ذلك اليوم ، اى فمنهم التعيس المتضايق عليه بالعذاب وشدة المؤاخذة ومصيره الى النار ، ومنهم الفاره المنعم عليه بالثواب ورفق اللطف به ومآله الى الجنة . نظير قوله تعالى فى آية أخرى : « وتندر يوم الجمع لاريب فيه ، فريق فى الجنة وفريق فى السعير . ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ، ولكن يدخل من يشاء فى رحمته ( وهم الذين استحقوا رحمته بايمانهم واعمالهم الصالحة ) . والظالمون ما لهم من لى ولا نصير . ( وهم الاشقياء الأذلاء الذين استوجبوا الذل والهوان لأنفسهم ، بما عرضوا عن ذكر الله ونسوا لقاء يومهم هذا ) - سورة الشورى : ٨ » .



اذن ليست السعادة والشقاء فى الآية من النوع المصطلح بالمبحوث عنه ،  
وانما هما بالمعنى الثانى الذى قدمنا شرحه ، ولاصلة بينه وبين مسألة الجبر والاختيار  
فى شىء .

ودليلا على ذلك ما جاء فى تعقيب الآية بالذات : « فأما الذين شقوا ( اى  
ساء حظهم ذلك اليوم ) فى النار لهم فيها زفير وشهيق . خالدين فيها مادامت  
السموات والارض ، الا ما شاء ربك ، ان ربك فعال لما يريد . واما الذين سعدوا  
( اى رجحت صفتهم وحظوا برحمته تعالى الخاصة ) فى الجنة خالدين فيها  
ما دامت السموات والارض ، الا ما شاء ربك ، عطاء غير مجدوذ » .

\* \* \*

٢- « قالوا : ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين - المؤمنون : ١٠٦ » .  
بعد قوله تعالى موبخاً اياهم : « ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون  
! ؟ » . فكأنهم حاولوا بذلك ابداء الاستعذار ، اى بلى تليت علينا آياتك غير ان شقاءنا  
النفسى المسيطر على وجودنا ومشاعرنا ، غلبتنا ولم يدعنا نجيب دعوتك  
فضللنا ! ! .

وربما تمسكت الأشاعرة بهذه الآية - ايضاً - دليلاً على الجبر وعدم  
استطاعة العباد على الايمان وعلى الاستقامة على طريق الهدى ، الا ان يكون حافز  
من خارج ذاتهم ، حسبما كتبه رب العالمين من سعادة أو شقاء !

وروا عن مجاهد فى قوله « غلبت علينا شقوتنا » قال : التى كتبت علينا<sup>١</sup> .  
قال اهل العدل والتنزيه : هذا الذى رامه اهل الجبر تحريف بظاهر الآية  
وتأويل بمدلولها من غير ما سبب معقول . لأن ظاهر الآية الكريمة أن العصاة انما  
قالوا ذلك اعترافاً منهم بعدم الحجة لهم وان لا عذر لهم فى الاعراض والتولى ،  
بدليل انهم اضافوا الشقوة الى انفسهم « شقوتنا » الامر الذى يدل على ان لهم فى

١- رواها محمد بن جرير الطبرى بعدة أسانيد ، انظر التفسير ج ١٨ ص ٤٤

اكتسابها بدأ ، وانها كانت من صنيع اعمالهم السيئة التي ارتكبوها .  
ولو كانت الشقوة مما سجلت عليهم فى الازل الزاماً و الجاءاً لكانت  
عذراً لهم البتة ، ولكان لهم ان يقولوا : انها من صنعك يا ربنا ولا حجة لك  
علينا .

والخلاصة ان الآية - حسب اقرار كبار المفسرين وعلماء الادب والبيان-  
ظاهرة فى الاعتراف باتمام الحجة عليهم وانهم بسوء اختيارهم فعلوا ما فعلوا ،  
ومن ثم هم نادمون على ما فرط منهم ، راجين منه تعالى ان يمن عليهم بالعودة ،  
لاصلاح ما افسدوه من قبل ، واستدراك مافات . «ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون  
- ١٠٧ .»

قال سيدنا الطباطبائى - دام ظله - : هذا اعتراف منهم بتمام الحجة عليهم ،  
وكانت الشقوة شقوة انفسهم اى شقوة لازمة لسوء اختيارهم وأثر سيئات اعمالهم  
حيث اضافوها الى انفسهم . قال : و يشهد لذلك وقوع الاية بعد قوله : « الم  
تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون » . وتعقيبها بقوله : « ربنا اخرجنا ...  
الخ » .

قال : وانما اعترفوا بالذنب والتقصير ليتوصلوا بذلك الى التخلص من  
العذاب ، وللرجوع الى كسب السعادة ، فقد كانوا عاينوا من قبل ان اعتراف  
العاصى بالذنب والصغار كانت توبة له ومطهرة له من الذنب ، فكانت تنجيه من  
العقاب .

قال : وهذا من قبيل ظهور الملكات ، كانوا يكذبون من قبل مع ظهور  
الحق ومعانيته بشهود ، كذلك يكذبون ذلك اليوم تجساه رب العالمين . لاستقرار  
ملكة الكذب فى نفوسهم «يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون  
انهم على شىء ، الا انهم هم الكاذبون - المجادلة : ١٨ »<sup>١</sup> .

١- تفسير «الميزان» ج ١٥ ص ٧٤-٧٥

ومن ثم جاءهم الرد القاصف : « قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون - المؤمنون : ١٠٨ » . والدليل على انهم يكذبون ذلك اليوم بكل وقاحة وشراسة ، قوله تعالى : « ثم قيل لهم : اين ما كنتم تشركون من دون الله ؟ قالوا - ( كذباً وزوراً ) - : ضلوا عنا - ( اى نجهلهم ولا نعرف منهم شيئاً ) - ثم بدالهم ان ينكروا عبادتهم للاصنام رأساً انكاراً صريحاً ، ومن ثم قالوا : - « بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً - غافر : ٧٤ » . انظر الى هذه الوقاحة تجاه رب العالمين الذى لاتخفى عليه خافية فى السماوات والارض !!

\* \* \*

وقال الجبائى : « المراد ان طلبنا للذات المحرمة وحرصنا على العمل القبيح ساقنا الى هذه الشقاوة ، فأطلق اسم المسبب على السبب . وليس هذا باعتذار منهم ، لعلمهم بان لا عذر لهم فيه ، واكنه اعتراف بقيام حجة الله عليهم فى سوء صنيعهم » .

وقال القاضى : « فى الآية دلالة على انه لا عذر لهم الا الاعتراف ( بالتقصير ) . فلو كان كفرهم من خلقه تعالى وبارادته ، وعلموا ذلك ، لكانوا بأن يذكروا ذلك أجدر ، والى العذر اقرب » .

وقدرد عليهما الفخر الرازى - على مذهبه الاشعرى الجبرى - بأن طلبهم للذات ان كان باختيارهم فذلك الاختيار محدث ، وكل محدث مفقور الى علة خارجة عن ذاته ، وليست سوى ارادة الله القديمة . ثم اخذ فى الاستدلال على احتياج المحدثات الى علل وهى تتسلسل الى ذاته المقدسة ، حسب منهجه الخاص فى ارجاع علل الموجودات حتى الافعال الاختيارية الى ارادته تعالى الازلية .

وقد ابطل اهل العدل هكذا استدلالات هى اشبه بسفاسف سوفسطائية ، وان افعال العباد الاختيارية واقعة تحت اختيارهم بالذات ، متى ماشاؤا فعلوا ، ومتى لم يشاؤا تركوا . حسبما اسلفنا فى مسألة « الامر بين الامرين » وغيرها من مسائل



مرتبطة .

واما الذى قاله الفخر فى تفسير الآية فهو: ان المناظرة مع الله تعالى غير جائزة بل لا يسأل عما يفعل ، فلا جرم قال لهم : « اخسؤوا فيها ولا تكلمون »<sup>١</sup> .  
قلت : ولعله فى هذه المحاولة رجح الحجة مع العصاة ، وجعل من مقام قدسه تعالى حكومة ظالمة غير مسؤولة ولا متقيدة بنظام العقل والحكمة . تعالى الله العدل الحكيم عن ذلك علواً كبيراً .

\* \* \*

٣ - « فاما يا أيئناكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى - طه : ١٢٣ » . هذا هو الشقاء المعنوى ، ومن ثم فسروه بالشقاء الاخرى . والآية دليل على انه أثر الضلال عن هديه تعالى والاعراض عن آياته البينة . وليس امراً مفروضاً محتملاً على الاشقياء .

وجاءت كلمة « تشقى » قبل الآية برقم ١١٧ بمعنى الشقاء الظاهرى «التعب والعناء» . ولكنها فى هذه الآية (١٢٣) جاءت بمعنى الشقاء المعنوى «الخبائة» وهذا من التقابل - اثباتاً ونفيًا - فى كلمة واحدة بين معنييهما المختلفين اعتباراً . وهو من الفن البديع .

\* \* \*

٤ - « و لم يجعلنى جباراً شقياً - مريم : ٣٢ » . هو من الشقاء بمعنى الخبث .

قال الامام الرازى : وهذا - ايضاً - يدل على قولنا ( يعنى كون الشقاء والسعادة من فعله تعالى يضعهما حيث يشاء ) لانه لما بين انه جعله براً وما جعله جباراً ، فهذا انما يحسن لو ان الله تعالى جعل غيره جباراً وغير بار بأمه ، فان الله تعالى لو فعل ذلك بكل احد لم يكن لعيسى عليه السلام مزيد تخصيص بذلك ، ومعلوم انه

١ - انظر : التفسير الكبير ج ٢٣ ص ١٢٤-١٢٥ .

ﷺ انما ذكر ذلك في معرض التخصيص .

وقال الامام مالك : ما اشد هذه الآية على اهل القدر ( يعنى المتعزلة وسائر اهل العدل المنكرين للجبر) اخبر عيسى ﷺ بما قضى من أمره ، وبما هو كائن الى ان يموت<sup>٢</sup> .

هكذا زعم اهل الجبر من متفلسفة وحشوية ان العباد مضطرون فيمايزاولون لا رأى لهم ولا ارادة ولا اختيار . وانما هم مسيرون وفق ما فرض عليهم وقدر لهم فى الأزل .

واما اهل العدل والتنزيه فأجروا الآية الكريمة على سياق نظائرها من ارادة عنايته تعالى الخاصة بخلص اوليائه الصالحين ومزيد ألطافه بشأنهم ، لما علم منهم الصلاح والثبات والاستقامة ، فأيدهم ووقفهم وجعلهم للمتقين اماما . قال الشيخ ابو على الطبرسى - رحمه الله - : « والمعنى : انى بلطفه تعالى وتوفيقه كنت محسناً الى والدتى ، متواضعاً فى نفسى ، حتى لم اكن من الجبابرة الأشقياء»<sup>٣</sup> .

والدليل على صحة هذا المعنى هو سياق الآية وانسجامها مع آيات قبلها وبعدها ، قال تعالى حكاية عن عيسى ﷺ : « قال انى عبدالله ، آتانى الكتاب وجعلنى نبياً . وجعلنى مباركا اين ما كنت . واوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حياً . وبرأ بوالدتى . ولم يجعلنى جباراً شقياً . والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حياً - مريم : ٣٣ » .

فمعنى « آتانى الكتاب وجعلنى نبياً » : انه تعالى اختارنى نبياً . وليس اختياره تعالى احداً لمقام رسالته الا اذا وجدته صالحاً لذلك . أميناً صادقاً وفياً . وليس تحميلاً فى غير محل قابل ولا اعتباراً من غير حكمة وملاك .

١- التفسير الكبير ج ٢١ ص ٢١٥

٢- تفسير القرطبي ج ١١ ص ١٠٣

٣- مجمع البيان ج ٦ ص ٥١٣ .

وهكذا «جعلنى مباركاً» اى زاد فى عنايته تعالى بشأنى ، حيث النبى هو المعلم النفاع ، فأينما يتوجه فان بشائر الخير والبركات تتقدمه .

و«أوصانى بالصلاة والزكاة» اى أمرنى بهما امر تكليف .

و«برأ بوالدتى» اى جعلنى برأبها ، ومعنى جعلنى برأ ، وفقنى للقيام بخدمتها حيث وجدنى راغباً فى اداء شكرها الواجب ، فحيث انه تعالى مهدله سبيل هذه المكرمة ، لما وجده محلاً قابلاً لها ، نسبة الى الله ، حسبما مر فى الحديث «اناولى بحسناتك منك» . راجع شرحنا لهذه الفقرة .

وكذلك قوله : « ولم يجعلنى جباراً شقيماً » اى لم يخذلنى ولم يمنعنى أطفاه الكريمة ، كى انخرط مع الجبابرة الاشقياء ، بل منحنى عناياته والمزيد من توفيقه ، حيث وجدنى جاداً فى طلب السعادة ، فساعدنى برحمته ، وفق وعده الحتم ، «والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا» .

والخلاصة : ان معنى «لم يجعلنى جباراً شقيماً» : انه تعالى علم منى الرغبة فى التخضع والبلوغ الى عز السعادة ، فساعدنى على ذلك وزاد فى توفيقه حتى بلغتها بعنايته تعالى .

والجعل وان كان بمعنى التكوين ، لكن حيث كانت اصل الهداية الى طرق السعادة ، وكذا المعونة على الوصول اليها ، حاصلة بفعله تعالى « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله » . صحت نسبة تكوين شخصية الانسان المهتدية السعيدة الى الله عز شأنه . فكان شخصيته الخاصة متكونة بفعله تعالى ، حيث جميع اسباب تكوينها والاهتداء الى طرق تكوينها ، كانت ممهدة من جانبه تعالى الامر الذى لا يستدعى جبراً ولا اكراهاً على هداية او ضلال .

هذا احد التأويلين فى الآية الكريمة .



وهناك تأويل آخر أشار اليه شيخ الطائفة ابو جعفر الطوسي - قدس سره الشريف - قال : « ولم يجعلنى جباراً » اى لم يحكم على بالتجبر والشقاء <sup>١</sup> . وهذا كقولهم : جعله سارقاً اى حكم عليه بأنه سارق ، بمعنى انه علم منه ذلك او ثبت لديه انه سارق ومن ثم ابدى رأيه بشأنه ليكون معنى الآية على هذا التأويل : انه تعالى لما علم منه الخير والصلاح فى الآجل ، حكم عليه انه من السعداء الاتقياء . اى ابدى علمه بشأنه .

وأخيراً فلو كانت السعادة والشقاء من فعله تعالى المباشرى او التسيبى <sup>٢</sup> ، من غير أن يكون لارادة العبد واختياره الخاص مدخل فى تحصيلهما واكتسابهما ، لم يكن موضع لمدح السعيد على سعاده ، ولا مجال لتوجيه اللائمة الى الأشقياء . فى حين ان جميع ما قاله عيسى عليه السلام بهذا الصدد ، كله تحد وفخار ، فى جويتلائم وتمدح النفس بلاشائبة اعجاب . الامر الذى لا يخفى على النبيه الخبير .

\* \* \*

٥- « وادعو ربى عسى ان لا اكون بدعاء ربى شقيماً - مريم : ٤٨ » . اى خائباً محروماً .

٦- « ولم أكن بدعاءك رب شقيماً - مريم : ٤ » كذلك .

٧- « اذ انبعث اشقاها - الشمس : ١٢ » اى أخبثها .

٨- « لا يصلها الا الأشقى - الليل : ١٥ » . اى الا الخبيث المحروم ، الممنوع

من فيض رحمته تعالى ، بسبب خطيئاته المتركمة المحيطة به من كل جانب .

٩- وهكذا قوله : « ويتجنبها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى - الاعلى :

١١ » . ضمير التأنيت يعود على الذكرى ، فالذى يعرض عنها هو الخبيث الشقى

١- تفسير التبيان ج ٧ ص ١١١

٢- حسبما قاله الفخر فى آخر كلامه المتقدم

والتعيس المحروم .

- ١٠- «انه لذو حظ عظيم-القصص :٧٩». اى سعيد منعم بلذائذ الحياة مر فة عليه ،  
حسبما كان بنو اسرائيل يرونه بشأن قارون .
- ١١- «وما يلقاها الا ذو حظ عظيم -فصلت :٣٥». اى سعيد منعم بكمال النفس ،  
ذو عقل وفير وادراك انساني نبيل .
- ١٢- «يريد الله ان لا يجعل لهم حظا فى الآخرة -آل عمران : ١٧٦» اى نصيباً  
وهو حكاية عن واقعه سوداء مرة .
- ١٣- «ونسوا حظا مما ذكر وابه -المائدة : ١٣» اى اليهود اغفلوا نصيباً جزيلاً  
كان يعود عليهم اذا ما هم لبوا دعوة الحق .
- ١٤- وهكذا قوله :«فسوا حظاً مما ذكر وابه - المائدة : ١٤» بشأن النصارى  
لم يستسلموا لقيادة الحق .

\* \* \*

### التمحيص والاختبار

فى القرآن كثير من آيات انذرت بتمحيص هذه الأمة واختبارها شأن سائر  
الأمم السالفة. وفى ذلك فائدتان كبيرتان : -  
الأولى: ان البلى والمحن تعمل فى تكوين الانسان ثبات عزيزته واستقامة رأيه  
فلا يتزعزع تجاه الحوادث والكوارث ، مقداما صبوراً ، قوى الارادة ، حازماً  
وقوراً ، والله تعالى يريد من هذه الامة امة مترية ومرتقية كاملة ذات قدرة جبارة لبسط  
العدل فى ارجاء العالم المعمور « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على  
الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً -البقرة : ١٤٣». امة مترية تحت تربية الرسول  
وتعليمه المباشر . لتصبح هى مربية لسائر الامم ومعلمة للاجيال ، مكارم اخلاق الانسانية  
العليا وآدابها المثلى .

الثانية : ابداء مافى الناس من قابليات وطاقات واستعدادات متفاوتة ، ومدى ما يبذله انواع الطوائف والآحاد فى تجسيد مافى كمونهم من قوى وصلاحيات « ليميز الله الخبيث من الطيب - الانفال : ٣٧ » اى ليمتاز احدهما عن الآخر .

وذلك تمهيداً للفوز على مختلف درجات الآخرة ، فلا يستوى الأفراد فى البلوغ الى مدارج الكمال والقرب من رضوانه تعالى . فلو كان الله يثيب الناس على حسب استعداداتهم المتفاوتة من قريب وأقرب او بعيد وأبعد، وفق ما يعمله من اختلاف قابلياتهم فى التقرب والابتعاد، لكانت صرخات الاعتراض تعلو : لما ذاهدا الافتراق والتفاوت فى العناية والأطاف ؟ !

اذن كان من الحكمة ان يعم امتحان شامل « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة - الانفال : ٤٢ » . ليتجلى للناس ماهم عليه من تفاوت واختلاف . « لثلا يكون للناس على الله حجة - النساء : ١٦٥ » .

\* \* \*

١- قال تعالى : « ما كان الله ليدر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الله الخبيث من الطيب - آل عمران : ١٧٩ » اى حتى يظهر للناس انفسهم امتياز أحدهما عن الآخر .

٢- وقال : « ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله . وتلك الأيام نداولها بين الناس ( اى بالاقبال والادبار ) وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء، والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين - آل عمران : ١٤٠ - ١٤٢ » .

قوله : « يعلم » - فى المواضع الثلاثة - اى ليبدو للناس ويتجلى علمه الازلى بشأن مختلف الطبقات .

٣- « وليبتلى الله مافى صدوركم . وليمحص مافى قلوبكم - آل عمران : ١٥٤ » اى ليمتحنكم ويبدى مافى سرائركم ، لاليعلم هو، بل لتعلموا انتم ايها الناس . ومن



ثم ختمت الآية بقوله: «والله عليم بذات الصدور». أى ليس هذا الابتلاء والتمحيص لأجل ان يعرفكم - بالتخفيف - بل ليعرفكم - بالتشديد - .

٤- «لتبلون فى أموالكم وأنفسكم، ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً. وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور - آل عمران: ١٨٦». هذه الآية الكريمة تشير اشارة تامة الى الفائدة الأولى التى نبهنا عليها . حيث الابتلاء يوطد من ار كان عزم الانسان وثباته فى الامور .

٥- «وهو الذى جعلكم خلائف الارض، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم فيما آتاكم - الانعام: ١٦٥». أى لتبدو استعداداتكم ومدى صلاحياتكم تجاه منقلبات الامور والاحوال .

٦- «وحسبوا ان لا تكون فتنة فعموا وصموا - المائدة: ٧١». أى ظن بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وابتلاء فتاهت نفوسهم واضطربوا عند الامتحان .

٧- «واقفوا - (اى خذوا حذر كم) - فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة - الانفال: ١٢٥». حيث الابتلاء بالمحن والآلام يعم الجميع .

٨- «واعلموا انما أموالكم واولادكم فتنة - الانفال: ٢٨». أى بلاء واختبار لمقدار قابليتكم فى القيام بوظيفتهما واداء حقهما الواجب .

٩- «ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله (اى يبدو علمه القديم بشأنكم) الذين جاهدوا منكم - براءة: ١٦». .

١٠- «اولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين - براءة: ١٢٦». . حيث توصل الاختبار بتلاحق الفتن والبلايا ، لطفأ مستمراً بالمؤمنين ، وسخطأ على

١١- «ليلوكم ايكم احسن عملا - هود : ٧» اى اشد ثباتاً واصوب اتجاهاً .

١٢- «لنبلوهم ايهم احسن عملا - الكهف : ٧» .

١٣- «وفتناك فتوناً - طه : ٤٠» . اى اختبرناك اختبارات فى مواقف عديدة، توطيداً لثبات شخصيتك ، وتمهيداً لاستعدادك لمقام النبوة .

١٤- «فاناقد فتنا قومك من بعدك واصلهم السامرى - طه : ٨٥» . حيث اضلال السامرى بذاته كانت فتنة وابتلاء زلت فيها اقدام بنى اسرائيل .

١٥- «ونبلوكم بالشر والخير فتنة - الانبياء : ٢١» . اى بالجذب والرخص اوبالبلايا والنعيم . حتى يبدو مبلغ استعداداتكم وطاقتكم تجاه مختلف الاحوال .

١٦- «ليجعل مايلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض - الحجج : ٥٣» . اى الاحداث المضلة بعد وفاة الرسول اختبار لمبلغ ثبات المؤمنين به على الايمان، غير ان غالبيتهم ابدوا ما كانت نفوسهم المنحرفة منطوية عليه من الاضغان والاحقاد على هذا الدين . «أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم - آل عمران : ١٤٤» .

١٧- «وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ؟ وكان ربك بصيراً - الفرقان : ٢٠» . اى كانت البلايا التى تصيب بعضكم من بعض ، امتحاناً لكم ليبدولكم بالذات مبلغ ثباتكم وصبركم على الايمان . اما الله تعالى فهو غنى عن اختباركم ، لانه بصير بكم وعليم بذات الصدور .

١٨- «بل انتم قوم تفتنون - النمل : ٤٧» . اى وقعتم فى البلاء والابتلاء .  
ولولا ان تتدار ككم رحمته تعالى لهلكتم عن آخركم .

١٩- «أحسب الناس ان يتركوا - (بلا ابتلاء واختبار) - ان يقولوا آمنة وهم  
لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين -  
العنكبوت : ٣» اى حتى يمتاز الصادق عن الكاذب ، وتم الحجة على الكاذبين .

٢٠- «هنالك - (فى وقعة الأحزاب) - ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا -  
الأحزاب : ١١» فتبين المخلصون الثابتون على الايمان عن الكاذبين المنافقين .

٢١- «ان هذا لهو البلاء المبين - الصافات : ١٠٦» . كانت قصة الذبح  
اختباراً عظيماً لابراهيم - عليه السلام - تبينت - خلالها - شخصيته الفذة الكبيرة  
بوضوح .

٢٢- «ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب - ص : ٣٤» . اى  
بهذا الابتلاء نهناه على ما فرط منه مما لا ينبغي من مثله ، لطفاً بشأنه من عبد مخلص  
منيب .

٢٣- «فاذا مس الانسان ضر دعانا . ثم اذا خولناه نعمة منا ، قال : انما اوتيته  
على علم . بل هى فتنة ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون - الزمر : ٤٩» . حيث وفرة  
النعم قد تكون ابتلاء لمبلغ قيامه باداء الشكر الواجب .

٢٤- «ولنبلونكم حتى نعلم الجماهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم -  
سورة محمد : ٣١» . اى حتى يظهر علمنا السابق فيكم فيبدولكم بالذات .



قوله : «ونبلو اخباركم» اى نختبر مبلغ صدقكم فيما يؤثر عنكم من ادعاءات وتبجحات ، حتى يتبين لكم بالذات مدى صحتها ووقفها مع الحقيقة .

٢٥- «ليلوكم ايكم احسن عملا - الملك : ٣» تقدم نظيرها برقم ١١ .

\* \* \*

### الاحباط . التكفير . الموازنة

الاحباط <sup>١</sup> : محق حسنة بسيئة لاحقة اطلاقاً ، سواء أكانتا متساويتين أم فضلت احدهما على الاخرى ، وسواء أكانت الفاضلة هي الحسنة ، أم هي السيئة المتأخرة ، حتى وان سيئة واحدة لاحقة لتبطل بها حسنات جسام .  
التكفير <sup>٢</sup> - عكس الاحباط - : « ان الحسنات يذهبن السيئات - هود :

١١٤ » .

الموازنة <sup>٣</sup> : ان يسقط الأقل بالأكثر حجماً وقدرًا ، ليبقى مقدار الفضل بينهما يثاب عليه او يعاقب محضاً .

وهي من المسائل - الكثيرة - التي اختلفنا فيها نحن - الامامية - مع اصحاب الاعتزال ، حيث اخذوا في اتجاه معاكس لمقتضى العدل والحكمة في افعاله تعالى ،

---

١- مأخوذ من «الحبط» - بفتحين - وهو الفساد والهلاك . واصله من حبط البعير ، اذا اكثر من أكل «الحندقوق» حتى انتفخ بطنه وفسد عليه الاكل . واسم هذا الداء «الحباط» - بالضم - . واستعمل في كل ما فسد وذهب اثره باطلا ، يقال : حبط دم القتل اذا هدر . او حبط عمله اذا ذهب سدى . وحبط ماء البئر اذا غار فلم يعد .

٢- مأخوذ من «الكفر» - بالفتح - وهو الستر والتنظية ، يقال : كفر درعه بثوبه ، اذا لبسه فوقها وغطاها به . ومنه اطلق اسم الكفر - بالضم - على ضد الايمان ، لان الكافر قد غطى فطرته بالانكار .

٣- بمعنى المقايسة ، فيقاس احدهما بالآخر ليعرف الاثقل من الاخف .

كما نقضوا مذهبهم في كون المجازاة استحقاقاً ، ومالى ذلك من توال فاسدة  
حسبما نشير .

وقبل ان تنتقل الى صلب البحث لابد ان نتعرف - اجمالياً - الى مسائل  
هى ذات صلة بالموضوع : -

الاولى : هل الجزاء على العمل استحقاق ام مواضعة ، اى مجرد مواعدة  
(وعد بثواب ووعيد بعقاب) ؟ .

الصحيح هو الاول، فى صورة ما اذا كان العمل صادراً عن طلب من المولى ،  
حتى ولو كان متفضلاً على عبده بالنعم الجسام ، لان ذلك، تفضل محض ، ولاشئ  
يوازى التفضل ، خصوصاً اذا كان فى التكليف مشقة ، فانه ليس للمتفضل ان يكلف  
المتفضل عليه بما يوقعه فى مشقة كثيرة بحجة انه منعم عليه ، لولا الالتزام على نفسه  
بمقابلة الأجر والثواب .

هذا ولاسيما اذا قلنا بان المثوبات ليست سوى تجسيدات ذاتية لنفس الأعمال  
تتجسد الى درجات ودرجات ، والأعمال هى - بدورها - انعكاسات نفسية طيبة  
او خبيثة تتمرّن بالعمل ، وان كانت ذات مرونة وقابلة للانعطاف والتبدل ، بالتربية  
والتدريب .

وعليه فالمحسن الممثل لأوامر مولاه ، انما يستحق أجراً لذاته ، ولم يكن  
الوعد بالثواب سوى تأكيد ، وتعيين لمقداره لا لأصله .

وهكذا المسمى يستحق عقوبة لذاته وليس لمجرد الوعيد، ولعل استحقاق المسمى  
اجماعى ، حيث تمرده وكفرانه نعم المولى معاً .

\* \* \*

الثانية : هل المثوبة والعقوبة تقنضيان الدوام والأبدية؟ فلامثوبة الاوهى دائمة،  
ولا عقوبة الاوهى خالدة؟! .

---

١- وسوف نتكلم عن مسألة العقوبة فى مجال التفسير ان شاء الله .

قالت المعتزلة : نعم ! ومن ثم جعلوا من الفاسق خالداً في النار .

ودليلهم على ذلك هو : قياس المثوبة والعقوبة بالمدح والذم ، فكما انهما دائميان ، كذلك لازمهما من الثواب والعقاب . قالوا : ولأنه اذا انقطع عقاب العاصي ودخل الجنة كان ذلك تفضيلاً عليه ، ولا تفضل على المكلفين ، وانما هو خاص بالأطفال والمجانين <sup>١</sup> .

وبهذه الطريقة حاولوا اثبات الاحباط ، لئلا يعود المعاقب على معصيته مثاباً على طاعته ، فينتقض دوام العقاب بشأنه ، كما يكون ثوابه المتأخر تفضيلاً فيمازعموه . وهذا مما يتحاشونهما البتة <sup>٢</sup> .

قلنا : لاخلود في النار الالكفار <sup>٣</sup> ، اما العصاة من المؤمنين الذين احتفظوا بايمانهم حتى الممات فمرجون لأمر الله ، اما يعذبهم حسب استحقاقهم ، عذاباً يتناسب مع نوعية العصيان الذي ارتكبوه ، واما يتوب عليهم والله عليهم حكيم <sup>٤</sup> . قال تعالى - بشأن العصاة من المؤمنين - : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم - براءة : ١٠٢ » . قوله : « اعترفوا بذنوبهم » اعترافاً منبعثاً عن ايمانهم بالله ، حيث المؤمن هو الذي يرى من اعماله السيئة عصياناً له تعالى ، فهو دليل على احتفاظهم باصول الايمان ، وان كانوا قد ارتكبوا ما ارتكبوا من قبائح . الامر الذي وفر عليهم من شرائط الغفران .

واما قياس الثواب والعقاب بالمدح والذم ، ففي أصل الاستحقاق لا شك

١- راجع : شرح الاصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص ٦٦٦-٦٦٧ .

٢- انظر نفس المصدر ص ٦٢٤ .

٣- قال تعالى : « والذين كفروا بآيات الله ولقاءه اولئك يشوا من رحمتي واولئك لهم

عذاب اليم - العنكبوت : ٢٣ » ونحن قد بحثنا عن جوانب مسألة الخلود في مجال التفسير .

٤- مقتبس من الآية الكريمة ١٠٦ من سورة براءة .



فيه . فمن استحق مدحاً على عمل استحق ثواباً عليه ، وكذا الذم والعقاب . اما قياس دوام احدهما على دوام الآخر فلا موضع له ، بعد ان كانت مرحلة الاستحقاق بمعزل عن مرحلة الفعلية والوقوع . لان معنى دوام الاستحقاق ، هو جواز مذمة العاصي في أى وقت من الأوقات ، ولا يختص ذلك بالآن المباشر لظرف عصيانه . الامر الذى لا يعنى الاستدامة فى مذمته ليل نهار على مر الدهور .

وهكذا العقاب ، يستحقه العاصي فى أى وقت من الأوقات ، فمتى ما اراد المولى عقابه صح ذلك منه . وهذا لا يعنى جواز الادامة من عقابه على مر الزمان مع الأبدية . لان ذلك عقاب فوق استحقاقه وظلم يتحاشاه عدله تعالى وحكمته المطلقة .

اما اختصاص تفضله تعالى بالصغار القصر فلم يعرف له وجهاً ، ولا هم اقاموا على اثباته برهاناً . فضلاً عن مخالفته الصريحة لنص الكتاب والسنة المتواترة . فان فضله تعالى عظيم<sup>١</sup> ورحمته واسعة<sup>٢</sup> وقد وعد بغفران الذنوب جميعاً<sup>٣</sup> .

\* \* \*

الثالثة : هل المغفرة خاصة بالتائبين ام هى عامة ؟

زعمت المعتزلة اختصاصها بمن يموت عن توبة وندم واستغفار .

لكن فى نصوص الكتاب والسنة صراحة فى عمومها لمن مات عن ايمان ،

---

١- « يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله

ذو الفضل العظيم - الانفال : ٢٩ » .

٢- « قال عذابي اصيب به من شاء . ورحمتي وسعت كل شيء - الاعراف :

١٥٦ » .

٣- « قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . ان الله يغفر الذنوب

جميعاً . انه هو الغفور الرحيم - الزمر : ٥٣ » .

فان كان تائباً فيموت مغفوراً له كمن لا ذنب له ، وغيره يموت مرجوياً لأمره تعالى اما يعذبه على قدر استحقاقه ثم يغفر له ، أو يتفضل عليه بالغفران من اول امره بلاء تعذيب . وان فى كثير من العبادات الواجبة ، والأعمال الصالحة ، لمطهرة للذنوب حتى الكبار ، فضلاً عن الصغائر ، فانها مغفورة بذاتها على شرط اجتناب الكبائر<sup>١</sup> .

قال تعالى : « واقم الصلاة طرفى النهار وزلفاً من الليل ، ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين . واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين - هود: ١١٤ - ١١٥ » .

وقد شبه رسول الله ﷺ الصلوات الخمس بنهر على باب الدار يغتسل فيه صاحبها كل يوم خمس مرات ، فقال : « أكان يبقى فى جسده من الدرن شىء ؟ » . قال الامام ابو جعفر الباقر - عليه السلام - : « وهكذا مثل الصلاة مثل النهر الجارى ، كلما صلى صلاة كفرت ما بينهما من الذنوب »<sup>٢</sup> .

وقال عليه السلام : « اذا اتى العبد بسيئة ، قال الملك الموكل بحسناته لصاحب السيئات : لاتعجل ، عسى ان يتبعها بحسنه تمحوها . فان الله عز وجل يقول : ان الحسنات يذهبن السيئات »<sup>٣</sup> .

وقال تعالى : « ليجزى الذين أساءوا بما عملوا . ويجزى الذين احسنوا بالحسنى . الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم<sup>٤</sup> . ان ربك واسع المغفرة - النجم : ٣١-٣٢ » .

وقال : « ان تجتنبوا كبائر ماتنهنون عنه تكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا

١- راجع : بحار الانوار ج ٨ ص ٣٥١ باب ٢٧ من كتاب العدل والمعاد .

٢- انظر : وسائل الشيعة ج ٣ ص ٧ باب ٢ من ابواب اعداد الفرائض

٣- البرهان فى تفسير القرآن للبحراني ج ٢ ص ٢٣٦ حديث ٣

٤- اللمم : صفار الذنوب

كرباً - النساء : ٣١».

والآيات والروايات المطلقة في هذا الباب كثيرة جداً كثرة تناسب مع سعة رحمته تعالى الشاملة . وقد تواترت الروايات<sup>١</sup> بشأن المستخلصين من النار الفائزين برحمته تعالى ، جزاء على ثبات إيمانهم . حيث الإيمان من أكبر الطاعات ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً . « وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم - البقرة : ١٤٣ » .

قال المحقق نصير الدين الطوسي - قدس سره - في تجريد الاعتقاد : « وعذاب صاحب الكبيرة ينقطع ، لاستحقاقه الثواب بإيمانه ، ولقبحة عند العقلاء » . قال العلامة ابن المطهر الحلي - رحمه الله - في شرحه : « الحق أن عقاب أصحاب الكبائر منقطع ، والدليل عليه وجهان ( الأول ) : أنه يستحق الثواب الدائم على إيمانه ، لقوله تعالى : فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . والإيمان أعظم أفعال الخير ، فإذا استحق العقاب بالمعصية فإما أن يقدم الثواب على العقاب ، وهو باطل بالاجماع ، لأن الثواب المستحق بالإيمان دائم . أو يقدم العقاب على الثواب - وهو المطلوب - أو يجمع بينهما - وهو محال . ( الثاني ) : يلزم في من عبد الله تعالى مدة عمره ثم بعضى بمعصية مع بقاء إيمانه أن يبقى مخلداً في النار كمن أشرك بالله مدة عمره ، وذلك محال لقبحة عند العقلاء »<sup>٢</sup> .

\* \* \*

الرابعة : هل المراد بالاحباط تأثير العمل اللاحق في بطلان العمل السابق ، بمعنى انقلابه فاسداً من الأول ، بعد أن كان قد وقع صحيحاً ؟ أم المراد ابطال اثره في المستقبل من مشوبة وغيرها من آثار كانت مترتبة عليه لولا الاحباط ؟ لاشك أن المفروض الأول باطل ، إذ لا تأثير للمتأخر في المتقدم وجوداً ،

١- راجع : بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٥٥ حديث ٨ . وص ٣٦٠-٣٦٣ .

٢- شرح التجريد المسألة الثامنة في انقطاع عذاب أصحاب الكبائر ص ٢٣٣



الا اذا كان بمعنى بطلان المتقدم واقعاً ، لما في علم الله : ان شرطه المتأخر (وهو عدم وجود العمل اللاحق ) لا يتحقق في ظرفه . الامر السدى ليس من الانقلاب الحقيقي . وانما هو انكشاف للواقعية التي كانت معلومة عندالله وخافية علينا .

مثلا اذا كانت الموافاة على الايمان شرطاً في صحة الاعمال ، فالمرتدالذى يموت على الكفر ، فاقد لهذا الشرط في ظرف الواقع ، ومن ثم فان اعماله جميعاً كانت باطلة من يومها الاول ، و ينكشف ذلك لنا عند ما يموت على الارتداد .

\* \* \*

الخامسة : هل الفاسق مؤمن ام كافر اموسط بين الأمرين ؟

أثبتت المعتزلة للفاسق منزلة بين المنزلتين ، لا هو باق على ايمانه ولا هو مرتد الى الكفر والجحود . قالوا : صاحب الكبيرة لايسمى مؤمناً ولاكافراً،وانما يسمى فاسقاً . اما الاول ، فلان مرتكب الكبيرة يستحق الذم واللعن والاستخفاف والاهانة ، ولا شيء من ذلك يصلح لشأن المؤمن الذى يستحق المدح والتعظيم والموالاتة . وقد سموا من خالفهم فى هذا الرأى بالمرجئة<sup>١</sup> . واما الثانى ، فلان الكافر هو من يستحق العقاب العظيم ، ويختص باحكام مخصوصة ، وله حالة جحود لنعم الله تعالى عليه ، الامر الذى لاينطبق على مرتكب الكبيرة . وخالفهم فى هذا الرأى الخوارج<sup>٢</sup> .

وهى -ايضاً- من المسائل التى اختلفنا فيها مع اصحاب الاعتزال ، لزعمهم ان من شرط الايمان هو العمل بالأركان<sup>٣</sup> . فأخذوا من فروع احكام الاسلام

١- راجع : شرح الاصول الخمسةلقاضى القضاة ص٧٠١-٧١١ .

٢- راجع : نفس المصدر ص٧١٢ .

٣- الايمان عند ابي على و ابي هاشم عبارة عن اداء الطاعات ، الفرائض دون النوافل .

قيداً في ثبوت اصوله ، ومن ثم فان المشروط والمقيد بشيء ينتفى عند فقد شرطه وقيده . قال القاضي : لأن الأمة اتفقت على ان ركعتي الفجر <sup>١</sup> من الدين ، واذ اثبت انه من الدين ثبت انه من الايمان ، لان الدين والايان واحد <sup>٢</sup> !

قلت : الايمان عندنا عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان . اما فعل الطاعات واجتناب المعاصي ، فهو من آثار الايمان المترتبة عليه مع الالتفات اليه ، ويختلف حسب اختلاف درجة الايمان وقوته ، كالعقل حسب درجاته في الكمال يؤثر في اتزان الانسان في افعاله واجتناب القبائح . فكما لا يصح ان يقال لكل مرتكب قبيح : انه فاقد للعقل اطلاقاً ، كذلك لا يصح نفي الايمان عن مرتكب المعصية اذا لم يكن عن جحود .

ومن ثم فان الفاسق باق على ايمانه ، وهو الذي يدعوه الى التوبة والاستغفار ، ولولاه لم يتب ولم يكن يثوب . نعم اذا كان مرتكب الكبيرة جاحداً لحرمتها بما يرجع الى انكار قول الرسول وجحد رسالته - العياذ بالله - لكان مرتدأ عن الايمان وداخلاً في حد الكفر ، وبذلك كان قد قطع حبل الله المتين ، الذي اعتصم به عباده المؤمنون ، فلا آصرة تربطه مع الله سوى الرجوع الى حظيرة الايمان .

اما استحقاقه المذمة والاهانة على ارتكاب المعصية ، فلا يتنا في مع استحقاقه الاجلال والتعظيم على ثباته على الايمان ، لانهما مترتبان على عنوانين لا يمس احدهما الآخر ، فيذم على جهة ويمدح على اخرى ، كما يقبح انسان على

---

→ واجتناب المقبحات . وعند ابي الهذيل عبارة عن اداء الطاعات الفرائض منها و النوافل واجتناب المقبحات . وقد اختاره قاضي القضاة . انظر : شرح الاصول الخمسة ص ٧٠٧ - ٧٠٨ .

١ - يعني نالته حسب اختياره مذهب ابي الهذيل في كون النوافل من الايمان .

٢ - نفس المصدر ص ٧٠٨ .

قبيحة ارتكبتها ، ويستحسن فعله الآخر ، اذا كانا على جهتين وبعنوانين لاصلة بينهما .

واما التساوى بين الدين والايان فلا موضع له ، بعد ان كان الدين عبارة عن مجموعة قوانين وانظمة لتنظيم الحياة الفردية والاجتماعية فى اكمل نظام كافل لسعادة الدارين . فليس الدين سوى الطريقة المستقيمة التى شرعها الله تعالى ، ويجب على المكلفين السير عليها تأمينا لسعادتهم المنشودة .

اما الايمان فهو نفس الاعتقاد بالله وحده لا شريك له ، والتصديق برسوله فيما جاء به من عند الله . وغير خفى ان التصديق غير العمل ، وكان الدين هو العمل .

\* \* \*

#### فرضية الاحباط فى خطوات :

و بعد فالصحيح عندنا فى مسألة الاحباط ومتفرعاتها هو التفصيل التالى :

١- صريح الكتاب العزيز : ان الموافاة على الايمان شرط فى قبول الاعمال الصالحة ، فلا مثوبة على حسنة مع الكفر . ولعل الحبط بشأن الكافر الذى يموت على الكفر اجماعى وفق نص الكتاب .

قال تعالى : « يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ، و يقولون حجراً محجوراً . وقد منا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً - الفرقان : ٢٢-٢٣ » .

ولعل معترضاً يقول : هلا كان ذلك ظلماً وتضييعاً لصالح الاعمال ، ومخالفاً لقوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » ؟ .

قلنا : لا ظلم مع الاشتراط ، ويجوز عند العقل ان يكون استيفاء الأجر والمثوبة على الاعمال الحسنة ، مشروطاً بوجود علائق عبودية بين العبد ومولاه ،



ولا يقطعها بالكفر والارتداد والخروج ضد مولاه في طغيان عارم .

اما قوله تعالى : « انا لا نضيع اجر من احسن عملا - الكهف : ٣٠ » .  
وقوله : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » . وغيرهما من آيات . فالجواب عنهما من  
وجهين :

الاول : تخصيص عموم هذه الآيات بغير من يموت على كفر ، فان آيات  
الاحباط اخص نسبة من هذه الآيات ، والخاص يصلح مخصصاً للعام . فيصبح  
الكافر فقط محروماً من الاجر اطلاقاً ، لا في هذه الحياة ، ولا في الآخرة .

الثاني : ان تبقى عمومات الأجر والجزاء على حالها في التعميم « الناس مجزيون  
بأعمالهم ان خيراً فخير ، وان شراً فشر » . غير ان المثوبات الأخروية خاصة بالمؤمنين  
فالكافر كالمؤمن يرى خيره عمله الحسن ، لكن في هذه الحياة فقط . « تلك الدار  
الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين - القصص :  
٨٣ » .

وهذا الوجه الثاني اوفق بعمومات الأجر وقانون العدل والانصاف . قال  
تعالى : « ورحمتي وسعت كل شيء . فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين  
هم بآياتنا يؤمنون - الاعراف : ١٥٦ » . فمن رحمته الواسعة هو عمومها للكافر والمؤمن  
مقيدة بهذه الحياة الدنيا ، اما في الآخرة فهي خاصة بالمؤمنين .

وقال : « تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً - مريم : ٦٣ » .  
وقال : « سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض .  
اعدت للذين آمنوا بالله ورسوله - الحديد : ٢١ » .

والخلاصة : الثابت - يقيناً - من حبط اعمال الكفار هو اندثارها هباء في دار  
اخرى لاحظ لهم فيها ولا نصيب .

قال تعالى : « الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز ، من كان يريد  
حرث الآخرة نزده في حرثه . ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ، وما له في الآخرة

من نصيب - الشورى : ٢٠ .

وقال : «فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا ، وماله في الآخرة من خلاق (اي نصيب) . ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقناعذاب النار . اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب - البقرة : ٢٠٠ .  
والآيات من هذا القبيل كثيرة ، دالة على ان الكافر قد يكون موفراً عليه في هذه الحياة ، وربما جزاء على اعمال حسنة يقوم بها ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . وانا لانضيع اجر من احسن عملاً . فتحقيقاً لهذا العموم في الجزاء ، يجازى الكافر ايضاً على حسنات يعملها، لكن بالنظر الى اختصاص ثوابات الحياة الاخرى بالمؤمنين ، تختص ثواباته بهذه الحياة الدنيا .  
وهذا يتوافق مع قولنا بالاستحقاق ايضاً ، كما لا يخفى .

\* \* \*

٢- ان السيئة مهما بلغت حجماً وعددأ فانها تسقط بالتوبة «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» . فالنادم على معصية اذا استغفر الله ، وقام بشرائط الانابة الى الله وتاب توبة نصوحاً ، غفر الله له جميع ذنوبه ، «قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم - الزمر : ٥٣» .  
وهذا اجماع من الامة ، لصراحة الكتاب وتواتر السنة القطعية .

نعم اختلفوا في ان التوبة بذاتها تسقط العقاب أم لمزية ثوابها على عقاب المعصية التي ارتكبها؟ . كما اختلفوا - ايضاً - في ان سقوط العقاب بالتوبة تفضل ام ذاتي واجب ؟

لكن لاتأثير - عملياً - لأمثال هذه المباحث ، بعد ثبوت اصل الاسقاط ، وان كان بحث عنها كبار ائمة علم الكلام امثال المحقق نصير الدين الطوسي<sup>٢</sup>

١- الكافي الشريف ج ٢ ص ٤٣٥ برقم ١٠ باب التوبة .

٢- انظر تجريد الاعتقاد بشرح العلامة ابن المطهر الحلي ص ٢٣٩ - ٢٤٠

والقاضي عبدالجبار<sup>١</sup> وغيرهما من العلماء . وللبحث عن شروط التوبة وآدابها مجال آخر .

\* \* \*

٣- الاحباط - بمعنى محق الحسنات بسيئة لاحقة - باطل عندنا<sup>٢</sup> اذ لا دليل عليه ، لامن العقل ولامن النقل ، فضلا عن مخالفته لعموم الكتاب والسنة ، ومنافاته لاصول العدل والحكمة في باب المجازاة :-

اولا : اذا كنا نقول في باب المجازاة بالاستحقاق - كما عليه العدلية - فما الذي دعا بسقوط مثوبات كان يستحقها المحسن ازاء اعماله الحسنة ، بمجرد سيئة ارتكبها ، لغلبة شهوة او شرائط آخر وافته في ذلك ، من غير ان يكون قد طغى على مولاه ولا قاطعاً لآواصر العبودية التي كانت تربطه مع مولاه ؟!

نعم لو كنا نقول بأن المؤمن اذا عصى خرج عن الايمان - كما يقوله المعتزلة ويثبتون له منزلة بين المنزلتين - لكان لهذا الاحتمال الباطل مجال ، لكننا رفضنا هذا الرأي ، وان الفاسق - عندنا - باق على ايمانه ما لم يجحد او ينكر الرسالة ، ومن ثم فهو كما يستحق مذمة وعقاباً على معصيته ، كذلك يستحق مدحاً وثواباً على ثباته على الايمان وسائر اعماله الصالحة . ولا تنافي بين الامرين - حسبما تقدم - . فيعاقب عقاباً منقطعاً ثم يثاب على الحسنات ، اذالم يشمل الغفران من اول الامر .

ثانياً : معنى تقييد المثوبات واشتراطها بعدم لحوق سيئة أبداً ، هو اشتراط العصمة طول العمر كما في الانبياء والائمة المعصومين ! وهل من العدل والحكمة

١- انظر شرح الاصول الخمسة لقاضي القضاة ص ٢٩٠ فما بعد .

٢- قال العلامة المجلسي : المشهور بين متكلمي الامامية بطلان الاحباط والتكفير ، بل قالوا باشتراط الثواب والعقاب بالموافاة . قال : وذهبت المعتزلة الى ثبوتها . بحار الانوار ج ٥ ص ٣٣٢ .



ان يشترط المولى الكريم، على عباده - الذين خلقهم على درجات من ضعف وعجز  
تجاه نزعات ومشتبهات نفسية وغيرها من مغريات - ان لا يرتكبوا ذنباً طول حياتهم،  
كى يفوزوا بثواب ما يعملون من الصالحات؟! . وهل هذا ممكن؟! وهل يمكن  
لأحد ان يتخرج من الايفاء بهذا الشرط بسلام؟!!

ثالثاً : منافاته لعموم الكتاب والسنة واطلاقهما من غير مامخصص او مقيد .  
قال تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » . وهذا عام يشمل الاعمال الحسنة  
التي قام بها مرتكب السيئة المتأخرة ايضاً .  
وهكذا قوله : « ان الله لا يظلم مثقال ذرة ، وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من  
لذنه اجرأ عظيماً - النساء : ٤٠ » . والعقل يرى - فى بدء نظره - من الظلم ان تمحق  
سيئة واحدة لاحقة حسنات تقدمتها ، والله لا يظلم من حسنات العباد حتى مثقال ذرة  
منها ، فكيف بالحسنات الجسام؟! بل ومن فضله ولطفه بعباده ان يضاعف حسناتهم  
على الاطلاق ، سواء أكانت سابقة على السيئة ام لاحقة . هذا ما يفيدده اطلاق الآية،  
ولامقيد لها على ما سنذكر .

رابعاً : منافاته لقانون التعادل بين الذنب والعقاب ، وقد قال تعالى : « ومن  
جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم يظلمون - الانعام : ١٦٠ » . وقال : « والذين  
كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها - يونس : ٢٧ » . وقال : « من عمل سيئة فلا يجزى  
الا مثلها - غافر : ٤٠ » . وقال : « وجزاء سيئة سيئة مثلها - الشورى : ٤٠ » .  
فاذا كان الله - وهو العدل الحكيم - يقول : جزاء سيئة سيئة مثلها . فما الموجب  
للقول بأن سيئة واحدة مهما كان قدرها تمحق حسنات جساماً كانت سبقتها؟! وهل  
هذا الاظلم وجور وحيف ، واضاعة صريحة لمثوبات اعمال صالحة كانت خالصة لله  
وحده لا شريك له . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

## عموم آيات التوفية

ان مراجعة عابرة لآيات التوفية في القرآن - وهي كثيرة جداً - تجعلنا نطمئن بعموم الجزاء على الأعمال ان حسنة وان سيئة ، حسب الأثر الوارد : «الناس مجزيون باعمالهم ان خيراً فخير وان شراً فشر» . ولا مخصص لها فيما فحصنا ، فيما عدا خصوص الكفار او من يرتد عن دينه فيموت كافراً . وقد تقدم بعضها ، واليك نماذج آخر :

قال تعالى : «من جاء بالحسنة فله عشر امثالها - الانعام : ٦٠» .  
وقال : «للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ، ولدار الآخرة خير - النحل :

٣٠» .

وقال : «من جاء بالحسنة فله خير منها - النمل : ٨٩ . والقصاص : ٨٤» .  
وقال : «للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة : الزمر : ١٠» .  
وقال : «من يقترف حسنة نزدله فيها حسناً ، ان الله غفور شكور - الشورى :

٢٣» .

هذه الآيات كلها عامة شاملة لكلتا صورتين سواء ألحقت الحسنة سيئة ام لم تلحقها ! وفي الآية الأخيرة صراحة في هذا العموم ، حيث اشار الى جانب غفرانه تعالى ، فالحسنات اذا كانت خالصة لله فالله يشكر عليها ويقدرها ويغفر لصاحبها من ذنوبه سواء أتقدمتها ام تأخرت عنها !

وهكذا قوله تعالى : «انا لانضيع اجر من احسن عملا - الكهف : ٣٠» عام .  
وقوله : «فاستجاب لهم ربهم أنى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض - آل عمران : ١٩٥» .

وقوله : «وما كان الله ليضيع إيمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم - البقرة :

١٤٣ . فمقتضى رأفته تعالى ورحمته ان لا يضيع اجر الايمان حتى من العصاة ،  
حيث الايمان من أفضل القربات .

وقوله تعالى : « ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون - آل عمران : ٢٥ »

وقوله : « ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون - البقرة : ٢٨١ .

وآل عمران : ١٦١ .

وقوله : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت - البقرة : ١٨٦ .

وقوله : « ليجزى الله كل نفس ما كسبت - ابراهيم : ٥١ .

وقوله : « اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم - غافر : ١٧ .

وقوله : « ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون - الجاثية : ٢٢ .

وقوله : « كل نفس بما كسبت رهينة - المدثر : ٣٨ .

الآيات كلها فى صياغة عموم ، بصورة تأبى عن التخصيص حسب ظاهر تعبيرها ،  
حيث فرضت اعفاء اى حسنة من حسنات العبد ظلما به ، حتى ولو كانت ملحوقه  
بسيئة ، اذ لا تجزى سيئة الا بمثلها ، اما محق جميع الحسنات فليس جزاء بالمثل ،  
فضلا عن قبحه العقلى على ما هو معلوم .

وقال تعالى : « فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له

لكاتبون - الانبياء : ٩٤ » وقد اسلفنا ان مرتكب المعصية لا يخرج من الايمان فبعموم

هذه الاية الكريمة تكون اعماله الصالحة جميعاً المتقدمة والمتأخرة مشكورة له

مشبهة فى سجل حسناته محفوظة .

وقال : « وان ليس للانسان الاماسى ، وان سعيه (على الاطلاق) سوف يبرى -

النجم : ٤٠ .

وقال : « لتجزى كل نفس بما تسعى - طه : ١٥ .

وقال تعالى : اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ، ووتجاوز عن سيئاتهم



في اصحاب الجنة ، وعد الصدق الذي كانوا يوعدون - الأحقاف : ١٦ .  
ولعلها أصرح آية في عموم التوفية ، وان لاحبط بشأن المؤمن حتى ولو كان  
مرتكباً للذنوب ، فان ذنوبه سوف تغفر وتنداركه رحمة الله الواسعة التي كتبها  
للذين يتقون .

فقد وعد تعالى - في هذه الآية الكريمة - ان يتقبل حسنات المؤمنين ولم  
يشترط عليهم العصمة من الذنوب طول الحياة ، كما هو لازم القول بالاحباط على  
مذهب اهل الاعتزال .

والآيات من هذا القبيل كثيرة في القرآن ، وهي حسب ظاهر تعبيرها آية عن  
التخصيص فضلا عن تكاثرها وتظايرها ، الامر الذي بحاجة الى مخصص قوى  
صريح ، والمفروض فقد هذا المخصص على ماسنين .

\* \* \*

### اختصاص آيات الحبط بالكفار

أما الآيات التي جاء فيها ذكر الاحباط فكلها خاصة بالكفار والمشركين ممن  
يموت على الكفر والجحود : -

قال تعالى : « ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر ،  
اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون - براءة : ١٧ .

وقال تعالى - اشارة الى أمم سابقة كفرت - : « اولئك حبطت اعمالهم في  
الدنيا والآخرة واولئك هم الخاسرون - براءة : ٦٩ .

وقال : « اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحبطت اعمالهم - الكهف :  
١٠٥ .

وقال : « اولئك لم يؤمنوا فأحبط الله اعمالهم - الاحزاب : ١٩ .

وقال : « ذلك بأنهم كرهوا ما انزل الله فأحبط اعمالهم - سورة محمد : ٩ .

وقال : «ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم - سورة محمد : ٢٨» .

وقال : «ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم - سورة محمد : ٣٢» .

وقال : «مثل الذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف، لا يقدرّون مما كسبوا على شيء - ابراهيم : ١٨» .

وقال : «وقال الذين لا يرجون لقاءنا - الى قوله - وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً - الفرقان : ٢٣» .

الى نظائرهما من آيات تخص حبط اعمال الكافر بالله الجاحد للنبوّة المكذب لرسالة نبينا محمد ﷺ . ولا يملك القائل بعموم الحبط دليلاً صراحة من الكتاب العزيز، وبالتالي فان العمومات المتقدمة بموافاة كل انسان جزاء اعماله ان خيراً فخير وان شراً فشر، باقية على شمولها لاعمال مرتكب الذنب ايضاً . خرج منها منكر الرسالة وبقي الباقي - اطلاقاً - تحت العموم . الامر الذى تقتضيه قواعد علم الأصول والبيان .

\* \* \*

### هل فى آيات الحبط عموم ؟

قد يزعم البعض <sup>١</sup> - احتمالاً - دلالة آى من الكتاب على عموم الحبط ، وعدم اختصاصه بمن يموت كافراً . وهو وان لم يذكر من تلك الآيات شيئاً ولا اشار اليها بالخصوص ، وانما ذكر ذلك تعبيراً عابراً ، ومن ثم فان كانت نظرتة الى آيات الحبط المتقدمة فهى كانت خاصة بالكفار والمشرّكين . وان كانت الى غيرها فلم يبين ، ونحن فى عرضنا لآيات القرآن فى خصوص مسألة الاحباط عثرنا على

١- انظر : القول السديد فى شرح التجريد لسيدنا الشيرازى ص ٣٩٦ .

آيات لعلها ذات دلالة ظاهرية - في بدء النظر - على عموم الحبط ، نذكرها فيما يلي :-

١- قال تعالى : «فمن الناس من يقول ربنا آتتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . اولئك لهم نصيب مما كسبوا ، والله سريع الحساب - البقرة : ٢٠٠-٢٠٢» .  
فاذا ارجعنا الاشارة في قوله : « اولئك » الى خصوص الفئة الثانية ، كانت الآية - في بدء النظر - دالة على اختصاص توفية المثوبات بهم ، وان لاحظ للفئة الاولى فيما اكتسبوه من الحسنات . والآية - بظاها - عامة تشمل ماذا كان من الفئة الاولى مؤمنون معتقدون بالله ومصدقون برسالة نبينا ﷺ !

قلنا : هذه الاستفادة من الآية خاطئة ، لانها نزلت تعريضاً بشأن المشركين ، كانوا اذا وقفوا بالموقف ذكروا آباءهم ونهوا بأمجاد جاهلية تفاخراً على بعضهم واذا سألوا الله شيئاً لم يتجاوزوا مطالب سافلة ابلا وغنماً ورقيقاً وظفراً على اعداء ، ولا يسألونه الجنة والمغفرة والرضوان ، حيث فقد العقيدة بالبعث والنشور «قالوا ان هي الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين - المؤمنون : ٣٧» . ومن ثم ذكر تعالى : «وماله في الآخرة من خلاق» .

ولاشك ان الذي لاخلاق له في الآخرة هو الكافر المحض - حسبما تقدم - «وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً» . اما الفئة الاخرى - وهم المؤمنون بيوم المعاد - فيسألون الله تعالى خير الدنيا والآخرة والمغفرة والنجاة من النار ، فهؤلاء لهم نصيب في الآخرة : «يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وان الله لا يضيع اجر المؤمنين - آل عمران : ١٧١» .

قال ابن عباس : كان قوم من الاعراب يجيشون الى الموقف فيقولون : اللهم اجعله عام غيث و عام خصب و عام ولاد حسن ، لا يذكرون من أمر الآخرة شيئاً .



فأنزل الله فيهم « فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا ، وماله في الآخرة من خلاق » . ويجيء بعدهم آخرون من المؤمنين فيقولون : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . فانزل الله فيهم « اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب » .

وعن مجاهد : كان اهل الجاهلية اذا اجتمعوا بالموسم ذكروا فعل آباءهم في الجاهلية وأيامهم وانسابهم فتفاخروا ، فانزل الله ... الخ .  
وعن ابن الزبير : كان الناس في الجاهلية اذا وقفوا بالمسعر الحرام دعوا فقال احدهم : اللهم ارزقني ابلا ، وقال الآخر : اللهم ارزقني غنما ، فانزل الله... الخ .

وعن السدي : كانت العرب اذا قضت مناسكها واقامت بمنى ، لا يذكر الله الرجل منهم ، وانما يذكر اياه ، ويسأل ان يعطى في الدنيا <sup>١</sup> .  
وعن الامام ابي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام : انهم كانوا يجتمعون ، يتفاخرون بالآباء ، وبما آثرهم ، ويبالغون فيه <sup>٢</sup> .

هذا فيما لو كانت الاشارة في « اولئك » الى خصوص الفئة الثانية ، اما لو ارجعناها الى كلتا الطائفتين ، كان المعنى : ان لكل نصيبه حسبما يتبعه ان دنياً وان آخرة ، نظير قوله تعالى : « من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ، وما له في الآخرة من نصيب - الشورى . ٢٠ » .

بل وحتى المؤمن اذا كان همه الدنيا كانت هي نصيبه من حظ الحياة ، ولا

---

١ - الطبرى - التفسير - ج ٢ ص ١٧٤ . والدر المنثور ج ١ ص ٢٣٢ . واسباب النزول

للواحدى ص ٣٤ .

٢ - التبيان للشيخ الطوسى ج ٢ ص ١٧٠ . ومجمع البيان ج ٢ ص ٢٩٧ . والصابي

ج ١ ص ١٧٨ . والعياشي ج ١ ص ٩٨ .

حظ له في الآخرة ، ذلك الحظ الاوفر . حيث قصور نظره وابتدال همته . كما روى في قوله تعالى : « ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً ، اولئك لاخلاق لهم في الآخرة - آل عمران : ٧٧ » انها نزلت فيمن اخذ مالا بيمين فاجرة<sup>١</sup> . فهؤلاء ، وان كانوا مؤمنين بحسب الظاهر ، لكنهم في واقع باطنهم لا طمع لهم في الآخرة . كما روى عن النبي ﷺ : « ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لاخلاق لهم<sup>٢</sup> » يعني المجاهدين في سبيله لا طماع دنيوية لا عقيدة لهم راسخة ، وربما كانوا متظاهرين بالاسلام . وكما روى - ايضاً - انه ﷺ قال : من لبس الحرير في الدنيا فلاخلاق له في الآخرة<sup>٣</sup> . يعني ذلك الحظ الاوفر الذي يناله المؤمن المعتقد المحافظ .

وعليه فقوله : « اولئك لهم نصيب » اي النصيب الاوفر التام . واما غيرهم من المؤمنين القاصرين فان نصيبهم من الآخرة قليل .

\* \* \*

٢- وقال تعالى : « ليجزى الذين أساؤوا بما عملوا . ويجزى الذين احسنوا بالحسنى . الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللطم ، ان ربك واسع المغفرة - النجم : ٣٢ » .

ولعل متشبيهاً يتشبه بالنقييد الذي جاء في الآية الكريمة « الذين يجتنبون... » قيداً لقوله : « ليجزى الذين احسنوا الحسنى » . فلا ينال احد أمثوبات اعماله الا اذا كان مجتنباً للكبائر . الامر الذي ينطبق تماماً على مذهب الاحباط ، حيث السيئة اللاحقة تذهب بالحسنات أدراج الرياح !

١- تفسير البرهان ج ١ ص ٢٩٢ . والمجمع ج ٢ ص ٤٦٣ . والدر المنثور ج ٢

ص ٤٤ .

٢- التفسير الكبير للامام الرازي ج ٥ ص ١٨٧ .

٣- مسند احمد بن حنبل ج ١ ص ٤٦ .

قلت : هذا بناء على اعتبار « الذين يجتنبون » بياناً من « الذين احسنوا »  
فيكون قيداً له . لكن قد يستشكل : كيف يصلح الفعل المستقبل بياناً للفعل  
الماضي ؟ ! ومن ثم رجح بعضهم كونه مستأنفاً به ، اى هم الذين يجتنبون . . .  
الخ . أو يكون الموصول مبتدأ محذوف الخبر ، مدلولاً عليه بقوله : « ان ربك  
واسع المغفرة » .

وعلى كل تقدير ، ففى التحول من لفظ الماضى اولا الى لفظ المضارع ثانياً  
نكتة لطيفة ، هى ملاحظة ما لجانب الفعل المضارع من دلالة على الدأب والاعتياد  
الحاصل بالغلبة والأكثرية ، الامر الذى لا يثلمه الخروج عنه مرة او مرتين مثلاً .  
فمن كان من عادته المشى بعد الأكل عادة حاصلة بالأغلب ، يصح فى شأنه ان يقال :  
انه يمشى بعد الأكل . ولا يضر بهذا الاطلاق ان لا يمشى بعد الأكل احياناً ، اذا لم  
يخالف عادته رأساً .

فالمؤمن المعتقد هو الذى يلتزم على نفسه بأن يجتنب المعاصى ولا يقتر بها ،  
ولا يضره الاقتراف احياناً على خلاف المعتاد . وهذا يصدق بشأنه «انه يجتنب الذنوب»  
اى يحاول بكل جهده اجتنابها وان كان قد تعاكسه الظروف رغم عادته .

ومن ثم قال تعالى - بشأن المؤمنين فيما يخص جانب تركهم للمعاصى - :  
«والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ، واذا ما غضبوا هم يغفرون - الشورى :  
٣٧» . ولم يقل : «اجتنبوا» لان الماضى يدل على توصل الاجتناب فى الماضى ، ويثلمه  
التخلف فى فترة او فترات . فمن ارتكب كبيرة مرة او مرات طول حياته ، لا يصدق  
بشأنه انه اجتنبها بصيغة الماضى . لكن يصدق بشأنه انه مجتنب او يجتنب المعاصى  
بصيغة اسم الفاعل او المضارع .

ولذلك لما جاء دور معصية خصوص الشرك ، عبر تعالى بصيغة الماضى :  
«والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها - الزمر : ١٧» . لانها معصية غير مغفورة ،  
وليست بالتى لاتضر بالايمان أن يقترفها المؤمن احياناً فى حياته !



والخلاصة :انه تعالى ذكر في الآية الكريمة اولا جانب الايمان وفعل الطاعات وعبر عنه بصيغة الماضي ، دلالة على الاستمرار والتواصل « الذين احسنوا » . ثم ذكر جانب ترك المعاصي واجتناب المحرمات ، وعبر عنه بصيغة المضارع ، دلالة على اعتبار كون المؤمن بانياً على تركها وملتزماً على نفسه اجتنابها ، الامر الذي لا يضره الاقرار أحياناً . « ان الحسنات يذهبن السيئات - هود : ١١٤ » .

ففي هذا الاختلاف في التعبير - ماضياً ومضارعاً - دلالة واضحة على ان سيئة واحدة لاحقة ليست بالتي تمحق الحسنات السابقة بأسرها ، كما يرومها القائل بالحبط ! فلامساس للاية بمسألة الاحباط رأساً .

\* \* \*

٣- وقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى . كالذى ينفق ماله رء آء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر . فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً ، لا يقدرون على شىء مما كسبوا ، والله لا يهدى القوم الكافرين - البقرة : ٢٦٤ » .

ربما يزعم البعض أن في الآية الكريمة دلالة على الحبط بشأن المؤمنين ايضاً . فان الامتنان والاذى معصية تمحق حسنة الصدقة السابقة ، ومن ثم قال تعالى في الآية قبلها : « الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ، ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى ، لهم اجرهم عند ربهم . ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم - ٢٦٢ - ٢٦٣ » :

قلت : اذا كان من شرط الصدقة - وهى عبادة - قصد الخلوص والقربة الى الله لانها انفاق في سبيل الله ، فان المنة على المتصدق عليه مناقضة صريحة لماهية الصدقة ، وقلب لها من كونها قربة الى كونها رياء وسمعة ، فضلاً عن كونها أذى وهتكاً لشخصية مسلمة كريمة .

فالصدقة مع المنة ليست بصدقة في حقيقتها ، ومن ثم فلاحسنه كى تمحقها

سيئة ، فلामوضوع في الآية لمسألة الاحباط !

وهذا نظير ما كان احد الصوفية يرتكبها ، كان يسرق ثم يتصدق به ، زاعماً ان الحسنه تقابل بالعشر والسيئة بواحدة . فقال له الامام عليه السلام : ويلك ، اما قرأت : « انما يتقبل الله من المتقين - المائدة : ٢٧ » . وسوا فيك الحديث (ص ٣٩٤) في بحث التكفير .

\* \* \*

٤- وقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ، ولا تجهروا له بالقول ، كجهر بعضهم لبعض . ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون - الحجرات : ٢ » .

رجح سيدنا الطباطبائي دلالة الآية الكريمة على الحبط ، قال : ظاهر الآية ان رفع الصوت فوق صوت النبي صلى الله عليه وآله والجهر له بالقول ، معصيتان موجبتان للحبط ، الامر الذي يدلنا على ان غير الكفر من المعاصي - ايضاً - ما يوجب الحبط <sup>١</sup> .

قلت : لاشك ان اصحابنا الامامية متفقون على ان لاحبط في غير الموت على الكفر . لانه ظلم وقبيح - حسبما اسلفنا - ومن ثم هبوا جميعاً الى توجيه الحبط في الآية الكريمة بما يلتئم ومذهبهم في العدل .

قال العلامة المجلسي - رحمه الله - : « اعلم ان المشهور بين متكلمي الامامية بطلان الاحباط والتكفير ، بل قالوا باشتراط الثواب والعقاب بالموافاة . بمعنى ان الثواب على الايمان مشروط بان يعلم الله منه انه يموت على الايمان . والعقاب على الكفر والفسوق مشروط بان يعلم الله انه لا يسلم ولا يتوب . وبذلك اولوا الايات الدالة على الاحباط والتكفير <sup>٢</sup> » .

قال شيخ الطائفة - قدس سره - في تفسير الآية : « ثم أمرهم - ثانياً - بأن قال : (لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي) على وجه الاستخفاف به صلى الله عليه وآله . فان مجاهداً

١- تفسير الميزان ج ١٨ ص ٣٣٥

٢- بحار الانوار ج ٥ ص ٣٣٢

وقناة قالا : جاء أعراب اجلاف من بنى تميم فجعلوا ينادون وراء الحجرات : يا محمد ، اخرج الينا . ولو ان انساناً رفع صوته على صوت النبي ﷺ على وجه التعظيم له والاجابة لقوله ، لم يكن مأثوماً . وقد فسر ذلك بقوله (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) فان العادة جارية ان من كلم غيره ورفع صوته فوق صوته ، ان ذلك على وجه الاستخفاف به ، فلذلك نهاهم عنه .

وبعد فلعل الاية بذاتها ظاهرة فيما نقوله ، وان الحبط فيها يمس جانب رذيلة الاستخفاف بمقام النبي الكريم ﷺ ، المفضى فى نهاية الامر الى الارتداد شيئاً فشيئاً ، وان كان صاحبه لا يشعر بذلك ، حيث التعود عليه تدريجياً .

ذلك ان الانسان اذا ارتكب رذيلة مما لم يرتكبها من قبل ، ندم عليها اشد الندم ، لكنه اذا ارتكبها مراراً فان خشيته تقل وخوفه يتضاءل ولا يندم كندمه فى البدء ، وربما أوجب التكرار عادة يعتادها الانسان من غير ان يحس بقبحها شيئاً فشيئاً . فعلى الانسان السائر فى طريق التهذيب والكمال ان يسد على نفسه ابواب المعاصى فى اوائل أمرها ، حيث الانقلاع فى بدء الامر هين وفى الغضون صعب . وربما ينتهى الامر الى ما لىراه قبيحاً أو ذنباً مستكراً .

وعليه فلا شك ان رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ والجهر له بالكلام بما يشبه الصياح ، خلاف الادب ، واستهانة بمقامه الكريم ، وهى رذيلة قبيحة تؤدى بصاحبها تدريجياً - اذا أصر عليها - الى الاستخفاف به ﷺ واستحقاره ، والتنزل بمقامه السامى الى درجة العبيد والارقاء - العياذ بالله - الامر الذى ينتهى فى نهاية المطاف الى استصغار مقام النبوة ، وربما الى انكارها ، واعتبار النبي كأحدهم من سائر الناس ، لازمية له ولا منزلة شامخة ، وهو فى حد الكفر والارتداد ، وربما بلغه المرتكب لاهن شعوره .

يدل على ذلك شواهد من السورة نفسها :

١ - تفسير التبيان ج ٩ ص ٣٣٨ .



اولاً - قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله - ١ - » . كان احدهم يتقدم على رسول الله في المشى استكباراً بنفسه واستعظماً لزعامته على افراد قبيلته كان يحسبهم كثرة ذوى عزة ، تجاه قبيلة النبي ذات قلة في نظرهم . وهى اهانة بمقام النبي العظيم بلاشك . ومن ثم حذرهم تعالى بقوله : « واتقوا الله » اى احذروا نكال هذه الرذيلة السيئة وهذا الذنب الخطير المؤدى الى الكفر والارتداد أحياناً .

ثانياً - قوله : « كجهر بعضكم لبعض - ٢ - » يدل على انهم كانوا يحسبون من شموخ مقامه المنيع ﷺ متماثلاً معهم وفى مستواهم الهابط من الكرامة والفضيلة ، الامر الذى هو ازرأ بشأنه ﷺ .

ثالثاً - قوله : « ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى - ٣ - » تعريض بان الذين يخالفون هذا الادب الاسلامى هم ذوو قلوب جافة قاسية لم ترسخ لشريعة الله ومن ثم فلم تتمرن على التقوى والخشية التى هى من لين القلوب ، فهم الى العتو والاستكبار اقرب منهم الى الخضوع والاستسلام .

رابعاً - قوله : « ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون - ٤ - » . اى تمكن الجهل والعماء من قلوبهم فلم يستعدوا بأنفسهم للرضوخ الى تعاليم الاسلام القيمة .

واخيراً - فقوله : « ان تحبط أعمالكم وانتم لا تشعرون - ٥ - » يعنى ان سوء الادب بمقام النبوة سوف يؤدى الى الارتداد الفضيع ، من غير ان تشعروا بالسقوط تدريجياً الى مهواه السحيق .

## التكفير بين العموم والخصوص !

اما تكفير الحسنات للسيئات - اجمالياً - فمما لا شك فيه، نظراً لصراحة القرآن المجيد والسنة المتواترة في ذلك . لكن هل هذا التكفير عام في جميع الحسنات وبالنسبة الى جميع السيئات اطلاقاً ، ام هناك شروط وقيود وتفصيل ؟

لأنستطيع - ونحن نرى العدل والحكمة في ذاته المقدسة - ان نلتزم بعموم التكفير بصورة مطلقة، اذ أقل نتيجة لهذا الالتزام هو اجترأ اهل الكبائر على اقرار الذنوب والآثام من غير مامبالاة . فليتركب المذنب ما ترغب اليه نفسه الخبيثة بصورة مستمرة عبر الليالي والأيام ، بل على مر الساعات والآتات ، مقتنعاً بنفسه انه ملتزم بالصلاة والصدقات ، لقوله تعالى : «ان الحسنات يذهبن السيئات» !

ولعل عمر بن سعد - مع اعترافه بمآثم قتل ابن رسول الله ﷺ كان ممن يميل الى هذا المذهب المنحرف في قوله :

فان صدقوا فيما يقولون اننى اتوب الى الرحمان من سنتين .<sup>١</sup>

الامر الذى ينكره الوجدان الشريف ، ويرفضه دأب العقل الرشيد ، فضلاً عن منافاته لمقام عدله تعالى وحكمته في التكليف والبعث والزجر والوعيد . وفي حديث الامام ابى عبدالله الصادق عليه السلام مع أحد الصوفية دلالة واضحة على فساد هذا المذهب العامى :-

قال عليه السلام : «ان من اتبع هواه واعجب برأيه كان كرجل سمعت غناء العامة تعظمه ، فأحببت لقاءه من حيث لا يعرفنى . فتبعته يوماً فمر ببخاز فتغفله وسرق منه رغيفين . ثم مر بصاحب رمان فاخطف منه رمانتين ، فتعجبت وقلت فى نفسى ما حاجته الى هذه السرقة ! ثم لم ازل اتبعه حتى مر بمريض فوضع الرغيفين والرمانتين بين

١- اسرار الشهادة عن مقتل ابى مخنف ص ٢٣٢ . وتجد صدد الايات فى كامل ابن

الاثير ج ٣ ص ٢٨٣ ومناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ٩٨ .

قال الامام: فتعرضت له وسألته عن صنيعه ذلك . فقال : لعلك جعفر بن محمد! قلت : بلى . فقال : فما ينفعك شرف اصلك مع جهلك ! قلت : وما الذي جهلت منه؟ قال : قول الله عز وجل: «من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها» . واني لما سرقت الرغيفين كانتا سيئتين ، ولما سرقت الرمانتين كانتا سيئتين ، فهذه أربع سيئات . فلما تصدقت بكل واحدة منها كانت لى اربعون حسنة ، واذا نقصت منها اربع بقيت ست وثلاثون حسنة !

قال الامام : قلت له : ثكلتك أمك ، انت الجاهل بكتاب الله ، اما سمعت الله عز وجل يقول : « انما يتقبل الله من المتقين » . انك لما سرقت الرغيفين والرمانتين كانت اربع سيئات ، ولما دفعتها الى غير اصحابها بغير رضاهم كنت أضفت الى سيئاتك اربع سيئات آخر ، ولم تصف لك الأربعون ! قال : فجعل يلاحيني<sup>١</sup> فانصرفت وتركته .

قال الامام : بمثل هذا التأويل القبيح المستكره يضلون ويضلون<sup>٢</sup> .

\* \* \*

اذن فلا بد من تأويل ماورد فى الكتاب والسنة ما ظاهره عموم التكفير ، اما باختصاصه ببعض الذنوب كالصغائر مثلا ، أو بصورة ما اذا حصل من المرتكب ندم على ما فرط منه ، فاذا قام بحسنة كصلاة وصدقة فى سبيل الله ، كان ذلك من موجبات قبول توبته ، اما وقوع مطلق الحسنات كفارة لمطلق السيئات كبيرة وصغيرة ، سواء أندم عليها ام لم يندم ، كان بانياً على تركها ام مصراً على فعلها ،

١- لاحاه : شتمه وأبغضه .

٢- وسائل الشيعة ج ٦ ص ٣٢٧ . ومعانى الاخبار للصدوق ص ١٤ . والتفسير

المنسوب الى الامام العسكرى ص ١٦ واحتجاج الطبرى ج ٢ ص ١٢٩-١٣٠ .



فهذا مما لانستطيع الموافقة عليه ، مادام مذهبنا يرى العدل والحكمة فى افعاله تعالى .

واليك من الآيات ماتعرضت لظاهرة التكفير :

١- قال تعالى : « وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفاً من الليل ، ان الحسنات يذهبن السيئات . ذلك ذكرى للذاكرين - هود : ١١٤ » .

وربما تواترت الروايات بشأن الصلوات الخمس ، اذا قام المسلم فتوضأ فأحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس ، تحاتت خطاياه كما ينتحات الورق من الغصن اليابس .

ولنتساءل : هل هذا عام يشمل النادم والمصر ؟ أو الكبائر كلها ؟ فليتركب اصحاب الجرائم والكبائر ما بدا لهم من ذنوب وآثام ، ولا مبالة ، فان صلاة واحدة من الصلوات الخمس تذهب بالسيئات كلها ، فليصلها ثم يعود الى جنائياته ، وهكذا يذنب الذنوب العظام ويعقبها بصلاة لتكون كفارة عن ذنوبه كلها ومطهرة له من الآثام ، حتى ولو كان بانياً على العود والاقتراف على الاستمرار ؟ ! .

فالصحيح فى تفسير الآية أحد وجهين :

الاول : اختصاص ذلك بالصغائر ، الامر الذى نلتزم فيه بالتكفير خاصاً به .  
فالصغائر - وهى الذنوب المغفول عنها غالباً<sup>٢</sup> - مغفورة على شريطة الإيفاء بالصلوات

---

١- انظر : مجمع البيان ج ٥ ص ٢٠١ . وتحات الورق من الشجر - بتشديد التاء :-

تناثر وتساقط .

٢- اختلفوا فى تعيين الصغائر وتمييزها عن الكبائر ، فقيل : ما اوعده الله عليه النار او اوجب عليه حداً . وقيل : كل ما نهى الله فهى كبيرة ، لان كبر الذنب انما هو بالقياس الى عظم شأن المولى . وقيل ليست فى الذنوب صغيرة الا بالقياس الى اكبر منها ، فبعضها اكبر وبعضها اصغر قياساً نسبياً لاحقياً . انظر : مجمع البيان ج ٣ ص ٣٨ .

الخمسة تامة كاملة . فقد وعد تعالى بغفران الصغائر ، لكن وعداً مشروطاً باجتناب الكبائر ، ومن الكبائر ترك الصلوات المفروضة والاستهانة بها ، قال الامام الصادق عليه السلام : «لاتنال شفاعتنا مستخفاً بصلاته آ» والاستخفاف بالصلوة بذاته كبيرة موبقة . فمن شرط غفران الصغائر الاهتمام بالصلوة وحسن أداءها والمحافظة على حدودها والالتزام من ركوعها وسجودها ومالي ذلك من احكام وآداب مفروضة .

→ والصحيح ان هناك كبائر وصغائر . وفي بعض الروايات تعداد الكبائر بالخصوص ، وهي جميع الذنوب المعروفة ، وربما بلغت سبعين ذنباً تقريباً . وجاء في حديث شرائع الدين عن الامام الصادق ع - برواية الاعمش ، اشارة الى كثير منها . راجع : بحار الانوار ج ١٠ ص ٢٢٢ - ٢٢٩ .

قال الامام الصادق ع - «الذنوب كلها شديدة، وأشدها ما نبت عليه اللحم والدم» . الكافي الشريف ج ٢ ص ٢٧٠ . والبحار ج ٧٣ ص ٣١٧ . وراجع الكافي باب الكبائر ج ٢ ص ٢٧٦ - ٢٨٧ . وباب استصغار الذنوب ص ٢٨٧ . وباب الاصرار على الذنب ص ٢٨٨ . وغيرها من ابواب مناسبة .

وعليه فالصغيرة عندنا هي الذنوب التي ترتكب عفواً وربما لاعن قصد وشعور . لكن لا بمثابة تكون عذراً . وذلك اكثر ما يبتلى به الناس في حياتهم اليومية ، من دون مامبالاة بالتحفظ على حقوق معاشره الاخوان بتلك الدقة التي عينها الاسلام ، وما شبه ذلك . ولعلنا في مجال آخر مناسب نتعرض لهذه المسألة بتفصيل وتوضيح اكثر .

قال الامام الصادق - عليه السلام - : «لاصغيرة مع الاصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار» الكافي الشريف ج ٢ ص ٢٨٨ . اذ الصغيرة انما تقع من المؤمن المحافظ عفواً مرة او مرتين . اما مع الاصرار فهي خطيئة كبيرة وربما ذهبت بالايمان . راجع الكافي ج ٢ ص ٢٨٤ - ٢٨٥ . ١ - في قوله تعالى : «ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم - النساء : ٣١» . ٢ - انظر : وسائل الشيعة ج ٣ ص ١٥ - ١٨ باب تحريم الاستخفاف بالصلوة والتهاون بها ٦ / من اعداد القرائض ونوافلها .

الثانى : ان تفسر الحسنات بالتوبة والاستغفار . كما فى قوله تعالى : «الامن ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فانى غفور رحيم - النمل : ١١» . اى تاب بعد معصية . قال السيد شير : توبة بعد ذنب ، فى غير المعصوم . وفى المعصوم : بعد ترك اولى<sup>١</sup> . ولاخلاف فى ان التوبة تذهب بالسيئات ، اى تسقط عقابها ، حسبما وعد الله تعالى فى الذكر الحكيم . قال تعالى : «وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى - طه : ٨٢» . «ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ، ان ربك من بعدها لغفور رحيم - النحل ١١٩» . وغيرهما من آيات وهى كثيرة .

قال شيخ الطائفة - قدس الله روحه - : وقوله تعالى : «ان الحسنات يذهبن السيئات» قيل فيه وجهان : احدهما - تذهب به على وجه التكفير ، اذا كانت المعصية صغيرة . والآخر - ان المراد بالحسنات التوبة ، تذهب بالسيئة اى تسقط عقابها . لانه لاخلاف فى سقوط العقاب بالتوبة . قال : وقد قيل : ان الدوام على فعل الحسنات يدعو الى ترك السيئات ، فكأنها ذهبت بها<sup>٢</sup> .

وهذا الذى ذكره الشيخ أخيراً يصلح وجهاً ثالثاً لتفسير الآية الكريمة لبصير معنى الآية - والله العالم - : ان المواظبة على الاعمال الصالحة واتيان الخيرات والرغبة فى الحسنات ، لما يزيد فى التوفيق ويبعث على ترك السيئات واجتناب الشرور والمفاسد طبعاً ، اذ كلما ازدادت رغبة الانسان فى جهة ازداد بعداً عن جهة اخرى مخالفة لها . والتفيس البشرية سريعة التعود على الوضع الذى أنست به ، والطريقة التى سلكته فى الحياة اما صلاحاً او فساداً .

فالانسان الذى يزاول اعماله فى جو صالح تراه لا يفكر الا فى خير ، ولا يستطيع ارتكاب شرور حسبما ألفه من صلاح . وهكذا العكس ، الذى يزاول اعماله فى جو

١ - تفسير شير (ط القاهرة) ص ٣٦٣

٢ - تفسير التبيان ج ٦ ص ٨٠ (طنجف) .



فاسد لا يفكر الا فى شرور وآثام. وهى طبيعة ثانوية للانسان تحصل على اثر المرونة والالف .

وعليه فقوله تعالى : «ان الحسنات يذهبن السيئات» يعنى : ان مرتكب الحسنات المتعود عليها ، لتبلغ به عاداته تلك الحسنه ، الى حيث تذهب عن حياته السيئات فلا يتركها بحسب ذاته واعتياده على الصلاح، فياله من عادة حسنة ونعمت!

قلت : وان فى الصلاة - خصوصها - لأثراً تربوياً نفسياً ليس فى سائر العبادات . انها تجسد لمقام العبودية تجاه المعبود العظيم . ان العبد اذا وقف بين يدى مولاه فى الصلاة ، ليشعر بضالة موقفه تجاه رب العالمين . يرى من نفسه ذلك المحتاج الفقير العاجز الحقيقير، واقفاً بين يدى مولاه الغنى المقتدر العظيم ، ضارعاً اليه خاشعاً متواضعاً ، سائلاً راغباً ، طالباً عناية ورأفته ورحمته .

ومن امعن النظر فى مقاطع سورة الفاتحة وسائر افعال الصلاة واذكارها ، ليتجلى له هذا الموقف المخطير وتلك الصلة الوثيقة التى تربط العبد المؤمن الى مولاه الكريم . ومن ثم كانت الصلاة معراج المؤمن .

والعبد المؤمن اذا كان يعاهد مولاه كل يوم خمس مرات فى تلك الخشية والخضوع ، والرغبة والرهبه ، والمسألة والطلب وابداء الحاجة والافتقار ، اعترافاً بمقام ربه العظيم وسطوته القاهرة . . . لينقلع بنفسه عن ارتكاب القبائح واقتراف الذنوب . استحياء من ربه وخجلا ان يعود الى ربه ناقضاً عهده نابذاً اعترافه واقراره على نفسه بالصغار والهوان !

ومن ثم قال تعالى : «ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله اكبر - العنكبوت : ٤٥» . يعنى تلك الصلاة التى اقيمت بحدودها وشروطها ، مع الالتفات الى جوانب فحوى اذكارها وافعالها ، ذات التأثير العميق فى الروح وفى تربية التقوى فى النفس .

اذن فالحسنات يذهبن السيئات ، اى لا يدعن مجالا لارتكابها ، اذا كان المحسن

(المصلى) مخلصاً في احسانه (في صلاته) تجاه رب العالمين .

\* \* \*

٢- وقال تعالى : « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم و ندخلكم مدخلا كريماً - النساء : ٣١ » .  
اي الصغائر مغفورة على شريطة اجتناب الكبائر .

٣- وقال : « يا ايها الذين آمنوا ان تقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم - الانفال : ٢٩ » .  
اذا كان المؤمن محافظاً على دينه متقياً ربه في السر والعلن ، جعل الله له نوراً يستضيء به درب الحياة ، وبصيرة في قلبه يلمس بها حقيقة الأمور . وهذا بطبعه يجتنب الكبائر من الذنوب ولا يقتر فهاقط ، فتصبح صغائره مغفورة له ، ويدخل على ربه في كرامة وتبجيل .

٤- وقال : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات ( اي واطبوا عليها ) لنكفرن عنهم سيئاتهم ( الصغائر ) ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون - العنكبوت : ٧ » .  
لان مرتكب الآثام والجرائم الكبار لا يطلق عليه عنوان «عامل الصالحات» . اللهم الا اذا عمل سيئة ثم تاب عنها وندم عليها، حيث لا خلاف في غفران ذنبه .

٥- « والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون . لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين . ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ( من شرك وذنوب قبل اسلامهم ) ويجزيهم بأحسن الذى كانوا يعملون - الزمر : ٣٣ - ٣٥ » . ولو اخذنا باطلاق الاية فالمراد : اذا تابوا عنها . ولا شك ان الذين يصفهم

---

١- هذا التفسير ينظر الى ما بين هذه الاية وسابقتها من تقابل الشرك والاسلام وما يترتب

عليهما من آثار ونتائج .

القرآن بهذا الوصف الحسن ويثنى عليهم بهذا الثناء الجميل ، هم ممن اذا فعلوا  
له فاحشة ندموا عليها واستغفروا الله ، فوجدوا الله تواباً رحيماً .

٦- وهكذا قوله : «الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وأضل اعمالهم . والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما انزل على محمد ، وهو الحق من ربهم ، كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم - سورة محمد : ١-٢» .

٧- وقوله : « ومن يتق الله ( في الكبائر ) يكفر عنه سيئاته - الطلاق : ٥ » .

٨- وقوله : « ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته - التغابن :

٩- وقوله : « ويكفر عنهم سيئاتهم - الفتح : ٥ » .

١٠- وقوله : « عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم - النحر : ٨ » اي اذا

اجتنبتم الكبائر . وهكذا سائر الايات مما يدل على تكفير السيئات ، يكون مشروطاً بالتوبة

أو اذا كان مرتكبها مجتنباً للكبائر . جمعاً بينها وبين ما دل على الاشتراط المذكور ، وان الذنب مما يستحق فاعله العقاب اذا لم يندم ولم يعمل ما يكفر عنه .

\*\*\* \* \* \*\*\*

١١- وقال تعالى : «الامن تاب وآمن وعمل صالحاً ، فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفوراً رحيماً - الفرقان : ٧» .

هذا التبديل بالأعمال هو أثر طبيعي لتبدل الشخص بالتوبة ، من كافر ملحد كانت أعماله واتجاهاته في الحياة معاكسة للفطرة ، وفي مضادة ازادة الله وتشريعه الحكيم . . . الى مؤمن صادق ، صارت أعماله واتجاهاته موافقة للفطرة وعلى النهج المستقيم الذي اراده الله وشرعه على يد انبياءه العظام .

فمن موجود طالح كان ينبغي الفساد في الارض ، الى شخصية سالحة بناء



تزدهر بوجوده الحياة العامة .

فربما كانت نفس الاعمال التي كان يقوم بها حال كفره ، وكان ملؤها الفساد والهدم والتخريب ، انقلبت ببركة الاسلام الى اعمال سالحة يعمر بها وجه الارض ، كبطل كان يضرب بالسيف قتلا ونهباً في سبيل محاربة الحق ونقض العدالة ، وقد اصبح بعد اعتناقه الاسلام ذلك الضرب بالسيف والقتل والنهب الذي كان سيئة كبيرة ، الى حسنة وجهاد في سبيل الله وفي سبيل اعلاء كلمة الحق ، وبسط العدالة على وجه الارض .

وهكذا الانفاق في سبيل الصد عن سبيل الله ، ليكون عليهم حسرة ( الانفال : ٣٦ ) ينقلب بعد الاسلام فينشق في سبيل اعلاء كلمة الله ، لتصبح تجارة رابحة لن تبور ( قاطر : ٢٩ ) .

وقد ذكروا في تفسير الآية وجوهاً اخر ، ذكرها الامام الرازي ( التفسير الكبير ج ٢٤ ص ١١٢ ) والشيخ ابو علي الطبرسي ( مجمع البيان ج ٧ ص ١٨٠ ) وغيرهما من كبار المفسرين ، انشئت فراجع .

\* \* \*

وهناك روايات ناصة على ان اتباع السيئة بالحسنة يمحقها ويذهب بأثرها . ولا بد من تأويلها - كما في الآيات السالفة - بما اذا كانت السيئة صغيرة او كانت الحسنة مصحوبة بتوبة عن الذنب السابق . فاذا اقترف انسان خطيئة وندم عليها فاراد التوبة والاستغفار ، فان من آداب التوبة ان يقوم بحسنة يقدمها الى الله ، ثم يتضرع اليه ان يغفر له ما فرط منه من ذنب . ولعل اكثرية الأحاديث الواردة بهذا الشأن ناظرة الى هذا المعنى ، واليك منها :

١- قال رسول الله ﷺ : « اتق الله حيث كنت ، وخالق الناس بخلق حسن

وإذا عملت سيئة فاعمل حسنة تمحوها<sup>١</sup> .

٢- وقال - ايضاً - : «فإذا عملت سيئة فأتبعها بحسنة تمحوها سريعاً . وعليك بصنائع الخير ، فانها تدفع مصارع السوء<sup>٢</sup>» .

٣ - وقال الامام الباقر عليه السلام : «ما احسن الحسنات بعد السيئات ، وما أقبح السيئات بعد الحسنات<sup>٣</sup>» .

٤- وقال - ايضاً - : «انى لم أر شيئاً قط أشد طلباً ، ولا اسرع دركاً ، من حسنة محدثة لذنب قديم<sup>٤</sup>» .

٥- وقال الامام الصادق عليه السلام : «من عمل سيئة فى السر فليعمل حسنة فى السر ومن عمل سيئة فى العلانية فليعمل حسنة فى العلانية<sup>٥</sup>» .

\* \* \*

### الموازنة او المحاطة

اما الموازنة التى ذهب اليها ابو هاشم<sup>٦</sup> - فقال بمقابلة الحسنات مع السيئات ليسقط الأقل بالأكثر مقداراً ويبقى الفاضل من احدهما يثاب عليه او يعاقب محضاً

١- امالى الطوسى ج ١ ص ١٨٩ . والبحار ج ٧١ ص ٢٤٢ برقم ٣ .

٢- بحار الانوار ج ٧١ ص ٢٤٢ برقم ٢ عن تفسير على بن ابراهيم

٣- أمالى الصدوق ص ١٥٣ . والبحار ج ٧١ ص ٢٤٢ برقم ١

٤- علل الشرائع للصدوق ج ٢ ص ٢٨٠

٥- معانى الاخبار للصدوق ص ٢٥٥ (ط نجف)

٦- انظر : شرح الاصول الخمسة للقاضى ص ٦٢٨

فمما لادليل عليه في الشريعة ولاشاهد عليه في الكتاب والسنة، فضلاً عن مخالفته لقانون المجازاة على ذوات الاعمال من غير ماصلة بين عمل وآخر في ترتب المثوبة والعقاب. وقد تقدم اطلاق ما دل على ان كل عمل بذاته يستحق فاعله جزاء مماثلاً لما ارتكبه من خير او شر.

وعمدة ما يبطل هذا المذهب: أن فرضية التحاط بحاجة الى ثبوت السخنية والمناسبة الذاتية بين المتقابلين، ليوافق احدهما بالآخر ويسقط الأقل، كما في باب التهاثر في الديون، فاذا كان له على صاحبه عشرة دراهم، وكان صاحبه يطلبه أيضاً دراهم، فانه يحصل التهاثر اما قهراً او بالموافقة، لأن كلا من الحقين مفروض كونهما تقدين، لا اذا كان احدهما نقداً والآخر عرضاً. او احدهما مال والآخر حق.

وهنا في مسألة الموازنة هل يتحاط نفس العملين، احدهما خير والآخر شر؟ او يتحاط جزاؤهما من مثوبة وعقوبة؟ مثلاً اذا قام المكلف بسبيته هي من مقولة الاعمال كالزنا وشرب الخمر، وتجاوزاً بحقوق الآخرين كالغصب وضرب اليتيم. ثم أتي بحسنة هي من قبيل الأذكار كالتهيئات الاربع، او مزيجاً من الافعال والاذكار

كناقلة الليل، مما لاتناسب بينها وبين السيئات التي قام بها... فماذا يتقابل العملان؟ هل لفاحشة الزنا قدر يتقدر عليه التسييح والتقديس؟ ام هل للصلاة مقياس ودرجات يقاس عليها الغصب وضرب اليتيم؟

ولئن زعم الزاعم أن الموازنة سوف تلاحظ بين مثوبات الاعمال وعقوباتها! قلنا: لو فرض ان عقوبة آكل مال اليتيم عشرة من الحيات، ينهشنه كل يوم عشر مرات وكانت مثوبة تسييحة واحدة سبعين من الحور العين يتلاعبن معه كل صباح سبعين دوراً. فهل يسقط من سبعين حوراً عشرة على قدر الحيات، وينقص من ادوار التلاعب معهن ايضاً عشرة على قدر النهشات التي استحققهن آكل مال اليتيم؟! وان كانت الدقة في المحاسبة تقتضى سقوط مقدار أقل! بل لا بد من الدقة في المحاسبة تقتضى سقوط مقدار أقل! بل لا بد من الدقة في المحاسبة تقتضى سقوط مقدار أقل!

ثم هل الملحوظ - حقيقة - عند التقابل والموازنة، جانب كم القضية أم كيفها؟



وهل يقاس حجم السيئة مع الحسنه ام عددهما ام جانب تأثيرهما ، نفسياً واجتماعياً  
وما الى ذلك ؟! ام ذاك موكول الى علمه تعالى حسبما يراه من ترجيح ومقايسة ؟!  
كل ذلك مما لم يرد بشأنه دليل لافي الكتاب ولا في السنة الصحيحة ، حتى ولو  
فرضنا ان الفرضية أمر ممكن بالذات . لكن ليس كل ممكن واقعاً ، ولا جاز الاعتقاده  
مادام لم ينطق به الشرع المبين . والا كانت بدعة خاطئة في اصول عقائد الدين !  
والعجب من بعض ارباب الفضيلة ، أنه حاول تقوية مذهب ابي هاشم في  
الموازنة ، لمجرد انها نظرية ذات امكان <sup>١</sup> ! .

نعم هناك رواية رواها ابو الفتح محمد بن علي الكراچكي عن شيخه ابي عبد الله  
المفيد باسناد متصل الى الامام امير المؤمنين عليه السلام ، قال : « يوقف العبد بين يدي الله  
تعالى ، فيقول : قيسوا بين نعمي عليه وبين عمله ، فتستغرق النعم العمل . فيقولون :  
قد استغرق النعم العمل ! فيقول : هبوا له النعم ، وقيسوا بين الخير والشر منه ، فان  
استوى العملان اذهب الله الشر بالخير وأدخله الجنة ، وان كان فضل اعطاه الله بفضله ،  
وان كان عليه فضل ، وهو من أهل التقوى ولم يشرك بالله تعالى واتقى الشرك به ، فهو  
من اهل المغفرة ، يغفر الله له برحمته ان شاء ، ويتفضل عليه بعفوه <sup>٢</sup> .

لكن الرواية من جهة الاسناد غير نقية ، اذ المفيد يرويها عن احمد عن ابيه  
الحسن بن الوليد عن الصفار عن علي بن محمد القاساني - وهو مختلف فيه اضعف -  
عن القاسم بن محمد الاصبهاني - لم يوثق وقد غمز فيه بعضهم - عن سليمان بن خالد  
المنقري - هذا العنوان مختلط ، لان المنقري هو سليمان بن داود لابن خالد - عن  
سفيان بن عيينة - وهو عامي عليه ملامح سفاهة - عن حميد بن زياد - ايضاً عامي ضعيف -  
عن عطاء بن يسار مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وآله ولم يوثق صريحاً - عن امير المؤمنين  
- عليه السلام - .

١- انظر : القول السديد ص ٣٩٧

٢- بحار الانوار ج ٥ ص ٣٣٤ - ٣٣٥ نقل عن كنز الفوائد للكراچكي

هذا مع الغض عن كونه خيراً واحداً لا يوجب علماً ولا عملاً .  
 وأخيراً فإن هذا الحديث الى ما يخالف مذهب الحبط والموازنة اقرب من  
 ان يوافقه . لانه ينظر الى جانب فضله تعالى ورحمته الواسعة ، «فان استوى العملان  
 اذهب الله الشر بالخير» هذا يخالف فرضية الموازنة تماماً . « وان كان عليه فضل  
 وهو من اهل التقوى ... يغفر الله له برحمته ان شاء » . هذا يخالف مسألة الاحباط  
 كاملاً . الى غيرهما من شواهد .

\* \* \*

### سينات تمحق الايمان

ورد بشأن كثير من المعاصى انها تمحق الايمان محققاً ، ومن ثم فهي تذهب  
 بالحسنات ، حيث كان من شرط المثوبة هي الموافاة على الايمان . وعليه فربما  
 يكون مرتكبها مسلماً في ظاهره ، لكنه في قرارة نفسه كافر بالله العظيم ، ومن ثم  
 فان اعماله بمعرض الهباء والاندثار .

فقد ورد بشأن المتكبر انه لا يدخل الجنة ، ومعناه ان سيئة التكبر اذهبت حسناته  
 كلها ومنها ثواب ايمانه ، الامر الذي يتنافى ومذهب الامامية ان لاحبط في غير الكفر ،  
 ومن ثم استغرب محمد بن مسلم لما سمع ذلك من الامام ، قال عليه السلام : « لا يدخل الجنة  
 من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر » . فاسترجع محمد بن مسلم . قال  
 الامام : مالك تسترجع؟! قال : لما سمعت منك ! فقال الامام ! ليس حيث تذهب ،

---

١- المعتبر في باب اصول العقائد هو العلم القطعي ، فلاحجية لاجبار الاحاد في ذلك  
 الباب ، لانها لا توجب علماً .

وكذا المعتبر في باب الفروع الفقهية ان تكون الرواية ذات صلة مباشرة بعمل المكلفين ،  
 لان الفقه بحث عن العمل ان واجباً وان حراماً . فلاحجية لروايات لاتعلق لها باعمال المكلفين  
 في هذه الحياة . لانها لا توجب عملاً .

انما اعنى الجحود ، انما هو الجحود»<sup>١</sup> .

ففسر عليه السلام الكبير الموجب للاجباط ، بالتكبر على الله والجحود ولو لبعض أحكامه ، وهو الكفر محضاً . فقد عرفنا ان ليس مطلق التكبر ماحقاً للحسنات والايان وانما هو التكبر تجاه رب العالمين .

سئل الامام الصادق عليه السلام عن أدنى الالحاد ، فقال : «ان الكبر ادناه» .

وقال الامام الباقر - عليه السلام - : «الكبر رداء الله ، والمتكبر ينازع الله

رداه»<sup>٢</sup> .

\* \* \*

وهكذا ورد بشأن الغضب انه يفسد الايمان كما يفسد الخل العسل<sup>٣</sup> . لان الذى لا يملك نفسه عند الغضب قد يقوم باعمال هى تناقض الايمان وتمحقه محقاً ، قال الامام ابو عبد الله الصادق عليه السلام : «الغضب ممحقة لقلب الحكيم» . وقال : «من لم يملك غضبه لم يملك عقله»<sup>٤</sup> .

\* \* \*

ونظيره ماورد بشأن الحسد . قال الامام الصادق عليه السلام : «آفة الدين الحسد والعجب والفخر»<sup>٥</sup> . وقال : «ان الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب»<sup>٦</sup> . والحديث التالى يكشف عن هذا السر ، قال الامام الصادق عليه السلام : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قال الله - عز وجل - لموسى بن عمران عليه السلام : يا ابن عمران ،

١- الكافى الشريف ج ٢ ص ٣١٠ برقم ٧

٢- نفس المصدر ص ٣٠٩ برقم ٤١١ .

٣- المصدر ص ٣٠٢ برقم ١ من باب الغضب .

٤- المصدر ص ٣٠٥ برقم ١٣

٥- المصدر ص ٣٠٧ باب الحسد برقم ٥ .

٦- المصدر ص ٣٠٦ برقم ٢ .



لاتحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي ، ولا تمدن عينيك الى ذلك ، ولا تتبعه نفسك ،  
فان الحاسد ساخط لنعمي ، صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي ، ومن بك كذلك  
فلست منه وليس مني»  
قال الامام الصادق : « المؤمن يغبط ولا يحسد . والمنافق يحسد ولا يغبط »<sup>١</sup> .

\* \* \*

وقال الامام الصادق عليه السلام بشأن التهمة : « اذا اتهم المؤمن اخاه ، انما  
الايان من قلبه كما ينماث الملح في الماء »<sup>٢</sup> .

وقال بشأن الغيبة : « الغيبة اسرع في دين الرجل المسلم من الآكلة في

جوفه »<sup>٣</sup> .

وقال الامام الباقر عليه السلام بشأن الكذب : « ان الكذب خراب الايمان »<sup>٤</sup> .

وقال الامام الصادق عليه السلام بشأن سوء الخلق : « ان سوء الخلق ليفسد العمل  
كما يفسد الخل العسل » . وقال : « ان سوء الخلق ليفسد الايمان كما يفسد الخل  
العسل »<sup>٥</sup> .

\* \* \*

\* \* \*

والأحاديث من هذا القبيل كثيرة ومتنوعة في التعبير ، كلها تنم عن فحوى  
واحد ، هو ان من المعاصي ما يكشف عن شرك خفي كان صاحبه يظنه فظهرته  
تلك المعصية ، والعمدة هو المنكشف لا الكاشف . كما ورد بشأن قوله تعالى : « ومن  
يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذاباً

١- المصدر ص ٣٠٧ برقم ٧٩٦ .

٢- المصدر ص ٣٦١ باب التهمة وسوء الظن برقم ١ .

٣- المصدر ص ٣٥٧ باب الغيبة والبهت برقم ١ .

٤- المصدر ص ٣٣٩ باب الكذب برقم ٤ .

٥- المصدر ص ٣٢١ باب سوء الخلق برقم ٣٩١ .

عظيماً - النساء : ٩٣ . قال المفسرون : ذلك اذا كان قتله لايمانه ، الكاشف عن  
كفر باطنى اظهره بقتل المؤمن ، معاداة مع الله ومحاربة للايمان . فقد روى العياشى  
عن الامام الصادق عليه السلام قال : «من قتل مؤمناً على دينه ، فذلك التعمد . . . قيل :  
والرجل يقع بينه وبين صاحبه شيء فيقتله؟ قال : ليس ذلك المتعمد الذى قال الله عز وجل  
فجزاؤه جهنم»  
ولذلك كان التعبير بالكفر او بعدم الايمان بشأن بعض المعاصى التى لا توجب  
شركاً ولا كفراً بالله ، مجازياً يراد به غير ظاهره من فقدته بعض درجات الايمان  
لاصله .  
فى حديث الاصبغ بن نباتة ، قال : جاء رجل الى امير المؤمنين - صلوات الله  
عليه - فقال : يا امير المؤمنين ، ان اناساً زعموا ان العبد لا يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق  
وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن ، ولا يأكل الربا وهو مؤمن ، ولا يسفك الدم  
الحرام وهو مؤمن ! فقد ثقل على هذا ، وخرج منه صدرى ، حين ازعم ان هذا العبد  
يصلى بصلاتي ، ويدعو دعائى ، ويناكحنى وأنا كحى ، ويوارثنى واوارثه ، وقد  
خرج من الايمان من أجل ذنب يسير اصابه !  
فقال امير المؤمنين - صلوات الله عليه - : صدقت - ثم قسم الناس على  
طبقات ومنازل ، وبين انواع الارواح المودعة فى مختلف الناس ، وان المؤمن  
لا يرتكب قبيحاً الا وقد سلب منه روح من تلك الارواح ، يعنى به درجة من درجات  
ايمانه ، وليس بالذى يدخل فى الكفر رأساً .  
وقد اجمل الكلام عن ذلك الامام الباقر عليه السلام قال - فى قول رسول الله صلى الله عليه وآله  
«اذ انى الرجل فارقه روح الايمان» - : هو قوله تعالى : «وايدهم بروح منه» . ذلك  
الذى يفارقه ٢ .

١- تفسير العياشى ج ١ ص ٣٦٧ برقم ٢٣٦ . والصابنى ج ١ ص ٣٨٢ .

٢- الكافى الشريف ج ٢ ص ٣٨٠-٣٨١ برقم ١٦ و ١١٩ .

وعن مسعدة بن صدقة قال : سمعت ابا عبد الله عليه السلام يعدد الكبائر ، فقيل له :  
ارأيت المرتكب للكبيرة يموت عليها ، اتخرجه من الايمان ، وان عذب بها يكون  
عذابه كعذاب المشركين اوله انقطاع ؟

قال عليه السلام : يخرج من الاسلام اذ اذعم انها حلال ، ولذلك يعذب اشد العذاب .  
واما ان كان معترفاً بانها كبيرة فان عذابه اهون ، وانما يخرج من الايمان ولا يخرج  
من الاسلام .<sup>١</sup>

والخلاصة : ان جميع ماورد بشأن بعض المعاصي أنها تمحق الحسنات  
او تذهب بالايمان ، لابد من تأويلها الى كونها من المعاصي التي تقطع رابطة العبد  
مع مولاه ، وتجعله في حالة جحود معربه ، ولوفى باطن أمره .

او تكون معصية يكون عدمها شرطاً في صحة العمل السابق كالرياء والسمعة  
والايداء والامتنان ، اذا وجدت ذهبت بأثر العمل هباء .

واما ما عدا ذلك فانه مخالف صريح لقانون التماثل في العقاب ومتناف مع  
حكيمته تعالى وعدله ، ولقوله تعالى : «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره» .

\* \* \*

### تنزيه الانبياء

مسألة عصمة الأنبياء جميعاً مما اتفقت عليه كلمة المسلمين ، فقالوا : يجب  
ان يكون النبي المرسل من عند الله معصوماً عن الخطأ والزلل ، والا لزلت الثقة به  
عند الناس وهان امره ولم تكن له كرامة ! لكنهم اختلفوا من ذلك في موضعين :  
الاول : في خصوص الصفات ، فقال جمهور اهل السنة : يجوز ان يرتكب  
النبي صفات الذنوب ، ولوفى حال نبوته ، مالم يكشف عن خسة في نفسه او ان يمس  
كرامته المنيعة .

١- المصدر ص ٣٨٠ برقم ١٠ .



الثانى : فى الكبائر قبل الوحى عليه . فقالت الاشاعرة : يجوز ان يرتكب  
النبي - قبل ان يبعث - الذنوب والكبائر كلها ما عدا الكفر والشرك بالله العظيم<sup>١</sup> .  
اما المعتزلة فقالوا بامتناع ذلك عليه اطلاقاً<sup>٢</sup> .

اما الامامية فقالوا بوجوب عصمة كل نبي عن الذنوب كلها ، صغيرها وكبيرها  
اطلاقاً ، قبل البعثة ام بعدها<sup>٣</sup> .

ويتلخص الاستدلال على ذلك فى ان ارتكاب الآثام يوجب تنفيراً فى طباع  
الناس ، فضلاً عن زوال الثقة عن جازبشأنه ارتكاب الذنوب والخطايا كالكذب  
وسائر القبائح . فلا يحصل له من العامة ذلك الانقياد والاستسلام التام اذا عرفوا منه  
ذلك . ولان النبي يجب ان يتبع فى جميع افعاله واقواله ، وهل اذا فعل فاحشة  
- فرضاً - يتابعوه فيها او يمانعوه ، والاول نقض لغرض الرسالة ، والثانى استصغار  
بشأنه وقلب لموقفه من كونه منكراً على الناس قبائحهم ، فأصبح هو منكراً عليه .  
ومن القبيح جداً ان يكون الأمر بالمعروف تاركاً له ، والناهى عن المنكر فاعلاله ،  
«أثمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلاتعقلون - البقرة :  
٤٤» اى افلاتشعرون بقبح هذا الموقف المتناقض فى نظر العقلاء .

قالت الامامية : جل هذا الاستدلال يعم حالته قبل البعثة وبعدها . من غير فرق  
بين الخطايا ان تكون كبيرة او صغيرة ، بعد ان كانت كلها مما يسلب الثقة به وموجباً  
لتنفر طباع الناس عنه .

ولسنا الآن بصدد البحث عن مسألة العصمة وجوانبها المترامية . لانه خارج  
عن موضوع كتابنا ، وانما يهمنا جانب شبهات ربما تعلق بها اصحاب الحشو

١- راجع : شرح العقائد النسفية لمسعود بن عمر الفتازانى ص ١٠٢ (ط كابل)

٢- راجع : شرح الاصول الخمسة لقاضى القضاة ص ٥٧٤ - ٥٧٥ (ط القاهرة)

٣- راجع : شرح تجريد الكلام للعلامة ابن المطهر الحلى ص ١٩٥ (ط بمباى)

من المسلمين ، وغيرهم من الملحدين . فجوزوا على الانبياء ارتكاب الذنوب والخطايا اطلاقاً حتى على عهد بعثتهم الى الناس . وتمسكوا بآيات زعموها ظاهرة في ذلك ، و اضافوا اليها باطيل حاكمتها أقاصيص اسرائيلية روجها العهد الأموي الغاشم فدخلها في التفسير بقوة المال والسيف !

\* \* \*

ولنستعرض الآيات قبل كل شيء ، ونتبعتها بتأويلاتها السليمة او المأثورة بأسانيد صحيحة عن مهابط وحى الله - عليهم السلام - وهم أدري بما اراده الله تعالى في كتابه العزيز الحميد . وستكون مترتبة حسب ترتيب النبوات ، من لدن آدم عليه السلام الى نبينا والصلى الله عليه وآله وسلم خاتم الانبياء . ونحاول - مبلغ جهدنا - الاقتصار والاختصار في ايجاز واف ان شاء الله وبحوله وقوته :-

### خطيئة آدم

قال تعالى . « ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه - البقرة : ٣٥-٣٦ » .

وقال : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه - البقرة : ٣٧ » .

وقال : « ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوآتهما . وقال مانها كما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونان من الخالدين . وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين . فذلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة . ونادا همار بهما ألم أنهما عن تلكما الشجرة واكل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين . قالاربتنا

١- ولقد كفانا مؤنة التفصيل ما ذكره الشريف المرتضى - قدس سره - واثبته في كتابه القيم « تنزيه الانبياء » . فقد اودع فيه من غرر الكلام ومحكم البرهان ما يغنى عن البيان . جزاه الله من بطل مدافع عن الاسلام خير جزاء .

ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - الاعراف : ١٩-٢٣ .  
وقال : «يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبو يوكم من الجنة ينزع عنهما  
لباسهما ليريهما سوأتها - الاعراف : ٢٧ » .  
وقال : «ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنتى ولم نجد له عزماً - طه : ١١٥ » .  
وقال : «فقلنا يا آدم ان هذا عدوك ولزوجك فلا يخرجكما من الجنة فتشقى -  
طه : ١١٧ » .

وقال : «فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك  
لايلى ، فأكل منها فبدت لهما سوأتها وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وعصى  
آدم ربه فغوى - طه : ١١٩ - ١٢٠ » .

«ن لليشا المهان له» - ٧

\* \* \*

هذه آيات الخطيئة تذكر من شأن آدم <sup>عليه السلام</sup> أنه أصبح ظالماً باقترابه الشجرة  
وقد قال تعالى : «لا ينال عهدي الظالمين - البقرة : ١٢٤ » .  
وتذكر أن وسوسة ابليس أثرت فيه فأزله فغوى ، وقد قال تعالى : «ان عبادى  
ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين - الحجر : ٤٢ » .  
وتذكر انه عصى ربه فخالف نهيه فشقى وغوى . وقد قال تعالى : «فأما الذى  
شقوا فى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السماوات والارض -  
هود : ١٠٦ » . وقال : «ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً وله عذاب  
مهين - النساء : ١٤ » .

والخلاصة : ان التعابير الواردة بشأن خطيئة آدم كلها تشف من مزية موبقة  
ارتكبتها آدم ، واستوجب بذلك لنفسه الدم والشقاء الدائم ، وسقوطاً عن تلك المرتبة  
المنبذة التى كان يستأهل بها مقام النبوة الشامخ ، الامر الذى يتلخص فى قوله تعالى :  
«ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنتى ولم نجد له عزماً - طه : ١١٥ » .

\* \* \*



والجواب : ان التعابير التي جاءت بشأن خطيئة آدم لاتعد وظواهر ذوات احتمال فهي تحتل معاني آخر غير ظاهرها المألوف ، فلو تجردنا بأنفسنا ولاحظنا اصول المعاني التي وضعت لها هذه الالفاظ ، والوجوه المستعملة فيها بحسب المقامات ، ثم أخذنا بالمقارنة مع شواهد وقرائن داخلية وخارجية ، لزال عنا كثير من هذه الشبهات وارتفع الابهام من وجه الايات نهائياً .

والالفاظ التي وقعت تعبيراً عن خطيئة آدم هي :-

١- «فتكونا من الظالمين» .

٢- «قالربنا ظلمنا انفسنا» .

٣- «فأزلهما الشيطان» .

٤- «فوسوس لهما الشيطان» .

٥- «فدلاهما بغرور» .

٦- «لايفتننكم الشيطان» .

٧- «ألم انهكما عن تلكما الشجرة» .

٨- «فنسى ولم نجدله عزماً» .

٩- «فلايخرجنكما من الجنة فتشقى» .

١٠- «وعصى آدم ربه فغوى» .

تلك تعابير عشرة تنم- في ظاهرها - عن خطيئة ارتكبتها آدم في عصيان عارم وشقاء .

لكن الدقة في فحوى هذه التعابير ومقارنة بعضها مح البعض تشف عن معنى آخر غير هذا .

اولا : ماهى حقيقة الظلم الموجب ابتعاداً عن مقام قربه تعالى ، وشقاء نفسياً مستتبعاً للهلاك والانهيار ؟

ذلك ظلم بالنسبة الى ساحة قدسه تعالى ، وهتك لحريمه وتجاوز لحدوده

«ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون - البقرة : ٢٢٩» . ولا ينافى ان يكون ظلماً بنفسه ايضاً «ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه - الطلاق : ١» . لان الظالم بحقوق مولاه ، تعيس معاكس لحظ نفسه فى نهاية المطاف .

وهذا الظلم القبيح مترتب على تكليف من المولى يمس جوانب مولويته ، حيث يشرعه الزاماً بالمكلفين ان يمثلوه ، اعجبهم ام لم يعجبهم ، رغم الأنوف والا فالعقاب والنكال .

واما الظلم الذى جاء التعبير به بشأن آدم ، فليس من هذا القبيل ، انه ظلم بالنفس محضاً ، «قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - البقرة : ٢٢٣» .

وذلك انه لم يكن تكليف مولوى ، وانما كان مجرد ارشاد الى مصلحة شخصية كانت تمسهما بالذات ، فعاكسا حظهما من سعادة الحياة ورغدها الى شقاء ونصب . اذن لم يكن ظلمهما بأنفسهما مما يؤثر ابتعاداً عن ساحة قدسه تعالى ، اذ لم يمس جانبه تعالى ، فلم يوجب سقوطهما عن منزلتهما المعنوية الشامخة : « خلافة الله فى أرضه » .

ثانياً : النهى عن أكل الشجرة كان نهى ارشاد الى مصلحته بالذات ، ولم يكن نهياً مولوياً بتكليف والزام . ومن ثم قال : «فتشقى» اى تقع فى التعب والنصب ، كما فى قوله تعالى : «طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى» اى لتوقع نفسك فى المشقة وحرمان لذائذ الحياة .

وذلك لأن الأكل من تلك الشجرة كان يوجب فضلات وأنجاساً كانت الجنة التى سكنها آدم وزوجه تأبأها ، لطهارتها وقد استهاقربا الى العلى الأعلى ، ومن ثم نهى آدم عن أكلها خوفاً من التلويث او يضطر الى الخروج منها .

ثالثاً : العصيان هو مخالفة الأمر ، وهو يتنوع حسب نوعية الأمر الموجه اليه . فان كان الأمر تكليفاً مولوياً كانت مخالفته عصياناً محرماً وخروجاً عن مرسوم العبودية

لملحة من لجانا يغن يا ٥٧٧٠ : قبال - من الملقا...  
تجاه اوامر المولى الحكيم . فهو تمرد وطغيان على المولى ، ويستحق مرتكبه الذم  
وقهض باللقا ٥٧٠ : ١٥ : من الملقا - مسق ولفة لفة ملاء...  
والعقاب .

واما ان كان الامر ارشاداً الى مصلحة شخصية تمس شخص المأمور ، من  
غير ماساس بجوانب الامر بتاتا ، كما فى اوامر الطبيب بالنسبة الى المريض  
المتداول عنده ، فان مخالفته ايضاً عصيان وربما يقبحه العقلاء وايدومونه ، لكن من  
غير ما خروج عن رسوم العبودية ولاطغيان على المولى الكريم ، ومن ثم لم يجز  
عقابه ولا مؤاخذته بالشدة والعذاب .

وبما ان عصيان آدم كان من النوع الاخير ، فلم يوجب ابتعاده عن ساحه قدسه  
تعالى ، حيث لم يطغ على مولاه ولم يخرج عن اطار عبوديته تجاه رب العالمين .

رابعاً : اما وسوسة ابليس فلم تعد ان دلاهما بغرور ، من غير ان تكون له سلطة  
عليهما ، فضلا عن أن آية الحجر انما تنفى تأثيره على الانبياء فيما يخص اغواءهم  
ربشان معصية الله ، اما خلق العراقل فى طريقهم واقاعهم فى النصب والعتاء ، فهذا  
شىء لانتفيه الاية ، كما فى قوله : «واذ ذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه انى مسنى الشيطان  
بما نصب وعذاب - ص : ٤١» .

خامساً : قوله تعالى : «فنسى ولم نجد له عزماً» اى عقل وصيئنا وعهدنا اليه  
بان لا يقرب تلك الشجرة . و«عزماً» اى ثباتاً على العهد .

وقوله : «فتشقى» اى تقع فى تعب العمل وكدا لاكتساب ، بعد هذا الرعد من  
العيش الفاره .

وقوله : «فغوى» اى خاب حظه وحزم عن العيش الرغيد الهنىء . كما فى  
قول الشاعر :

فمن يلقى خيراً يحمد الناس امره  
ومن يغو لا يعلم على القى لائماً .  
وقوله : «ظلمنا انفسنا» اى بخسناها وحرمانها حظها .



وقوله : « فتاب عليه » اى اعاد عليه بعنايته وألطفه الاولى التى كاد ان يحررها  
بتركة الاولى .

واما اخراجه من الجنة ، فلعله لمصلحة كان يراها تعالى موجبة لهذا الاخراج ،  
لانه انما خلقه ليكون خليفته فى الارض ، وقد تمهدت أسبابه على يد عدوه ابليس  
اللعين .

\* \* \*

وقد تلخص البحث فى ان النهى لم يكن نهى تحريم ، وانما كان نهى ارشاد الى  
مصلحة تأمين الرغد فى العيش ، لا اكثر . وبالتالي لم تكن مخالفته عدوانا على المولى  
وانما كان ظلما بالنفس بسلب راحتها . واخيراً كانت غوايته خيبة وحرماناً ، وشقاؤه  
عطباً وعناء فى الحياة .

فلانهى تحريماً . ولا عصيان للمولى ، ولا ظلم ولا عدوان بشأنه ، كما لا شقاء  
ولا خبث . ولا غواية ولا ضلال ، بمعانيها المعهودة .

واما كيف حصلت الخطيئة ، والطريقة التى سلكها ابليس فى سبيل اغواءهما  
فهذا شىء فصلنا الكلام فيه فى تفسيرنا الوسيط . واعادته هنا خروج عن موضوع  
كتابنا هذا .

\* \* \*

### دعوة نوح

قال تعالى : « وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً - نوح :

٢٦٠ .

---

١- كان مستقانا فى هذا العرض هى الروايات الخاصة المأثورة عن أئمة اهل البيت - عليهم  
السلام- ذكرها العلامة المجلسى فى بحار الانوار ج ١١ ص ١٥٥ - ٢٠٣ . فراجع .

قيل : انه تسرع فى الدعاء على قومه ، وكان كلما اراد الدعاء على قومه وافته الملائكة يستمبحونه بشأنهم . فتؤجل الدعوة ثلاثمئة سنة . حتى تيقن باليأس . لكنها مزعومة لاساس لها ، وان ذكرها بعض كبار المفسرين ، ذلك انها مخالفة لصريح القرآن ، حيث جاء فى سورة هود ، ان قومه كانوا يجادلونه ويستعجلون عليه بالعذاب الموعود ، لكنه ﷺ كان هويرأف بهم ولايستعجل بطلب العذاب ، رحمة منه عليهم . حتى وافاه الوحي باليأس والقنوط بشأنهم : «وأوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلاتبتئس بما كانوا يفعلون ، واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني فى الذين ظلموا انهم مغرقون - هود : ٣٦-٣٧» . الامر الذى يدل على انه ﷺ كان يستمهل ربه فى تأخير العذاب حتى جاءه التيسيس .

\* \* \*

وقال تعالى : «ونادى نوح ربه فقال : رب ان ابني من اهلى وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين . قال : يا نوح انه ليس من اهلك ، انه عمل غير صالح ، فلاتسألن ما ليس لك به علم ، انى اعظك ان تكون من الجاهلين . قال : رب انى اعوذ بك ان اسألك ما ليس لى به علم ، والاتفرلى وترحمنى اكن من الخاسرين - هود : ٤٥-٤٧» .

كيف يكذب تعالى نبيه نوحاً فى دعواه المذكورة ؟!

والجواب : انه تعالى وعد نوحاً بنجاة اهله فى قوله : «احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول» . وكان الاستثناء مجملاً . وعندما نادى نوح ابنه وكان فى معزل «يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين» قال له ذلك اشفاقاً بشأنه . ولما أيس منه دعاربه ليهديه بلطفه . فقال : «رب ان ابني من اهلى وان وعدك الحق» اشارة الى ما فى الآية السابقة : «وأهلك» . فنبهه الله تعالى بخطاه فى التشخيص ، وانه من المستثنى ، وانه ليس من ذلك

الأهل الموعود نجاتهم . ولم يكن نفياً لبنوته رأساً ، وذلك لأنه تعالى أقره في قوله :  
«ونادى نوح ابنه» . فلولا انه ابنه الحقيقي لما صح هذا التعبير بشأنه . ولكان من  
حق التعبير ان يقول : «ونادى نوح من كان يزعم انه ابنه» !

\* \* \*

### تورية ابراهيم

١ - قال تعالى : «فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال : هذا ربى ؟ ! فلما  
أفل قال : لا احب الآفلين - الى قوله - قال : يا قوم انى برىء مما تشركون - الانعام :  
٧٨ » :

وهذا من باب تجاهل العارف ، وتربية عملية لقومه يعلمهم كيف يسرون في  
طريق الاهتداء الى الحق واستجلاء الحقيقة .

٢- وقال تعالى : «قال بل فعله كبيرهم هذا ، فاسألوهم ، ان كانوا ينطقون -  
الانبياء : ٦٣ » .

جملة « فاسألوهم » معترضة . والشرط قيد - فى واقعه - لقوله : « بل فعله  
كبيرهم » . وهذا من لطيف التورية فى الكلام . حيث ظاهر الكلام ان الشرط قيد  
لجملة الامر بالسؤال ، لكنه انما قصده قيداً لجوابه عن سؤال قومه .  
وفى هذه التورية فائدة تنبيه ضمائرهم على ان معبودهم الذى اصطنعوه  
لايستطيع عملاً ولاينطق كلاماً ، وهو تعبير لطيف وتوبيخ .

٣- وقال تعالى : «ونظر نظرة فى النجوم وقال انى سقيم - الصافات : ٨٩» .  
وهذه مجاملة مع قومه من غير مداهنة ودجل ، حيث كانت النظرة فى النجوم والانبوء  
بهاراتجة على عهد النبي ﷺ فاراد مماشاتهم فى ذلك استجلاباً لنظرهم ، فى حين ان النظر



فى النجوم والتدبر فى آياته تعالى مرغوب اليه فى الشريعة .

واراد بقوله : «سقيم» تأثره النفسى من جموح قومه عن الاستسلام لقيادة الله ورفضهم الدعوة اليه . وبهذا التعبير الموهم خلص بنفسه من مصاحبة قومه ، فتركه وحده وذهبوا للاجتماع بعيدهم خارج البلد . ومن ثم وجد ابراهيم فرصته لكسر الاصنام .

٤- وقال تعالى : «واذ قال ابراهيم رب انى كيف تحيى الموتى - البقرة : ٢٦٠» . اراد عَلَّمَ ان يصير علم يقينه عين يقين ، اذ هما كان البرهان قاطعاً فانه لا يبلغ شهود عين .

#### استغفار ابراهيم لابيه

٥- وقال تعالى : «وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ، فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ، ان ابراهيم لأواه حلیم - براءة : ١١٤» .

هذه الآية اعتذار عن موقف ابراهيم عَلَّمَ كان واعد أباه (زوج امه وعمه) انه ان آمن بالله ان يستغفر له ، فأظهر له الايمان على سبيل النفاق حتى ظن به الخير ، فاستغفر له ، فلما تبين له انه مقيم على كفره رجع عن استغفاره له وتبرأ منه ، وقد عذره الله فى قوله : ان استغفاره انما كان لأجل المواعدة ، وانه لما تبين له انه مقيم على العداوة لله تبرأ منه .

وتلك المواعدة جاء ذكرها فى سورة مريم - ٤٧ : «قال سلام عليك ، سأستغفر لك ربى ، انه كان بى حفيأ» .

وقال تعالى فى سورة الممتحنة - بشأن الاقتداء بسيرة ابراهيم وكيفية مقابله مع المشركين . مستثنياً جانب هذا الاستغفار - : «الاقول ابراهيم لابيه لا استغفرن لك - الممتحنة : ٤» .

واما صيغة الاستغفار فقد جاءت في سورة الشعراء « واغفر لأبي انه كان من الضالين » الآية رقم ٨٦ .

### مجادلة ابراهيم ربه

٦- وقال تعالى : « فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشري يجادلنا في قوم لوط ، ان ابراهيم لحليم اواه منيب - هود : ٧٤ » .  
قيل : كيف يجادل ربه وهو ذلك النبي العظيم !؟

والجواب : ان المجادلة كانت بمعنى تكرار السؤال استرحاماً بشأن قوم لوط ، نظراً الى جانب سعة رحمته تعالى ، فطمع ابراهيم في ان يعطف الله عليهم برأفته ويمهلهم ريثما يتذكرون ويرجعون الى رشدهم . لكنه تعالى رفض طلبه ، لاجفاء وتحقيراً بموقف ابراهيم - كلا - بل لعلمه تعالى انهم لا يرجعون ابداً ، وانهم مابقوا يزدادون عتواً وفساداً في الارض . ومن ثم تراه تعالى يصف ابراهيم خليله تعقياً على ذلك - بقوله : « ان ابراهيم لحليم » : ذوا صطبار على سوء أدب القوم « اواه » : كثير العطف والحنان « منيب » كثير التضرع لدينا يدعونا مرة بعد اخرى . ففي هذا الوصف الجميل الذي يمثل حنان ابراهيم وعطفه ورأفته العظيمة ، لدليل على ان توصيفه بالمجادلة كان ايضاً مدحاً وثناء عليه تمهيداً لوصفه بذلك .

### تبرئة يوسف

قال تعالى : « ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه - يوسف : ٢٤ » .

قيل : كيف يهم بها وهو نبي عظيم ومن عباد الله المخلصين ! كما جاء في ذيل الآية : « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين » .

والجواب : انه معلق على شىء لم يقع ، اى لولا ان رأى برهان ربه لهم بها ، فيما انه رأى برهان ربه فانه لم بهم بها قط . كما فى قولك : لولا على لهلك عمر . ومعناه انه لم يهلك عمر لوجود على .

فالكلام من جهة امرأة العزيز مطلق غير مقيد ، فقد همت به قطعياً . اما من جهة يوسف فلولا انه من عباد الله المخلصين ، وكان نور الايمان مشعاً من قلبه المبارك ، لكان ايضاً هم بها ، لانه شاب وله من شهوة الرجال ما لهم ، ولا سيما وهى تقبل عليه بذلك الاقبال العارم ، فكانت مقتضيات الهم موجودة فيه <sup>لولا</sup> لولا قوة المانع فى وجوده ، وهو ايمانه الراسخ المسيطر على جميع مشاعره وأحاسيسه ، فلم تكن لتطفى عليه شهوته وهو عبد خالص لله . وقد شهدت زليخا بشأنه العصمة ، قالت « ولقد راودته عن نفسه فاستعصم - يوسف : ٣٢ » . فضلا عن شهادة الله بحقه : « وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك ، قال معاذ الله ، انه ربي احسن مثواى انه لا يفلح الظالمون - يوسف : ٢٣ » .

وهذا هو البرهان الذى رآه ، اى ايمانه الراسخ الذى تجلى له حينذاك بالخصوص ، فحال سدأمنياً دون ان بهم بالمعصية اصلاً .

### ابتلاء ايوب

قال تعالى : « واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب - ص : ٤١ » .

قيل : كيف يمسه الشيطان وهو لا يملك الاستحواذ على عباد الله المخلصين ؟ وما هذا النصب والعذاب الذى اصيب به نبي الله ايوب وهو معصوم ؟ .

والجواب : لاشك ان ابليس لا يستطيع الاستحواذ على عباد الله المخلصين ولا سيما الانبياء العظام . لكنه يستطيع عرقلة الطريق أمامهم وتكدير الحياة عليهم بدسائسه الخبيثة .



انه لم يتسلط على ايوب عليه السلام ولم يملك قلبه الكريم الذى هو مهبط وحى الله ودار كرامته الخاصة به ، فلما وضع لابليس فيه ولا مطمع أبدياً . نعم استطاع ايقاع الأذى به تسبباً بوساوسه على اقربائه وحاشيته . فوقعه عليه السلام فى نصب اى عناء وجهد . وعذاب اى ألم ومحنة ، ومن ثم جاء التعبير بالضر فى آية اخرى : «وايوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين . فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين - الانبياء - ٨٣ - ٨٤» .

قال الامام الصادق عليه السلام : «ان الله عزوجل يبتلى المؤمن بكل بلية ويميته بكل ميتة ، ولا يبتليه بذهاب عقله . اما ترى ايوب كيف سلط ابليس على ماله وعلى ولده وعلى أهله وعلى كل شىء منه ، ولم يسلمه على عقله ، تركه له ليوحد الله به» .

#### مخاطرة موسى بنفسه

قال تعالى : «ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان ، هذا من شيعته وهذا من عدوه ، فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه ، فوكزه موسى فقضى عليه ، قال هذا من عمل الشيطان ، انه عدو مضل مبين ، قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له ، انه هو الغفور الرحيم - القصص : ١٥ - ١٦» .

لاشك ان الذى فعله موسى ذلك الحين و هو الرجل المطالب من قبل السلطات ، و كان خطر الموت يرفرف على رأسه كانت مجازفة و تغريراً بنفسه الكريمة بتسليمها الى العدو اللدود .

وهى بادرة غريبة بدرت منه ، ولعلها من غير تفكير فى عاقبتها ، حيث كان عليه السلام سريع الغضب فى الله و من ثم لم يكن ينبغى ذلك منه وهو فى طريقه الى صرح النبوة الشامخ . الامر الذى نسهه الى عمل الشيطان نظراً لان سورة الغضب هى

١- بحار الانوار ج ١٢ ص ٣٤١ . والكافى الشريف ج ٢ ص ٢٥٦ رقم ٢٢ .

احدى حبائل الشيطان يستولى بها على مشاعر الانسان والحوول دون رشده .

و هذا ليس من الاغواء الموبق، حيث لم يكن قتل القبطي معصية ، ليكون اغراء ابليس بذلك اغراء لموسى الى معصية الله . بل كان اغراء بما يوجب التفرير بنفسه الكريمة و تعريضها للهلاك ، فقد هيج ابليس من غضب موسى ليقدم على قتل القبطي ، و بالتالى يقع هو فى قبضة السطات فيقتلونه ، و بذلك قد نصب ابليس فخاً للقضاء على موسى - عليه السلام - . اذن لم يكن ذلك من الاستيلاء الذى ننكره بشأن عباد الله المخلصين .

ووجه آخر لعله اسلم من الاشكال ، وهو ان المشار اليه فى قوله : « هذا من عمل الشيطان » هو السبب الداعى لوقوع القتل ، اى لولا اضلاله للاقباط و استيلائه على شاعر المصريين فى تأليههم فرعون و الاستسلام لقيادته الفاسدة ، لم تنهيا موجبات هذا القتل و امثاله مما ابتلى به بنو اسرائيل ، و كانت بعثة موسى لاستخلاصهم من نير الذل و الهوان .

و يترجح هذا الوجه بملاحظة وضوح المناسبة بينه و بين التعقيب بقوله « انه عدو مضل مبين » . اى ظاهر العداوة للانسان . و لاشك ان موسى - ع - لم يرد اضلال نفسه بل اضلال غيره ، و لعلمهم هم القبط .

و اما قوله : « رب انى ظلمت نفسى » فيعنى تلك المخاطرة بها و تفريرها للهلاك على ايدى اعداء الله . و لاشك انها كانت بادرة غريبة منه ، لم تكن تنبغى من مثله وهو على مدارج الصعود الى مرتبة النبوة السامية . الامر الذى يكون من ترك الاولى بالنسبة الى مثله ، فكان ينبغى الاستغفار منه ، و من ثم اجابه تعالى على الفور . حيث كانت تلك البادرة - مهما كانت - فانها فى سبيل الغضب لله تعالى .

### محاججة موسى مع فرعون

« قال - فرعون مخاطباً لموسى ﷺ - : الم نربك فينا وليداً ، و لبثت

فينا من عمرك سنين؟ و فعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين! قال -موسى-  
فعلتها اذاً وانا من الضالين - الشعراء ٢٠ « .  
ما هذا الكفر الذى ينسبه فرعون الى موسى ؟  
و ما هذا الضلال الذى يراه موسى لنفسه ؟

الجواب : اما الكفر فهو كفران النعم التي زعم فرعون انه انعمها على  
موسى و على بنى اسرائيل . و من ثم رد عليه موسى بقوله : « و تلك نعمة تمنها  
على ان عبدت بنى اسرائيل ؟ ! » الآية رقم ٢٢ .  
واما الضلال فانما يقصد به حالته قبل نزول الوحي عليه بالنبوة ، و هو  
ضلال نسبي يعم كل نبي قبل ان يوحى اليه ، لا يكون عارفاً بتفاصيل الشريعة التي  
ستنزل عليه ، الا اذا علمه الله تعالى .  
وقد فسروا الضلال هنا بتفسير آخر ، تجدها فى مجمع البيان للطبرسي  
ج ٧ ص ١٨٧ . وتنزيه الانبياء للشريف المرتضى ص ٧٠ .

### استعفاء موسى

قال تعالى . : « واذ نادى ربك موسى : ان اءت القوم الظالمين ، قوم  
فرعون الايتقون . قال : رب انى اخاف ان يكذبون . و يضيق صدرى و لا ينطلق  
لسانى ، فأرسل الى هارون . ولهم على ذنب فأخاف ان يقتلون . قال : كلا ،  
فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون - الشعراء : ١٠ - ١٥ « .  
و هل ينبغى لمرشح لمقام النبوة وقد اختاره الله و اجتبه من خلقه ان يستعفى  
منها ، ثم يدل على غيره ؟ !

والجواب : ان مقارنة هذه الآية مع آية طه ترفع الاعتراض رأساً . انه  
ﷺ لم يستعف ، و انما سأل ربه ان يمهده بمساعد موثوق به من أهله ، وأبدى عجزه



عن الاستقلال بعبء الرسالة ، فاجابه تعالى الى مسؤوله واستجاب دعاءه .  
 قال تعالى : « اذهب الى فرعون انه طغى . قال : رب اشرح لى صدرى ،  
 ويسرلى امرى ، واحلل عقدة من لسانى ، يفقهوا قولى ، واجعل لى وزيراً من  
 أهلى ، هارون أخى ، اشدد به ازرى ، واشر كه فى امرى ، كى نسبحك كثيراً ،  
 ونذكرك كثيراً ، انك كنت ابنا بصيراً ، قال : قد اوتيت سؤالك يا موسى - طه : ٢٢ - ٣٥ » .  
 هذه الآية تفسر تماماً آية الشعراء وترفع الاشكال عن مواضع ابهامها رأساً .  
 مثلاً قوله : « فأرسل الى هارون » ليس معناه : اعفنى عن حمل الرسالة واجعل  
 مكانى هارون !

بل المعنى : فأرسل الى هارون ايضاً كى يشاركنى فى أمرى ويؤازرنى عليه .  
 وقوله : « اخاف ان يكذبون » . وقوله : « فأخاف ان يقتلون » ليس معناه  
 عدم الثقة بنجاح رسالته ، وانما اراد بذلك طلب المزيد من عنايته تعالى والتيسير  
 لأمره « ويسرلى امرى » .

كما انه اراد بقوله : « ولا ينطق لسانى » ان يمن عليه بانطلاق لسانه « واحلل  
 عقدة من لسانى » . وبقوله : « ويضيق صدرى » ان يشرح صدره « رب اشرح لى  
 صدرى » . وبقوله : « فأرسل الى هارون » ان يجعله وزيراً له « واجعل لى وزيراً من  
 أهلى هارون أخى اشدد به ازرى واشر كه فى امرى » لا يكالها اليه رأساً واعفاء  
 نفسه عنها .

وقوله تعالى : « كلا » طمأنينة لنفس موسى انهم لن يصلوا اليهما بسوء ،  
 وانه سوف يوفق فى رسالته وتكون له الغلبة فى نهاية المطاف . اى كلاً لا يستطيعون  
 فتلك ولا الوقوف دون تبليغك الرسالة .

قال تعالى - فى سورة القصص - : « قال : رب انى قتلت منهم نفساً فأخاف  
 ان يقتلون . وأخى هارون هو أفصح منى لساناً ، فأرسله معى رداً يصدقنى ، انى  
 أخاف ان يكذبون . قال - تعالى - مستجيباً لطلبه - : سنشد عضدك باخيك ونجعل

لكما سلطانا فلا يصلون اليكما ، بآياتنا ، انما ومن اتبعكما الغالبون : ٣٣-٣٥ .  
وقد اوضح قوله : « فأرسله معي » في هذه الآية ماجاء في سورة الشعراء من قوله :  
« فأرسل الى هارون » توضيحاً يرفع كل ابهام وايهام .  
وقوله : « ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون اليكما » تفسير لقوله : « كلا » في  
تلك الآية .

ويجمع الكل قوله تعالى : « قد اوتيت سؤلك يا موسى » . فانه استجابة لجميع  
ما التمسه موسى ﷺ من ربه من الموقية والتسيد في اداء الرسالة .

### خيفة موسى

قال تعالى : « فأوجس في نفسه خيفة موسى - طه : ٦٧ » مم كانت خيفته ، وقد  
أمنه تعالى من قبل « يا موسى لاتخف انى لا يخاف لدى المرسلون - النمل : ١٠ » ؟  
والجواب : ان خيفته هذه لم تكن كخيفته الاولى عند الشجرة عندما ألقى  
عصاه فاذا هي حية تسعى ، قال : خذها ولاتخف سنعيدها سيرتها الاولى « طه : ٢٠ -  
٢١ » . بل كانت خشية التمويه على العامة والتباس الحق عليهم بالباطل ، عند  
ما رأى من عجيب فعل السحرة « فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى -  
طه : ٦٦ » . « فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤوا بسحر عظيم - الاعراف :  
١١٦ » .

فأشفق ﷺ ان يلتبس الامر على العوام ولا يميزوا بين سحر السحرة واعجازه ،  
حيث رأى من قوة التلبس والتخييل ، فخاف من وقوع الشبهة على من لم يمعن  
النظر . فأمنه الله تعالى من ذلك وبين له ان حجته ستضح للقوم ، بقوله : « لاتخف  
انك انت الأعلى ، وألقى ما فى يمينك تلقف ماصنعوا ، ان ماصنعوا كيد ساحر ،  
ولا يفلح الساحر حيث أتى - طه : ٦٨-٦٩ » . الامر الذى كانت نتيجته اخضاع  
السحرة : « فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ،

وألقى السحرة ساجدين ، قالوا آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون - الاعراف:

• «١١٨-١٢٢»

\* \* \*

وقال تعالى : «فلما أخذتهم الرجفة قال - موسى - : رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي ، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ، ان هي الافتنتك تفضل بها من تشاء وتهدي بها من تشاء ، انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين - الاعراف:

• «١٥٥»

ليس يستشم من ذلك رائحة الاعتراض !؟

وهكذا قوله تعالى : « وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاءه زينة واموالا فى الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك - يونس : ٨٨ » .

الجواب : كلا ، بل هو استرحام واستعطاف ، وسؤال عن مصلحة كادت تخفى على نبي الله موسى ﷺ . وأخيراً اعترافه بأن وراء هذه الظواهر حكمة بالغة وفوائد تربوية جليلة ، تخضع لها نفوس مستسلمة سليمة فتتهدى الى معالم الحق ، وان كان قديز يد فى ضلال من زاغ قلبه واعمى بصره .

قوله : « ان هي الافتنتك » اى ابتلاؤك وامتحانك للناس ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة .

وقوله : « أتهلكنا بما فعل السفهاء منا » . استرحام وطلب للعفو عما فرط منهم فى جنب السفهاء ، حيث واكبوهم فى سفاهتهم وداهونهم فى غفلتهم . ولم يقصد موسى ﷺ نفسه ، وانما عنى الرجال السبعين الذين اختارهم للميقات ، أهلكتهم الرجفة بمجاملتهم مع سفهاء القوم .

واللام فى قوله : « ليضلوا عن سبيلك » هى لام العاقبة مثلها فى قوله : « فالتقطه



آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً» .

وهذا تمهيد للدعاء عليهم بالهلاك والدمار ، حيث كفروا بنعم الله عليهم ولم يقدروها ، بل وأخذوا يستغلونها في سبيل اضلال العباد والصد عن سبيل الله .

\* \* \*

وقال تعالى : « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال : رب انرى انظر

اليك - الاعراف : ١٤٣ » .

أليس هذا من طلب المستحيل ؟

وقد تقدم الجواب عن ذلك ، بانه من باب تجاهل العارف ، على اثر ضغط من قومه الجاهلين . فقد ورد ان لسانه لم يطق النطق به ، فأوحى الله اليه : يا موسى ، سلنى ما سألوك فلأؤاخذة عليك بجهلهم ، فعند ذلك تجرأ موسى على أن ينطق به .<sup>١</sup>

\* \* \*

وقال تعالى : « ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفاً ، قال : بشما خلفتمونى من بعدى ، أعجلتم امر ربكم ، وألقى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه . قال : ابن ام ، ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى ، فلاتشمت بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين . قال رب اغفر لى ولأخى وادخلنا فى رحمتك وانت ارحم الراحمين - الاعراف : ١٥١ » .

وقال - ايضاً - : « فرجع موسى الى قومه غضبان أسفاً ، قال : يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً ، أفضال عليكم العهد ام أردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى - الى قوله - قال : ياهارون مامنك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن ، أفعصيت أمرى ؟ قال : يا ابن ام ، لاتأخذ بلحيتى ولا برأسى ، انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى - طه : ٨٦-٩٤ » .

---

١- راجع الصفحة : ٩٨-٩٩ .

أليس هذا من ثوران الغضب والتسرع الى امر ربما كان لا يحمد عقباه؟!  
والجواب: ان في ذلك الارتداد المفاجيء الغريب الذى حصل فى بنى اسرائيل  
فى غيبة نبيهم اربعين صباحاً لمثاراً لأكثر من ذلك الغضب ، ولا سيما فى مثل موسى  
عليه السلام ذلك الرجل الغيور فى الله ، فقد وجد ان اتعابه كلها ذهبت أدراج الرياح بفترة  
قصيرة . ومن ثم اخذ اليأس مأخذه من نفسه الكريمة واخذته الحمية الالهية الى  
الانتقام السريع من قومه الالقاء . فأخذ يفتش عن العوامل التى دعت الى ذلك  
التحول العظيم ، غير المترقب ، والأيدى التى عملت فى اضلال القوم وارتدادهم  
الى عبادة العجل .

فلاول وهلة وقبل كل شىء توجه الى أخيه الذى استخلفه على قومه ، وجعله  
رقيباً عليهم ومسؤولاً عن قيادتهم الحكيمة . «وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى  
قومى واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين - الاعراف : ٢٤٢» .

فحسب ان هارون هو الذى تهاون بشأن القوم ولم يرقبهم تلك المراقبة الشديدة  
فضلوا . شأن كل زعيم اذا احس بضعفة فى بعض جوانب قيادته ، ان يستنطق  
المسؤول الذى عينه فى تلك الجهة ويبادر الى محاكمته ان كان رأى من موقفه  
التساهل والتعاس عن وظيفته .

الامر الذى دعى بموسى ان يوجه ملامته اولا وبالذات الى اخيه المسؤول  
عن قومه . فأخذ برأسه ولحيته وجره اليه بعنف ، استنكاراً على تساهله بأمر القوم .  
وهارون وان كان قد ابدى عذره عن سكوته تجاه ضلال القوم وعبادتهم للعجل ،  
لكنه لم يكن بتلك المثابة التى تبرأ موقفه نهائياً ، ومن ثم استغفر موسى لنفسه ولأخيه ،  
ان هارون حسب من قيامه فى وجه القوم حدوث انشقاق فى صفوفهم وربما وقوع  
فساد وسفك دماء ، فسكت ريثما يعود موسى وهو اعرف بموقفه مع القوم . الامر  
الذى ان كان يصلح عذراً فى الجملة ، فليس من العذر المقبول كلياً . ومن ثم لم يكن  
موقف موسى مع اخيه حينذاك ظلماً بشأنه ذلك الظلم الذى حسبوه ، كما لا يخفى

على من امن النظار في جوانب القضية ودرسها بعمق. وهذا الكتاب موضع اختصار.

\* \* \*

## اختبار داود

قال تعالى : «وهل أتاك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب . اذ دخلوا على داود ففرح منهم ، قالوا : لاتخف ، خصمان بغى بعضنا على بعض ، فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط . ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال : اكفلنيها وعزني في الخطاب . قال : لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ، وان كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقليل ما هم . وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب . فغفرنا له ذلك ، وان له عندنا لزلفى وحسن مآب - ص : ٢٤ .»

قوله : «تسوروا المحراب» اى تسلقوا حائطه وصعدوا عليه، ودخلوا على داود فى محراب عبادته بهذه الطريقة غير المألوفة ولعله ارعاباً له ، ومن ثم فرح منهم .

قوله : «ولاتشطط» اى لاتجر فى الحكم وهو امر له بالعدل فى القضاء ، وهو ايضاً غريب ، اذ لم يعهد من متحاكمين ان يتجاسرا على القاضى بهذه اللهجة التى تبدو عليها أمارات التحكم عليه والزامه بما هو وظيفته ، ولاسيما فى مثل نبى الله داود الامر الذى زاد من فزعه منهم .

قوله : «وعزني فى الخطاب» اى غلبني فى المحاججة . «الخلطاء» هم الشركاء فى التعايش .

أليس يستش من الآيات ان هناك امراً كان قد فرط من داود عليه السلام فنبهه الله عليه بتلك الطريقة المفزعة ؟

قلت : نعم ، ولكن لابتلك المثابة التى يرويهامفسروا العامة ، فانها لاتعدو



اسرائيليات مفضوحة لاشأن لها سوى الحط من كرامة انبياء الله العظام .  
 وقد شطب ائمة اهل البيت - عليهم السلام - على القصة التي يرويها القصاصون<sup>١</sup>  
 بشأن امرأة اوريا في تلك الفضاة المستبشعة ، التي لا يقدم عليها مؤمن غير  
 فضلا عن مثل نبي الله داود عليه السلام . قال امير المؤمنين - صلوات الله عليه - : « لا أوتى  
 برجل يزعم ان داود تزوج امرأة أوريا الا جلده حدين ، حد للنبوة وحد للاسلام »<sup>٢</sup> .  
 وهكذا روى عن الامام جعفر بن محمد عليه السلام <sup>٣</sup> .

وليس في لفظ القرآن ما يدعو الى التصديق بثبوت القصة المزعومة ، سوى  
 ماجاء في لفظ التوراة المحرفة في حياكتها الغظيمة<sup>٤</sup> التي يرفضها العقل السليم ،  
 وحاشا داود من نبي كريم !

وكل ما يدل عليه ظاهر القرآن أنه تعالى اراد ان يمتحن عبده داود في القضاء  
 العدل ويديره عليه تدريياً ، حتى في اشد الحالات عليه ، فجعل من الملكين في صورة  
 خصمين يهجمان عليه المحراب ، وهو منذهل بخلوته مع ربه ، ومن ثم افزعته تلك  
 المباغثة الغريبة ، وتسرع في الحكم قبل أن يتأكد من توفر شروطه اجمع ، حتى  
 ولو كان بصورة فرض ، لانه كان بمحض المدعى عليه ، وربما اوجب انفعالا في  
 نفسه فيتقاعس عن الدفاع عن نفسه ، لظنه ان الحكم حتم لخصمه فلافائدة في الدفاع .  
 هذا ولا سيما وقد القيت الدعوى بصورة تستجلب الحكم للمدعى في بادىء  
 النظر ، خصوصاً والمدعى عليه ساكت لا يتكلم .

والخلاصة : ان بواغث التسرع بأخذ جانب المدعى حينذاك كانت متوفرة

١- انظر : الطبرى - جامع البيان ج ٢٣ ص ٩٣

٢- انظر : الطبرسى - مجمع البيان ج ٨ ص ٤٧٢

٣- بحار الانوار ج ١٤ ص ٢٩ برقم ٦

٤- انظر : العهد القديم - صموئيل الثانى - الاصحاح الحاديعشر والاصحاح الثانى

عشر . ( الكتاب المقدس ص ٤٩٧ - ٥٠٠ ) .

اولاً : هجوم الخصمين عليه بتلك الصورة المفزعة، وهي تحول دون رجوع العقل الى رشده، ولا يملك اى انسان وعيه اذا ماملكه الفزع وفاجته رعب مهول . وربما يتخذ تدبيراً هو بمعزل عن رشد العقل ، ومن ثم كان من آداب الحكم ان لا يكون القاضى منشغل الذهن بهواجس ولا مرتاعاً فى امره .

ثانياً: القاء الدعوى بتلك الصورة المغرية ، انه يملك نعجة واحدة ، وخصمه يملك تسعاً وتسعين نعجة ، وطلب اليه ان يضم نعجته الى نعاجه ، من غير ماسبب معقول ، سوى انه يملك اكثر بتلك النسبة العالية .

ولاشك ان الدعوى اذا كانت بتلك الصورة كان الحق مئة بالمئة مع المدعى ، ويكون المدعى عليه ظالماً له .

ولعل القاء الدعوة بتلك الصورة كان - ايضاً - لأجل اختبار داود ، هل تغلبه صورة الدعوى المغرية ؟ وهل تثير من عواطفه الرقيقة ضد المحكوم ؟ فاذا كان الامر كذلك كان بعد لم تنضج صلاحيته للقضاء العدل الذى يريده الله .

ثالثاً : سكوت المدعى عليه محضاً تجاه الغوغاء التى اثارها خصمه ، وهو لا ينبس ببنت شفة ، كل ذلك كانت بواعث للحكم ضده فى بادى الامر .

لكن داود عليه السلام بعد ان تسرع الى الحكم - فرضياً - رجع الى رشده على فوره ورآى بنور الله انه لم يكن ينبغى منه ذلك التسرع ، ولا بد ان يستمع الى الخصم، ولعله ذو حجة قاطعة ، ومن ثم استغفر الله على بادرته تلك، وان لم تكن معصية، حيث لم يحكم حكم قضاء، وانما ابدى رأيه الشخصى ازاء تلك الدعوى على فرض صحتها تقديراً .

فلم تكن تلك الظاهرة سوى رحمة من الله عليه وعناية خاصة به ، تمهيداً لاستخلافه فى الارض ، الذى جاء ذكره تعقيباً على الآيات المذكورة « يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله - ص ٢٦٠ » .

نعم ، قديكون فى التمثيل بالنعاج ، خصوصاً فى تلك النسبة المرتفعة ، تنبيه آخر لداود ، روى انه خطب امرأة وكان قد خطبها ايضاً آخرون ، فاراد اهلها ان يزوجوها من داود اجلالاً لمقامه الكريم ، وهو لا يدري بالأمر ، فنبهه الله عليه كى لا تدخل عليه شنة من الناس فيحسبوه متدخلًا فى سوم الآخرين<sup>١</sup> .

\* \* \*

### فتنة سليمان

قال تعالى : « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب - ص : ٣٤ » . ذكروا انه قال لاصحابه يوماً : سأطوف الليلة على نسائي لتلد كل واحدة غلاماً يضرب بالسيف فى سبيل الله ، قال ذلك قاطعاً بالأمر ، فقد تمنى ما لم يكن باستطاعته الا ان يشاء الله . فأراد الله تنبيهه على بادرتة تلك ، وان كانت نظرته نصرة الحق محضاً . فطاف عليهن كلهن فلم تحمل منهن سوى واحدة و جاءت بسقط ميت<sup>٢</sup>

هذا هو الصحيح الذى اختاره اصحابنا الامامية فى تفسير الآية . واما ما ذكره بعض المفسرين من امور تمس بكرامة الأنبياء و تهين من مقامهم الجليل ، فهى - فضلاً عن مخالفتها لاصول العقيدة ولظاهر القرآن - روايات لأصل لها ولا سند متصل الى معصوم .

\* \* \*

وقال تعالى : « اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد ، فقال انى احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ، ردها على فطفق مسحاً بالسوق والأعناق . قال رب اغفر لى وهب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى انك انت الوهاب ص - ٣١ - ٣٥ » .

١- انظر : مجمع البيان - الوجه الاول - ج ٨ ص ٤٧٢

٢- مجمع البيان ج ٨ ص ٤٧٥



في هذه الايات موضعان للسؤال .

الاول : كيف يؤثر مثل سليمان ، حب الخيل على ذكر ربه ؟

الثاني : كيف يطلب ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، أليس في هذا الطلب شيء

من شائبة البخل ؟

والجواب - اولا - : ان مارووه . بشأنه ﷺ انه كان مغرماً بحب الخيول

المسومة الجياد فكان يوم عرضها عليه ففاته فريضة العصر ، كله باطل و قبيح

ينم عن وقاحة واضعه و جهله بمنزلة الانبياء .

والصحيح : انه كان يوم استعراض الخيل لغرض انتخاب جيادهن لغرض

الجهاد في سبيل الله . وكان الوقت وقت عشي ، فاشتغل سليمان بملاحظتهن و

فاته تسبيحه المعتاد ذلك الوقت « فأوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشياً - مريم :

١١ . « واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والابكار - آل عمران : ٤١ » .

وهذا وان كان اشتغالا بعبادة عن أخرى ، لكن نبي الله سليمان فرض ذلك ،

على نفسه ذنباً فاستغفر الله منه . قوله : « انى احببت حب الخير عن ذكر ربي

حتى توارت بالحجاب » قال ذلك اغتماماً لما فاته من ورده المعتاد ' .

وقوله : « ردها على » اى الخيل لعرضها ثانية لغرض التأكد من سلامتھن

و صلاحيتهن للجهاد .

و ثانياً - ان المذموم هو الحرص و الضن بما يخص هذه الحياة الدنيا .

اما ما اريد به وجه الله والدار الآخرة فالطمع البالغ فيه غير مذموم . و من ثم

نرى نبينا الكريم طلب من امته الصلاة عليه على مر الايام والدهور . وهل يستغنى

أحد من رحمة ربه الواسعة ؟ ! ام هل للقناعة والاقتصاد فى تلك المرحلة مفهوم

معقول ؟ !

١- تنزيه الانبياء للشريف المرتضى ص ٩٤ ( ط نجف )

ونبي الله سليمان انما طلب منحة الهية اختصاصية يمتاز بها بين سائر الانبياء حيث كل واحد منهم كان يمتاز بجهة هي غالبية على سائر الجهات من شؤون نبوته الكريمة . آدم بسجود الملائكة له . نوح بكونه نجى الله . ابراهيم بخلته . موسى بتكليمه . داود ببلين الحديد و تسبيح الجبال معه . عيسى بكونه كلمة الله و روحاً منه . محمد خاتم الانبياء و سيد المرسلين .

فأراد سليمان ﷺ ان يكون امتيازهُ وطابعه الرباني هو سيطرته على الانس والجن والطيور والوحش ليكون مظهر قدرته تعالى على جميع صنوف الخلائق ، من غير ان يكون له مطمع في دنيا او حب في رئاسة هي زائلة لامحالة .

\* \* \*

### استعجال يونس

قال تعالى : « وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم و كذلك ننجي المؤمنين- الانبياء : ٨٧ » .

مم كان مغاضباً؟ و كيف ظن ان لن يقدر الله عليه؟ وبماذا اعترف على نفسه بالظلم؟

الجواب : انه كانه مغاضباً لقومه بسبب اصرارهم على الضلال والمعاندة مع الحق ، وقد مكث بين اظهرهم يدعوهم الى الله وهم لا يستجيبونه حتى ايس منهم ، وأحس بالعقاب يرفرف على رؤسهم ، فأخذ بمغادرتهم لأن العذاب لا ينزل بساحة قوم وفيهم نبي « وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم- الانفال : ٣٣ » . فمن وظيفة الانبياء ان يغادروا مهبط العذاب . فبناء على هذا القانون السماوى غادرهم يونس ولكن من غير ما استيذان خاص من الله فى ذلك ، علماً منه بان ذلك من وظيفته المتعينة عموماً ولا حاجة الى مراجعة اخرى خاصة !

هذا هو الذى أخذته الله عليه وحسبه ترك اولى منه لم يكن ينبغى صدوره من مثله و هو نبى كريم .

وهذا معنى قوله تعالى : « فظن ان لن نقدر عليه » اى كان على يقين من ان ذلك من وظيفته الخاصة فلا تؤاخذة عليها ولا تتضايق بشأنه من أجلها . لكنه لما علم بخطأ ظنه وانه قد ترك الاولى بشأنه اغتم اغتماماً بالغاً واخذ فى الاستغفار والضراعة الى الله تعالى ان يغفر له تلك البادرة التى فرطت منه .

قال تعالى - مناصحاً لنبيه ان لا يستعجل فى مغادرة قومه من مكة - « ولا تكن كصاحب الحوت » - حيث استعجل الخروج - « اذ نادى ربه وهو مكظوم » - مختنق من الغم على اثر بادرته تلك - القلم : ٤٩ » .<sup>١</sup>

وعليه فلم يكن هناك عصبان ولا مخالفة أمر صريح ولا اساءة ظن بالله العظيم !

\* \* \*

عيسى بن مريم

قال تعالى : « واذ قال الله : يا عيسى بن مريم ، ءأنت قلت للناس : اتخذوني و امى الهين من دون الله - المائدة : ١١٦ » .

كيف يجوز توجيه هكذا سؤال الى مثل عيسى ، وهو كلمة الله وروحه ، أكان يصح توجيه هكذا سؤال الى من لا يحتمل بشأنه ذلك ؟ !

الجواب : انه مى باب « اياك اعنى و اسمعى يا جارة » تقريباً بالمنتحلين اليه كذباً ، و استنكاراً لعقيدتهم بالتثليث . هم ابتدعوه ما انزل الله به من سلطان ولا كان المسيح أمرهم به . فليس سوى تعريض صريح بموقفهم الفاسد المنهار ، الذى لا

١- راجع مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٤١



اساس له فى شريعة الانبياء اطلاقاً .

\* \* \*

### خاتم النبين

حاول اعداء الاسلام إلصاق تهمة و افتراءات بساحة قدس رسول الله - صلى الله عليه وآله - والتمسوا لذلك شبهات واهية و فى نفس الوقت مفضوحة لا يتلوث بها ذيله الطاهرأ بدياً . منها اسطورة «الفرانيق» التى بحثنا عنها فى الجزء الاول (ص ٥٩ - ٧٠) و ذكرنا اوجه تنفيذها بتفصيل . و بقيت آيتان كانوا تشبثوا بهما دليلاً على الاسطورة ، لم نتكلم عنهما هناك بالذات :

١- الاولى - قوله تعالى : « و ان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفتري علينا غيره ، و اذاً لا تخذوك خليلاً . و لولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً ، اذاً لاذقناك ضعف الحياة و ضعف الممات ، ثم لا تجد لك علينا نصيراً - الاسراء ، ٧٣ - ٧٥ » .

زعموها نزلت بشأن قصة الفرانيق !

ولكن الآية ترمى شيئاً آخر لامساس له بتلك القصة ، و ذلك ان قريشاً بعد ما أيست من التغلب على دعوة الحق ، و رأت ان الدعوة تتقدم بسرعة مع الليالى و الايام ، حاولت الاصطلاح مع رسول الله - ص - ليجاملهم بعض الشيء ، فلا يذكر آلهتهم بسوء و لا يسهه أحلامهم علانية ، و شرطوا عليه إن كان يرغب فى موادتهم و مرادتهم ان يجتنب مجالسة العبيد و السفلة الأذلاء و يطردهم عن حاشيته و بالتالى يداهنتهم فى سيرته النزيهة التى تمثل منهج العدل و الحكمة ، فيحولها الى سلوك اهل الكبرياء و اصحاب الترف فى الحياة .

و قد تحرج النبى - ص - تجاه اقتراحهم هذا الثقيل ، فمن جهة كان يرغب

شديداً فى ايمان قومه ، فكان يرى لوجاملهم بعض الشيء لاستطاع اخضا عهم  
للاسلام ، و من جهة اخرى كان عليه صعبا جداً ان يحول من سيرته العادلة الى سيرة  
جبارة ، و لم يكن يستطيع ذلك أبداً .

فنزلت الآيات تبيهاً لمطمع اهل الشرك والفسوق ، وترويحاً بنفسه الكريمة  
ليتخلص عن المأزق الذى وقع فيه . فليكن على قاطع من أمره أنه يسير على  
المنهج الحق ، وان لامطمع فى ايمان هؤلاء الا نذال حتى ولو جا ملهم فى الامر .  
« كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم - الشعراء :  
٢٠١ » .

قال تعالى : « وان كادوا ليفتنونك » اى حاولوا خداعك . « عن الذى  
اوحينا اليك » اى عن المنهج الحق الذى ادبتك عليه « لتفتري علينا غيره » اى لتحوله  
الى طريقة اهل الترف والبغى ، فيحسبوا طريقة الشرع بسبب انتسابها اليك .  
« اذن لاتخذوك خليلاً » صحبوك وجالسوك . « ولولا ان ثبتناك » بالعصمة الربانية  
صموداً واستقامة على الحق ، « لقد كدت تركزن اليهم شيئاً قليلاً » اى لداهنتهم فى  
بعض ما طلبوه ، ولو طمعاً فى اسلامهم ، لكن من الواجب على نبي الله ان لا يدهان  
على باطل ، ولا يسلك مسالك التقية أبداً ، نظراً لانه المؤسس والمشرع وربما  
اشتبهت معالم الدين الاصيله .

و بقية الآيات تعريض بأولئك الذين يحاولون المداهنة فى دين الله اطلاقاً  
على مر الاجيال .

\* \* \*

٢- والآية الثانية - قوله تعالى : « وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا  
تمنى ألقى الشيطان فى امنيته ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ، ثم يحكم الله آياته ،  
والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقي الشيطان فتنه للذين فى قلوبهم مرض و القاسية  
قلوبهم ، و ان الظالمين لفى شقاق بعيد ، وليعلم الذين اتقوا العلم انه الحق من

ربك ، فيؤمنوا به ، فتخبت له قلوبهم ، و ان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط  
مستقيم - الحج : ٥٢ - ٥٤ .

قالوا - ايضاً - : انها نزلت بشأن قصة الغرائق !

والصحيح : ان الآية تعنى تسويلات ابليس المضلة التي يعرقل بها طرق الهداية  
التي يدعو اليها الانبياء . فقد كان رسول الله ﷺ يروج تطبيق الاسلام لوجه الارض  
كلها واخضاع الامم له جميعاً ، ويسير سيره الى الخلود والأبدية ، ومن ثم قوم من  
دعائمه ورضن من أسسه وقواعده الحكيمة ، وكان يخشى من دسائس المنافقين  
حواله سوف يعكرون عليه صفوا الجو ويقومون في وجه دعوته السائرة الى الانتشار  
والازدهار ، لانه قد تجرى الرياح بمالاتشهى السفن .

لكنه تعالى وعده بالنصر والظفر والانتشار والخلود وانه سوف يطبق دينه  
الارض كلها ، رغم محاولات الأعداء والمناوئين ، وان محاولاتهم سوف تفشل  
وتذهب هباء ادراج الرياح ، الحق يعلو ولا يعلى عليه ، « انا لننصر رسلنا والذين  
آمنوا في الحياة الدنيا - غافر : ٥١ » . « كتب الله لأغلبن انا ورسلى ان الله قوى عزيز  
- المجادلة : ٢١ » .

وان دسائس اهل الباطل سوف تذهب سدى ويستمر الحق في طريقه الى الازدهار  
والخلود « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق - الانبياء : ١٨ » . « له  
دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء  
ليبلغ فاه وما هو ببالغه ، وما دعاء الكافرين الا في ضلال - الرعد : ١٤ » . « انزل من  
السماء ماء فسالت اودية بقدرها ، فاحتمل السيل زبداً رابياً ، ومما يوقدون عليه في  
النار ، ابتغاء الحلية او متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل . فأما الزيد  
فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال -  
الرعد : ١٧ » .

كل هذه الآيات تبشر بعاقبة الاسلام المجيدة سوف تزدهر معالمه وتطبق ارجاء



العالم المعمور ، وان كل محاولة في سبيل مكافحته فاشلة لامحالة .  
 وآية الحج - أيضاً - ترمى نفس المرمى ، وتعنى تغلب الاسلام على جميع  
 الموانع والحواجز التي سوف تعرقل طريقه الى الازدهار والانتشار :-  
 قال تعالى : « وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى » انتشار دينه  
 وازدهار شريعته مع الخلود « ألقى الشيطان في أمنيته » حاول عرقله الطريق امام انتشار  
 دعوته « فينسخ الله ما يلقي الشيطان » يذهب بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق  
 « ثم يحكم الله آياته » يجعل من الحق واضحاً منتشراً في الآفاق قائماً على قدم وساق .  
 « ليجعل ما يلقي الشيطان » اي دسائسه وشبهات يثيرها « فتنة للذين في قلوبهم مرض »  
 امتحاناً لهم - ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله أضغانهم - سورة  
 محمد : ٢٩ -

\* \* \*

وهناك آيات اخر تشبث بها الخصوم للتشويه من سمعة الرسول الطيبة والازراء  
 بكرامته المجيدة . لكنها - أيضاً - محاولات فاشلة ومفضوحة الى حد بعيد :-  
 ٣- منها قوله تعالى : « واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه : أمسك عليك  
 زوجك واتق الله . وتخفى في نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله احق ان تخشاه .  
 فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج  
 ادعيائهم اذ اقضوا منهن وطراً . وكان امر الله مفعولاً . ما كان على النبي من حرج  
 فيما فرض الله له ، سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدراً مقدوراً - الأحزاب :  
 ٣٧ - ٣٨ » .

رووا بشأن نزول الآية أباطيل كاذبة ، قالوا : انها نزلت عتاباً للنبي ﷺ  
 في اضماره حب زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ  
 كان ﷺ دخل بيتهما فاجتمه ربيع فرفعت الستار واذا بها حاسرة ، فاعجبه جمالها ووقع  
 حبها في قلبه الشريف . ولما علم الله بذلك كرهها في نفس زيد ليطلقها ويتزوجها

النبي ﷺ فلما جاء زيد ليطلقها ، قال له النبي : امسك عليك زوجك ، قال ذلك وهو يحب ان تكون قد بانتم منه لينكحها . فاطهر الله ما كان يخفيه النبي في قلبه الشريف .  
الخ<sup>١</sup> ،

هذا امتهان بشأن الرسول وقلب للواقعية البيضاء التي كان يسير عليها برامج الدين الحنيف .

والصحيح - وفق مذهب اهل البيت - عليهم السلام - : ان هذه الآيات نزلت لمحق عادة جاهلية ، كانت العرب لا تجيز التزويج بأزواج الأدياء قياساً على أزواج الأبناء الحقيقيين . فكانت مكافحة هذه السنة الجاهلية بحاجة الى توضيح ممن يعرض بنفسه للشناعة الراهنة ويتحملها ، ومن ثم تحملها الرسول بنفسه كسراً لشوكتها ، وان شخصيته الكبيرة لتحول دون توجيه أى شناعة اليه !

فأوحى الله اليه أن زيدا سوف يطلق زوجته ، ولا بد ان تتزوجها انت محقاً لشريعة جاهلية . فلما ان وقع بين زيد وزوجته زينب تشاجر وكرهية و اراد طلاقها نصحه النبي ﷺ : « امسك عليك زوجك واتق الله » . وهى وظيفة دينية اصلاً بين الزوجين مهما امكن . « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه » اى كنت تعلم ان من وراء الستار امر مدبر هو على شرف الوقوع وانه سيطلقها وتتزوجها انت كما اخبر الله . « وتخشى الناس » تعبيرهم « والله احق ان تخشاه » اى احق ان ترعاه فى تطبيق شريعته ومكافحة شرائع جاهلية<sup>٢</sup> . وبقية الآية ظاهرة .

\* \* \*

٤ - ومنها قوله تعالى : « يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليماً حكيماً . واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيراً - الاحزاب : ١-٢ » .

١- انظر : الطبرى - جامع البيان - ج ٢٢ ص ١٠

٢- انظر : مجمع البيان ج ٨ ص ٣٦٠ . والصافى ج ٢ ص ٣٥٥

هذه الآية كآية الاسراء (٧٣) المتقدمة - وكم لها من نظائر في القرآن - تبيس لمطمع المشركين والمنافقين في الاصطلاح مع النبي ﷺ وان لا منفذ لخداعهم الخبيث في نفسه الكريمة «ودوا لو تدهن فيدهنون - القلم: ٥». فقد وردان اباسفيان ابن حرب وعكرمة بن ابي جهل و اباء الأعور السلمى قدموا المدينة، ونزلوا على عبد الله ابن ابي، بعد غزوة احد، بأمان من رسول الله ﷺ ليكلموه. فقاموا وقام معهم عبد الله ابن ابي وعبد الله بن سعد بن ابي سرح وطعمة بن ابيرق، فدخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد، ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة. وقل: ان لها شفاعة لمن عبدها، وندعك وربك. فشق ذلك على النبي ﷺ ثم أمر باخراجهم من المدينة، ونزلت الآية ١.

\* \* \*

٥ - ومنها قوله تعالى: «لاتجعل مع الله الهاً آخر فتجد مذموماً مخذولاً - الاسراء: ٢٤». وللاية نظائر كثيرة، كلها نزلت تعريضاً بغيره ﷺ من غير ان يكون هو مقصوداً بالذات. من باب «اياك اعنى واسمعى باجارة». كما في قوله تعالى: «ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين. بل الله فاعبد وكن من الشاكرين - الزمر: ٦٥». وغيرها من آيات هى نظائر. كلها ترمى بغيره ﷺ. ومن ثم حملها بعضهم على ارادة الخطاب مع كل سامع او قارىء، اى ايها السامع لهذا الخطاب او ايها القارىء لهذا الكلام او ايها الانسان بصورة عامة ٢.

\* \* \*

٦ - ومنها قوله تعالى: «عبس وتولى ان جاءه الاعمى. و ما يدريك لعله يزكى. او يذكر فتنفعه الذكرى. اما من استغنى فانت له تصدى. و ما عليك ان لا يزكى. و اما من جاءك يبعى. و هو يخشى. فانت عنه تلهى - عبس: ١-١٠».

١ - مجمع البيان ج ٨ ص ٣٣٥

٢ - انظر مجمع البيان ج ٦ ص ٤٠٧



رووا بشأن النبي ﷺ انه كان يتكلم مع عظماء قريش اذ جاء ابن ام مكتوم - وهو فقير اعمى - يسترشده ، فلم يلتفت اليه النبي ﷺ و امتعض و اعرض بوجهه عنه ، قائلاً في نفسه ، ان هؤلاء الصناديد سوف يقولون : انما اتبعه السفلة السقاط !<sup>١</sup> .

قال اعداء الاسلام والمشنعون بمقام سيد المرسلين: هل هذا من خلق المرسلين؟ و هلا يتنافى ما في هذه السورة مع قوله تعالى : «وانك لعلی خلق عظیم - القلم ٤» ؟!<sup>٢</sup> .

قال الشريف المرتضى - قدس سره الشريف - : «اما ظاهر الآية فغير دال على توجهها الى النبي -ص- و لافيها ما يدل على انه خطاب له ﷺ بل هي خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه، وفيها ما يدل عند التأمل على ان المعنى بها غير النبي -صلى الله عليه و آله - لانه وصفه بالعبوس ، و ليس هذا من صفات النبي -ص- في قرآن و لا خبر مع الاعداء المنابذين<sup>٣</sup> فضلا عن المؤمنين المستر شدين . ثم وصفه بأنه يتصدى للاغنياء و يتلهى عن الفقراء ، و هذا مما لا يصف به نبينا ﷺ من يعرفه . فليس هذا مشبهاً لاخلاقه ﷺ الواسعة ، و تحننه على قومه و تعطفه » .

« و كيف يقول : و ما عليك ان لا يزكى ؟! و هو ﷺ مبعوث للدعاء و التنبيه و كيف لا يكون ذلك عليه ، و كان هذا القول اغراء بترك الحرص على ايمان قومه » .

« و قد قيل : ان هذه السورة نزلت في رجل من اصحاب رسول الله - صلى

١- الطبرى - جامع البيان - ج ٣٠ ص ٣٢ - ٣٤ .

٢- انظر : الهدى الى دين المصطفى للحجة البلاغى ج ١ ص ١٥٨ .

٣- قال تعالى : « فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من

حولك - آل عمران : ١٥٩ » .

الله عليه وآله - كان منه هذا الفعل المنعوت فيها . ونحن ان شككنا في عين من نزلت فيه <sup>١</sup> فلا ينبغي ان نشك في انها لم يعن بها النبي ﷺ .  
 «وأى تنفير ابلغ من العبوس في وجوه المؤمنين ، والتلهي عنهم . والاقبال على الاغنياء الكافرين ، والتصدي لهم . وقد نزه الله تعالى النبي -ص- عمادون هذا في التنفير بكثير» <sup>٢</sup> .

وقال سيدنا الطباطبائي - دام ظله - «وقد عظم الله خلق النبي ﷺ اذ قال : وانك لعلى خلق عظيم ، في سورة القلم النازلة في بدء البعثة ، لانها نزلت بعد سورة العلق باتفاق روايات الترتيب . فكيف يعقل ان يعظم الله خلق نبيه في بدء بعثته بصورة مطلقة ، ثم يعود فيعاتبه بالعبوس في وجه الفقراء والتصدي للاغنياء؟!» .

«وقد أمره تعالى بخفض الجناح للمؤمنين «واخفض جناحك» . سورة الحجر : ٨٨ المكية ، كما أمره بالاعراض عن المشركين «واعرض عن المشركين» ايضاً في سورة الحجر : ٩٤ . فكيف يخالف ﷺ أمر ربه في الموضوعين . وقد قال تعالى : «ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به ازواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين - الشعراء المكية : ١٢٥»؟! :

«على ان تفضيل الغنى على الفقير ، لالشيء سوى ان ذاك ذواجه وهذا فقير ، قبيح عقلاً ، فضلاً عما اذا كان صاحب الغنى جاهلاً ، وكان الفقير صاحب كمال . الامر الذي يكون قبحة ذاتياً عند كل انسان ، من غير حاجة الى نهى ودستور!» <sup>٣</sup> .

\* \* \*

١- عن الصادق -عليه السلام- : (نزلت في رجل من اثرياء بنى امية كان عند النبي -ص- فجاء ابن ام مكتوم ، فلما رآه تقدر منه وجمع نفسه وعبس و اعرض بوجهه عنه فحكى الله سبحانه ذلك وانكره عليه» مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٣٧ .

٢- كتاب تنزيه الانبياء ص ١١٩ (طنجف) وراجع ايضاً الهدى الى دين المصطفى ج ١

ص ١٥٢-١٥٨

٣- انظر : تفسير الميزان ج ٢٠ ص ٣٠٨-٣٠٩ .

٧- ومنها قوله تعالى : «ووجدك ضالاً فهدى - الضحى : ٧» .

هذه الآية ونظائرها الكثيرة فى القرآن ، تعنى جانب انحصار الهداية فى الله عز وجل ، فلاهدى الاهديه : «الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله - الاعراف : ٤٣» .

وكل مهتد فى هذا الوجود فانما هدايته مكتسبة ومقاضة عليه من جانبه تعالى ، نبياً كان فمن دونه . ولاهداية ذاتية الا فى الحق تعالى عز شأنه . «انى ذاهب الى ربى سيهدين - الصافات : ٩٩» . «الذى فطرنى فانه سيهدين - الزخرف : ٢٧» . «الذى خلقنى فهو يهدين - الشعراء : ٧٨» .

قال ابراهيم : «لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين - الانعام : ٧٧» . وقال تعالى عن انبياء اجتباهم وهداهم : «واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم - الانعام : ٨٧» .

وقال موسى : «فعلتها اذاً وانا من الضالين - الشعراء : ٢٠» .

وقال تعالى بشأن نبينا محمد ﷺ : «وكذلك اوحيانا اليك روحاً من أمرنا ، ماكنت تدري ماالكتاب وماالايمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا . وانك لنهتدى الى صراط مستقيم - الشورى : ٥٢» .

وقال : «وانزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك كبيراً - النساء : ١١٣» .

وقال هو ﷺ فيما أمره تعالى ان يقول : «وان اهتديت فبما يوحي الى ربى ، انه سميع قريب - سبأ : ٥٠» .

هذا هو معنى ضلاله ﷺ وحاجته الذاتية الى هدى ربه ، ولولا هديه تعالى لكان من الضالين .

والى هذا المعنى ينظر قوله تعالى - فى مفتتح سورة يوسف - «نحن نقص عليك احسن القصص ، بما اوحيانا اليك هذا القرآن ، وان كنت من قبله لمن الغافلين» .



حيث علمه ﷺ مستمد من فيض قدسه تعالى ، وانه انما يعلم ما علمه الله .  
والغفلة في هذه الآية هو الضلال في سائر الآيات ، وهو عدم المعرفة بالشيء  
ذاتياً . ولعل في التعبير بالغفلة مناسبة مع المبدأ القائل بان العلم تذكر ، فتنبه !

\* \* \*

٨- ومنها قوله تعالى : «انافتحنا لك فتحاً مبيناً ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك  
وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً - الفتح : ١-٢» .  
ما هذا الذنب الذي تشير اليه الآية الكريمة ؟

قلنا : ان من شأن كل قائم باصلاح ، وخارج على مساوى عادات قوم هي  
مألوفة عندهم ، ان يعرض بنفسه لتعبير هم والتشجيع به ، ويرون من عمله ذلك  
خطيئة كبيرة خالف بها مقومات وجودهم الموروثة عبر الأجيال ، فكأنه يحاول  
تحطيم كيانهم والانهيار بقوميتهم ، ولاسيما الكبراء زعماء القوم ، يخشون على  
مصالحهم في البلاد . فينظرون اليه كمنذب عارم وقيح .

لكنه ريثما يتغلب على الموانع ويرفع الحواجز عن طريقه ويبلغ قمة الفوز  
والنجاح ، وتزدهر معالم اصلاحاته العامة اذاهم يستبشرون به كفاتح عظيم ،  
و مبشر بسعادة الاجيال . فتقلب سيئاته حسنات ، و تغفر جميع ذنوبه التي كانوا  
يرونها ذنوباً ، بعد ما لمسوا من حقيقة قيامه الاصلاحى و اخلاصه فى نهضته  
منذ البدء .

قال الامام ابو الحسن على بن موسى الرضا عليه السلام « لم يكن أحد عند مشركى  
اهل مكة اعظم ذنباً من رسول الله ﷺ لانهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين  
صنماً ، فلما جاءهم بالدعوة الى كلمة الاخلاص ، كبر ذلك عليهم وعظم ، وقالوا :  
أجعل الآلهة الها واحداً - الى قوله - الاختلاق . فلما فتح الله تعالى على نبيه ﷺ  
مكة ، قال تعالى : يا محمد ، انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك  
وما تأخر ، عند مشركى اهل مكة ، بدعاءك الى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر ، لان

مشر كى مكة اسلم بعضهم ، وخرج بعضهم من مكة ، ومن بقى منهم لم يقدر على انكار التوحيد عليه ، اذ دعا الناس اليه . فصار ذنبه مغفوراً بظهوره عليهم<sup>١</sup> .  
وقوله : «وماتاخر» اى حتى الاعمال التى يرتكبها ذلك المصلح فى مستقبل امره يفضون عنها حتى ولو كانت على خلاف مصالحهم الخاصة .

\* \* \*

٩- ومنها قوله تعالى : «ألم نشرح لك صدرك . ووضعنا عنك وزرك . الذى انقض ظهرك . ورفعنا لك ذكرك . فان مع العسر يسراً . ان مع العسر يسراً - الانشراح : ١-٦» .  
ما هذا الوزر الذى وضعه الله تعالى عن نبيه ﷺ ؟

الجواب : الوزر - كحبر - فى أصل اللغة<sup>٢</sup> : الحمل الثقيل . والجمع أوزار . كما فى قوله تعالى : «ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم - طه : ٨٧» واستعير عبء الرسالة والصدع بها ، الذى كان ﷺ يخشى صعوبة ادائه ، فى ذلك الجو الملىء بالعصبية والشقاق . لكنه تعالى وفقه على الانتهاض بدعوته فى يسرولين . كما شرح صدره الذى كاد يضيق من خطورة موقفه مع قومه فخف عليه ذلك وهان .

قال تعالى : « السم نشرح لك صدرك» لهذه الدعوة ؟ ويسرنا لك أمرها ؟  
«ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك» اى خففنا عليك عبثك الذى كان اثقل ظهرك .  
وان فى بقية الايات لدليلاً واضحاً على صحة هذا التفسير .

\* \* \*

١٠- ومنها قوله تعالى : «فاصبر ان وعد الله حق ، واستغفر لذنبك - غافر : ٥٥» .  
وقوله : «فاعلم انه لا اله الا الله ، واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات - سورة محمد :  
١٩» .

ما هذا الذنب الذى امر النبي ﷺ بالاستغفار منه ؟

١- عيون اخبار الرضا للصدوق (ط نجف) ص ١٦٠ - ١٦١

٢- ابن فارس - معجم مقاييس اللغة - ج ٦ ص ١٠٨

قال الحجة البلاغي : ولعل الآيتين من سنخ آية الفتح - التي تقدمت برقم ٨ - . ويمكن ان يكون تعليماً للامة وان كان الخطاب للرسول ﷺ كما في آيات

لها من سعة قائل الخطاب المثل في ٢٣ - ٢٩ في قوله ﷺ - ٢٩ فتضمنما انه في هتبانة الى ههنا  
 ولما سخر قلب المقبولين من زوجهذا من عند الرب العيونية يؤدى الى الله به نبيهم وابتداء ربه عليه السلام المثل في آيات  
 وقد قال رسول الله ﷺ لعنه الله في الحديث في قوله ﷺ « اي والله انتم اعمى من الباطن لا يتبين في الآيات في يوم  
 من يوم القيمة » ايها رسول الله ﷺ من يرد له له ثلاثا وله ١١ عليه ومعه نفسه في ان قال لا  
 نبيعت و نزلت علي ثلاثا المير في ان قال في الحديث في قوله ﷺ « اي والله انتم اعمى من الباطن لا يتبين في الآيات في يوم  
 في عبادته والقيام بمرضاته ، فانه مع كل ما قاصرت الامم في عبادته ولا يسمع لغير الله المتخيلون  
 الذين ادركوا من عظمة الله وحليل نعمه عليه عبادته ، فان شعورهم بالقصور عن اداء  
 شكره الواجب اشد . ومن ثم فان خشيتهم تجاه رب العباد اكثر ، «انما يخشى الله من  
 عباده العلماء ان الله عز يزغفور - فاطر : ٢٨ » .

وهكذا بقية الآيات التي جاء فيها ذكر الاستغفار ، خطاباً الى النبي ﷺ  
 بصورة خاصة او عموماً .

وبقيت آيات اخر كان فيها بعض العتاب الموجه الى النبي ﷺ اغمضنا  
 عنها ، لوضوح حالها قياساً على ما اسلفنا ، انها اما عتاب و داد او تعريض بغيره في  
 مناسبة خاصة ، او الى امته بشكل عام . ولكمال ظهورها طوبينا عنها بالبحث .

١- الهدى الى دين المصطفى ج ١ ص ١٦٤ (ط نجف)

٢- مجمع البيان للطبرسي ج ٩ ص ١٠٢



انتهى ما اردنا ثبته في هذا المختصر ، ولعله بقيت من آيات متشابهة ما لم نتعرض لها  
فقد أجلناها الى مجال التفسير ، حيث لم نقصد الاستقصاء وانما كان الغرض عرض نماذج  
أوفيناها بتوفيقه تعالى . وله الحمد واصبأ على تسديده للصواب والكمال .  
وكان الفراغ مساء يوم ميلاد الامام الثامن على بن موسى الرضا ، عليه آلاف  
التحية والثناء . الحادى عشر من ذى قعدة الحرام ، سنة الف وثلاثمئة وثمان وتسعين  
هجرية ، على ها جرها وآله صلوات رب العالمين .

١١ / ذق / ١٣٩٨ هـ قم المقدسة - محمد هادى معرفة

## فهرس الايات القرآنية

التي جاءت في هذا العرض اما بحثاً عن مدلولها اولغرض الاستدلال

| رقم الآية        | الآية   | رقم الصفحة    |
|------------------|---|---------------|
| ١ - سورة الفاتحة |   |               |
| ٦                | اهدنا الصراط المستقيم                             | ٢٠٩، ٢٠٣      |
| ٢ - سورة البقرة  |   |               |
| ٢                | هدى للمتقين                                       | ٢٥٤، ٢٠٩      |
| ٦                | سواء عليهم ءأنذرتهم ام لم تنذرهم ...              | ٢١٠           |
| ٧                | ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ...                | ٣٢١، ٢٤٢، ٢١٠ |
| ٩                | يخادعون الله والذين آمنوا - الى قوله - وما يشعرون | ٣١٦           |
| ١٠               | في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ...               | ٣٢٧، ٢٤٢، ٢١١ |

| رقم الآية | الاية                                      | رقم الصفحة |
|-----------|--|------------|
| ١٣        | واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا ... | ٢٠٥        |
| ١٤        | واذا خلوا الى شياطينهم - الى قوله - يعمهون | ٣١٧، ٣١٨   |
| ١٥        | الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم         | ٢١٣        |
| ١٦        | اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ...      | ٢١٣        |
| ١٧        | كمثل الذي استوقد ناراً فلما اضاءت ...      | ٢٠٦        |
| ١٨        | صم بكم عمى فهم لا يرجعون                   | ٢١٣        |
| ٢١        | يا ايها الناس اعبدوا ربكم ...              | ٢١٣        |
| ٢٥        | واتوا به متشابهاً ...                      | ١٠٥        |
| ٢٦        | يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً ...          | ٢١٣        |
| ٢٦        | فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق ...      | ٤٠، ١٧     |
| ٢٩        | ثم استوفى الى السماء                       | ١٣١، ١٢٦   |
| ٣٠        | واذ قال ربك انى جاعل فى الارض خليفة        | ٢٠         |
| ٣١        | وعلم آدم الاسماء كلها ...                  | ٩          |
| ٣٥        | ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين    | ١١٢        |
| ٣٦        | فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه | ٤١٢        |
| ٣٧        | فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه           | ٤١٢        |
| ٤٨        | الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم               | ١٠٥        |
| ٥٥        | واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله   | ١٠٥        |
| ٧         | جهرة - الى قوله - وانتم تنظرون             | ٩٩         |
| ٦٧        | اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين             | ٣١٥        |
| ٧٤        | ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة      | ٢١٠، ٢٢٨   |
| ٨٠        | ام تقولون على الله ما لا تعلمون            | ٢٨٩        |



|     |  |     |     |     |
|-----|--|-----|-----|-----|
| ٨٨  | وقالوا قلوبنا غلظ بل لصنهم اللطم فكروا هم فيها عيا سائرا | ٢٤٤ | ٥٨١ | ٥٨١ |
| ٩٣  | واشربوا في طوق بهم العجل بكفرهم                          | ٢٤٤ | ٥٨١ | ٥٨١ |
| ١٠٢ | وما هم بضارين به من احد الا بالاذن اللط ذليل اذنته له    | ٢٤٤ | ٥٨١ | ٥٨١ |
| ١١١ | وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان لهودا او نضارا           | ٢٤٤ | ٥٨١ | ٥٨١ |
| ١١٥ | والله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله           | ٢٤٤ | ٥٨١ | ٥٨١ |
| ١١٧ | واذا قضى امرأ فانما يقول له كون جوكونا                   | ٢٤٤ | ٥٨١ | ٥٨١ |
| ١٢٤ | قال لا ينال عهدى الظالمين                                | ٢٤٤ | ٥٨١ | ٥٨١ |
| ١٢٨ | ربنا واجعلنا مسلمين لك ...                               | ٢٤٤ | ٥٨١ | ٥٨١ |
| ١٢٩ | ربنا وابعث فيهم رسولا منهم                               | ٢٤٤ | ٥٨١ | ٥٨١ |
| ١٣٠ | ومن يرغب عن ملة ابراهيم ولمعان من اللط                   | ٢٤٤ | ٥٨١ | ٥٨١ |
| ١٣٥ | قالوا كونوا هودا او نضارا تهتدوا                         | ٢٤٤ | ٥٨١ | ٥٨١ |
| ١٤٢ | سيقول السفهاء الى قوله - قل لله المشرق والمغرب           | ٢٤٤ | ٥٨١ | ٥٨١ |
| ١٤٣ | والمغرب  | ٢٤٤ | ٥٨١ | ٥٨١ |
| ١٤٢ | يهدى من يشاء الى صراط مستقيم                             | ٢٤٤ | ٥٨١ | ٥٨١ |
| ١٤٣ | وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء                     | ٢٤٤ | ٥٨١ | ٥٨١ |
| ١٤٣ | الى قوله - عليكم شهداء                                   | ٢٤٤ | ٥٨١ | ٥٨١ |
| ١٤٣ | وما جعلنا القبلة التي - الى قوله - هدى الله              | ٢٤٤ | ٥٨١ | ٥٨١ |
| ١٤٣ | وما كان الله ليضيع ايمانكم                               | ٢٤٤ | ٥٨١ | ٥٨١ |
| ١٥١ | كما ارسلنا فيكم رسولا للظالمين                           | ٢٤٤ | ٥٨١ | ٥٨١ |
| ١٥٦ | انا لله وانا اليه راجعون                                 | ٢٤٤ | ٥٨١ | ٥٨١ |
| ١٧٠ | واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله - الى قوله -            | ٢٤٤ | ٥٨١ | ٥٨١ |
|     | ولا يهتدون   | ٢٤٤ | ٥٨١ | ٥٨١ |

| رقم الآية | الآية  | رقم الصفحة    |
|-----------|--|---------------|
| ١٨٥       | شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس                         | ٢٠٩           |
| ١٨٥       | يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر                           | ١٦٧           |
| ١٩٤       | فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى                       | ٣١٨           |
| ٢٠٠       | فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى<br>الآخرة من خلاق | ٣٣٣، ٣٧٩، ٣٨٥ |
| ٢٠١       | ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى<br>الآخرة حسنة        | ٣٨٥           |
| ٢٠٢       | اولئك لهم نصيب مما كسبوا ...                                     | ٣٨٥           |
| ٢٠٨       | كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فأحياكم                            | ١٦٣           |
| ٢١٠       | هل ينظرون الاياتيهم الله فى ظلل من الغمام                        | ١١٣، ١١٧، ١٣١ |
| ٢١٣       | فهدى الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه                   | ٢٥٩           |
| ٢٢٥       | ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم                                     | ٢٤٢           |
| ٢٢٩       | ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون                            | ٤١٥           |
| ٢٥٣       | ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد                   | ١٥٩، ٢١٤      |
| ٢٥٥       | ولا يحيطون بشيء من علمه  | ٨٥            |
| ٢٥٥       | وسع كرسيه السماوات والارض ولا يؤده<br>حفظهما                     | ١٢٢، ١٢٣      |
| ٢٥٦       | لا اكره فى الدين قديبين الرشدين                                  | ١٦٢           |
| ٢٥٧       | الله ولى الذى آمنوا - الى قوله - من الظلمات<br>الى النور         | ٢٠٤، ٢١٤      |
| ٢٥٧       | والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت - الى قوله -<br>الى الظلمات        | ٢٠٤           |

| رقم الآية | الاية  | رقم الصفحة |
|-----------|--|------------|
| ٢٥٨       | والله لا يهدى القوم الظالمين                     | ٢١٥        |
| ٢٦٠       | واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحى الموتى           | ٤٢٠        |
| ٢٦٢       | الذين ينفقون فى سبيل الله ولا يتبعون ما انفقوا   |            |
|           | منأ ولاذى  | ٣٩         |
| ٢٦٤       | لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى - الى قوله-       |            |
|           | لا يقدرن على شىء مما كسبوا                       | ٣٩٠        |
| ٢٧٢       | ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء            | ٢١٥        |
| ٢٨١       | ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون             | ٣٨٣        |
| ٢٨٦       | لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، لها ما كسبت وعليها |            |
|           | ما اكتسبت  | ١٦٣        |

### ٣- سورة آل عمران

|    |  |               |
|----|--|---------------|
| ٣  | نزل عليك الكتاب - الى قوله - وانزل الفرقان | ١١٦           |
| ٧  | هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات   |               |
|    | هن ام الكتاب - الى قوله - كل من عند ربنا   | ٣٢٦ ، ١٧ ، ١٤ |
| ٨  | ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا            | ٢٣٩ ، ٣١٥     |
| ٨  | وهب لنا من لدنك رحمة                       | ٢١٦           |
| ١٣ | والله يؤيد بنصره من يشاء                   | ٢١٦           |
| ١٤ | زين للناس حب الشهوات ...                   | ٢١٦           |
| ٢٥ | ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون         | ٣٨٣           |
| ٢٦ | قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء     | ١٥٠           |



|     |  |           |                |
|-----|--|-----------|----------------|
| ٢٨  | لا يتخذون الكافرين اولياء - الى قول الله | ٨٥٢       | رقم الصفحة ١٤٥ |
| ٣٢  | الان تتقوا منهم رقمة مما رحمة نبي رنا ب  | ٠٢٢       | رقم الصفحة ١٤٥ |
| ٤٠  | اطيعوا الله واطيعوا لظفر رسول الله       | ٢٢٢       | رقم الصفحة ١٤٥ |
| ٤١  | كذلك يفعل الله ما يشاء                   | ٤٨٨       | رقم الصفحة ١٤٥ |
| ٤٥  | واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والابكار    | ٣٢٢       | رقم الصفحة ١٤٥ |
| ٤٧  | ومكروا بهم بكر الله والله خير الما كرم   | ٤٣٤       | رقم الصفحة ١٤٥ |
| ٥٥  | اذا قضى امرأ فانما يقول له كن فيكون      | ٢٧٢       | رقم الصفحة ١٤٥ |
| ٥٥  | ورافك الى ومطهرك من الذين كفروا          | ١٨٢       | رقم الصفحة ١٤٥ |
| ٥٥  | ثم الى مرجعكم اني له تسب له لهاد         | ٢٨٢       | رقم الصفحة ١٤٥ |
| ٧٣  | قل ان الهدي هدى الله                     | ٢١٦       | رقم الصفحة ١٤٥ |
| ٧٣  | قل ان الفضل بيد الله يؤتبه من يشاء       | ٢١٦ ، ١٥٠ | رقم الصفحة ١٤٥ |
| ٧٧  | ان الذين يشترون بعهد الله                |           | رقم الصفحة ١٤٥ |
|     | لهم                                      | ٣٨٨       | رقم الصفحة ١٤٥ |
| ٨٣  | افغير دين الله يبغون - الى قوله          | ٧         | رقم الصفحة ١٤٥ |
| ٨٦  | كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم     | ٧         | رقم الصفحة ١٤٥ |
| ١٠٨ | وما الله يريك ظلاماً للظالمين            | ١٠٨       | رقم الصفحة ١٤٥ |
| ١١٩ | اطيعوا الله واطيعوا الرسول               | ١١٩       | رقم الصفحة ١٤٥ |
| ١٢٦ | وما النصر الا من عند الله                | ١٢٦       | رقم الصفحة ١٤٥ |
| ١٢٨ | ليس لك من الامر شيء                      | ١٢٨       | رقم الصفحة ١٤٥ |
| ١٣٢ | واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون        | ١٣٢       | رقم الصفحة ١٤٥ |
| ١٣٨ | هذا بيان ما نزلنا                        | ١٣٨       | رقم الصفحة ١٤٥ |
| ١٤٠ | ان يمسحكم قرح فقد لفتن                   | ١٤٠       | رقم الصفحة ١٤٥ |

| رقم الآية | الاية   | رقم الصفحة |
|-----------|---|------------|
| ١٤١       | وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين  | ٣٦٥        |
| ١٤٢       | ام حسبتم ان تدخلوا الجنة - الى قوله - ويعلم الصابرين                                  | ٣٦٥        |
| ١٤٥       | وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتاباً مؤجلاً                                      | ٣٣٧        |
| ١٥٢       | ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ..   | ٢١٨        |
| ١٥٣       | فأثابكم غمّاً بغم ...   | ٢١٨        |
| ١٥٤       | قل ان الامر كله لله   | ٢١٨        |
| ١٥٤       | وليبتلي الله ما في صدوركم   | ٣٦٥        |
| ١٥٩       | فبما رحمة من الله لنت لهم - الى قوله - من حولك  | ٤٤٤        |
| ١٦٠       | وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم   | ٢٣٢        |
| ١٦١       | ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون  | ٣٨٣        |
| ١٦٩       | أحياء عند ربهم يرزقون   | ١٢٩        |
| ١٧١       | يستبشرون بنعمة من الله وفضل   | ٣٨٦        |
| ١٧٤       | فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء   | ٢٥٩        |
| ١٧٦       | ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر - الى قوله - يريد الله ان لا يجعل لهم حظاً في الآخرة | ٣٦٤ ، ٢١٨  |
| ١٧٨       | ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير   | ٣١٤ ، ٢١٩  |
| ١٧٩       | ما كان الله لينذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب                  | ٣٦٥ ، ١٧١  |
| ١٨١       | لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير   | ١٤٩        |
| ١٨٦       | لتبلون في اموالكم وانفسكم ...   | ٣٦٦        |

| رقم الآية      | الاية   | رقم الصفحة |
|----------------|---|------------|
| ١٩٥            | انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر وانثى          | ٣٨٢        |
| ١٩٧            | لا يحزنك تقلب الذين كفروا فى البلاد             | ٣١٤        |
| ٤- سورة النساء |   |            |
| ١٤             | ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً     |            |
| ٤١٣            | خالداً فيها                                     |            |
| ١٨             | وليس التوبة للذين يعملون السيئات حتى            |            |
| ٢٥٧            | اذا ...   |            |
| ٢٦             | يريد الله ليبين لكم ويهديكم                     | ١٦٧        |
| ٢٨             | يريد الله ان يخفف عنكم                          | ١٦٧        |
| ٣١             | ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم | ٣٧٣        |
| ٣٢             | للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما        |            |
| ١٦٣            | اكتسبن  |            |
| ٣٦             | واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً                | ١٦٦        |
| ٣٩             | وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر         | ١٦٤        |
| ٤٠             | ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها   | ٣٨١        |
| ٤٢             | ولا يكتمون الله حديثاً                          | ٢٤٥        |
| ٤٩             | ألم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكى      |            |
| ٢١٩            | من يشاء   |            |
| ٦٥             | ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجاً مما قضيت            | ٣٣٢        |
| ٧٨             | وان تصبهم حسنة - الى قوله - قل كل من            |            |
|                | عند الله  |            |



| رقم الآية | الاية   | رقم الصفحة |
|-----------|---|------------|
| ٧٨        | فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون...            | ٢٤٢        |
| ٧٩        | ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة     |            |
|           | فمن نفسك  | ١٥٩ ، ١٩٥  |
| ٧٩        | وارسلناك للناس رسولا                            | ٢٨٥        |
| ٨٢        | ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً...  | ١٦         |
| ٨٨        | أتريدون ان تهدوا من أضل الله ومن يضل الله فماله |            |
|           | من هاد  | ٢١٩        |
| ٩٠        | ولو شاء الله لسلطهم عليكم                       | ٢٢٠        |
| ٩٣        | ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها | ٤٠٨ ، ٤٠٩  |
| ١٠٢       | واذا كنت فيهم فاقتم الصلاة فلتقم طائفة منهم     |            |
|           | معك   | ٢٧٨        |
| ١٠٣       | فاذا قضيتم الصلاة                               | ٣٣٣        |
| ١١٠       | ومن يعمل سوء او يظلم نفسه - الى قوله -          |            |
|           | تواباً رحيماً                                   | ١٦٣        |
| ١١٣       | وعلمك ما لم تكن تعلم                            | ٤٤٦        |
| ١٢٣       | من يعمل سوء يجز به                              | ١٦٣        |
| ١٢٥       | ومن احسن ديناً ممن اسلم وجهه لله                | ١٤٨        |
| ١٢٦       | وكان الله بكل شى محيطاً                         | ١٢١        |
| ١٣٧       | ان الذين آمنوا ثم كفروا - الى قوله - سبيلا      | ٢٢٠        |
| ١٤٢       | ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم            | ٣١٩ ، ٣٢٣  |
| ١٤٢       | واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى               | ٣١٧        |

| رقم الآية | الاية  | رقم الصفحة      |
|-----------|--|-----------------|
| ١٤٥       | ان المنافقين فى الدرك الاسفل                             | ١٠٧             |
| ١٤٧       | ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم و آمنتم                    | ٢٧٠             |
| ١٥٣       | يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم ...                       | ٩٩              |
| ١٥٥       | فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم - الى قوله - الا قليلا         | ٣٢٥ ، ٢٢٠       |
| ١٥٥       | بل طبع الله عليها بكفرهم                                 | ٣٢٢             |
| ١٥٨       | بل رفعه الله اليه  | ١٢٩ ، ١١٢       |
| ١٦٥       | لثلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل                   | ٣٦٥ ، ٢٩٤ ، ٢١٢ |
| ١٦٦       | لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه                  | ٨٥              |
| ١٧٤       | فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به - الى قوله - مستقيماً | ٢٠٦             |

#### ٥- سورة المائدة

|    |  |                 |
|----|--|-----------------|
| ٦  | اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم         | ٢٧٨             |
| ٦  | ما يريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج           | ٢٢٠ ، ١٦٧       |
| ١٣ | فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية      | ٣٢٢ ، ٢٨١ ، ٢٢٠ |
| ١٣ | ونسوا حظاً مما ذكروا به                            | ٣٦٤             |
| ١٤ | ومن الذين قالوا انا نصارى - الى قوله - يوم القيامة | ٢٢١             |
| ١٤ | فنسوا حظاً مما ذكروا به                            | ٣٦٤             |
| ١٦ | قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين                   | ٢٦٣ ، ٢٠٠       |
| ٢٧ | انما يتقبل الله من المتقين                         | ٣٩١             |
| ٤١ | ومن يرد الله فتنة فلن تملك له من الله شيئاً        | ٢٢١             |

| رقم الآية        | الاية   | رقم الصفحة           |
|------------------|---|----------------------|
| ٤٨               | ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة - الى قوله -      |                      |
|                  | تختلفون   | ٢٢٢                  |
| ٥٢               | فترى الذين فى قلوبهم مرض . . .                  | ٣٢٧                  |
| ٦٠               | قل هل أنبؤكم بشر من ذلك - الى قوله - سواء       |                      |
|                  | السبيل  | ٢٢٢                  |
| ٦٤               | وقالت اليهود يدالله مغلولة - الى قوله - بل يدها |                      |
|                  | مبسوطتان ينفق كيف يشاء                          | ٣٤٠ ، ١٤٩ ، ١٤١ ، ٢٤ |
| ٧١               | وحسبوا ان لا تكون فتنة                          | ٣٦٦                  |
| ١١٠              | واذخلق من الطين كهيئة الطير باذنى               | ١٩١ ، ١٧٨ ، ١٥٩      |
| ١١٦              | ءأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين               | ٤٣٧                  |
| ١١٦              | تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك             | ٢٩٧                  |
| ٦ - سورة الانعام |   |                      |
| ٢                | هو الذى خلقكم من طين ثم قضى اجلا                | ٣٣٢                  |
| ٦                | وارسلنا السماء عليهم مدراراً                    | ٢٨٦                  |
| ١٦               | ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الامثلها وهم لا يظلمون | ٣٨١                  |
| ٢٤               | انظر كيف كذبوا على انفسهم . . .                 | ٢٦٦ ، ٢٦٣            |
| ٢٥               | وجعلنا على قلوبهم اكنة - الى قوله -             |                      |
|                  | لا يؤمنوا بها                                   | ٣٢٤ ، ٢٤٢ ، ٢٢٣      |
| ٢٦               | وهم ينهون عنه ويتأون عنه . . .                  | ٢٢٣                  |
| ٢٨               | بل بدلهم ما كانوا يخفون من قبل - الى قوله -     |                      |
|                  | لكاذبون   | ١٣٢                  |



| رقم الآية | الاية   | رقم الصفحة      |
|-----------|---|-----------------|
| ٢٩        | قالوا ان هى الاحياتنا الدنيا ومانحن بمبعوثين                  | ١٣٢             |
| ٣٠        | ولو ترى اذ وقفوا على ربهم - الى قوله - تكفرون                 | ١١٣ ، ١٣٢       |
| ٣١        | قد خسر الذين كذبوا بقاء الله                                  | ١٠٥ ، ١٣٢       |
| ٣٥        | ولو شاء الله لجمعهم على الهدى                                 | ٢٢٣             |
| ٣٦        | انما يستجيب الذين يسمعون ، والموتى<br>يعتهم الله              | ٢٤١             |
| ٣٨        | ما فرطنا فى الكتاب من شىء                                     | ١٨٦             |
| ٣٩        | والذين كذبوا باياتنا صم وبكم . . .                            | ٢٢٣             |
| ٤٣        | فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا - الى قوله -<br>يعلمون            | ١٩٥ ، ٣٢٨       |
| ٤٣        | ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا<br>يعملون           | ٢١٠ ، ٢٥٤       |
| ٤٤        | فلما نسوا ما ذكروا به - الى قوله - مبلسون                     | ٣١٤             |
| ٤٦        | قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم . . .                             | ٢٢٤ ، ٣٢١       |
| ٥٣        | وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا . . .                           | ٢٢٤             |
| ٦٢        | ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الاله الحكيم                     | ١١٣ ، ١٢٥ ، ١٣٢ |
| ٦٥        | قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم                 | ١٤٢             |
| ٧٣        | وله الملك يوم ينفخ فى الصور                                   | ١٠٦ ، ١٢٥       |
| ٧٧        | لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الظالين                      | ٤٤٦             |
| ٧٨        | فلما جن عليه الليل رآى كوكباً - الى قوله -<br>برىء مما تشركون | ٤١٩             |
| ٨٠        | ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيئاً                   | ٢٢٤             |

| رقم الصفحة         | الاية  | رقم الاية |
|--------------------|--|-----------|
| ٢٠٠ ، ٢٠٢          | ٨٤-٩٠ كلاهدينا - الى قوله - فبهداهم اقتده              |           |
| ٢٢٥ ، ٤٤٦          | ٨٧ واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم                 |           |
| ٢٢٥                | ٨٨ ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده               |           |
|                    | ١٠٠-١٠٤ بديع السماوات - الى قوله - وما انا عليكم بحفيظ |           |
| ١١٠ ، ١٨٦          |  |           |
| ٢٢٥                | ١٠١ وخلق كل شيء  |           |
| ١٦٥                | ١٠٢ ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء           |           |
| ١٨ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ١١٠ | ١٠٣ لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار                  |           |
| ٣٢٦                | ١٠٤ فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها                     |           |
| ١١٠                | ١٠٤ وما انا عليكم بحفيظ                                |           |
| ١٥٩ ، ٢٢٥          | ١٠٧ ولو شاء الله ما اشر كوا                            |           |
| ٢٢٥                | ١٠٨ وكذلك زيننا لكل امة عملهم                          |           |
| ٣٢٥                | ١٠٩ وما يشعر كم انها اذا جاءت لا يؤمنون                |           |
| ٢٢٥                | ١١٠ ونقلب افئدتهم ، ابصارهم - تنق كل شيء               |           |
| ١٦٥                | ١١١ ماكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء           |           |
| ١٨ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ١١٠ | ١١٢ وكذلك الابصار وهو يدرك الابصار                     |           |
| ٣٢٦                | ١١٣ ولئن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها                    |           |
| ١١٠                | ١٢٣ جعلنا انا عليكم بحفيظ                              |           |
| ١٥٩ ، ٢٢٥          | ١٢٣ وما يشاء الله ما اشر كوا                           |           |
| ٢٢٥                | ١٢٤ سيضللك زيننا لكل امة عملهم                         |           |
| ٣٢٥                | ١٢٥ فمن يشعر كم انها اذا جاءت لا يؤمنون                |           |
| ٢٢٥                | ١٣٣ وربلب افئدتهم مرا بصارهم -                         |           |

| رقم الآية | الآية                                       | رقم الصفحة      |
|-----------|---|-----------------|
| ١٣٧       | ولو شاء الله ما فعلوه                       | ٢٢٧             |
| ١٤٢       | ذلك جزينا هم ببغيهم وانا لصادقون            | ١٦٣             |
| ١٤٨       | سيقول الذين اشر كوا لو شاء الله ما اشر كنا  | ٣٢٩ ، ١٦٥       |
| ١٤٩       | قل فله الحجة البالغة                        | ٣٠٤             |
| ١٤٩       | فلو شاء لهداكم اجمعين                       | ٢٢٧ ، ٢٠٢ ، ١٦٥ |
| ١٥٣       | وان هذا صراطى مستقيما - الى قوله - عن سبيله | ٢٥٩             |
| ١٥٧       | سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب     | ١٦٣             |
| ١٥٨       | اويأتى ربك                                  | ١٣١             |
| ١٦٠       | من جاء بالحسنة فله عشر امثالها - الى قوله - |                 |
|           | فلا يجزى الامثلا                            | ٣٨٢ ، ١٠٢       |
| ١٦٥       | وهو الذى جعلكم خلائف - الى قوله - ليلوكم    | ٣٦٦             |

#### ٧ - سورة الاعراف

|    |   |           |
|----|---|-----------|
| ١١ | كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين            | ٣٢٣       |
| ١٦ | قال فيما اغويتنى لاقعدن لهم صراتك           | ٢٢٧       |
| ١٩ | ولانقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين      | ٤١٢       |
| ٢٠ | فوسوس لهما الشيطان - الى قوله - الخاسرين    | ٤١٢       |
| ٢١ | وقاسمها انى لكما لمن الناصحين               | ٤١٢       |
| ٢٢ | فدلاهما بغرور - الى قوله - ألم انهكما . . . | ٤١٢       |
| ٢٣ | قالا ربنا ظلمنا انفسنا . . .                | ٤١٣ ، ٤١٥ |
| ٢٨ | قل ان الله لا يأمر بالفحشاء                 | ٢٦٨       |
| ٣٠ | فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة           | ٢٢٨       |



| رقم الآية | الآية   | رقم الصفحة           |
|-----------|---|----------------------|
| ٤٠        | ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط     | ١٠٢                  |
| ٤٣        | ونزعا ما في صدورهم من غل                        | ٢٢٨                  |
| ٤٣        | الحمد لله الذى هدانا - الى قوله - ان هدانا الله | ١٨٠ ، ٢٢٩ ، ٤٤٦      |
| ٤٦        | انهم كانوا قوماً عمين                           | ٣٢٦                  |
| ٥١        | فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا           | ١٠٦                  |
| ٥٤        | ان ربكم الله - الى قوله - له الخلق والامر       | ٨٧ ، ١٢٤ ، ١٥٧ ، ٢٢٨ |
| ٥٨        | والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه                | ١٧٨                  |
| ٦٤        | انهم كانوا قوماً عمين                           | ٣٢٦                  |
| ٨٣        | فانجيناه واهله الامراته كانت من الغابرين        | ٢٦٥                  |
| ٨٩        | وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله       | ٢٢٨                  |
| ٩٤        | الاخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون     | ٢٣٠                  |
| ٩٥        | ثم بدلهم مكان السيئة الحسنة                     | ٢٣٠                  |
| ٩٦        | ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم      |                      |
|           | - الى قوله - فأخذناهم بما كانوا يكسبون          | ١٩٥ ، ٢٣٠            |
| ٩٩        | أفأمنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم    |                      |
|           | الخاسرون  | ٣٢٠                  |
| ١٠٠       | ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون                  | ٢٣٠ ، ٢٤٢            |
| ١٠١       | فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل           | ٢٣٠ ، ٢٧٤            |
| ١١٦       | سحروا عين الناس واسترهبوهم                      | ٤٢٧                  |
| ١١٧       | تلقف ما يافكون                                  | ١٨٥                  |
| ١١٨-١٢٢   | فوق الحق - الى قوله - رب موسى وهارون            | ٤٢٧ ، ٤٢٨            |

| رقم الآية | الاية   | رقم الصفحة             |
|-----------|---|------------------------|
| ١٣٠       | ولقد اخذنا آل فرعون - الى قوله - بذكرون                       | ٢٥٦                    |
| ١٣١       | فاذا جاءتهم الحسنة - الى قوله - يطبروا                        |                        |
|           | بموسى . . .   | ١٩٥                    |
| ١٤٢       | وقال موسى لأخيه هارون اخلقنى فى قومى . . .                    | ٤٣٠                    |
| ١٤٣       | رب ارنى انظر اليك - الى قوله - فسوف ترانى                     | ٤٢٩ ، ٩٨ ، ٩١          |
| ١٤٦       | سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض                         | ٢٣١ ، ٢٠٥              |
| ١٤٦       | وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها - الى قوله - غافلين             | ٢٣١                    |
| ١٤٧       | والذين كذبوا - الى قوله - حبطت اعمالهم                        | ١٠٦                    |
| ١٥١       | واخذ برأس أخيه يجره اليه                                      | ٤٣٠                    |
| ١٥٥       | واختار موسى قومه سبعين رجلا - الى قوله -<br>وانت خير الغافرين | ٩٩ ، ١٠٠ ، ٢٢٢ ، ٢٣١ ، |
|           |   | ٤٢٨                    |
| ١٥٥       | قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى                            | ٤٢٨                    |
| ١٥٥       | انهى الافتنتك تضل بها من تشاء وتهدى . . .                     | ٢٢٢ ، ٢٣١ ، ٤٢٨        |
| ١٥٦       | ورحمتى وسعت كل شىء فساكتبها للذين يتقون                       | ١٠٦ ، ٣٧٨              |
| ١٥٧       | انت ولينا فاغفر لنا - الى قوله - اناهدنا اليك                 | ١٠٠                    |
| ١٦٢       | فأرسلنا عليهم رجلاً من السماء                                 | ٢٨٦                    |
| ١٦٨       | وبلونا هم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون                      | ١٩٥ ، ٢٨٩              |
| ١٧٨       | من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل . . .                       | ٢٣١                    |
| ١٧٩       | ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس                        | ١٥٨ ، ١٩٢ ، ٢٣١        |
| ١٨١       | ومن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون                          | ١٩٩                    |

| رقم الآية | الاية  | رقم الصفحة |
|-----------|--|------------|
| ١٨٢       | والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون  | ٢٣١ ، ٣١٣  |
| ١٨٣       | واملى لهم ان كيدى متين                           | ٣١٩        |
| ١٨٦       | من يضل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم        | ٢٣٢        |
| ١٨٧       | قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو    | ١٠١ ، ٢٣٢  |
| ١٨٨       | قل لا املك لنفسى نفعاً ولا ضرراً الا ما شاء الله | ٢٣٢        |
| ١٩٥       | ألهم ارجل يمشون بها ام لهم أيد يبطشون بها        | ١٤٣ ، ١٥٣  |

#### ٨- سورة الانفال

|    |   |                |
|----|---|----------------|
| ١٠ | وما النصر الا من عند الله                         | ٢٣٣            |
| ١١ | وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام                | ٢٣٣            |
| ١٢ | اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا ...      | ٢٣٣            |
| ١٧ | فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومارميت اذ رميت       |                |
|    | ولكن الله رمى                                     | ١٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩ |
| ١٨ | ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين                   | ٣١٩            |
| ٢٠ | اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون     | ١٦٦            |
| ٢٢ | ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون  | ٢٣٤ ، ٣١٢      |
| ٢٣ | ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم ...               | ٢٣٤            |
| ٢٤ | واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه              | ٢٣٥ ، ٢٢٥      |
| ٢٨ | واعلموا ان اموالكم واولادكم فتنة                  | ٣٦٦            |
| ٢٩ | ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم | ٤٠٠            |
| ٣٠ | ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين             | ٣٢٠            |



| رقم الآية | الآية   | رقم الصفحة      |
|-----------|---|-----------------|
| ٣٣        | وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم                | ٤٣٦             |
| ٣٦        | فسينة قونها ثم تكون عليهم حسرة                | ٤٠٢             |
| ٣٧        | ليميز الله الخبيث من الطيب                    | ٣٦٥ ، ١٧١       |
| ٤٢        | ليقضى الله امرأ كان مفعولا                    | ٣٣٧ ، ٢٥١       |
| ٤٢        | ليهلك من هلك عن بيته                          | ٣٦٥ ، ٢٥١ ، ١٩٣ |
| ٤٨        | واذرين لهم الشيطان اعمالهم                    | ٢١٢             |
| ٤٩        | اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض . . .  | ٣٢٧             |
| ٥١        | ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بضلام للعبيد | ٢٥١             |
| ٥٢        | هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين ...             | ٢٥١             |
| ١٢٥       | واتقوا فتنة لانسبين الذين ظلموا منكم خاصة     | ٣٦٦             |

#### ٩- سورة براءة

|    |   |     |
|----|---|-----|
| ٩  | قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ...              | ٣٣٧ |
| ١٦ | ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا    | ٣٦٦ |
| ١٧ | ما كان للمشركين - الى قوله - حبطت اعمالهم         | ٣٨٤ |
| ١٩ | والله لا يهدى القوم الظالمين                      | ٢٥١ |
| ٢٤ | والله لا يهدى القوم الفاسقين                      | ٢٥١ |
| ٣٠ | قاتلهم الله انى يؤفكون                            | ٢٥٤ |
| ٣٢ | ويابى الله الا ان يتم نوره ...                    | ٢٥  |
| ٣٧ | والله لا يهدى القوم الكافرين                      | ٢٥١ |
| ٤٠ | وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا | ٢٥٢ |

|           |  |       |
|-----------|--|-------|
|           | ولو ارادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره         | ٤٦    |
| ٢٥٢       | الله انبعثهم فنبطهم ..                           |       |
| ٢٥٢       | وان تصبك حسنة تسؤهم ...                          | ٥٠    |
| ٢٥٢       | قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا . . .           | ٥١    |
| ٣١٧       | ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى . . .             | ٥٤    |
| ٢٥٣       | فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله     | ٥٥    |
|           | ان يعذبهم بها                                    |       |
| ٣٨٤       | اولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة             | ٦٩    |
| ٢٥٣       | ٧٥-٧٦ ومنهم من عاهد الله - الى قوله - وهم معرضون | ٧٥-٧٦ |
|           | فاعقبهم نفاقاً الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله    | ٧٧    |
| ٢٥٣ ، ١٠٥ | ما وعده وبما كانوا يكذبون                        |       |
| ٣١٩       | سخر الله معهم ولهم عذاب اليم                     | ٧٩    |
| ٣١٤       | ولا تعجبك اموالهم - الى قوله - كافرون            | ٨٥    |
| ٢٥٣ ، ٢٤٢ | وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون                    | ٨٧    |
| ٣٢٣ ، ٢٥٤ | وطبع على قلوبهم فهم لا يعلمون                    | ٩٣    |
|           | وآخرون اعترفوا بذنوبهم - الى قوله -              | ١٠٢   |
| ٣٦٩       | غفور رحيم  |       |
| ٤٢٠       | وما كان استغفار ابراهيم لابيئه الا عن موعدة ...  | ١١٤   |
| ٢٨٣       | واذا ما نزلت سورة - الى قوله - وهم كافرون        | ١٢٤   |
|           | واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى       | ١٢٥   |
| ٣٢٧       | رجسهم  |       |
| ٢٩٩       | اولايرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين      | ١٢٦   |

١٢٧      ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم . . .      ٢٥٤

١٠ - سورة يونس

|       |  |               |
|-------|--|---------------|
| ٣     | ثم استوى على العرش يدبر الامر                | ١٢٤           |
| ٤     | الى الله مرجعكم جميعاً . . .                 | ١٣١           |
| ٥     | يفصل الآيات لقوم يعلمون                      | ٢٥٤           |
| ٦     | لايات لقوم يتقون                             | ٢٥٤           |
| ٩     | يهددهم ربهم بايمانهم . . .                   | ٢٦٣           |
| ١١    | فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون | ٢٥٤           |
| ١٢    | كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون            | ٢٥٤           |
| ١٩    | ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم . . .      | ٢٥٤           |
| ٢١    | قل الله اسرع مكرأ . . .                      | ٣٢٠           |
| ٢٢    | هو الذى يسير كم فى البر والبحر               | ٢٥٥           |
| ٢٥    | والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء ...  | ٢٥٥           |
| ٢٦    | للذين احسنوا الحسنى وزيادة . . .             | ٩٢ ، ٩٤ ، ١٠٢ |
| ٢٧    | جزاء سيئة بمثلها . . .                       | ١٠٢ ، ٣٨١     |
| ٣٢    | فماذا بعد الحق الا الضلال                    | ٢٣٢           |
| ٣٣    | كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم       |               |
|       | لا يؤمنون                                    | ٢٥٥           |
| ٤٢-٤٣ | ومنهم من يستمعون اليك - الى قوله - لا يبصرون | ٢٥٥           |



| رقم الآية | الآية  | رقم الصفحة |
|-----------|--|------------|
| ٦١        | وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة . . .               | ١١٠        |
| ٧٤        | كذلك نطبع على قلوب المعتمدين                     | ٣٢٣        |
| ٨٥        | ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين                | ٢٥٦        |
| ٨٨        | ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة ...               | ٤٢٨، ٢٥٦   |
| ٨٨        | ربنا اطمس على اموالهم - الى قوله - العذاب الاليم | ٢٥٦        |
| ٨٩-٩١     | قد اجيبب دعوتكما - الى قوله - من المفسدين        | ٢٥٦        |
| ٩٥        | ولاتكونن من الذين كذبوا بآيات الله               | ٢٥٧        |
| ٩٦        | ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون            | ٢٥٧        |
| ٩٩        | ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعاً         | ١٧١، ٢٥٧   |
| ١٠٠       | وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله               | ٢٥٧        |
| ١٠٨       | فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه . . .                | ٢٠٦        |

### ١١- سورة هود

|    |   |     |
|----|---|-----|
| ٧  | وكان عرشه على الماء                     | ١٢٥ |
| ٧  | ليبلوكم ايكم احسن عملا                  | ٣٦٧ |
| ١٤ | فاعلموا انما انزل بعلم الله             | ٨٥  |
| ١٥ | من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ...   | ٢٨٠ |
| ٢٠ | ما كانوا يستطيعون السمع ...             | ٢٥٧ |
| ٢٥ | ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه              | ٢٨٥ |
| ٢٨ | فعميت عليكم انلز مكموها واتم لها كارهون | ١٦٧ |
| ٢٩ | انهم ملاقوا ربهم                        | ١٣٣ |

| رقم الآية      | الآية   | رقم الصفحة      |
|----------------|---|-----------------|
| ٣٣             | لا يفتعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم | ١٦٧             |
| ٣٦             | انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن                             | ٤١٨ ، ٢٧٤       |
| ٣٧             | واصنع الفلك بأعيننا ووحينا                                    | ١٤٨             |
| ٣٧             | ولاتخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرورون                        | ٤١٨             |
| ٣٨             | قالوا ان تسخروا منا فانا نسخر منكم                            | ٣١٩             |
| ٤٢             | يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين                          | ٤١٨             |
| ٤٥-٤٧          | رب ان ابني من اهلي - الى قوله - أكن من الخاسرين               | ٤١٨             |
| ٤٨             | وامم سنمتمهم ثم يمسهم منعذاب اليم                             | ٣١٤             |
| ٧٤             | يجادلنا في قوم لوط  | ٤٢١             |
| ١٠٥            | يوم لاتكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد                      | ٣٥٣ ، ٢٥٨       |
| ١٠٦            | فاما الذين شقوا ففي النار                                     | ٤١٣             |
| ١٧             | ان ربك فعال لما يريد  | ٢٥٨ ، ١٨٧ ، ١٥٧ |
| ١١٤            | ان الحسنات يذهبن السيئات                                      | ٣٩٦ ، ٣٩٤ ، ٣٧٣ |
|                |   | ٣٩٩ ، ٣٩٨       |
| ١١٨            | ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة - الى قوله -                 |                 |
|                | وتمت كلمة ربك لاملان جهنم                                     | ٢٥٩             |
| ١٢٣            | واليه يرجع الامر كله  | ٢٦٠             |
| ١٢ - سورة يوسف |   |                 |
| ٣              | وان كنت من قبله لمن الغافلين                                  | ٤٤٦             |

| رقم الآية | الآية  | رقم الصفحة |
|-----------|--|------------|
| ٢٣        | وراودته التي هوفى بيتها - الى قوله - معاذالله  | ٤٢٢        |
| ٢٤        | ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه      | ٤٢١        |
| ٢٤        | كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء                  | ٢٦٠ ، ٢٢١  |
| ٣٢        | ولقد راودته عن نفسه فاستعصم                    | ٤٢٢        |
| ٣٣        | وان لاتصرف عنى كيدهن ...                       | ٢٦٠        |
| ٣٤        | فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن                  | ٢٦٠        |
| ٥٣        | الامارحم ربي                                   | ٢٦٠        |
| ٦٧        | ان الحكم الاالله                               | ٢٦١        |
| ٦٨        | الاحاجة فى نفس يعقوب قضاها                     | ٣٣٣        |
| ٧٦        | كذلك كدنا ليوسف                                | ٣٢٠        |
| ٨٧        | ولاتبأسوا من روح الله ، انه لايبأس من روح الله |            |
|           | الاقوم الكافرون                                | ٣٣٩        |

### ١٣ - سورة الرعد

|    |   |           |
|----|---|-----------|
| ٢  | ثم استوى على العرش - الى قوله - يدبر الأمر    | ١٢٢       |
| ٧  | انما انت منذر ولكل قوم هاد                    | ٢١٧       |
| ١١ | ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم | ٢٦١ ، ٢٧٠ |
| ١١ | واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له            | ١٦٧ ، ٢٦١ |
| ١٤ | وما دعاء الكافرين الا فى ضلال                 | ٤٤٠       |
| ١٥ | ولله يسجد - الى قوله - طوعاً او كرهاً         | ٢٦١       |
| ١٦ | ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه ...            | ١٥٨ ، ١٩٠ |



| رقم الآية         | الآية  | رقم الصفحة      |
|-------------------|--|-----------------|
| ١٦                | قل الله خالق كل شيء                              | ٢٦٢ ، ١٥٦       |
| ١٧                | اما الزيد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث    |                 |
|                   | في الارض   | ٤٤٠             |
| ٢٧                | قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب        | ٢٠٥             |
| ٢٨                | الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم الابد كرا لله تطمئن    |                 |
|                   | القلوب   | ٢٤٠             |
| ٣١                | أفلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس |                 |
|                   | جميعاً   | ٢٠٢ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ |
| ٣٢                | ولقد استهزىء برسلك من قبلك فأمليت ...            | ٣١٤             |
| ٣٩                | يمحو الله ما يشاء ويثبت وعندهام الكتاب           | ٣٤٨             |
| ٤١                | والله يحكم لامعقب لحكمه                          | ٢٤٥             |
| ٤٢                | فله المكر جميعاً                                 | ٣١٩             |
| ١٣ - سورة ابراهيم |  |                 |
| ١                 | لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم       | ٢٦٢             |
| ٤                 | فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء                  | ٢٠١ ، ٢٦٢       |
| ٧                 | لئن شكرتم لأزيدنكم                               | ١٩٥             |
| ٨                 | ان تكفروا - الى قوله - فان الله لغنى حميد        | ١٦٦             |
| ١١                | ولكن الله يمن على من يشاء من عباده               | ٢٦٢             |
| ١٢                | ومالنا ان لانوكل على الله وقد هدانا سبلنا        | ٢٦٢             |
| ١٨                | مثل الذين كفروا اعمالهم كرماد اشتدت به الريح     | ٣٨٥             |

| رقم الآية | الآية   | رقم الصفحة |
|-----------|---|------------|
| ٢١        | قالوا لوهدانا الله لهديناكم                       | ٢٦٣        |
| ٢٢        | وقال الشيطان لما قضى الامر - الى قوله - عذاب اليم | ٢٦٣ ، ٢٩٦  |
| ٢٥        | كشجرة طيبة - الى قوله - باذن ربها                 | ١٧٨        |
| ٢٧        | يثبت الله الذين آمنوا - الى قوله - الظالمين       | ٢٦٣ ، ٢٠٥  |
| ٣٢        | وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره               | ٢٦٣        |
| ٣٥        | واجنبى وبنى ان نعبد الأصنام                       | ٢٦٤        |
| ٤٠        | رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى                   | ٢٦٤        |
| ٥١        | لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت                      | ٣٨٣        |

#### ١٥ - سورة الحجر

|       |  |                       |
|-------|--|-----------------------|
| ٣     | ذرههم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل                   | ٣١٥                   |
| ٦     | ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون                     | ٢٤٦                   |
| ١٢-١٣ | كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به             | ٢٩٤                   |
| ١٩-٢٢ | والارض مددناها - الى قوله - بخازنين                  | ٢٦٤                   |
| ٢١    | وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم | ٢٦٤                   |
| ٣٩    | قال رب بما اغويتنى لازينن لهم - الى قوله - اجمعين    | ٢٦٣ ، ١٣٩ ، ١٢٩ ، ١٢٨ |
| ٤٢    | ان عبادى ليس عليهم سلطان                             | ٢٦٤                   |
| ٤٧    | ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين    | ٤١٣                   |
|       |  | ٢٦٥                   |

| رقم الآية | الآية  | رقم الصفحة |
|-----------|--|------------|
| ٦٠        | الامر أنه قدرنا انها لمن الغابرين              | ٢٦٥ ، ٣٣٤  |
| ٦٦        | وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع      | ٢٦٥ ، ٣٣٢  |
| ٨٥        | وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما الا بالحق | ١٨٧        |
| ٨٨        | واخفض جناحك للمؤمنين                           | ٤٤٥        |
| ٩٤        | واعرض عن المشركين                              | ٤٤٥        |

### ١٦ - سورة النحل

|    |  |           |
|----|--|-----------|
| ٩  | وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر، ولو شاء لهداكم<br>اجمعين    | ٢٥٩ ، ٢٦٥ |
| ١٧ | اقمن يخلق كمن لا يخلق  | ١٨٧       |
| ٢٠ | والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً                     | ١٥٧       |
| ٢٦ | قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد           | ٣١٨       |
| ٣٠ | للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة<br>خير          | ٣٨٢       |
| ٣٣ | اويأتى امر ربك ...   | ١٣١       |
| ٣٥ | وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه               | ٢٦٦       |
| ٣٦ | ولقد بعثنا في كل امة رسولا - الى قوله - حققت عليه<br>الضلالة | ٢٦٦       |
| ٣٧ | ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل                    | ٢٣٢ ، ٢٦٦ |
| ٤٠ | انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن ...                 | ١٦٨       |
| ٤٣ | فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون                           | ١٣٦       |
| ٤٥ | اقمن الذين مكروا السيئات                                     | ١٣٠       |



| رقم الآية | الاية   | رقم الصفحة |
|-----------|---|------------|
| ٤٩        | اولم يروا الى ما خلق الله من شيء - الى قوله -<br>داخرون | ٢٦١        |
| ٥٠        | يخافون ربهم من فوقهم                                    | ١١٣ ، ١٣٠  |
| ٥٣        | وما بكم من نعمة فمن الله                                | ٢٦٧        |
| ٦٣        | فزين لهم الشيطان اعمالهم                                | ٢١٢        |
| ٧٥        | ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء            | ٢٦٧        |
| ٨١        | والله جعل لكم من بيوتكم سكناً ...                       | ١٨٣        |
| ٨٩        | تبيانا لكل شيء  | ١٨٦        |
| ٩٣        | ولو شاء لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء               | ٢٦٧        |
| ٩٦        | ولنجزين الذين صبروا اجرهم ...                           | ١٦٣        |
| ٩٩-١٠٠    | انه ليس له سلطان على الذين آمنوا - الى قوله -<br>مشركون | ٢٩٦        |
| ١٠٢       | قل نزله روح القدس من ربك                                | ١١٦        |
| ١٠٤       | ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله            | ٢٠٠ ، ٢٦٨  |
| ١٠٨       | اولئك الذين طبع الله على قلوبهم ...                     | ٣٢٢ ، ٣٢٣  |
| ١١٩       | ثم ان ربك للذين عملوا السوء - الى قوله - لفقور<br>رحيم  | ٣٩٨        |

#### ١٧- سورة الاسراء

|   |  |           |
|---|--|-----------|
| ٤ | وقضينا الى بنى اسرائيل - الى قوله - علواً كبيراً | ٢٦٨ ، ٣٣٢ |
| ٥ | بعثنا عليكم عبداً لنا اولى بأس                   | ٢٦٨       |
| ٩ | ان هذا القرآن يهدى للتي هي اقوم                  | ٢٠٠       |

| رقم الآية | الاية                                      | رقم الصفحة      |
|-----------|--|-----------------|
| ١٢        | وكل شيء فصلنا تفصيلاً                      | ٢٦٩             |
| ١٣-١٤     | وكل انسان الزمناه طائره في عنقه            | ٢٦٩             |
| ١٥        | من اهتدى فانما يهتدى لنفسه                 | ٢٦٩             |
| ١٦        | واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفياً ...  | ٢٦٩             |
| ١٨        | من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ...      | ٢٨٠             |
| ١٩        | ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها ...         | ٢٠١ ، ١٦٢       |
| ٢٣        | وقضى ربك ان لا تعبدوا الاياه               | ٢٨٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ |
| ٢٤        | لا تجعل مع الله الهاً آخر                  | ٤٤٣             |
| ٣٠        | انا لانضيق اجر من احسن عملاً               | ٣٨٢             |
| ٤٠        | انكم لتقولون قولاً عظيماً                  | ٢٨٩             |
| ٤٥        | واذا قرأت القرآن جعلنا بينك                | ٢٨٠             |
| ٤٦        | انا جعلنا على قلوبهم اكنة ...              | ٢٤٢ ، ٣٢٤       |
| ٤٨        | فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً                  | ٢٨١             |
| ٥٤        | وما ارسلناك عليهم وكيلاً                   | ٢٨٥             |
| ٦٩        | ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك               | ١٤٩             |
| ٧٣        | وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك ... | ٤٣٨             |
| ٧٤        | ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم ...     | ٢٨١             |
| ٨٢        | ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين   | ٢٨٣             |
| ٩٤        | وامنع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى       | ١٦٤ ، ٢١١       |
| ١٠٥       | اولئك الذين كفروا - الى قوله - فحبطت       |                 |
|           | اعمالهم                                    | ٣٨٤             |

## ١٨ - سورة الكهف

|                 |  |       |
|-----------------|--|-------|
| ١١٦             | الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب                | ١     |
| ٣٦٧             | ليبلوهم ايهم احسن عملا                             | ٧     |
|                 | ١٣-١٤ انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على | ١٣-١٤ |
|                 | قلوبهم   |       |
| ٢٨٣ ، ٢٢٥       |  |       |
| ٢٨٣             | من يهدى الله فهو المهتدى ...                       | ١٧    |
| ٢٨٣ ، ٢٣٠       | ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله   | ٢٣    |
| ٢٨٤ ، ١٤٢       | واصبر نفسك - الى قوله - يريدون وجهه                | ٢٨    |
| ٣٢٥ ، ٣٢٢ ، ٢١١ | ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه         | ٢٨    |
| ٢٨٤ ، ١٩٣ ، ١٦٤ | فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر                      | ٢٩    |
| ٣٨٢ ، ٣٧٨       | انا لانضيق اجر من احسن عملا                        | ٣٠    |
| ١٨٣             | جعلنا لأحدهما جنتين من اعناب                       | ٣٢    |
| ١٢٥             | هنالك الولاية لله الحق                             | ٤٤    |
| ١٢٥             | ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة                  | ٤٧    |
| ١٣٣ ، ١١٣       | وعرضوا على ربك صفأ                                 | ٤٨    |
| ٢٨٤             | انا جعلنا على قلوبهم اكنة ...                      | ٥٧    |
| ٢٧٠             | فوجدنا فيها جداراً يريد ان ينقض                    | ٧٧    |
| ٢٨٤ ، ٢٥٨       | الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى                  | ١٠١   |
| ٤٨٤ ، ١٠٦       | الذين كفروا - الى قوله - فحبطت اعمالهم             | ١٠٥   |



## ١٩ - سورة مريم

|                       |  |    |
|-----------------------|--|----|
| ٣٦٣                   | ولم اكن بدعائك رب شقياً                    | ٤  |
| ٢٨٤                   | واجعله رب رضى                              | ٦  |
| ٢٨٥                   | وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقياً            | ١٣ |
| ٢٨٥                   | لأهب لك غلاماً زكياً                       | ١٩ |
| ٣٣٩                   | وكان امرأ مقضياً                           | ٢١ |
| ٣٦١                   | آتانى الكتاب وجعلنى نبياً                  | ٣٠ |
| ٣٦١ ، ٢٨٥             | وجعلنى مباركاً اينما كنت                   | ٣١ |
| ٣٦٢ ، ٣٦١ ، ٣٦٠       | وبرأبوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقياً        | ٣٢ |
| ٣٦٢ ، ٣٦١             | والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ...         | ٣٣ |
| ٤٢٠                   | سلام عليك ساستغفر لك ربى                   | ٤٧ |
| ١٢٩                   | ورفعناه مكاناً علياً                       | ٥٧ |
| ٣٧٨                   | تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقياً | ٦٣ |
| ١١٦                   | وما ننزل الا بامر من ربك                   | ٦٤ |
| ٣٤٠                   | ان منكم الاواردها كان على ربك حتماً مقضياً | ٧١ |
| ٢٨٦ ، ٢٢٧ ، ٢٠٩ ، ٢٠٠ | ويزيد الله الذين اهتموا هدى                | ٧٦ |
|                       | ألم ترانا ارسلنا الشياطين على الكافرين     | ٨٣ |
| ٢٩٨ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥ ، ٢٦٨ | تؤزهم أزا                                  |    |
| ٢٩٨                   | انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا | ٨٣ |

## ٢٠- سورة طه

|                       |  |    |
|-----------------------|--|----|
| ٤١٥ ، ٣٥٠             | طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى                         | ١  |
| ١٢٩ ، ١٢٢ ، ١١٢       | الرحمان على العرش استوى                                | ٥  |
| ١٢٤                   | الله لاله الا هو له الاسماء الحسنى                     | ٨  |
| ٣٨٣ ، ١٦٣             | لتجزى كل نفس بما سمى تسمى                              | ١٥ |
| ٤٢٧                   | قال خذها ولا تخف صنعها سيرتها الاولى                   | ٢١ |
|                       | ٢٢-٢٥ اذهب الى فرعون - الى قوله - قد اوتيت سؤلك        |    |
| ٤٢٦ ، ٢٨٦             | ياموسى   |    |
| ١٤٨                   | واقبت عليك محبة منى ولتصنع على عينى                    | ٣٩ |
| ٣٦٧                   | وفتناك فتوناً  | ٤٠ |
| ٩٣                    | اننى معكما اسمع وارى                                   | ٤٦ |
| ٢٨٧ ، ٢٦٥ ، ٢٠٢ ، ١٩٨ | ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى                      | ٥٠ |
|                       | فاذا جبالهم وعصبيهم يخيل اليه من سحره                  | ٦٦ |
| ٤٢٧                   | انها تسمى  |    |
| ٤٢٧                   | فأوجس فى نفسه خيفة موسى                                | ٦٧ |
| ١٨٥                   | تلقف ما صنعوا  | ٦٩ |
|                       | ٦٨-٦٩ قلنا لا تخف انك انت الاعلى - الى قوله - ولا يفلح |    |
| ٤٢٧                   | الساحر حيث اتى   |    |
| ٣٩٨                   | وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً                    | ٨٢ |
| ٣٦٧                   | فانا قد فتنا قومك من بعدك ...                          | ٨٥ |
| ٤٤٨                   | ولكن حملنا اوزاراً مع زينة القوم                       | ٨٧ |

| رقم الآية | الآية                                       | رقم الصفحة |
|-----------|---|------------|
| ٩٠        | وان ربكم الرحمان فاتبعوني واطيعوا امرى      | ١٦٦        |
| ٩٢        | قال ياهارون مامنك اذ رأيتهم ضلوا ان لاتتبعن | ٤٢٩        |
| ١١٤       | من قبل ان يقضى اليك وحيه                    | ٣٣٩        |
| ١١٥       | ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ...          | ٤١٣        |
| ١١٧       | قلنا يا آدم ان هذا عدوك - الى قوله - فتشقى  | ٤١٣ ، ٣٥٠  |
| ١١٩       | قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك      |            |
|           | لايلبى                                      | ٤١٣        |
| ١٢٠       | وعصى آدم ربه فغوى                           | ٤١٣        |
| ١٢٥-١٢٧   | ومن اعرض عن ذكرى - الى قوله - اشدوا بقى     | ٢٠١        |

#### ٢١- سورة الانبياء

|       |   |                 |
|-------|---|-----------------|
| ١٦-١٨ | وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين |                 |
|       | - الى قوله - تصفون                        | ٢٨٢             |
| ١٨    | بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه           | ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٤٤٠ |
| ١٨    | ولكم الويل مما تصفون                      | ٢٨٩             |
| ٢٣    | لانسال عما يفعل وهم يسألون                | ٢٨٧             |
| ٣٥    | ونبلوكم بالشر والخير فتنة                 | ٢٨٩ ، ٣٦٧       |
| ٦٣    | بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ...           | ٤١٩             |
| ٧٢    | وكلا جعلنا صالحين                         | ٢٩٠             |
| ٧٣    | وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا                | ١٩٩             |
| ٨٣    | وايوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر           | ٤٢٣             |
| ٨٧    | وذا النون اذ ذهب مغاضباً ...              | ٤٣٦             |
| ٩٠    | ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه            | ٢٩٠             |



| رقم الآية     | الآية                                     | رقم الصفحة      |
|---------------|---|-----------------|
| ٩٤            | فمن يعمل - الى قوله - فلا كفران لسعيه     | ٣٨٣ ، ١٦٣       |
| ٩٨            | انكم وماتعبدون من دون الله حسب جهنم       | ٢٩٠             |
| ١٠١           | ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها   |                 |
|               | مبعدون                                    | ٢٩٠             |
| ٢٢- سورة الحج |   |                 |
| ١٠-٨          | ومن الناس من يجادل في الله بغير علم - الى |                 |
|               | قوله - بظلام للعبيد                       | ١٩٧             |
| ١١            | ومن الناس من يعبد الله على حرف ...        | ٢٨٩             |
| ١٤            | ان الله يفعل ما يريد                      | ٢٩٠             |
| ١٦            | وان الله يهدى من يريد                     | ٢٩٠             |
| ١٨            | ان الله يفعل ما يشاء                      | ٢٩٠             |
| ٣٤            | ولكل امة جعلنا منسكا ليدكروا الله         | ٢٩١             |
| ٣٦            | والبدن جعلناها لكم من شعائر الله          | ٢٩١             |
| ٤٠            | ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض           | ٢٩١             |
| ٤٤            | فاملت للكافرين                            | ٣١٤             |
| ٤٦            | فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمي القلوب     |                 |
|               | التي في الصدور                            | ٣٢٦ ، ١٦٧ ، ٣٢٦ |
| ٤٨            | وكأين من قرية املت لها ...                | ٣١٤             |
| ٥٢            | وما رسلنا قبلك من رسول الا اذا تمنى القى  |                 |
|               | الشیطان في امنيته ...                     | ٤٤٠ ، ٤٣٩       |
| ٥٣            | ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة                | ٣٦٧ ، ٣٢٧       |

| رقم الآية | الآية                          | رقم الصفحة |
|-----------|--------------------------------|------------|
| ٥٦        | الملك يومئذ لله يحكم بينهم     | ١٠٦        |
| ٦٧        | لكل امة جعلنا منسكاً هم ناسكوه | ٢٩١        |

### ٢٣- سورة المؤمنون

|       |  |           |
|-------|--|-----------|
| ١٤    | فتبارك الله احسن الخالقين                                    | ١٥٩ ، ١٩١ |
| ٢٧    | فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا                    | ١٤٨       |
| ٣٧    | قالوا وما هي الاحياتنا الدنيا نموت ونحىي<br>وما نحن بمبعوثين | ٣٨٦       |
| ٥٤-٥٦ | فذرهم فى غمرتهم - الى قوله - بل لا يشعرون                    | ٣١٤ ، ١٥  |
| ٥٥    | فذرهم فى غمرتهم حتى حين                                      | ٣١٤       |
| ٨٨    | وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون                        | ١٥٠       |
| ٩٤    | رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين                              | ٢٩١       |
| ١٠١   | فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون                           | ١٠٦       |
| ١٠٥   | ألم تكن آياتى تتلى عليكم...                                  | ٣٥٨ ، ٣٥٧ |
| ١٠٦   | قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا                                 | ٣٥٧ ، ٣٥١ |
| ١٠٨   | قالوا اخسؤوا فيها ولا تكلمون                                 | ٣٥٩       |

### ٢٤- سورة النور

|    |   |           |
|----|---|-----------|
| ١  | سورة انزلناها وفرضناها - الى قوله - بينات | ١١٦       |
| ٢٥ | ويعلمون ان الله هو الحق المبين . . .      | ١٠٦       |
| ٣٥ | الله نور السماوات والأرض                  | ١١٤ ، ١٣٣ |
| ٤٣ | الم تر ان الله يزجى سحاباً...             | ١٨٣       |

| رقم الآية               | الآية  | رقم الصفحة      |
|-------------------------|--|-----------------|
| ٥٠                      | افى قلوبهم مرض ام ارتابوا ...                            | ٣٢٧             |
| <b>٢٥- سورة الفرقان</b> |  |                 |
| ٢                       | وخلق كل شىء فقدره تقديرا . . .                           | ٣٣٣ ، ١٥٦       |
| ١٨                      | ولكن متعتهم وآبائهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بورا ... | ٢٩٢             |
| ١٨                      | حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً ..                     | ٢٩٣             |
| ٢٠                      | وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون                           | ٣٦٧             |
| ٢٣                      | وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا           | ٣٧٧ ، ٣٨٥       |
| ٣١                      | وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً - الى قوله - ونصيرا            | ٢٩٢             |
| ٣٢                      | كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ...                  | ٢٩٢             |
| ٤٤                      | ام تحسب ان اكثرهم يسمعون- الى قوله - اضل سبيلاً          | ٢٩٢             |
| ٥٩                      | ان ربكم الله الذى خلق السماوات والارض و ما بينهما        | ١٥٧             |
| ٥٩                      | خلق السماوات والارض و ما بينهما ...                      | ١٨٧             |
| ٥٩                      | ثم استوى على العرش الرحمان                               | ١١٣ ، ١٢٤ ، ١٨٧ |
| ٧٠                      | فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات                           | ٤٠١             |
| ٧٤                      | واجعلنا للمتقين اماماً ...                               | ٢٩٣             |

### ٢٦- سورة الشعراء

١٠-١٥ واذا نادى ربك موسى الى قوله انا معكم مستمعون ٤٢٥



| رقم الآية            | الآية  | رقم الصفحة |
|----------------------|--|------------|
| ١٩                   | وفعلت فعلتك التى فعلت وانت من الكافرين       | ٤٢٥        |
| ٢٠                   | قال فعلتها اذاً وانامن الضالين               | ٤٤٦ ، ٤٢٥  |
| ٢١                   | فوهب لى ربى حكماً                            | ٢٩٣        |
| ٢٢                   | وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل      | ٤٢٥        |
| ٢٤                   | رب السماوات والارض وما بينهما                | ١٨٧        |
| ٦٢                   | وازلقناهم الاخرين                            | ٢٩٣        |
| ٧٨                   | الذى خلقنى فهو يهدين                         | ٤٤٦ ، ٢٩٣  |
| ٨٣                   | رب هب لى حكماً والحقنى بالصالحين             | ٢٩٣        |
| ٨٦                   | واغفر لابى انه كان من الضالين                | ٢٢١        |
| ١٠٦-١١١              | اذقال لهم اخوهم نوح الاتقون- الى قوله-       |            |
|                      | الأرزلون                                     | ٢٠٥        |
| ١٢٥                  | واخفض جناحك                                  | ٤٤٥        |
| ١٩٣                  | نزل به الروح الأمين على قلبك                 | ١١٦        |
| ٢٠٠-٢٠١              | كذلك سلكتاه فى قلوب المجرمين- الى قوله-      |            |
|                      | الأييم                                       | ٢٩٤        |
| ٢١٠-٢١٢              | وما تنزلت به الشياطين الى قوله لمعزولون      | ٢٩٥        |
| ٢٢١-٢٢٢              | هل انبوؤكم على من تنزل- الى قوله- افالك ائيم | ٢٩٥        |
| <b>٢٧-سورة النمل</b> |  |            |
| ٤                    | ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زيناهم اعمالهم    | ٢١٢ ، ٢٩٥  |
| ١٠                   | انى لا يخاف لدى المرسلون                     | ٤٢٧        |

| رقم الآية       | الآية  | رقم الصفحة      |
|-----------------|--|-----------------|
| ١١              | الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء                                     | ٣٩٨             |
| ١٨              | ما انت بهاد العمى عن ضلالتهم - الى - قوله - مسلمون                 | ٢٩٧             |
| ٢٤              | وزين لهم الشيطان اعمالهم - الى قوله -<br>لا يهتدون                 | ٢٩٦ ، ٢١٢       |
| ٣٥              | فناظرة بم يرجع المرسلون  | ٩١              |
| ٤٠              | فان ربي غنى كريم   | ١٤٥             |
| ٤٧              | بل انتم قوم تفتنون   | ٣٦٨             |
| ٥٠              | و مكر و امكراً و مكرنا مكرأ و هم لا يشعرون                         | ٣٢٠ ، ٢٩٦       |
| ٥١              | فانظر كيف كان عاقبة مكرهم - الى قوله -<br>اجمعين                   | ٢٩٦             |
| ٨٠              | انك لاتسمع الموتى و لاتسمع الصم الدعاء - الى<br>قوله - ولوا مدبرين | ٢٩٣ ، ٢٤١ ، ٢١٣ |
|                 |  | ٣١٢ ، ٢٩٧       |
| ٨٩              | من جاء بالحسنة فله خير منها  | ٣٨٢             |
| ٢٨ - سورة القصص |  |                 |
| ٨               | فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً و حزنأ...                         | ٢٢٦ ، ٢١٩ ، ١٩٢ |
|                 |  | ٢٥٦ ، ٢٣١       |
| ١٠              | لولا ان ربطنا على قلبها ...  | ٢٩٧             |
| ١٥              | فوكزه موسى فقضى عليه ...   | ٣٣٢             |
| ١٥              | قال هذا من عمل الشيطان ...   | ٤٢٣             |
| ١٦              | قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له                              | ٤٢٣             |

| رقم الآية | الآية                                   | رقم الصفحة      |
|-----------|---|-----------------|
| ٢٩        | فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله          | ٣٣٢             |
| ٣٣-٣٥     | قال رب انى قتلت منهم الى قوله الغالبون  | ٤٢٦ ، ٤٢٧       |
| ٤٠        | فأخذ ناه وجنوده فنبذناهم فى اليم        | ٢٩٨             |
| ٤١        | وجعلناهم أئمة يدعون الى النار           | ٢٩٨             |
| ٤٤        | اذ قضينا إلى موسى الأمر                 | ٣٣٩             |
| ٥٦        | انك لاتهدى من اجبت- الى قوله- بالمهتدين | ٢٩٨ ، ٢٠٠       |
| ٥٧        | يجبى اليه ثمرات كل شىء                  | ١٨٦             |
| ٥٩        | وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون   | ٢٧٠             |
| ٦٨        | وربك يخلق ما يشاء ويختار                | ٢٩٨             |
| ٧٠        | له الحكم واليه ترجعون                   | ١٣٢             |
| ٧٩        | وانه لذو حظ عظيم                        | ٣٦٤             |
| ٨٤        | من جاء بالحسنة فله خير منها             | ٣٨٢             |
| ٨٨        | كل شىء هالك الا وجهه                    | ١٣٢ ، ١٤١ ، ١٤٦ |

### ٢٩ - سورة العنكبوت

|     |  |     |
|-----|--|-----|
| ٢-١ | الم . احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنوا وهم لا يفتنون | ٢٩٩ |
| ٢   | احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنوا وهم لا يفتنون       | ٣٦٨ |
| ٣   | ولقد فتنا الذين من قبلهم                                 | ٢٩٩ |
| ٧   | إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لتكفرن عنهم سيئاتهم       | ٤٠٠ |



| رقم الآية | الاية                                    | رقم الصفحة                  |
|-----------|--|-----------------------------|
| ٣٢        | لننجينه واهله الامر أنه كانت من الغابرين | ٢٦٥                         |
| ٣٨        | وزين لهم الشيطان اعمالهم                 | ٢١٢                         |
| ٤٥        | ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ...    | ٣٩٩                         |
| ٦٩        | والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ...    | ١٨٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢٩٩ |
| ١٣٠       | ومن ذريتنا امة مسلمة ...                 | ١٨٩                         |

### ٣٠- سورة الروم

|    |   |           |
|----|---|-----------|
| ٢٢ | واختلاف السنكهم والوانكم                      | ١٥٧ ، ١٨٨ |
| ٢٥ | ومن آياته ان تقدم السماء والارض بامره         | ٨٧        |
| ٣٨ | للذين يريدون وجه الله                         | ١٤٢       |
| ٣٩ | وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله             | ١٤٢ ، ١٤٨ |
| ٤١ | ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت ايدى الناس | ١٦٣       |
| ٤٨ | الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيسطه فى السماء  |           |
|    | كيف يشاء ويجعله كسفا                          | ١٨٣       |
| ٥٢ | فانك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء اذا    |           |
|    | ولومدبرين                                     | ٢٤١       |
| ٥٩ | كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون       | ٢٩٩ ، ٣٢٣ |

### ٣١- سورة لقمان

|   |  |           |
|---|--|-----------|
| ٧ | واذا تتلى عليهم آياتنا - الى قوله - وقرا | ٢٩٩ ، ٣٠٣ |
|---|--|-----------|

## ٣٢- سورة السجدة

|     |   |               |
|-----|---|---------------|
| ٤   | ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى<br>ولاشفيح              | ١١٣           |
| ٥   | ثم استوى على العرش ... يدبر الأمر من السماء الى<br>الأرض        | ١٢٩، ١٢٤، ١١٢ |
| ٦-٧ | ذلك عالم الغيب والشهادة - الى قوله - كل شيء<br>خلقه             | ١٣٠           |
| ١٠  | وقالوا اذا ضللنا فى الارض - الى قوله - بلقاء ربهم<br>كافرون     | ١٣٣           |
| ١١  | قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم                               | ١٣١           |
| ١٢  | ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم - الى قوله -<br>انا موقنون    | ٣٠٠، ١٣٣، ١١٣ |
| ١٣  | ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها                                    | ١٩٣، ١٥٧      |
| ١٣  | ولكن حق القول منى لأملئن جهنم من الجنة والناس<br>اجمعين         | ٣٠٠، ١٩٣      |
| ١٤  | فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم                     | ٣٠٠، ١٩٣، ١٣٣ |
| ١٧  | فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرآءة اعين جزاء بما<br>كانوا يعملون | ١٠٥           |

## ٣٣- سورة الاحزاب

|   |  |     |
|---|--|-----|
| ١ | يا ايها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين | ٤٤٢ |
|---|--|-----|

|             |  |    |
|-------------|--|----|
| ١٩٩،١٧٢     | والله يقول الحق و هو يهدى السبيل                           | ٤  |
| ٣٦٨         | هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا الزلازل شديدا                 | ١١ |
|             | قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءاً             | ١٧ |
| ١٦٧         | او اراد بكم رحمة   |    |
| ٣٨٤         | اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم                         | ١٩ |
| ٣٣٢         | فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر                          | ٢٣ |
|             | انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس - الى قوله-                | ٣٣ |
| ٣٣٧،٣٣٣،٣٠٠ | تطهيرا   |    |
|             | وما كان لمؤمن و لامؤمنة اذا قضى الله - الى قوله- الخيرة من | ٣٦ |
| ٣٣٤،٣٣٢،٣٠١ | امرهم  |    |
|             | وتخفى فى نفسك ما الله مبديه - الى قوله - احق               | ٣٧ |
| ٤٤١،٣٠١     | ان تخشاه   |    |
| ٣٣٧،٣٠١     | وكان امر الله مفعولا                                       | ٣٧ |
| ٣٣٣         | فلما قضى زيد و طرازو جناكها                                | ٢٧ |
| ٣٣٧،٣٠١     | وكان امر الله قدراً مقدوراً                                | ٣٨ |
| ٣٠١         | ليخرجكم من الظلمات الى النور                               | ٤٣ |
| ١٠٥،٩٢      | تحيتهم يوم يلقونه سلام و اعدلهم اجرأ كريما                 | ٤٤ |
|             | ٣٣ - سورة سباء   |    |
| ٢٦٣         | اولئك لهم عذاب من رجز اليم                                 | ٥  |
| ٢٨٦         | فارسلنا عليهم سيل العرم                                    | ١٦ |
| ٣٣٣         | قدرنا فيها السير   | ١٨ |



| رقم الآية             | الآية  | رقم الصفحة      |
|-----------------------|--|-----------------|
| ٢٨                    | وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا            | ٢١٠             |
| ٥٠                    | وان اهتديت فيما يوحى الى ربي                       | ٤٤٦             |
| <b>٣٥ - سورة فاطر</b> |  |                 |
| ٣                     | هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض        | ١٥٧             |
| ٨                     | فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء                 | ٣٠١             |
| ٨                     | فلان تذهب نفسك عليهم حسرات                         | ٢١٧             |
| ١٠                    | اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه          | ١٢٩ ، ١١٢       |
| ١٠                    | ومكر اولئك هو يبور                                 | ٣٢٠             |
| ١١                    | وما تحمل من انثى ولا تضع - الى قوله - يسيرا        | ٣٣٨ ، ٨٥        |
| ١٥                    | يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى |                 |
|                       | الحميد   | ٢٦٠ ، ١٤٥       |
| ٢٢-٢٣                 | ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع - الى قوله -    |                 |
|                       | نذير   | ٣٠١             |
| ٢٤                    | وان من امة الا اخلا فيها نذير                      | ٢٥٧             |
| ٢٨                    | انما يخشى الله من عباده العلماء                    | ٤٤٩             |
| ٣٠                    | ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله                     | ١٠٢             |
| ٤٣                    | ولا يحيق المكر السىء الا باهله                     | ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ |

### ٣٦ - سورة يس

|   |  |     |
|---|--|-----|
| ٩ | انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي - الى قوله - |     |
|   | لا يبصرون                                    | ٣٠٢ |

| رقم الآية | الاية  | رقم الصفحة |
|-----------|--|------------|
| ٢٥        | ومالى لا اعبد الذى فطرنى واليه ترجعون- الى قوله- |            |
|           | فاسمعون  | ٩٩         |
| ٣٩        | والقمر قدرناه منازل ...                          | ٣٣٣        |
| ٤٩        | ما ينظرون الاصححة واحدة ...                      | ٩٠         |
| ٥٨        | سلام قولاً من رب رحيم                            | ١١٧        |
| ٧١        | اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت -الى قوله- لها  |            |
|           | مالكون   | ١٥٠        |
| ٨٢        | انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون     | ١٦٧ ، ١٨٧  |
| ٨٣        | فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون       | ١٥٠        |

### ٣٧- سورة الصافات

|     |  |     |
|-----|--|-----|
| ٨   | لا يسمعون الى الملاء الاعلى- الى قوله- من كل     |     |
|     | جانب   | ٢٩٥ |
| ٨٩  | ونظر نظرة فى النجوم وقال انى سقيم ...            | ٤١٩ |
| ٩٦  | اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ...     | ١٥٦ |
| ٩٦  | والله خلقكم وما تعملون ...                       | ١٨٢ |
| ٩٨  | فارادوا به كيداً فجعلناهم الاسفلين ...           | ٢٩٦ |
| ٩٩  | انى ذاهب الى ربي سيهدين ...                      | ٤٤٦ |
| ١٠٦ | ان هذا لهو البلاء المبين ...                     | ٣٦٨ |
| ١٢٥ | اتدعون بعلا وتذرون احسن المخالقين ...            | ١٩١ |
| ١٣٥ | اذنجيناها وأهله اجمعين الاعجوزاً فى الغابرين ... | ٢٦٥ |

## ٣٨-سورة ص

|     |   |           |
|-----|---|-----------|
| ٢١  | وهل اتاك نبؤء الخضم اذ تسوروا المحراب-الى     |           |
| ٤٣١ | قوله- وحسن مأب                                |           |
| ٢٦  | ياداوود انا جعلناك خليفة...                   | ٤٣٣       |
| ٣٢  | انى احببت حب الخير عن ذكر ربى ...             | ٤٣٤       |
| ٣٤  | ولقد فتنا سليمان والقينا على كر سيه جسداً ثم  |           |
|     | انا ب   | ٤٣٤ ، ٣٦٧ |
| ٣٥  | وهب لى ملكاً لا يتبغى لاحد من بعدى ...        | ٤٣٤       |
| ٤١  | واذكر هبنا ايوب اذ نادى ربه-الى قوله-وعذاب    | ٤٢٢ ، ٤١٦ |
| ٤٥  | واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق-الى قوله-والابصار | ١٥٠       |
| ٤٥  | اولى الايدى والابصار                          | ١٥١       |
| ٧٥  | ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي                 | ١٥٠       |
| ٧٥  | لما خلقت بيدي                                 | ١٤٠       |

## ٣٩-سورة الزمر

|    |   |     |
|----|---|-----|
| ٣  | ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفا ...        | ١٣٥ |
| ٣  | ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار                 | ٢٠٠ |
| ٧  | ان تكفروا فان الله غنى عنكم - الى قوله - لعباده |     |
|    | الكفر   | ١٦٦ |
| ١٠ | للذين احسنوا فى هذه الدينا                      | ٣٨٢ |



| رقم الآية | الاية  | رقم الصفحة |
|-----------|--|------------|
| ١٧        | والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها              | ٣٨٩        |
| ١٨        | الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه - الى قوله - |            |
|           | اولو الالباب                                   | ٢٠٠        |
| ١٩        | أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذمن في       |            |
|           | النار  | ٣٠٢        |
| ٢١        | ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما             | ١٨٣        |
| ٢٢        | أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه  | ٣٠٢        |
| ٢٣        | ومن يضل الله فماله من هاد                      | ٢٩٤        |
| ٣٣-٣٥     | والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم              |            |
|           | المتقون  | ٤٠٠        |
| ٣٦        | ومن يضل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له |            |
|           | من مضل   | ٣٠٢        |
| ٣٧        | ومن يهدى الله فما له من مضل                    | ٢٢٩ ، ١٩٨  |
| ٤٢        | الله يتوفى الانفس حين موتها                    | ١٣١        |
| ٤٢        | فيمسك الذى قضى عليه الموت                      | ٣٣٩        |
| ٤٩        | فاذا مس الانسان ضردهانا - الى قوله -           |            |
|           | لا يعلمون                                      | ٣٦٨        |
| ٥١        | فاصابهم سيئات ما كسبوا                         | ١٦٣        |
| ٥٣        | لا تظنوا                                       | ٣٧٩        |
| ٦٢        | الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل           | ١٧٣ ، ١٥٦  |
| ٦٥        | لئن اشركت ليجبطن عملك                          | ٤٤٣        |

| رقم الآية | الآية                                   | رقم الصفحة |
|-----------|---|------------|
| ٦٧        | والارض جميعا قبضته...                   | ٢٣٩        |
| ٦٩        | واشرقت الارض بنور ربها ...              | ١٣٣        |
| ٧٤-٧٣     | حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها - الى قوله- |            |
|           | اجر العاملين                            | ٢٧٦-٧      |

#### ٤٠-سورة غافر

|       |   |               |
|-------|---|---------------|
| ٧     | ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما                                 | ١٢٦           |
| ١٥    | رفيع الدرجات ذو العرش - الى قوله - يوم التلاق ١٠٥ ، ١٢٤     |               |
| ١٦    | لمن الملك اليوم لله الواحد القهار                           | ٢٤٤، ١٢٥، ١٠٦ |
| ١٦    | يومهم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء                      | ٢٤٥           |
| ١٧    | اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم                     | ٣٨٣، ١٦٤      |
| ٢٠    | والله يقضى بالحق  | ٣٣٩           |
| ٢٩    | يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض - الى قوله- ان جائنا | ١٠٦           |
| ٣١    | ومالله يريد ظلما للعباد                                     | ٢٢٤، ٢٠٥، ١٥٩ |
| ٣٥    | كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار                        | ٣٢٣           |
| ٣٧    | وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصدعن السبيل                      | ٣٠٣           |
| ٣٧    | فاطلع الى اله موسى  | ١٣٠           |
| ٣٦-٢٧ | يا هامان ابن لى صرحاً لعلى ابلغ - الى قوله -                |               |
|       | لاظنه كاذبا   | ١١٢           |
| ٣٨    | يا قوم اتبعونى اهدكم سبيل الرشاد                            | ٢٥٩           |

| رقم الآية     | الآية   | رقم الصفحة    |
|---------------|---|---------------|
| ٣٨            | يا قوم اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد                        | ٢٥٩           |
| ٤٠            | من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها                          | ٣٨١           |
| ٥١            | انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا           | ٤٤٠           |
| ٥٥            | ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر                   | ٤٤٧           |
| ٦٢            | ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو                | ١٥٦           |
| ٧٣-٧٤         | ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون - الى قوله - من قبل شيئا  | ٣٥٩           |
| ٧٨            | فاذا جاء امر الله قضى بالحق و خسرها لك المبطلون         | ١٣١           |
| ٨٥            | فلم يك ينفعهم ايمانهم لمارأو بأسنا                      | ٢٥٦           |
| ٣١- سورة فصلت |   |               |
| ١-٢           | حم تنزيل من الرحمان الرحيم                              | ١١٦           |
| ٤-٥           | فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون - الى قوله - انا عاملون      | ٣٢٤، ٢٨١، ٢١٠ |
| ٥             | وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه - الى قوله - حجاب | ٣٢٤، ٣٠٣      |
| ٦             | قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى - الى قوله - للمشركين    | ٣٢٤           |
| ١٠            | وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام                         | ٣٣٣           |
| ١١            | ثم استوى الى السماء وهي دخان                            | ١٣١، ١١٣      |
| ١١            | فقال لها وللارض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا              |               |
|               | أتينا طائعين  | ١٧٢           |
| ١٢            | فقضاهن سبع سماوات                                       | ٣٣٧           |
| ١٥            | اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة            | ٨٥            |



| رقم الآية | الآية   | رقم الصفحة    |
|-----------|---|---------------|
| ١٦        | فارسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات          | ٢٨٦           |
| ١٧        | واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى       | ١٧٢، ١٩٨، ٢٠٧ |
| ٢٥        | وقيضنا له قرناء - الى قوله - عليهم القول          | ٣٠٣           |
| ٣١-٣٠     | ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - الى قوله - |               |
|           | وفي الاخرة  | ١٨٩، ٢٠١      |
| ٣٥        | وما يلقاها الا ذوحظ عظيم                          | ٣٦٤           |
| ٤٢        | تنزيل من حكيم حميد                                | ١١٦           |
| ٤٤        | والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم          |               |
|           | عمى ...   | ٣٠٣           |
| ٤٧        | وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه                | ٨٥            |

#### ٢٢-سورة الشورى

|       |   |              |
|-------|---|--------------|
| ٨     | ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة                   | ٣٠٣          |
| ١١    | ليس كمثل شىء وهو السميع العليم                  | ٩٧، ١١٩، ١٢١ |
| ١٣    | شرع لكم من الدين ما وصى به - الى قوله - ولا     |              |
|       | تتفرقوا فيه                                     | ٢٥٩          |
| ١٥    | لاحجة بيننا وبينكم                              | ٣٠٣          |
| ١٥-١٦ | او قل آمنت بما انزل الله من كتاب - الى قوله -   |              |
|       | عذاب شديد                                       | ٣٠٤          |
| ٢٠    | من كان يريد حرث الاخرة نذله في حرثه و من        |              |
|       | كان يريد حرث الدنيا نؤثته منها و ماله في الاخرة |              |
|       | من نصيب   | ٣٧٨، ٣٨٧     |
| ٢١    | ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم               | ٣٣٨          |

| رقم الآية        | الآية  | رقم الصفحة         |
|------------------|--|--------------------|
| ٢٣               | من يقترف حسنة نزدله فيها حسنا                    | ٣٨٢                |
| ٣٧               | والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا         |                    |
|                  | أغضبوا هم يغفرون                                 | ٣٨٩                |
| ٤٠               | وجزاء سيئة سيئة مثلها                            | ٣٨١، ٣١٨، ٢٥٤      |
| ٤٤               | ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده               | ٣٠٤                |
| ٤٨               | فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك       |                    |
|                  | الالبلاغ   | ٢١٥                |
| ٤٨               | ان عليك الابلاغ                                  | ٢١٧                |
| ٥١               | وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا - الى قوله - |                    |
|                  | فيوحى باذنه ما يشاء                              | ١١٣                |
| ٥١               | او من وراء حجاب او يرسل رسولا                    | ١٣٢                |
| ٥٢               | وانك لتهدى الى صراط مستقيم                       | ٢١٧، ١٩٩           |
| ٥٢               | ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا - الى |                    |
|                  | قوله - مستقيم                                    | ٣٠٤                |
| ٥٢               | ما كنت تدري ما الكتاب و ما الايمان               | ٤٤٦                |
| ٥٣               | الا الى الله تصير الامور                         | ٢٦٠                |
| ٢٣ - سورة الزخرف |  |                    |
| ١٣               | سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين         | ١٨٠                |
| ٢٠               | وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك      |                    |
|                  | من علم - الى قوله - يخرصون                       | ٣٠٤، ٢٦٦، ٢٦٣، ١٦٦ |
| ٢٠               | ما لهم بذلك من علم انهم الا يخرصون               | ٣٠٥                |

| رقم الآية  | رقم الصفحة      |
|--|-----------------|
| ٢٧   | ٤٤٦             |
| ٣٣-٣٥ ولولا ان تكون الناس امة واحدة - الى قوله - |                 |
| للمتقين  | ٣١٥             |
| ٣٦ ومن يعش عن ذكر الرحمان - الى قوله -           |                 |
| له قرين  | ٣٠٥             |
| ٤٠ أفأنت تسمع الصم او تهدي العمى ...             | ٣٠٥             |
| ٧١ وفيها ما تشتهيہ الأنفس وتلذ الأعين ...        | ١٠٥             |
| ٧٧ يا مالك ليقض علينا ربك                        | ٣٣٢             |
| ٨٣ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي    |                 |
| يوعدون   | ١٠٦             |
| ٨٤ وهو الله في السماء إله وفي الأرض إله ...      | ١٣٥             |
| ٤٢- سورة الدخان                                  |                 |
| ١-٣ انا انزلناه في ليلة مباركة ...               | ١١٦             |
| ٤٥- سورة الجاثية                                 |                 |
| ٢٢ ولتجزى كل نفس بما كسبت                        | ٢٨٣             |
| ٢٣ افرايت من اتخذ الهه هواه - الى قوله -         |                 |
| افلاتذكرون                                       | ٢١١ ، ٣٠٥ ، ٣٢١ |
| ٤٦- سورة الاحقاف                                 |                 |
| ٩ وما ادرى ما يفعل بي ولا بكم ...                | ٢٣٢             |



| رقم الآية          | الآية  | رقم الصفحة                  |
|--------------------|--|-----------------------------|
| ١٦                 | اولئك الذين نتقبل عنهم...                                    | ٣٨٣ ، ٣٨٤                   |
| ٢٥                 | تدمر كل شيء بأمر ربها...                                     | ١٨٦                         |
| ٢٩                 | واذا صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن...              | ٣٠٥                         |
| ٢٧ - سورة محمد (ص) |  |                             |
| ١                  | والذين كفروا وصدوا عن سبيل الله واضل اعمالهم                 | ٤٠١                         |
| ٢                  | والذين آمنوا - الى قوله - كفر عنهم سيئاتهم                   | ٤٠١                         |
| ٩                  | ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم                   | ٣٨٤                         |
| ١٦                 | اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا<br>اهواءهم           | ٣٢٣                         |
| ١٧                 | والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم                        | ١٨٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٠ |
|                    |  | ٢٩٣                         |
| ١٩                 | واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات                            | ٤٤٨                         |
| ٢٠                 | رأيت الذين فى قلوبهم مرض - الى قوله -<br>من الموت...         | ٢٤٣                         |
| ٢٣-٢٤              | اولئك الذين لعنهم الله - الى قوله - افعالها                  | ٣٠٥                         |
| ٢٤                 | افلا يتدبرون لقرآن ام على قلوب افعالها                       | ٢٤٢                         |
| ٢٥                 | ان الذين ارتدوا على ادبارهم - الى قوله -<br>واملى لهم        | ٢٥٤                         |
| ٢٨                 | ذلك بأنهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه<br>فاحبط اعمالهم | ٣٨٥                         |
| ٢٩                 | ام حسب الذين فى قلوبهم - الى قوله - اضغانهم                  | ٣٠٥                         |
| ٣١                 | ولنبلو نكم حتى نعلم المجاهدين منكم                           | ٣٦٨                         |

| رقم الآية         | الاية   | رقم الصفحة |
|-------------------|---|------------|
| ٣٢                | ان الذين كفروا وشاقوا الرسول - الى قوله -<br>وسيحبط اعمالهم   | ٣٨٥        |
| ٢٨ - سورة الفتح   |   |            |
| ٢                 | ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر...                       | ٤٤٧        |
| ٥                 | ويكفر عنهم سيئاتهم ...  | ٤٠١        |
| ١٠                | يدالله فوق ايديهم ...   | ١٤٠        |
| ١٠                | ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله - الى قوله -<br>على نفسه  | ١٥١        |
| ٢٠                | وكف ايدي الناس عنكم ...                                       | ٣٠٦        |
| ٢٤                | وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم...                       | ٣٠٦        |
| ٢٩ - سورة الحجرات |   |            |
| ١                 | الاتقدموا بين يدي الله ورسوله ...                             | ٣٩٣        |
| ٢                 | ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم . . .                          | ٣٩٣ ، ٣٩٢  |
| ٢                 | لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي - الى<br>قوله - وانتم لاتشعرون | ٣٩٣ ، ٣٩١  |
| ٣                 | ان الذين يفضون اصواتهم عند رسول الله...                       | ٣٩٣        |
| ٤                 | ان الذين ينادونك من وراء الحجرات ...                          | ٣٩٣        |
| ٧                 | ولكن الله حبيب اليكم الايمان - الى قوله -<br>والعصيان         | ٣٠٦        |
| ١٧-١٨             | بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان                            | ٣٠٦ ، ٢٦٧  |

## ٥٠- سورة قى

|           |   |    |
|-----------|---|----|
| ٢٢٤       | ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ...              | ١٦ |
|           | لقد كنت فى غفلة من هذا- الى قوله- فبصرك اليوم | ٢٢ |
| ١٣٢       | حديد  |    |
| ١٤٤       | يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد ... | ٣٠ |
| ١٠٥ ، ٩٢  | لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد ...            | ٣٥ |
| ٣٣٢ ، ٢٤٠ | ان فى ذلك لذكرى - الى قوله - وهو شهيد         | ٣٧ |

## ٥١- سورة الذاريات

|                 |   |    |
|-----------------|---|----|
| ٢٢٢             | يا ايها الرسول لا يحزنك الذين- الى قوله- يفتنون | ١٣ |
| ١٣٩             | وفى السماء رزقكم وما توعدون                     | ٢٢ |
| ٢٨٦             | وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم            | ٤١ |
| ١٥٠             | والسماء بنيناها بايدوانا للموسعون               | ٤٧ |
| ١٩٢ ، ١٦٤ ، ١٥٩ | وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون                | ٥٦ |
| ٨٥              | ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين               | ٥٨ |

## ٥٢- سورة الطور

|           |  |    |
|-----------|--|----|
|           | والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم     | ٢١ |
| ٣٠٦       | ذريتهم   |    |
| ١٦٣       | كل امرء بما كسب رهين ...                           | ٢١ |
|           | ٣٥-٣٤م خلقوا من غير شىء امهم الخالقون - الى قوله - |    |
| ١٩٠ ، ١٥٨ | لا يوقنون  |    |



| رقم الآية      | الاية   | رقم الصفحة            |
|----------------|---|-----------------------|
| ٤٢             | ام يريدون كيدا فالذين كفروا لهم المكيدون ...        | ٣١٩                   |
| ٤٨             | واصبر لحكم ربك فانك باعيننا ...                     | ١٤٨                   |
| ٥٣- سورة النجم |   |                       |
| ٤              | علمه شديد القوى - الى قوله - بالافق الأعلى          | ١٣١                   |
| ٩              | ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى                 | ١١٣ ، ١٣١             |
| ٣١             | ليجزى الذين أساءوا - الى قوله - احسنوا بالحسنى      | ٢٧٣ ، ٣٨٨             |
| ٣٢             | الذين يجتنبون كبائر الاثم - الى قوله - واسع المغفرة | ٢٧٣ ، ٣٨٨             |
| ٣٨-٤١          | ألا تزروا زرة وزر اخرى - الى قوله - الجزء الاوفى    | ١٦٢                   |
| ٣٩-٤١          | وان ليس للانسان الا ما سمى - الى قوله - الجزء       |                       |
|                | الأوفى  | ١٨٩                   |
| ٣٩-٤٠          | وان ليس للانسان الا ما سمى وأن سعيه سوف يرى         | ٣٨٣                   |
| ٤٣             | وانه اضحك وابكى                                     | ١٥٧ ، ١٨٩ ، ٢٨٩ ، ٣٠٧ |
| ٤٤-٥١          | وانه هو أمات واحى - الى قوله - وئود فما بقى         | ١٨٩                   |
| ٤٨             | وانه هو اغنى وأقنى                                  | ١٤٥                   |
| ٥٣- سورة القمر |   |                       |
| ١٤             | تجرى باعيننا ...                                    | ١٤٨                   |
| ٢٤             | فقالوا ابشراً منا واحداً نتبعه انا إذا لفي ضلال     |                       |
|                | وسعر  | ٢٠٥                   |
| ٤٩             | انا كل شيء خلقناه بقدر                              | ٣٣٨                   |
| ٥٣-٥٢          | وكل شيء فعلوه فى الزبر - الى قوله - مستنظر          | ٣٣٨                   |

## ٥٥- سورة الرحمن

|     |  |    |
|-----|--|----|
| ١٨٣ | وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام ... | ٢٤ |
|     | كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال  | ٢٧ |
| ١٤٦ | والاكرام ...                             |    |
| ١٠٤ | ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام...      | ٢٧ |

## ٥٦- سورة الواقعة

|     |  |       |
|-----|--|-------|
| ١٧٦ | أفرئيتم ما تمنون أم أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ... | ٦٠    |
| ١٧٦ | ٧٤-٧٤ أفرئيتم ما ترحثون - الى قوله - ومتاعاً للمغوين | ٦٤-٧٤ |

## ٥٧- سورة الحديد

|                 |  |    |
|-----------------|--|----|
|                 | له ملك السماوات والأرض والى الله ترجع          | ٥  |
| ١٢٤             | الأمور ...                                     |    |
| ١٦٤             | ومالكم لا تؤمنون بالله ...                     | ٨  |
| ٣٠٧             | ليخرجكم من الظلمات الى النور ...               | ٩  |
| ٣٢٨             | فطال عليهم الأمد فقسست قلوبهم . .              | ١٦ |
| ٣٧٨             | سابقوا الى مغفرة - الى قوله - أعدت للذين آمنوا | ٢١ |
|                 | ما أصاب من مصيبة فى الأرض - الى قوله - أن      | ٢٢ |
| ٣٣٨ ، ١٨٧ ، ١٥٧ | نبرأها   |    |
| ٣٣٨ ، ٢٥٢       | لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم  | ٢٣ |
| ٣٠٧ ، ١٨٩ ، ١٥٧ | وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة         | ٢٧ |
|                 | فآتيناهم الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم     | ٢٧ |

| رقم الآية | الآية   | رقم الصفحة |
|-----------|---|------------|
| ٢٩        | فاسقون<br>وان الفضل بيد الله يؤتبه من يشاء والله ذو الفضل<br>العظيم | ٣٠٩        |
| ٢٩        | لثلا يعلم اهل الكتاب - الى قوله - من فضل الله                       | ٣٠٧        |
| ٢٩        | والله ذو الفضل العظيم   | ٣٠٨        |

#### ٥٨- سورة المجادلة

|    |   |           |
|----|---|-----------|
| ١٨ | يوم يبعثهم الله جميعاً - الى قوله - هم الكاذبون | ٣٥٨       |
| ٢١ | كتب الله لأغلبن اناورسلى ان الله قوى عزيز       | ٢٣٠ ، ٤٤٠ |
| ٢٢ | اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه...  | ٣١٠       |

#### ٥٩- سورة الحشر

|    |  |     |
|----|--|-----|
| ٢  | هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب<br>من ديارهم        | ٣١٠ |
| ٤  | ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء - الى قوله -<br>شديد العقاب | ٣١٠ |
| ٥  | ما قطعتم من لينة أو تركتموها - الى قوله -<br>فباذن الله    | ٣٣٩ |
| ٢٤ | هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى            | ١٥٧ |

#### ٦٠- سورة الممتحنة

|   |                                  |     |
|---|----------------------------------|-----|
| ٤ | الاقول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك | ٤٢٠ |
|---|----------------------------------|-----|



| رقم الآية                 | الآية  | رقم الصفحة                   |
|---------------------------|--|------------------------------|
| <b>٦١- سورة الصف</b>      |  |                              |
| ٥                         | فلما زاغوا اذاغ الله قلوبهم - الى قوله - القوم<br>الفاسقين | ٢٥٤ ، ٢٢٧ ، ٢١١ ، ٢٠٥<br>٣٢٦ |
| <b>٦٢- سورة الجمعة</b>    |  |                              |
| ٨                         | ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة - الى قوله -<br>تعملون    | ١٣٢                          |
| <b>٦٣- سورة المنافقون</b> |  |                              |
| ٣                         | ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا - الى قوله -<br>لا يفقهون         | ٣٢٣ ، ٣٢٢                    |
| ٤                         | يحسبون كل صيحة عليهم                                       | ٣١٦ ، ٢١٢                    |
| <b>٦٤- سورة التغابن</b>   |  |                              |
| ١                         | له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير...                  | ٢٤٥                          |
| ٢                         | هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ...                    | ٣١٠                          |
| ٩                         | ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته...              | ٤٠١                          |
| ١١                        | ومن يؤمن بالله يهد قلبه ...                                | ٢٠٠                          |
| ١١                        | ما اصاب من مصيبة الا باذن الله - الى قوله -                |                              |

| رقم الآية        | الآية  | رقم الصفحة |
|------------------|--|------------|
|                  | يهد قلبه   | ٢٥٣ ، ٣٣٩  |
| ١٢               | واطيعوا الله واطيعوا الرسول - الى قوله -             |            |
|                  | البلاغ المبين  | ١٦٦        |
| ١٥               | انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم       | ٢١٦        |
| ١٦               | فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا               | ١٦٦        |
| ٦٥- سورة الطلاق  |  |            |
| ١                | ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ...                  | ٤١٥        |
| ٥                | ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ...                     | ٤٠١        |
| ١١               | ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات ...            | ١٦٣        |
| ١٢               | يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله - الى قوله - عليما | ٣٣٩        |
| ٦٦- سورة التحريم |  |            |
| ٦                | لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون             | ٢٠٢ ، ١٣٠  |
| ٨                | عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم                        | ٤٠١        |
| ٦٧- سورة الملك   |  |            |
| ١                | تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ...        | ١٥٠        |
| ٢                | ليبلوكم ايكم احسن عملا ...                           | ٣٦٩        |
| ١٣-١٤            | واسروا قولكم او اجهروا به - الى قوله - وهو           |            |
| اللطيف الخبير    |  |            |
| ١٤               | ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ...                | ١٨٨        |
| ١٦               | ألمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض ...            | ١٣٠        |

## ٦٨ - سورة القلم

|           |   |    |
|-----------|---|----|
| ٤٤٤       | وانك لعلى خلق عظيم ...                  | ٤  |
| ٤٤٣       | ودوالو تدهن فيدهنون                     | ٥  |
|           | يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود       | ٤٢ |
| ١٥٢ ، ١٤٤ | - الى قوله - وهم سالمون                 |    |
|           | فذرني ومن يكذب بهذا الحديث - الى قوله - | ٤٤ |
| ٣١٣       | كيدى متين                               |    |
| ٣١٩       | واملى لهم ان كيدى متين ...              | ٤٥ |
| ٤٣٧       | ولاتكن كصاحب الحوت اذ نادى ربه ...      | ٤٩ |

## ٦٩ - سورة الحاقة

|     |   |    |
|-----|---|----|
| ١٨٣ | انما لماطغى الماء حملناكم فى الجارية                    | ١١ |
|     | ١٨-١٣ فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة - الى قوله - لا تخفى |    |
| ١٢٤ | منكم خافية  |    |
| ١٠٦ | انى ظننت انى ملاق حسابية                                | ٢٠ |
| ٣٣٩ | باليها كانت القاضية                                     | ٢٧ |
|     | ٤٤-٤٦ ولو تقول علينا بعض الاقاويل - الى قوله -          |    |
| ١٥١ | منه الوتين  |    |
| ١٤١ | لاخذنا منه باليمين                                      | ٤٥ |

## ٧٠ - سورة المعارج

|  |   |   |
|--|---|---|
|  | نرج الملائكة والروح اليه - الى قوله - خمسين | ٤ |
|--|---|---|



| رقم الآية | الاية   | رقم الصفحة         |
|-----------|---|--------------------|
| الف سنة   |   | ١٣٠، ١١٣           |
|           | ٧١ - سورة نوح                                   |                    |
| ٢٥        | مما خطيئا تهم اغرقوا فادخلوا ناراً ...          | ٢٦٧، ٢٥٠           |
| ٢٦        | قال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين          |                    |
|           | ديارا   | ٤١٧                |
| ٢٧        | ولايلدوا الا فاجراً كفاراً                      | ٢٧٤                |
|           | ٧٢ - سورة الجن                                  |                    |
| ١٦        | وان لو استقاموا الى الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً | ٢٩٣، ٢٦٠، ٢٥٩، ٢٠١ |
|           | ٧٣ - سورة المزمل                                |                    |
| ١٩        | ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا         | ١٦٥                |
| ٢٠        | والله يقدر الليل والنهار                        | ٣٣٣                |
|           | ٧٤ - سورة المدثر                                |                    |
| ١٨        | انه فكر وقدر                                    | ٣٣٣                |
| ٣٧        | لمن شاء ان يتقدم منكم او يتأخر                  | ١٦٥                |
| ٣٨        | كل نفس بما كسبت رهينة                           | ٣٨٣، ١٦٣           |
| ٤٩        | فمالهم عن التذكرة معرضين                        | ٢٤١، ١٦٤           |
| ٥٠        | كانهم حمر مستنفرة                               | ٢٤١                |
| ٥١-٥٠     | كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة                  | ٣٢٤                |
| ٥٥-٥٤     | كلا انه تذكرة ممن شاء ذكره                      | ١٦٥                |

| رقم الآية                | الآية  | رقم الصفحة       |
|--------------------------|--|------------------|
| <b>٧٥-سورة القيامة</b>   |  |                  |
| ٢٣                       | وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة                        | ٩٧،٩٠            |
| <b>٧٦ - سورة الانسان</b> |  |                  |
| ٣                        | انا هديناه السبيل اما شاكرأ او كفورأ                   | ٢٦٥،٢٠٣، ١٩٩،١٧٢ |
| ٩                        | انما نطعمكم لوجه الله لانريدمنكم جزاء<br>ولاشكورأ      | ١٤٨،١٤٢          |
| ١٢                       | وجزاهم بما صبرواجنة وحريرا                             | ٢٦٥،١٦٣          |
| ٢٩                       | وان الفضل بيدالله يؤتبه من يشاء - الى قولى -<br>العظيم | ٣٠٩              |
| ٣٠                       | وما تشاؤون الا ان يشاءالله                             | ١٩٣،١٥٩          |
| <b>٧٧- سورة المرسلات</b> |  |                  |
| ٤٦                       | كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون                         | ٣١٥              |
| <b>٧٩-سورة النازعات</b>  |  |                  |
| ٤٥                       | انما انت منذر من يخشاها                                | ٢٠٩              |
| <b>٨٠-سورة عبس</b>       |  |                  |
| ١                        | عبس وتولى ان جاءه الأعمى                               | ٤٤٣              |
| ١٢                       | كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره                            | ١٦٥              |
| ٢٠                       | ثم السبيل يسره   | ٣٥٢              |
| <b>٨١-سورة التكويد</b>   |  |                  |
| ٢٨                       | ان هو الاذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم           | ١٦٥              |

٨٢-سورة الانفطار

١٩      يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله      ٢٤٤

٨٣ - سورة المطففين

١٤      كلا بل وان على قلوبهم ما كانوا يكسبون      ٢٥٣

١٥      كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون      ١٠٦، ١٠٥

١٦      ثم انهم لصالوا الجحيم      ١٠٦

٨٤ - سورة الانشقاق

٦      يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه      ١٠٦

٢٠      فما لهم لا يؤمنون      ٢١١

٨٥-سورة الطارق

١٤-١٧ انهم يكيدون كيداً واكيد كيداً - الى قوله -

رويداً      ٣١٥، ٣١٩

٨٦-سورة الاعلى

٣      والذي قدر فهدى      ٣٣٣

٥      والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى      ١٨٣

١١      وسيجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى      ٣٦٣

٨٨ - سورة الغاشية

١٧      افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت      ٩٠

٢٢      فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر      ٢١٥



## ٨٩- سورة الفجر

|          |  |    |
|----------|--|----|
|          | كلا اذا دكت الأرض دكاً دكاً - الى قوله - صفأ | ٢٢ |
| ١٢٥      | صفأ  |    |
| ١٣١، ١٣٣ | وجاء ربك والملك صفأ صفأ                      | ٢٢ |

## ٩٠- سورة البلد

|     |   |    |
|-----|---|----|
|     | الم نجعل له عينين ولسانا وشفقتين و هديناه | ١٠ |
| ١٩٩ | النجدين                                   |    |
| ٢٦٥ | وهديناه النجدين                           | ١٠ |

## ٩١- سورة الشمس

|     |                     |    |
|-----|---------------------|----|
| ٣٦٣ | إذ انبعث اشقاها ... | ١٢ |
|-----|---------------------|----|

## ٩٢- سورة الليل

|     |   |    |
|-----|---|----|
| ٢٦٥ | ان علينا للهدى ...                          | ١٢ |
| ٣٦٣ | لا يصلها الا الأشقى ...                     | ١٥ |
|     | و مالأحد عنده من نعمة تجزى - الى قوله - ربه | ٢٠ |
| ١٤٢ | الأعلى                                      |    |

## ٩٣- سورة الضحى

|     |                  |   |
|-----|------------------|---|
| ٤٤٦ | ووجدك ضالاً فهدى | ٧ |
|-----|------------------|---|

## ٩٥- سورة التين

|     |  |     |
|-----|--|-----|
|     | لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم رددناه اسفل | ٥-٤ |
| ٣١١ | سافلين   |     |

| رقم الآية | الآية                                     | رقم الصفحة |
|-----------|---|------------|
| ٦         | الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات           | ٣١١        |
|           | ٩٦ - سورة العلق                           |            |
| ٨         | ان الى ربك الرجعى ...                     | ١٠٥        |
|           | ٩٧ - سورة القدر                           |            |
| ١         | انا انزلناه فى ليلة القدر                 | ١١٦        |
|           | ٩٩ - سورة الزلزلة                         |            |
| ٨-٧       | فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره - الى قوله - |            |
|           | شراً يره                                  | ١٦٣        |
|           | ١٠٥ - سورة الفيل                          |            |
| ٢         | وارسل عليهم طيراً ابابيل ...              | ٢٨٦        |
|           | ١٠٩ - سورة الكافرون                       |            |
| ٦         | لكم دينكم ولى دين                         | ٣١١        |

## الفهرس العام لمواضيع الكتاب

|    |   |
|----|---|
| ٥  | المحكم والمتشابه فى القرآن :                  |
| ٧  | ١- التعريف بالمتشابه                          |
| ٨  | حقيقة الاحكام والتشابه                        |
| ٩  | الفرق بين المتشابه والمبهم                    |
| ١٠ | ما بين عوامل كل من المتشابه والمبهم من اختلاف |
|    | * * *   |
| ١٣ | ٢- القرآن والتشابه                            |
| ١٤ | هل فى القرآن متشابه ؟                         |
| ١٥ | مز عومة كون جميع آى القرآن متشابهة            |
| ١٦ | لماذا فى القرآن متشابه ؟                      |
| ١٧ | رأى ابن رشد الاندلسى                          |
| ١٨ | رأى الامام الرازى                             |
| ١٩ | العلاج الحاسم لمادة الاشكال                   |



- ٢٠ التشابه ظاهرة طبيعية في القرآن
- ٢٢ رأى سيدنا الطباطبائي
- ٢٢ رأى الشيخ محمد عبده
- ٢٣ عامل آخر لوجود التشابه في القرآن ، هو اهم
- \* \* \*
- ٢٧ ٣- حقيقة التاويل
- ٢٨ مابين التاويل والتفسير من فرق
- ٢٨ التاويل معنى ثانوى للاية
- ٢٨ التعبير عن التاويل بالبطن
- ٢٨ التاويل بهذا المعنى عام لجميع آى القرآن  
ويتلخص استعمال التاويل فى موضعين :
- ٣٠ الأول - فى توجيه المتشابه
- ٣٠ الثانى - فى المعنى الثانوى ( البطن )
- ٣١ وهما من قبيل المفاهيم الذهنية
- ٣١ مزعومة ابن تيمية : ان التاويل عين خارجى
- ٣١ تايد سيدنا الطباطبائى لهذا المذهب و تهذيبه و تحريره
- ٣٢ تفنيد مزعومة شيخ حران ، حيث خلط أمر المصداق بامر التاويل
- ٣٣ المعانى الأربعة للتاويل
- ٣٣ تبدو على رأى سيدنا الطباطبائى مسحة عرفانية رقيقة
- ٣٣ مناقشة هذا الرأى
- ٣٤ ماذا وراء هذا القرآن لو كان عيناً خارجياً؟!

\* \* \*

- ٣٥ ٤- هل يعلم التأويل الاالله  
توجيه السؤال بصورة عامة :
- ٣٦ هل يعقل ان يوجد في القرآن آيات لايعلم معناها احد ؟
- ٣٧ كلام الشيخ ابي على الطبرسي
- ٣٨ كلام الامام بدر الدين الزركشي
- ٣٨ ماذا يستفاد من الآية الكريمة بصورة خاصة ؟
- ٣٩ الكلام في الآية من الوجهة الأدبية
- ٣٩ كلمات أكابر أئمة الأدب والفن
- ٤٠ نظائر الآية في القرآن وفي الشعر القديم
- ٤٠ اقوى حجة اعتمدها الامام الرازي لمذهبه في الاستيناف
- ٤١ دحض هذه الحججة
- ٤١ النكتة الدقيقة في التقييد بالجملة الحالية
- ٤١ تنويع الناس تجاه المشابه الى ثلاث طوائف
- ٤٢ الباحث الصادق لا يضطرب تجاه المتشابهات
- ٤٢ كلام الشيخ محمد عبده بشأن الآية
- ٤٣ الامام الرازي واستداعته للادب الرفيع بشأن الآية !
- ٤٣ موافقة السيد الطباطبائي للامام الرازي في هذه الاستداعة !
- ٤٣ تقييم هذه الاستداعة الأدبية بموازين الأدب
- ٤٤ مزعومة المنكرين
- ٤٤ نسبة السيوطي الانكار الى اكثرية الصحابة والتابعين
- ٤٤ مبالغته في هذه النسبة
- ٤٤ مناقضة ابن تيمية للسيوطي

- ٤٥ اكثرية السلف على ان الراسخين يعلمون التأويل  
 ٤٥ كلام الامام احمد بن حنبل  
 ٤٥ كلام ابي جعفر الطبرى  
 ٤٥ مجاهد وابن عباس بشأن تأويل المتشابهات  
 ٤٥ كلام الراغب الاصبهاني  
 ٤٥ مذهب ابي الحسن الاشعري في ذلك  
 ٤٥ انتصار ابي اسحاق الشيرازي له  
 ٤٦ تزييف مستند منكرى العطف  
 ٤٦ تعليل مفضوح

\* \* \*

٥- من هم الراسخون في العلم ؟

- ٤٧ اول الراسخين في العلم وفضلهم رسول الله ﷺ  
 ٤٨ ثم الأئمة الأوصياء من بعده  
 ٤٨ ثم العلماء الربانيون الذين استقوا من منهل فيضهم النمر

\* \* \*

## تعرفه اجمالية

بمذاهب سلفية أوجدت التشابه

في وجه الآيات

- ٥٤ السلف كانوا يتحرجون القول في القرآن عن رأيهم  
 ٥٥ وقد تبعهم على ذلك اصحاب المذاهب السلفية تقليدياً ، وهم : -



- ٥٦ الصفاتية : اصحاب القول باثبات مبادئ الصفات في ذاته تعالى المقدسة
- ٥٨ الحشوية : اصحاب الحديث المتقبلين لغته وسمينه
- ٥٩ الأشعرية : اصحاب ابي الحسن الاشعري في الاصول
- ٦٠ وهو شيخ اهل السنة والجماعة حتى اليوم
- انتشار المذهب الاشعري رسمياً وبضغط من الحكم القادري العباسي في
- ٦١ نهاية القرن الرابع
- ٦١ تفويض دعائم مذهب الاعتزال نهائياً
- ٦٢ تشريح عقيدة الاشعري في الاصول
- ٦٤ المشبهة : يثبتون لله خصائص الجسمية
- ٦٥ الكرامية : اصحاب محمد بن كرام الذي خبط وخلط
- الجبرية : ينفون عن العباد استطاعتهم على اختيار الافعال . وهم على
- ٦٧ طائفتين :
- ٦٧ جبرية خالصة وجبرية ملتوية
- ٦٨ الاشعري جبري خالص
- ٦٨ كلام سعد الدين التفتازاني
- ٦٩ عبارة الاشعري الصريحة في الجبر
- ٧٠ كلامه في الاستطاعة
- ٧١ عويصة مسألة الكسب
- ٧٢ القول بالكسب التواء في الجبر
- ٧٣ القدرية : اطلقت على كل من الاشاعرة والمعتزلة
- ٧٣ كلام ابي الفتح الكراچكي في ذلك
- ٧٤ رمى الاشعري اصحاب الاعتزال بهذا الاسم

- ٧٤ الواقعة تجعل من هذا الاسم خاصاً بالاشاعرة
- ٧٥ المعتزلة : الاعتزال انتفاضة في وجه الصفاتية ومتشعباتها من الظاهريين
- ٧٥ عقيدة المعتزلة بتوضيح ابي الحسن الاشعري
- ٧٦ كلام القاضي عبدالجبار في نفى الصفات
- ٧٦ رأى الاشاعرة والمعتزلة في مبادئ الصفات
- ٧٧ تحقيق مذهب المعتزلة في الاستطاعة
- الامامية : رسالة البيان عن جمل اعتقاد اهل الايمان ، تأليف الشيخ ابي
- ٧٨ الفتح الكراجكي
- ٧٩ كلام مولانا امير المؤمنين - عليه السلام - في معرفة الله
- \* \* \*
- ٨٣ نماذج من متشابهات القرآن
- ٨٤ تحقيق عن الصفات الذاتية لله تعالى
- ٨٥ آيات تنعته تعالى بصفات ذاتية
- ٨٦ فساد مذهب الاشعري في صفات الذات
- \* \* \*
- ٨٦ صفاته تعالى الفعلية
- ٨٦ تفسير الاشعري لصفات الفعل
- ٨٧ تفسير اهل العدل لصفات الفعل
- ٨٧ استدلال الاشعري على مذهبه في الاثبات
- \* \* \*
- ٨٨ صفات تنزيهه (صفات جلالية)
- ٨٨ الأشاعرة وسائر الصفاتية مجسمة

- ٨٩ القول بالتجسيم مذهب المتأثرين بتعاليم ابن تيمية حتى اليوم  
\* \* \*
- ٩٠ الكلام فى رؤيته جل شأنه
- ٩٠ استدلال الاشعري على جواز رؤيته تعالى بآيات  
وجوابه عن آية «لاتدرکه الابصار»
- ٩٣ كلام ابى سعيد الدارمى فى الرؤية واستدلاله بروايات  
نظرة اهل العدل والتنزيه فى الرؤية
- ٩٦ كلام الاستاذ احمد امين وتأسفه فى هذا المجال
- ٩٧ كلام القاضى عبد الجبار ، والخوارجا نصير الدين الطوسى  
الاجابة على استدلالات الاشعري واذنابه
- ٩٧ \* \* \*
- ١١٢ القول فى الجهة والمكان
- ١١٢ مذهب الاشعري وسائر التجسيم فى ذلك
- ١١٢ آيات استدلال بها اهل التجسيم
- ١١٤ اضافات من ابى سعيد الدارمى
- ١١٧ استدلال ابن خزيمة على اثبات الجهة
- ١١٨ سوء أدب فى تعبير الاشاعرة فى هذا المقام
- ١١٨ اجوبة اهل العدل والتنزيه عن ادلة الاشاعرة
- ١١٩ كلام نورى من الامام امير المؤمنين - عليه السلام -
- ١١٩ حديث الامام جعفر بن محمد الصادق - عليه السلام -
- ١٢٠ حديث الامام موسى بن جعفر الكاظم (ع)
- ١٢١ صراحة القرآن فى نفي الجهة ونفي الجسمية



١٢١ اعتراف الامام الرازي بذلك

\* \* \*

١٢٢ الكلام فى العرش والكرسى وبيان حقيقتهما لغويًا وشرعيًا

١٢٤ الكرسى : كناية عن احاطة ملكه تعالى

١٢٥ العرش : كناية عن تدبيره الشامل

\* \* \*

١٢٦ الكلام فى صفة الاستواء

١٢٧ الكلام فى الفوتية ، وانه تعالى فوق بالقدرة والتدبير ، لا بالجهة والمكان

١٢٨ تحقيق ذوقى عن اعتبار الفوقية له تعالى

\* \* \*

١٢٩ نظرة فى آيات زعموا دلالة على الجهة

١٣٥ تحقيق تاريخى عن حديث الأمة السوداء

١٣٨ سبب رفع اليدين الى السماء عند الدعاء

\* \* \*

١٣٩ الكلام فيما زعم اهل التشبيه من ثبوت الاعضاء والجوارح له تعالى

١٤٠ مواكبة الاشعرى لأهل التشبيه وتشبته بآيات

١٤٤ الحشوية من اصحاب الحديث يساندون اهل التشبيه

١٤٥ محاولة فاشلة لبعض اهل التشبيه

\* \* \*

١٤٦ الكلام فى ابطال مزاعم اهل التشبيه

١٤٦ الكلام فى الوجه واطلاقاته فى القرآن

١٤٨ الكلام فى العين واطلاقاتها فى القرآن

- ١٤٩ الكلام في اليد واطلاقاتها في القرآن
- ١٥٢ الكلام في الساق واطلاقاتها في القرآن
- ١٥٣ الكلام في الرجل والقدم
- \* \* \*
- ١٥٥ مسألة الاستطاعة «القدرة»
- ١٥٥ الاشاعرة ينفون القدرة عن العباد
- ١٥٦ تشبثات الاشعري في نفى استطاعة العباد
- ١٦٠ تزيف هذه التشبثات على ضوء البرهان
- \* \* \*
- ١٦١ نظرة في الأفعال الاختيارية
- ١٦٣ القرآن يرى من الانسان حراً في مساعيه
- \* \* \*
- ١٦٧ تنويع ارادته تعالى الى تكوينية وتشريعية
- ١٦٩ كلمات ائمة الهدى في هذا التنويع
- ١٧٠ تفكيك الارادة التشريعية عن المراد
- \* \* \*
- ١٧٢ مسألة التوحيد في الأفعال
- \* \* \*
- ١٧٣ مسألة الأمرين الأمرين
- ١٧٤ الاشاعرة ارادت التوحيد المطلق فلجأت الى القول بالجبر
- ١٧٥ والمعتزلة ارادت اثبات عدله تعالى فأسرفت في القول بالاستطاعة

- لكن الإمامية اخذت الطريقة الوسطى - في ضوء تعاليم اهل البيت - فجمعت  
 ١٧٥ بين التوحيد والعدل
- \* \* \*
- ١٧٧ وجه انتساب الافعال الاختيارية الى كل من الفاعل والمخالق تعالى
- ١٧٨ امثلة توضح مسألة الأمرين الأمرين
- \* \* \*
- ١٨١ اختيارية الارادة ذاتية
- \* \* \*
- ١٨٢ مسألة ارادة الله الحادثة
- ١٨٣ انتساب الحوادث الى الله
- \* \* \*
- ١٨٤ حل شبهات اهل الجبر ، على ضوء ما تقدم  
 نظرة اجمالية وعميقة الى الآيات والروايات التي استدل بها اصحاب القول  
 بالجبر
- ١٨٥
- ١٩٤ نظرة في الحسنات والسيئات انهما من الله ام من العبد ؟
- ١٩٧ اصرح آية تدحض مزعومة الجبر
- \* \* \*
- ١٩٨ مسألة الهداية والتوفيق
- ١٩٨ مراتب الهداية الخمس
- ٢٠٢ وهداية الجاه لم يشأها الله
- ٢٠٢ تقسيمات اخر بشأن مراتب الهداية
- ٢٠٣ تشبيه مراتب الهداية بدرجات النور



\* \* \*

- الأضلال والخذلان  
 ٢٠٤ تحقيق عن معنى اضلاله تعالى لمن يشاء  
 ٢٠٥ مزعومة الأشعرى فى الالغاء  
 ٢٠٦ تجهيل ابن حزم لاصحاب المزعومة  
 ٢٠٧ استدراك على من حمل اضلاله تعالى على الحقيقة  
 ٢٠٨

\* \* \*

- عرض آيات الهداية والضلال  
 ٢٠٩ كلام تفصيلى عن تأويل قوله تعالى : «وما كان لنا ان نشود فيها الا ان يشاء الله»  
 ٢٢٨ كلام تفصيلى عن تأويل قوله تعالى «يحول بين المرء وقلبه» .  
 ٢٣٥ كلام الامام الرازى فى الآية  
 ٢٣٦ كلام الشيخ محمد عبده  
 ٢٣٧ تفسير آخر أدق  
 ٢٣٩ اختيارنا الذى رجحناه  
 ٢٤١ رأى سيدنا الطباطبائى  
 ٢٤٣ محاولة الطبرى تعميم الآية  
 ٢٤٧ روايات مأثورة عن ائمة اهل البيت بهذا الصدر  
 ٢٤٨

\* \* \*

- كلام تفصيلى عن قوله تعالى : «أمرنا متر فيها...»  
 ٢٦٩ اختيار اكثرية المفسرين  
 ٢٧١ تزيف الزمخشرى لهذا الاختيار  
 ٢٧٢

- ٢٧٣ رأى امام المعتزلة (القفال) فى الاية
- ٢٧٥ الوجوه الاربعة التى ذكرها الشريف المرتضى
- ٢٨٠ مراكية شيخ الطائفة للشريف المرتضى
- \* \* \*
- ٢٨٧ تحقيق عن فحوى قوله تعالى : «لا يسأل عما يفعل...»
- ٢٨٧ رأى الأشاعرة فى الاية
- ٢٨٨ رأى اهل العدل والتنزيه
- \* \* \*
- اختلاف المفسرين فى تأويل قوله تعالى : «لا يقدرّون على شىء...» . والتضارب
- ٣٠٧ بين الأشاعرة واهل العدل فيها
- \* \* \*
- ٣١١ مسألة الاستدراج وتوجيهها بما لا ينافى مع عدله تعالى
- ٣١٣ تأويل الايات الواردة بشأن الاستدراج
- \* \* \*
- ٣١٥ الاستهزاء والخديعة والمكر
- ٣١٧ تأويل الايات الواردة بهذا الشأن
- \* \* \*
- ٣٢١ الختم والطبع وماشاكلهما وتأويل الايات الواردة بهذه التعابير
- \* \* \*
- ٣٢٨ مسألة القضاء والقدر
- ٣٢٩ الايمان بالقدر عقيدة جاهلية
- ٣٢٩ الأشاعرة استسلمت لهذه العقيدة البائدة

- ٣٣٠ رأى الفلاسفة الاسلاميين فى مسألة القضاء والقدر  
 ٣٣١ رأى المتكلمين الاماميين فى المسألة  
 ٣٣٢ كلام تفصيلى عن هذه المسألة  
 ٣٣٤ تلخيص القول فى المسألة  
 ٣٣٥ كلام الامام امير المؤمنين فى المسألة برواية الاصبع بن نباتة  
 ٣٣٧ خلاصة مذهبنا فى المسألة

\* \* \*

- ٣٣٧ عرض آيات تعرضت لمسألة القضاء والقدر  
 ٣٤٠ عرض روايات تعرضت للمسألة وهى على ثلاث طوائف  
 ٣٤٠ الطائفة الاولى : الأمرة بالايمان بها  
 ٣٤١ الطائفة الثانية : الناهية عن التعرض لها  
 ٣٤٤ الطائفة الثالثة : المفسرة لها بالسنن مختلفة

\* \* \*

- ٣٤٩ مسألة السعادة والشقاء وعرضها على صعيد علمى عقلانى  
 ٣٥٠ تفسير الحديث المشهور «السعيد من سعد فى بطن امه ...»  
 ٣٥١ للسعادة والشقاء معنيين

\* \* \*

- ٣٥٣ عرض آيات السعادة والشقاء  
 ٣٥٤ كلام تفصيلى عن تأويل قوله تعالى : « فمنهم شقى وسعيد »  
 ٣٥٦ تحقيق مدلول الآية بالمقارنة مع آيات اخر  
 ٣٥٧ كلام تفصيلى عن مدلول قوله تعالى : « غلبت علينا شقوتنا »



- ٣٦٤ مسألة التمحيص والاختبار ، والفوائد المترتبة على ذلك  
٣٦٥ عرض آيات الابتلاء والامتحان

\* \* \*

كلام تفصيلي عن « الاحباط » و « التكفير » و « الموازنة » . وتقدمه مسائل :

- ٣٧٠ الاولى : هل الجزاء استحقاق ام مواضعة ؟  
٣٧١ الثانية : هل الجزاء يستدعى الدوام ؟  
٣٧٢ الثالثة : هل المغفرة تختص بالتائبين ؟  
٣٧٤ الرابعة : ماذا يكون المراد بالاحباط ؟  
٣٧٥ الخامسة : هل الفاسق مؤمن ام كافر ؟

\* \* \*

- ٣٧٧ فرضية الاحباط في خطوات :  
٣٧٨ ١- الموافاة على الايمان شرط في المثوبات  
٣٧٩ ٢- التائب من الذنب كمن لا ذنب له  
٣٨٠ ٣- محق الحسنات بسببته لاحقة باطل عندنا  
٣٨١ الاستدلال على ذلك في اربعة بنود

\* \* \*

- ٣٨٢ عموم آيات التوفية  
٣٨٤ اختصاص آيات الحبط بمن يموت كافراً

\* \* \*

- ٣٨٥ هل في آيات الحبط عموم ؟  
٣٨٦ عرض آيات زعمها عامة

\* \* \*

- ٣٩٤ التكفير بين العموم والخصوص  
 ٣٩٦ عرض آيات تعرضت لظاهرة التكفير  
 ٤٠٢ عرض أحاديث التكفير

\* \* \*

- ٤٠٣ الموازنة او المحاطة  
 ٤٠٤ ابطال القول بذلك عقلياً  
 ٤٠٥ نظرة في حديث الكراجكى فى الموضوع  
 ٤٠٦ سيئات تمحق الايمان  
 ٤٠٩ انكار ائمة اهل البيت لظاهرة الجبط

\* \* \*

- ٤١٠ تنزيه الانبياء - عليهم السلام - عن المعصية اطلاقاً ، عند الامامية  
 ٤١٢ خطيئة آدم - عليه اسلام -  
 ٤١٣ عرض آيات الخطيئة  
 ٤١٤ عناوين عشرة تنم عن الخطيئة  
 ٤١٧ تلخيص الكلام عن تنزيه آدم (ع)

\* \* \*

- ٤١٧ دعوة نوح عليه السلام  
 ٤١٩ تورية ابراهيم عليه السلام  
 ٤٢٠ استغفار ابراهيم لآبيه  
 ٤٢١ مجادلة ابراهيم ربه  
 ٤٢١ تبرئة يوسف عليه السلام  
 ٤٢٢ ابتلاء ايوب عليه السلام

\* \* \*

|     |  |
|-----|--|
| ٤٢٣ | مخاطرة موسى <small>عليه السلام</small> |
| ٤٢٤ | محااجته مع فرعون                       |
| ٤٢٥ | استعفاؤه عن الرسالة                    |
| ٤٢٧ | خيفته عندالقاء السحرة                  |
| ٤٢٨ | اعتراض ام استرحام                      |
| ٤٢٩ | طلبه - ع- للرؤية                       |
| ٤٢٩ | غضبه - ع - على اخيه                    |

\* \* \*

|     |                        |
|-----|------------------------|
| ٤٣١ | اختبار داود - ع-       |
| ٤٣٤ | فتنة سليمان - ع-       |
| ٤٣٤ | قصة الايثار على الطاعة |

\* \* \*

|     |                             |
|-----|-----------------------------|
| ٤٣٦ | استعجال يونس - ع- فى الخروج |
| ٤٣٧ | عيسى بن مريم - ع -          |

\* \* \*

|     |   |
|-----|---|
| ٤٣٨ | خاتم النبیین <small>عليه السلام</small> |
| ٤٣٨ | قصة اقتراح المشركين عليه بالمجاملة      |
| ٤٣٩ | حديث القاء الشيطان فى امنيته            |
| ٤٤١ | حديث تزوجه زينب بنت جحش                 |
| ٤٤٢ | نهيہ عن الانقياد لمقترحات المشركين      |



- ٤٤٣ اوامر موجهة اليه من باب « اياك اعنى واسمى يا جارة »
- ٤٤٣ قصة عبوسه فى وجه الأعمى
- ٤٤٤ كلام الشريف المرتضى فى ذلك
- ٤٤٥ كلام السيد الطباطبائى فى ذلك
- \* \* \*
- ٤٤٦ معنى ضلاله عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل البعثة
- ٤٤٧ معنى غفران ذنوبه عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد الفتح
- ٤٤٩ وجه استغفاره عَلَيْهِ السَّلَامُ كل يوم
- \* \* \*
- ٤٥١ فهرس الآيات القرآنية التى وردت فى هذا العرض بترتيب السور

\* \* \*



## اخطاء مطبعية يرجى تصحيحها

| ص   | س  | الخطأ     | الصواب      |
|-----|----|-----------|-------------|
| ١٤  | ١٠ | ٧         | ١٣٨         |
| ٢٤  | ١٩ | وقوفاً    | وقوفاً      |
| ٣٤  | ٧  | وهو       | وهل         |
| ٣٧  | ٤  | ٢٩٠       | ٢٩٠:        |
| ٤١  | ١٣ | للابهتداء | للاعتداء به |
| ٤٥  | ١٠ | واسألة    | واسأله      |
| ٤٧  | ٧  | الطاف     | المطاف      |
| ٦٨  | ١٣ | توضيح     | توضيح       |
| ٧٢  | ١٣ | بصنرتنا   | بصيرتنا     |
| ٧٢  | ١٧ | سواءاً    | سوءاً       |
| ٧٧  | ٥  | قسالوا    | قالوا       |
| ٩٨  | ١٦ | قول       | قوله        |
| ١٠٤ | ١١ | الاساتيد  | الاسانيد    |



| الصواب        | الخطأ         | س  | ص   |
|---------------|---------------|----|-----|
| ١٠٧           | ٤             | ١٨ | ١٠٧ |
| لمسعود بن عمر | لعمر بن مسعود | ٢١ | ١٠٩ |
| ٢١٠           | ٢٢٠           | ٩  | ١١٣ |
| السماء        | المسماء       | ١٧ | ١٢٧ |
| الا           | الى           | ٢١ | ١٢٨ |
| واذنا به      | واذنا به      | ١٠ | ١٣٠ |
| ٢١٠           | ٢٢٠           | ٩  | ١٣١ |
| ٨٨            | ٧٠            | ١٣ | ١٣٢ |
| نطعمكم        | نطعمكم        | ٦  | ١٤٢ |
| والزلفى       | او الزلفى     | ١٢ | ١٤٦ |
| ٣٩            | ٧٩            | ٩  | ١٦٤ |
| صفات          | الصفات        | ١٨ | ١٧٠ |
| وثام          | وثام          | ٩  | ١٧٤ |
| المعلوم       | العلوم        | ٧  | ١٩٧ |
| واما كفوراً   | او كفوراً     | ١٨ | ١٩٩ |
| ١٨١           | ١٨٦           | ٢٠ | ١٩٩ |
| يتدرج         | بتدرج         | ١  | ٢٠٤ |
| ولا تطلع      | ولا تقطع      | ٧  | ٢١١ |
| على           | عن            | ١٢ | ٢٣٨ |
| به            | به            | ١٢ | ٢٣٨ |
| كأنه          | كأله          | ٤  | ٢٤٢ |
| ولا قنوط      | وقنوط         | ٧  | ٢٤٦ |

| الصواب              | الخطأ     | س  | ص   |
|---------------------|-----------|----|-----|
| مسألة               | مسألة     | ١٠ | ٢٤٦ |
| الطغيان             | الطغيان   | ٨  | ٢٥٣ |
| لا يؤمنون           | يؤمنون    | ٣  | ٢٥٧ |
| ١٠٥                 | ١٠٢       | ١٧ | ٢٥٨ |
| ١٠٧                 | ١٠٣       | ٢٠ | ٢٥٨ |
| ٣١                  | ١٧        | ٢  | ٢٦٢ |
| هدى                 | هوى       | ٢٠ | ٢٦٥ |
| مترفيها             | مترفوها   | ٧  | ٢٧١ |
| منهم معك            | معك       | ١  | ٢٧٩ |
| الكريمة             | الكريم    | ١٣ | ٣٠٢ |
| «خبيث» <sup>٢</sup> | «خبيث»    | ١٨ | ٣٤٩ |
| طمأنينة             | طمأنية    | ٥  | ٣٥١ |
| بها                 | بها       | ١١ | ٣٥٧ |
| غلبنا               | غلبتنا    | ١٣ | ٣٥٧ |
| يميز                | يميز الله | ١٣ | ٣٦٥ |
| ٣٥                  | ٢١        | ٩  | ٣٦٧ |
| الثالثة             | الثالثة   | ١٥ | ٣٧٢ |
| ١٦٠                 | ٦٠        | ٧  | ٣٨٢ |













Princeton University Library



32101 055469850

